الإهداء

أهدي هذا العمل العلمي المتواضع .....
للأب الروحي .....
والأستاذ الفاضل .....
.....للأستاذ الدكتور/ سيد مصطفى سالم

جمعـــــت كتـــــابي راجيـــــاً لقبولـــــه

مـــــن الله فـــــالمرجو منـــــه قريـــــب

ومهـــــما رأيـــــتم مـــــن كتـــــابي قـــــصوره

فـــــستراً وغفـــــراً فالقـــــصور معيـــــب

ولكـــــن عـــــذري واضـــــح وهـــــو أننـــــي

مـــــن الخلـــــق أخطـــــئ تـــــارةً وأصـــــيب

تقديم

بسم الله الرحمن الرحيم

شغفت بكل مظاهر الحياة البشرية والطبيعية في اليمن منذ أن وصلت إلى صنعاء للتدريس بجامعتها عام ١٩٧١م. وأخذت أندمج في الحياة الاجتماعية بشكل كبير بسبب الترحيب الذي غمرني به الأخوة اليمنيون، وبقدر ما فتحوا أبواب بيوتهم أمامي. وكانت هذه المشاعر الإنسانية تزيد من حرجي أمامهم، فقد كنت مطالباً دائماً بالاستمرار في كتابة التاريخ اليمني، خاصة بعد أن فتحت أمامي المكتبات العامة والخاصة على السواء.

وكانت آمالي وطموحاتي في تغطية جزء من تاريخ اليمن الحديث والمعاصر لا تتوقف عند حد، لكن كانت الأيام والسنون تجري بسرعة أكبر مما طمحت في تحقيقه، لولا أن فتحت جامعة صنعاء أبوابها للدراسات العليا، فتنفست الصعداء، وشعرت بأن كثيراً من الطلبة اليمنيين يقبلون على هذه الدراسات بكل شغف وحب وتطلع، وعلى رأسهم المعيدتان بالقسم وهما أمة الملك إسماعيل الثور، وأمة الغفور عبد الرحمن الأمير، وقد أبدعتا أجمل إبداع في رسالتيهما لنيل درجة الماجستير.

وكان هذا فاتحة خير، فقد أقبل الطلبة على الدراسات العليا وهم مقتنعون بأهمية الكشف عن التراث وتحقيق المخطوطات لعلهم يضعون بذلك اللبنة الأولى للكشف عن أبعاد التاريخ اليمني. وكنت مع زملائي بالقسم نحثهم على المضي قدماً في تحقيق أكبر قدر ممكن من المخطوطات لينكشف كل ما هو غامض عن التاريخ اليمني الحديث والمعاصر.

وهاهي الطالبة المثالية الجادة المجتهدة، تتناول تاريخ أول الأئمة القاسميين الذي عاصر أواخر عهد العثمانيين في اليمن، وفي عهد إمامته تحقق استقلال اليمن، وذلك مع تحقيق مخطوطة «الجوهرة المنيرة في جُمل من عيون السيرة» لمؤلفها المؤرخ المعروف مطهر بن محمد الجرموزي، الذي وضع ثلاث سير للأئمة الثلاثة الأول من أئمة الدولة القاسمية.

وقد بذلت الدكتورة أمة الملك كل ما هو مطلوب في تحقيق المخطوطة الكبيرة من تحقيق علمي دقيق، وخاصة بعد تجربتها السابقة في رسالة الماجستير. فقد بحثت بدقة عن النسخة الأم، وجمعت كل ما كبر أو هان من مصادر أو مراجع تحيط بالتحقيق، وبفترة المخطوطة ومؤلفها وعصره. ورغم إدراكها بأنه من كُتّاب السلطة حينذاك، فقد نفذت بكل قدراتها العلمية الدقيقة إلى أعماق ما دوّن في مخطوطته لتخرج هي بإعداد تلك الفصول التي أوضحت أمامنا كيف كان البناء الأول لتلك الدولة، وما هي علاقتها بالدول المجاورة لها أو المحتكة بها.

وقد استطاعت الباحثة أمة الملك الثور، بكل ما لديها من صبر ومثابرة على البحث العلمي، وعلى أبعاده ومصادره أن تبرز لنا كيف كانت العلاقة بين العثمانيين واليمنيين في الثلث الأول من القرن السابع عشر الميلادي، وكيف خرج اليمنيون من السيطرة العثمانية إلى الاستقلال. وكان هذا يحتاج إلى دقة في المعالجة، وهو ما تتميز به الباحثة، وإلى موضوعية في كتابة التاريخ وهو ما استطاعت أن تحققه.

وإني إذ أهنئ جامعة صنعاء لأنها ضمت إلى هيئة تدريسها عنصراً جديداً وهي ابنة من أبنائها، تتميز بالعلم والأخلاق، وبالإدراك الحقيقي لمهمة الأستاذ الجامعي إزاء مجتمعها اليمني.

والله الموفق

جماد ثاني ١٤٢٥هـ

يوليو ٢٠٠٤م.

د. سيد مصطفى سالم

قسم التاريخ- كلية الآداب

جامعة صنعاء

المقدمة

﴿رَبِّ ٱشۡرَحۡ لِي صَدۡرِي ۝ وَيَسِّرۡ لِيٓ أَمۡرِي﴾

الحمد لله نحمده ونستعينه. وبعد:

أصبح التاريخُ والتراث اليمني يحظى بالاهتمام والعناية من قبل الباحثين والدارسين بمراحله وحقبه التاريخية المختلفة، وبالتالي أدى هذا إلى انتعاش البحث التاريخي في اليمن. وإقدام كثير من الباحثين على البحث والتحقيق عن أدوار ومواضيع ومراحل تاريخية مختلفة من تاريخ اليمن، إلا أن هناك مراحل وأدواراً تاريخية يكتنفها بعضُ الغموضِ وتطرحُ بعضَ التساؤلات، وبضرورة الحال تحتاج إلى جهود كبيرة ومختلفة من أجل تبيانه وكشف بعض الحقائق التاريخية ودراستها كما وردت دونما زيف وتحوير. إن الاهتمام بالتاريخ والتراث ليس من أجل التفاخر بأمجاد وأدوار تاريخية تليدة، بل إن الهدف الأسمى من وراء ذلك هو الاستقصاء، وتلمس العبر والدروس التاريخية لتكون لنا نبراساً من أجل المضي بحاضرنا ومستقبلنا إلى عالم يسوده العلم والبحث العلمي بكل أنواعه واتجاهاته، والمضي إلى درب الأمم المتحضرة.

وتاريخ اليمن بكل مراحله وأدواره منذ أغوار التاريخ القديم وعصر بلقيس وسبأ وعصر الإسلام والفتوحات الإسلامية وتشكيل الدويلات الإسلامية المستقلة. وصد الغزوات الأجنبية، تنافس وتنوع الوافدين والطامحين في حكم اليمن من المماليك والعثمانيين والاستعمار وعصر الأئمة العظام المجددين للدين في كل فترات وعصور التاريخ اليمني، كل هذه الحقب والمراحل التاريخية بتنوع مواضيعها ورجالاتها لابد أن نستخلص منها العبرةَ

والموعظةَ والدروسَ التي يلقيها علينا التاريخ لكي يكون هدفُنا الرقي بحياتنا وأجيالنا، والاهتمام بكل أسباب العلوم في مختلف مجالاته من علوم إنسانية أو علمية أو حتى كونية.

ومن هذا المنطلق انصبَّ اهتمامي على البحث في مجال التحقيق التاريخي، وتلمسِ الحقائق التاريخية من خلال تراثنا ومخطوطاتنا اليمنية الزاخرة في مختلف المواضيع الهامة. وقد وقع اختياري على فترة تاريخية كبيرة وهامة من تاريخ اليمن وهو العصر الذي ينقسم بين فترتين، فترة نهاية الحكم العثماني الأول لليمن، وفترة بداية تكوين وبناء دولة يمنية مستقلة، فقد وقع اختياري على إحدى المخطوطات اليمنية التي سجلت لنا هذه الأحداث أي المراحل الأخيرة من الحكم العثماني الأول لليمن حتى تم خروجهم منها سنة ١٠٤٥هـ/ ١٦٣٥م. وأرخت المخطوطةُ لبداية قيام وبناء الدولة المؤيدية القاسمية بزعامة المؤيد محمد بن القاسم، وهي مخطوطة (الجوهرة المنيرة في سيرة الإمام المؤيد محمد بن القاسم) للمؤرخ المطهر بن محمد الجرموزي، إحدى الشخصيات المعاصرة للأحداث التاريخية في ذلك الحين، ومن المقربين والمنحازين للسلطة في عصر الدولة القاسمية.

فقد سجل المؤرخ الجرموزي أحداثاً تاريخية وسياسيةً وعسكريةً واجتماعية، وأسهب في تفاصيلَ دقيقةٍ عن حياة الإمام المؤيد محمد بن القاسم وإخوته ورجال دولته. وعرضَ نظام حكم الولاةِ العثمانيين وسياستَهُم، وشرح التفاصيل التاريخيةَ، والمعاركَ العسكرية التي جرت في ذلك العصر. وباعتبار أن مؤرخنا كان شاهد عيان لتلك الفترة التاريخية ومن المقربين للإمامة والسلطة وتحمله بعض المهام والوظائف الإدارية والسياسية فقد رسم وسجل كلَّ الأحداث التاريخية بدقة ورؤية تاريخية حيَّة وصادقة.

وأورد المؤرخ الجرموزي إلى جانب الأحداث التاريخية والسيرة الشخصية والمفصلة للإمام المؤيد محمد بن القاسم وسياسته العسكرية والإدارية والمالية وعلاقاته الخارجية. كل الرسائل والخطابات والتوجيهات التي أرسلها الإمام إلى شخصيات يمنية وعربية مختلفة، وأصبحت المخطوطة بمثابة إرشيف وثائقي لكل تلك الرسائل.

وتناولت المخطوطة أخبارَ وسيرةَ إخوةِ الإمام المؤيد، محمد، والحسن، والحسين وأحمد أبناء الإمام القاسم، وتطرقت إلى أعمالهم وحروبهم ومواقفهم تجاه الإمامة والعثمانيين قبل الاستقلال وأعمالهم السياسية والإدارية بعد الاستقلال.

وأبرزت المخطوطةُ الأدوارَ التاريخيةَ والشخصيةَ للعلماءِ والقادةِ والشخصيات البارزة ورؤساء القبائل وأدوارهم العسكرية قبل الاستقلال حتى تَمَّ انسحابُ العثمانيين من اليمن، وتم توضيح أدوارهم ومساهماتهم من أجل بناء الدولة القاسمية المستقلة.

وقد أظهرت المخطوطة الجوانب الإيجابيةَ والسلبيةَ العامةَ لأهم الشخصيات والأفراد في تلك المرحلة التاريخية. وشرحت لنا أدق التفاصيل عن أخبار المدن والقرى والعزل والجبال والوديان والقبائل والحصون في أقاليم اليمن الشمالية والجنوبية. ولذا قد لا نختلف في اعتبار أن هذه المخطوطة قد أعطتنا صورة واضحة وصادقة لتلك الفترة التاريخية من تاريخ اليمن.

وعندما عزمت على تحقيق هذه المخطوطة وضعت في حسباني أن التحقيق العلمي هو نتاج علمي وخلقي لا يقوى عليه إلا من وهبه الله خلتين شديدتين هما الأمانة والصبر، وعلى ذلك فقد بذلت جهدي عند التحقيق، وتحريت الدقة والأمانة العلمية، كي يخرج هذا الكتاب كما أراده مؤرخه دون تدخل مني أو إقحام أو تغيير في نصوص السيرة إلا فيما تتطلبه قواعد التحقيق التاريخي المسموح به في هذا المجال.

وكأي عمل علمي أكاديمي فقد واجهتني كثير من الصعوبات والعراقيل، وتطلب مني بذل الجهد والوقت، وقد حاولت بفضل الله وبفضل توجيهات وإشراف أستاذي الأستاذ الدكتور سيد مصطفى سالم أن أتخطى وأتجاوز كل تلك الصعوبات وأذلل تلك العراقيل بكل ما أعطاني الله من قوة تحمل وصبر فلله الحمد.

ونتيجة لأهمية أحداث المخطوطة وشخصياتها والفترة التاريخية التي تناولتها، فقد حَرَصْتُ على إبراز تلك الأحداث، وقمت بإعداد فصول خاصة لدراسة هذه المرحلة التاريخية وشخصياتها وأدوارهم. وعمدتُّ إلى استخراج بعض الأحداث التاريخية التي

وردت في المخطوطة إلى جانب الاستعانة بالمخطوطات الأخرى والمصادر والمراجع الأصلية التي أوردت هذه الأحداث واستغلالها لصياغة مواضيع الدراسة التي سبقت التحقيق، ومن هذا المنطلق فقد أطلقت على هذه الرسالة عنوان (بناء الدولة القاسمية في اليمن في عهد المؤيد محمد بن القاسم مع تحقيق مخطوطة الجوهرة المنيرة للمؤرخ المطهر الجرموزي).

وقد تناولت فصول الدراسة المواضيع التالية:

الفصل الأول بعنوان: (**محمد بن القاسم قبل توليه الإمامة وبعدها**)

عرضت في هذا الفصل السيرة الشخصية والعلمية والعسكرية لمحمد بن القاسم، ومشاركاته العسكرية في عهد والده الإمام القاسم ومكانته العلمية بين علماء وفقهاء عصره قبل توليه الإمامة.

وتطرقت إلى الظروف التي ساعدت على اختياره للإمامة، وشرحت مُجمل الأحداث السياسية والعسكرية التي وقعت حتى تم نقض الصلح مع العثمانيين وإعلان الحرب ضدهم نتيجةً لعواملَ وظروفٍ مختلفةٍ تم شرحُهَا مفصلاً في هذا الفصل.

الفصل الثاني: بعنوان: (**توسع نفوذ الإمام المؤيد محمد بن القاسم حتى الاستقلال عن الحكم العثماني**).

تناولت في هذا الفصل التعيينات والإجراءات الإدارية للإمام المؤيد محمد قبل الاستقلال. وعرضت الأدوارَ السياسيةَ والعسكريةَ التي اضطلع بها أخوة الإمام المؤيد محمد وبقية القادة والأمراء ورؤساء القبائل أثناء حصار المدن حتى تم إخراجُ العثمانيين منها، ووضحت سياسة الإمام المؤيد محمد المتبعة في أقاليم اليمن ومدنها حتى تمَّ انسحابُ العثمانيين من اليمن.

الفصل الثالث: بعنوان (**الإمام المؤيد محمد بن القاسم وقيام الدولة المستقلة في اليمن**).

سجلت في هذا الفصل الأدوار السياسية التي اضطلع بها آل القاسم من أجل بناء الدولة القاسمية المستقلة بزعامة الإمام المؤيد محمد. وتعرضت للظروف الإيجابية والسلبية التي

رافقت هذا البناء، ووضحت دور كل شخصية على حدة.

وأبرزت دور الإمام المؤيد محمد التوجيهي من أجل قيادة وبناء الدولة المستقلة، وعند وضع اللبنات الأولى للدولة القاسمية، وتم عرض دور الفئات الاجتماعية الأخرى التي شملت القادة والأمراء وشيوخ القبائل وغيرهم ممن كان له دور فعّال في سير الأحداث وبناء الدولة المستقلة حتى وفاة الإمام المؤيد محمد بن القاسم سنة ١٠٥٤هـ/ ١٦٤٤م.

الفصل الرابع: بعنوان (**سياسة الإمام المؤيد محمد بن القاسم الإدارية والمالية وعلاقاته الخارجية**).

أبرزت في هذا الفصل السياسةَ الماليةَ والإدارية للدولة القاسمية، وشرحت التعييناتِ والمهامَ الإداريةَ في أقاليم اليمن المختلفةِ، ومدى اهتمام الدولة بالمنشآت العمرانية والهجر العلمية ورعاية العلم والعلماء، وإنشاء المرافق العامة في المدن المختلفة، وتم شرح السياسة المالية للدولة رغم شحة الموارد الاقتصادية خاصة الفترة التي أعقبت خروج العثمانيين من اليمن، وتطرقت إلى العلاقات الخارجية مع أشراف الحجاز وشاه إيران وملك الحبشة وملك الهند وأمراء المغرب وغيرهم ممن تناول معهم الرسائل والمنافع المختلفة.

الفصل الخامس: بعنوان (**الدراسة التمهيدية عن المؤرخ المطهر الجرموزي ومخطوطته**).

فقد تناولت في هذا الفصل السيرةَ الشخصيةَ والعلميةَ لمؤرخنا المطهر الجرموزي، وأبرزت دورَهُ ومشاركاتِهِ في بناء الدولة وعلاقته القريبةَ والوطيدة بالسلطة الحاكمة في ذلك الحين، وقربَهُ من الأحداث السياسية مما جعله شاهدَ عيانٍ ساعَدَ على رصد كل الأحداث التاريخية والظروف المتعددة والمتنوعة التي ساعدت على اختيار هذه المخطوطة، وتطرقت إلى الخطوات المنهجية والعلمية عند اختيار المخطوطة الأم، ووصف هذه المخطوطة مع بقية النسخ الأخرى التي توفرت لديَّ، وشرحت منهج المؤرخ الجرموزي والأساليب المنهجية التي اتبعتها عند تسجيل الأحداث في هذا السفر التاريخي، وقمت بشرح الطرق المنهجية

والبحثية في عملية التحقيق، وأبرزت مفصلاً أهمية المخطوطة ومواضيعها المختلفة.

أما الجزء الأخير من الرسالة: وهو تحقيق متن المخطوطة، فقد قمت بنسخ المخطوطة ومقارنتها بالنسخ الأخرى المتوفرة لدي، وتوضيح الفرق بين النسختين ، وحرصت على سوق ترجمة لكل الأعلام والمناطق والقرى الواردة في المخطوطة، وتوضيح وشرح كل المعاني والألفاظ والعبارات والكلمات العامية التي وردت في المخطوطة. ومراجعة الآيات القرآنية، وتخريج الأحاديث النبوية والأمثال العربية، وحاولت مقارنة الأشعار الواردة في المخطوطة (أ) ومقارنتها وتصحيحها مع النسخة (ب) وشرح معاني بعض الكلمات العربية غير الواضحة.

وفي الأخير لابد أن أقدم عميق امتناني وشكري وتقديري لأستاذي المؤرخ العالم والمربي الفاضل والقدوة العالية الأستاذ الدكتور سيد مصطفى سالم. فقد أولاني برعايته وقدم لي عصارة تجاربه وأفكاره، وتابع دراستي وبحثي هذا ورقة ورقة، وفصلاً فصلاً ، وفكرة فكرة، ونهلت من علمه وتجاربه التاريخية الكثير، وتعلمت من سعة ورحابة صدره ما لا يمكن أن أصفه، فلا الكلمات ولا عبارات الشكر والثناء يمكن أن تفيه حقه في كل ما قدمه لي ولزملائي في اللقاء الأسبوعي الذي يقيمه لنا ليتابع فيه ويشرف على كل أبحاثنا ودراستنا ويتلمس مشاكلنا العلمية، ويعمل على توجيهنا توجيه العالم الناصح والمؤرخ المحنك القدير. فأسأل الله أن يمده بوافر الصحة والعمر المديد الحافل بالعطاء إنه على كل شيء قدير، فجزاه الله كل الخير عني وعن جميع زملائي من طالبات وطلاب الدراسات التاريخية الحديثة.

وعرفاناً بالجميل لابد أن أقدم عظيم شكري وامتناني لشريكي في درب حياتي العلمية والعملية لزوجي عبد الله أحمد المتوكل، فقد كان لتشجيعه ومساندته الدائمة لي أكبر الأثر في استمرار سنوات دراستي البحثية هذه، فله جزيل الشكر والامتنان.

وأسطر بعض كلمات تعبر عن جزيل شكري ووفائي وامتناني لوالدي إسماعيل قاسم الثور المربي الفاضل الحنون الصادق والمتابع لي في كل شئون حياتي. ولوالدتي رمز الحنان

والعطاء. فجزاهم الله عني كل الخير والجزاء.

واسمحوا لي أن أقدم الشكر لله أولاً ثم للظروف الطيبة التي جمعتني بأختي وزميلتي الباحثة أمة الغفور الأمير فقد كنت أنا وهي نسير معاً على درب العلم والمعرفة والمعاناة والمشقة، تجمعنا أواصر الأخوة والمحبة والتفاهم فأسأل الله أن يديم ما بيننا بالخير والتعاون.

وأقدم جزيل شكري وتقديري للوالد الفاضل القاضي علي أبو الرجال وجميع موظفيه في المركز الوطني للتوثيق، الذي ساعدني على تذليل صعوبات تصوير ونسخ كل المخطوطات التي استعنت بها في هذا البحث وقدم لي كل العون والدعم فجزاه الله خيراً.

وأتقدم بخالص شكري وتقديري لمؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية وعلى رأسهم الأستاذ عبد السلام الوجيه، والأستاذ أحمد إسحاق، والأستاذ صبور الشامي الذي كان له الفضل في تصحيح ما اعوج من اللغة، وجميع موظفي المؤسسة على المساندة والدعم الذي قدموه لي عند طباعة وإخراج هذا العمل العلمي إلى النور، فجزاهم الله جميعاً كل الفضل والخير.

وأخيراً أتقدم بالشكر والامتنان للأستاذ الدكتور صالح باصرة على تفضله بالمشاركة لمناقشة هذه الرسالة ورفدها بالمزيد من خبرته العلمية وتوجيهاته التاريخية، فله عظيم الشكر والامتنان.

وأقدم جزيل شكري وتقديري للأستاذ الفاضل الدكتور عبد الشافي الصديق على موافقته لمناقشة هذه الرسالة وتجشمه عناء السفر لتزويدي بعصارة أفكاره وخبرته وتوجيهاته التاريخية وإثراء هذا العمل العلمي بنصائحه فجزاه الله كل الجزاء.

وشكراً وتقديراً عالياً لكل من ساهم وساعد وقدم لي العون والتشجيع في أثناء مراحل درب دراستي البحثية هذه.

ونسأل الله التوفيق والسداد

التمهيد

حدود نفوذ الدولة القاسمية في أواخر الحكم العثماني الأول في اليمن:

عند بداية القرن السادس عشر الميلادي، العاشر الهجري بدأت التغيرات السياسية والاجتماعية والاقتصادية تطرأ على الساحة اليمنية، تمثل ذلك بتغير الظروف الدولية، كان أهمها الاكتشافات الجغرافية، وتحول طرق التجارة عن طريق رأس الرجاء الصالح إلى الهند. واهتم البرتغاليون باحتكار طرق هذه التجارة العالمية، وقاموا بمطاردة السفن العربية والشرقية المنافسة لهم في تجارة الشرق.

تصدع البناء الاقتصادي في اليمن بتدهور التجارة البحرية بين الشرق والغرب. ومنافسة الشركات الأوروبية وحملاتها ضد التجارة العربية، وبالتالي أدى ذلك إلى سقوط آخر الدول السنية في المناطق الجنوبية من اليمن، وهي الدولة الطاهرية، نتيجة لعدة عوامل كان أهمها كثرة الحروب التي خاضها السلطان عامر بن عبد الوهاب الطاهري، وضعف العائد الاقتصادي نتيجة لتغير طرق التجارة عن طريق البحر الأحمر، ثم انتقل ميزان القوى والسيطرة إلى العناصر الشمالية متمثلة في الأئمة الزيديين في المناطق الجبلية الشمالية، وظهور دعوة الإمام شرف الدين يحيى بن شمس الدين في حجة سنة (٩١٢هـ/ ١٥٠٦م). وهكذا نلاحظ أن اضطراب البناء الاقتصادي والاجتماعي وتغير الأوضاع السياسية في اليمن، هو الذي جعل من القرن السادس عشر بداية لتاريخ اليمن الحديث[١].

قدم المماليك إلى اليمن بدعوة من اليمنيين أنفسهم لإنقاذ تجارتهم من الهجمات البرتغالية على الموانئ والسفن العربية. ونجحوا في فرض سلطتهم وتوسعهم فيها. ثم نشب صراع

---

(١) أ.د/ سيد مصطفى سالم: الفتح العثماني الأول لليمن، ص ٢٥.

سياسي طويل بين السلطات الثلاث المملوكية، والطاهرية، والإمامية، حتى آل الأمر إلى استحواذ كل من هذه السلطات على إقليم معين من أقاليم اليمن، وانحصر الحكم المملوكي في زبيد مع استمرار ظهور الفتن والقلاقل فيما بينهم حتى قدوم الحملة العثمانية إلى سواحل اليمن بقيادة سليمان باشا الخادم سنة (١٥٣٨م).

توالى إرسال الولاة والموظفين العثمانيين إلى اليمن، ونجحوا في فرض الحكم والسيطرة في السواحل والمدن اليمنية المختلفة، وفي نفس هذه الفترة تنتعش الإمامة الزيدية في الأقاليم الشمالية بزعامة الإمام شرف الدين وابنه المطهر، وتدخل في صراع عسكري وسياسي مع العثمانيين حول توسيع مناطق النفوذ والسيطرة، وانتهى ذلك الدور بوفاة المطهر ابن الإمام شرف الدين، حيث ضعف دور آل شرف الدين في مقاومة الحكم العثماني، خاصة وأن المطهر لم يخلف من أبنائه شخصية قوية يمكن أن يُعتد به، ويتولى زمام المقاومة ضد الحكم العثماني.

أما بالنسبة للطرف الآخر، وهم العثمانيون فقد شددوا قبضتهم على مُجمل الأمور، وتمكنوا من مد سيطرتهم على معظم أرجاء اليمن، خاصة بعد أن تم لهم القضاء على آخر دعوة للإمامة والمقاومة بأسر ونفي الإمام الحسن بن داود المؤيدي سنة (١٥٨٦م)، والقبض على العديد من أبناء وأحفاد الإمام شرف الدين ممن لم يتمكنوا من الصمود في وجه القوات العثمانية.

بعد ذلك تيسر للعثمانيين حكم اليمن، خاصة مع وجود الوالي حسن باشا، الذي كان أطول الولاة حُكماً لليمن، حوالي (٢٥) عاماً (١٥٨٠-١٦٠٤م)، الذي تحقق في عصره بسط السيطرة العثمانية المركزية، حيث كانت سياسته امتداداً لسياسة الولاة العثمانيين السابقين مع تطويرها أحياناً، إذا دعت الحاجة لذلك. وقد اتضح مدى توسع نفوذ العثمانيين في عهد حسن باشا بخلو الساحة من أي مقاومة يمنية، ونجاح حسن باشا في بسط السيطرة على كل أرجاء اليمن.

ونظراً لإحساس اليمنيين بالتطلع إلى الاستقلال، ونفورهم من قهر وسيطرة العثمانيين، بالإضافة إلى تضاريس اليمن المختلفة التي شكلت عاملاً مساعداً لليمنيين، فقد برزت

وظهرت جذور المقاومة اليمنية، خاصة مع وجود المذهب الزيدي المعتدل في اليمن[1].

ومن ثم ظهرت بوادر دعوة إمامية زيدية جديدة، متمثلة بدعوة الإمام القاسم بن محمد، التي استطاعت -بلا شك- أن تلعب دوراً رئيساً في تاريخ اليمن الحديث، ونجحت هذه الدعوة ثم الثورة من تجميع واحتواء كل بوادر السخط والكره لفساد الولاة وللحكم العثماني الطويل الجائر، كل هذه الأسباب ساعدت على نجاح ثورة الإمام القاسم.

ظهرت دعوة الإمام القاسم في مناطق الشمال، وبالتحديد في منطقة القارة جنوب غرب صعدة سنة (١٠٠٦هـ/ ١٥٩٧م). وكما وصفه المؤرخون بأنه قام «بلا رمح يملكه، ولا صارم يقضب به، ولا معاون ولا نصير إلا الله الملك القدير»[2]. لكن الإمام القاسم لم يدعُ لنفسه إلا بعد دراسة ودراية لما حوله من الأحداث، وخلو الساحة اليمنية من شخصية قوية تحمل زمام هذه المبادرة، خاصة بعد أن عمد العثمانيون على احتواء جميع رجال آل شرف الدين تحت سيطرتهم، كما سبق أن ذكرت.

أعلن القاسم دعوته للإمامة بأهداف محددة، وهي الحث على الثورة، وعدم الخضوع للحكم العثماني، نظراً لفساد حكمهم وخروجهم على مبادئ الدين[3]. واعتبرت ثورة الإمام القاسم ثورة اجتماعية تلبي مطالب اليمنيين الاجتماعية والسياسية.

ويتضح لنا أن العديد من الظروف الخارجية ساعدت على نجاح ثورة الإمام القاسم، وعلى ضعف السيطرة العثمانية في اليمن في نفس الوقت، فقد واجه العثمانيون ثورات في جبل لبنان، ودخلوا في حرب طويلة مع الفرس، وتناوب العثمانيون والفرس النصر والهزيمة من أجل السيطرة على العراق، واتخذ السلطان مراد الرابع عدة من التدابير، كان أهمها التخلص من الانكشارية المتمردين، لما كانوا يسببونه من الضرر للدولة، وبالتالي أهملت السلطنة العثمانية شؤون اليمن[4].

---

(١) د/ حسين العمري: الحضارة الإسلامية في اليمن، ص٨١.

(٢) الواسعي: تاريخ اليمن، ص ٢٢٦.

(٣) أ.د. سيد مصطفى سالم: الفتح العثماني الأول لليمن، ص ٣٥٩.

(٤) سعيد برجاوي: الامبراطورية العثمانية، ص١٥٥.

ونتيجة لتلك الظروف تقهقر النفوذ العثماني في اليمن، وتمكنت قوات الإمام القاسم من حصار الجنود العثمانيين في المناطق التهامية، ووصل نفوذ الإمام القاسم إلى صنعاء وكل المناطق الشمالية. إلاّ أن تلك الانتصارات ونجاح ثورة الإمام القاسم لم يكن بالأمر الهين، فلم يتم له ولأسرته ذلك إلا بعد أربعين عاماً من العقبات والانتكاسات العسكرية والسياسية.

ومرت ثورته تلك بخمس مراحل، كما قسمها صاحب سيرته المطهر الجرموزي، كانت بدايتها سنة (١٠٠٦هـ/ ١٥٩٧م)، إلى أن تم خروج العثمانيين سنة (١٠٥٤هـ/ ١٦٣٥م).

كانت الدعوة القاسمية في بدايتها دعوة سرية، حاول الإمام القاسم التنقل في مختلف المناطق اليمنية، يستجمع آراء العلماء والشخصيات القبلية، ويحشد حوله الأنصار والقبائل، لكن أخباره بلغت الأتراك فخافوا جانبه، وأرادوا القبض عليه، لكنه توارى عن الأنظار رغم جدِّهم في التجسس عليه، واجتهادهم في تتبعه. فبقي الإمام القاسم على حاله تلك بضع سنين، عكف خلالها على الدرس والتأليف، حيث أَلَّف العديد من الكتب في الفقه والتفسير، كان أهمها كتاب الأساس في أصول الدين[(١)].

ظلَّ الإمام القاسم يتنقل بين القرى والجبال والمدن المختلفة، مما بعث في قلوب العثمانيين الفزع والخوف من ظهوره، خاصة بعد ما لمسوه من اليمنيين من الهيبة والتعظيم والفخامة، تجاه شخصية الإمام القاسم، كشخصية علمية قوية برزت بين أوساط المجتمع اليمني في مختلف مناطق اليمن الشمالية، حتى داخل صنعاء نفسها. رغم أنه حتى هذه الفترة لم يكن حوله من الأنصار سوى القليل من العلماء ومشايخ القبائل، تناصره وتعاضده من على بُعد، من خلال بث الرسائل والمواعظ والمقابلات السرية التي كان الإمام حريصاً على حضورها في الجوامع. وقد عبَّر مؤرخ سيرته بقوله:«ولا ظهر له في قتالهم روحة ولا غدوة، ولا هو من أهل المال، فيكثر بماله أعوانه، ولا قوة عشيرة، فيعظم سواده»[(٢)].

ولعلَّ السبب في انتشار أخباره بين الخاصة من العلماء والأعيان، والعامة من القبائل،

---

(١) المطهر الجرموزي: النبذة المشيرة، مخطوط، ق ٧٨.

(٢) نفسه: ق ٧٩.

يرجع إلى تنقلاته المختلفة، وعلمه الغزير، وقوة حجته في إقناع الناس بأهداف دعوته وثورته ضد الظلم العثماني.

وتذبذب الولاء والمناصرة للإمام القاسم في جميع مراحل ثورته من قبل اليمنيين ورؤساء القبائل بحسب قوة وسيطرة الوالي العثماني أو ضعفه، وأيضاً لوقوف ومناصرة آل شرف الدين في بداية الأمر للدولة العثمانية، ومحاربتهم الإمام القاسم. وبعد القبض على أقوى أمرائهم وهو عبد الرحيم بن عبد الرحمن، ونفيه خارج اليمن، انضم بقية آل شرف الدين إلى معسكر الإمام وحاربوا معه ضد الدولة العثمانية. ومُنح الإمام القاسم في نهاية المطاف الحق في إدارة المناطق التي توسع فيها بمساعدة أولاده محمد والحسن والحسين، ورجال آخرين من مختلف فئات المجتمع اليمني الذين آمنوا برسالته، ووقفوا إلى جانبه.

ورغم تقسيم المؤرخ الجرموزي لفترة ثورة الإمام القاسم إلى مراحل ـ كما سبق أن ذكرت ـ إلا أن هذه الفترات تخللتها فترات من الانتصارات والهزائم والهدنة والصلح، على فترات، حتى وفاته سنة (١٠٢٩هـ/ ١٦٢٠م).

ودلَّ طول الصراع وضراوته على مدى قوة سيطرة الدولة العثمانية في بداية الثورة، ولكن بعد ذلك آل الأمر إلى هزيمة القوات العثمانية، واندحارها حتى تم خروجها من اليمن في عهد ابن الإمام القاسم، المؤيد محمد بن القاسم سنة (١٠٤٥هـ/ ١٦٣٥م).

وإن جاز لنا تصوُّرُ خارطة تفصيلية تبين حدود نفوذ الدولة القاسمية قبل وفاة الإمام القاسم، حين تم الاتفاق، والصلح بينه والوالي محمد باشا. فقد كانت جميع المناطق الشمالية تحت نفوذ الإمام القاسم من بني غُربان وعَسَمْ والمُسيجيد، وبني مالك، ومن وادعة في أقصى الشمال، وبني قَيْس وبني صَرْيم، وكل المناطق المحاذية لها حتى حدود بلاد نِهِمْ وما وراءها من بني جُديْلة والشَرَفَيْن، وكذلك جهات الحيمة وبني مطر، وجميع مناطق جهات آنس جنوب صنعاء[1]. أي كل المناطق الشمالية والشمالية الشرقية، والمناطق الغربية من صنعاء، وبعض المناطق الوسطى جنوب صنعاء والمحاذية لذمار، (وسأضع خريطة توضيحية بهذا

---

(١) الجرموزي: النبذة المشيرة، مخطوط، ق٤٧٥.

ضمن الملاحق).

وتم الاتفاق والصلح بين الطرفين العثماني واليمني على مناطق نفوذ كل منهما، ونص ذلك الصلح المبرم على فترة عشر سنوات هدنة، توفي الإمام القاسم في نهاية السنة الثانية من الصلح بعد أن قام بدور بارز في محاربة الأتراك، حتى تحقق الاعتراف به في المناطق الشمالية، ليكون ذلك نواة الدولة الزيدية في العصر الحديث الذي اتسع فيها حكم آل القاسم من بعده، ليعم كل اليمن. كما خلف الإمام القاسم عدداً من الأبناء ساهموا وشاركوا في تلك الحروب، وفي وضع اللبنات الأولى لبناء الدولة القاسمية، حكم منهم اثنان من بعده، وساهم آخرون في عهده وبعد موته في الحياة السياسية والحربية، وجمع بعضهم كالحسين بن القاسم بين العمل العسكري والتأليف العلمي والفقهي(١).

تسلَّم الابن الأكبر للإمام القاسم، المؤيد محمد بن القاسم، زمام الأمور بعد وفاة والده، وقد تميز بداية عهده بالهدوء والاستقرار، وتوقف الحروب بين العثمانيين واليمنيين، ويرجع ذلك للاتفاق المبرم بين الوالي محمد باشا، والإمام القاسم.

تغيَّر الموقف السياسي والعسكري بين الطرفين، واتضح تغيُّر ميزان القوى بالنسبة للطرفين العثماني واليمني، فقد كان الحكم الإمامي يمثل الجديد القابل للنمو والامتداد، بينما الحكم العثماني يمثل القديم المثقل بالأعباء والأخطاء معاً. وكانت صفوف اليمنيين تتمتع بالوحدة تحت زعامة الإمام المؤيد، بينما كانت المنازعات والانقسامات بين صفوف العثمانيين تضعف من شأنهم(٢).

وقد تفرغ الإمام المؤيد محمد بن القاسم بعد ذلك، كما سنرى لاحقاً لإدارة دولته، وتنظيم جيوشه، وتدبير موارد دولته، استعداداً للنهضة-كما ورد عند الجرموزي-أو المرحلة الأخيرة من الصراع مع العثمانيين، حتى تم انسحابهم من اليمن سنة (١٠٤٥هـ/ ١٦٣٥م).

وقد تناول فترة الإمام القاسم عدد من المؤرخين والباحثين بإفاضة، ابتداءً من ظهور

---

(١) د/ حسين العمري: الحضارة الإسلامية في اليمن، ص ٨٢.

(٢) أ.د سيد مصطفى سالم: الفتح العثماني لليمن، ص ٣٨٦.

دعوته إلى وفاته، منها مخطوطة (النبذة المشيرة)، للمطهر الجرموزي، ومخطوطة (اللآلئ المضيئة) للشرفي، ومخطوطة (روح الروح) لعيسى بن لطف الله، وكتاب (الفتح العثماني الأول لليمن)، للأستاذ الدكتور سيد مصطفى سالم، وكتابا (الحضارة الإسلامية في اليمن)، و(تاريخ اليمن الحديث والمعاصر)، للأستاذ الدكتور حسين العمري، وكتاب (تاريخ اليمن)، للمؤرخ عبد الواسع الواسعي.

الفصل الأول

محمد بن القاسم قبل توليه الإمامة وبعدها

ويشتمل الفصل على:

أ- شخصية محمد بن القاسم قبل توليه الإمامة.

ب- مبايعة محمد بن القاسم للإمامة حتى نقض الصلح.

أ- شخصية محمد بن القاسم قبل توليه الإمامة

يعتبر محمد بن القاسم من أبرز أبناء الإمام القاسم بن محمد، وأكثرهم قدراً وتأثيراً في الحياة السياسية والعسكرية في القرن الحادي عشر للهجرة، السابع عشر للميلاد. ومن خلال سياق الأحداث التاريخية والسيرة الشخصية للمؤيد محمد، سنتبين سمو مكانته العلمية بين علماء عصره، وسيبدو واضحاً أثر بصماته وجهوده في عملية بناء دولة قوية مستقلة، بمفهوم ذلك العصر، وقطف ثمار تلك الجهود من جاء بعده من الأئمة من آل القاسم.

ولد محمد بن القاسم في دار الناصر الحسن بن علي بن داود المؤيد في قرية بيت عداية من جبل سيران(١). وقد اتفق المؤرخان يحيى بن الحسين والمطهر الجرموزي على سنة مولده وهي سنة تسعمائة وتسعين للهجرة (٩٩٠هـ/ ١٥٨٢م)،وأمه هي مريم بنت ناصر بن عبد الله بن داود الغرباني(٢). أما صاحب البُغية فقد اختلف معهما في تحديد تاريخ ولادته، وأورد بأن المؤيد محمد ولد سنة ست وتسعين وتسعمائة للهجرة، وأمه هي فاطمة بنت ناصر مُغل(٣). ونرجح أن ما ذكره المؤرخ يحيى بن الحسين والمطهر الجرموزي هو الأصح على اعتبار أنهما أقرب إلى زمن الأحداث ومعاصرتها، إلى جانب أن المؤرخ الجرموزي يعتبر من المقربين للإمام المؤيد محمد بن القاسم، وعاصر الكثير من الأحداث آنذاك، وكذلك المؤرخ يحيى بن الحسين بن القاسم باعتباره أحد أفراد أسرة آل القاسم، وبالتالي هو أعلم من غيره بكثير من الأحداث ومدونات الأسرة.

نشأ محمد بن القاسم في بيئة دينية زيدية، فقد اشتهر بالتدين والبُعد عن قرناء السوء وأهله، وكان همه العلم والشغل به(٤). خاصة علوم الدين ومعارفه، والانكباب على حفظه ونشره، فيذكر مؤرخ سيرته أنه مع بداية دعوة والده القاسم كان إذ ذاك في أول البلوغ، وكان مع صغر سنه، فيه حدة ومعرفة للأمور الدينية والدنيوية، وقد تعمد الإمام القاسم أن يعوِّل

---

(١) المطهر الجرموزي: النص، ق ٣أ.

(٢) يحيى بن الحسين: بهجة الزمن في تاريخ اليمن، ص ٢٢٤، رسالة ماجستير منشورة، تحقيق ودراسة الدكتورة أمة الغفور عبد الرحمن الأمير.

(٣) عامر بن محمد: بغية المريد وأنس الفريد، مخطوط، ق١٥٦.

(٤) الجرموزي: النص، ق ٣أ.

عليه في تسيير كثير من الأمور، فقد كان يُسند إليه بعض شؤون البلاد والعساكر، واستقبال الضيوف والقبائل، ويتولى أمر البريد الواصل للإمام، حريصاً على إطعام الوفود، والاطلاع على دقائق الأمور وما يتعلق بها، وله في ذلك أخبار طوال أجمع على سردها معاصروه[1] فلا عجب، فقد نشأ في بيئة علمية ومدرسة زيدية، وظروف سياسية غير مستقرة.

فقد حرص محمد بن القاسم على التزود والقراءة، وتلقي كل علوم الطلب الإسلامية المتعارف عليها آنذاك على يد كبار علماء وفقهاء عصره. وحين شارك في الحروب التي خاضها والده الإمام القاسم ضد العثمانيين في بداية دعوته، كان محمد بن القاسم أحد الرموز القيادية التي كان الإمام القاسم يعوّل عليها.

وقد استطاع الوالي حسن باشا بفضل الاستعدادات العسكرية القوية وبفضل من انضم إليه من الأمراء من آل شرف الدين أصحاب السلطة والنفوذ في المنطقة الشمالية أن يُلحق الهزائم بقوات الإمام القاسم، وانتهى الأمر بمحاصرته في حصن شهارة بمنطقة الأهنوم، وقد تمكن الإمام القاسم أثناء الحصار أن ينجو بنفسه ويفر من الحصن إلى أقصى شمال شرق اليمن في منطقة برط، وترك أمر الدفاع عن الحصن لولده محمد بن القاسم، الذي واصل الحرب حتى ضاق حوله الحصار، فاضطر إلى الموافقة على تسليم نفسه للعثمانيين، واشترط أن يكون خروجه من الحصن إلى أيدي أحمد بن شمس الدين بن شرف الدين أمير كوكبان. وأن يتم إطلاق سراح جنوده. وتم بذلك تسليم مدينة شهارة للعثمانيين، واقتيد محمد بن القاسم أسيراً إلى حصن كوكبان تحت حراسة آل شرف الدين سنة (١٠١١هـ/ ١٦٠٢)[2].

وخلال فترة الأسر التي قضاها محمد بن القاسم في كوكبان، والتي امتدت حوالي سبع سنوات، حرص على استغلال أوقاته في القراءة والاطلاع، وعمل جاهداً على تلقي العلوم الدينية بالالتقاء والحوار مع علماء كوكبان. وقد واجهت محمد بن القاسم صعوبات علمية عديدة، تمثلت في منعه من الاجتماع بالعلماء أثناء حلقات العلم المنعقدة

---

(١) الجرموزي: النص، ق٣١٠أ، ب، النبذة المشيرة في سيرة الإمام القاسم، مخطوط، ق ١٧٣، يحيى بن علي الحبسي: تتمة الإفادة في تاريخ الأئمة السادة، مخطوط، ق ١١١.

(٢) أ.د/ سيد مصطفى سالم: الفتح العثماني، ص ٣٧٠.

آنذاك، لكنه نجح في التغلب على ذلك المنع، فقد كان يدعو أحد العلماء إلى منزله في زيارة يومية لشرب القهوة، وبالتالي استغل هذه الجلسات وجعلها محوراً للنقاش والقراءة والاستفسار عن كل ما استعصى عليه من صعوبات في العلوم الفقهية والعربية. وحقق أهدافه بوسيلة لا تعطي مجالاً للشك، خاصة مع تشدد أفراد من آل شرف الدين على عدم حضوره لتلك المجالس العلمية التي كانت تُعقد. وتعمدوا عزله عن حلقات العلم، خوفاً وريبة، ولأنهم شاركوا في عمليات الحصار والأسر. ورغم ذلك زاد إصرار محمد بن القاسم على أن يكون له قراءات عديدة على يد علماء بارزين في داخل كوكبان(١).

وبعد أن تم القضاء على المرحلة الأولى من ثورة الإمام القاسم، وأثناء إقامة محمد بن القاسم في كوكبان كانت القبائل ترسل الكثير من المصاريف والمواد الغذائية، وكل ما يحتاج إليه في شؤون حياته، تعبيراً عن تقديرهم لشأنه وعلو مكانته في نفوسهم، خاصة قبائل الحيمة وجبل تيس ومن عقار وادي البون. وكثيراً ما كان الإمام القاسم يرسل له بعض ما يصل إليه من نذور القبائل وهداياها، فيردها إليه لكثرة الخيرات التي كانت بحوزته، وقد يزيد عليها ويرسلها لوالده الإمام القاسم(٢).

أورد المؤرخ الجرموزي كثيراً من شهادات علماء عصره حول مكانته العلمية وقدرته الفقهية فقد وصفوه بحسن المراجعة والبيان، قليل المراء، سريع الجواب في أمور الدين، كثير التأمل في الأدلة والصرف والمصرف(٣).

وكان لمحمد بن القاسم شغف كبير بالقراءة والاطلاع، حتى وصل إلى مرتبة العلماء، وشهد له بذلك علماء عصره. فقد كان يُحلل ويُفسر كل المسائل الفقهية التي قد يختلف ويدور الحوار والجدال حولها بين العلماء. فيقوم الإمام القاسم بترشيح ولده محمد ليتصدر التفسير والشرح حول ما اختلف فيه العلماء من المسائل الدينية. فقد كان يتوسم فيه الجدارة والمقدرة، والدراية التامة بالشؤون الفقهية، والقدرة على الرد والتوضيح لكل ما يتعسر معرفته لطلبة

---

(١) الجرموزي: النبذة المشيرة، مخطوط، ق ٢٤٥-٢٤٧، الشرفي: اللآلئ المضيئة، مخطوط، ق٤١٨،

(٢) الجرموزي: نفسه، ق ٢٤٧.

(٣) المصدر نفسه: النص، ق ٣ب، الحبسي تتمة الإفادة، مخطوط، ق ١١٢.

العلم آنذاك. فقد كان المتولي للتدريس في زمن والده القاسم بن محمد، مع وجود كثير من العلماء في داخل شهارة. وبحسب مؤرخه فقد وصفه بأنه: «كان إمام العلوم ومداوي الكلوم»[1].

ازدادت مكانة محمد بن القاسم بين علماء عصره، حتى تمت مبايعته كإمام زيدي، أجمعت عليه جميع الآراء في حينها، وتوفرت فيه الشروط اللازمة كإمام زيدي، وهي أن يكون الإمام مكلفاً، ذكراً، حراً، مجتهداً، علوياً، فاطمياً، عدلاً، سخياً، ورعاً، سليم العقل، سليم الحواس، سليم الأطراف، صاحب رأي وتدبير، مقداماً فارساً[2].

وقد حاز محمد بن القاسم على شرط هام من شروط الإمامة في المذهب الزيدي، إلى جانب الشروط الأخرى ألا وهو شرط الاجتهاد، فقد ترك محمد بن القاسم العديد من المآثر العلمية، والتحقيقات والرسائل الفقهية الهامة والجادة في المذهب الزيدي، من أهمها:

١- أسانيد الإمام المؤيد محمد بن القاسم.

٢- كتاب تصفية النفوس من الرذائل، وتزكية الأخلاق.

٣- كتاب أجوبة مسائل وردت من المدينة المنورة.

٤- كتاب الشافي وسبب تأليفه.

٥- رسالة في الصلاة.

٦- مجموع فتاوى الإمام المؤيد بالله محمد بن القاسم.

٧- رسالة في زكاة بني هاشم. [3]

من خلال تلك التصانيف والرسائل والكتب، تتضح مكانة محمد بن القاسم العلمية المرموقة بين علماء عصره. فقد وصفه المؤرخ يحيى بن الحسين بأنه كان زيدي المذهب وهادوياً

---

(١) الجرموزي: النص، ق ٣ب.

(٢) أ.د سيد مصطفى سالم: الفتح العثماني، ص ٣٩.

(٣) عبد السلام الوجيه: أعلام المؤلفين الزيدية، ص٩٨١.

في الغالب، إلاَّ أنه كان يخالف الإمام الهادي يحيى بن الحسين في بعض الاختيارات حول بعض المسائل الفقهية الفرعية الظنية[1]. ولعل المقصود بالظنية هي المسائل الفقهية الفرعية التي قد يختلف حولها الفقهاء.

تسلَّم محمد بن القاسم زمام الإمامة، وباشر في تسيير دفة الأمور باقتدار وحنكة سياسية هادئة، استقرأناها من خلال سيرة شؤون حياته، فقد اتصف بالزهد والورع والتقشف في أمور الحياة. فقد حرص على أن يوظف أغلب أوقاته في تحصيل العلم والاهتمام بشؤون الرعية، والرد على الرسائل والشكاوى الواردة إليه، وتنظيم وإصلاح أمور الدولة، وتعيين القادة والتقصي في إصلاح أحوال العامة والخاصة من الناس.

وقد عبَّر المؤرخ يحيى بن الحسين أصدق تعبير عن صفات محمد بن القاسم الشخصية، وعلاقاته العامة والخاصة برجال دولته وإخوته، قال: «فقد كان مهيب الجناب منصوراً، له عزم الأمور، ومعرفة في إصلاح الجمهور، ذا سيرة حسنة، وطريقة مستحسنة، ملاطفاً لتوظيف الناس، قريب الجناب، شريف الخطاب، كان يؤثر أهل العوائد بالوفاء، يقضي الغرض ولا يرجع له خط». فقد كان حريصاً على عدم تغيير ما اتفق عليه إخوته الحسن والحسين من القوانين، وما أقرَّاه في حياتهما من أمور الجمهور، لكن مما لا شك فيه أن كل قراراته كانت صارمة نافذة على الجميع.[2]

اجتمعت آراء العلماء ورؤساء القبائل وكبار الشخصيات في داخل شهارة على مبايعة محمد بن القاسم، خلفاً لوالده الإمام القاسم بن محمد. وقد عبر المؤرخ الشوكاني بقوله: «ولم تجتمع الأقطار اليمنية بأسرها من دون معارض ولا منازع لأحد من الأئمة قبل صاحب الترجمة-أي محمدبن القاسم-»[3].

---

(١) يحيى بن الحسين: بهجة الزمن، تحقيق الدكتورة أمة الغفور الأمير، ص٢٢٤.

(٢) يحيى بن الحسين: بهجة الزمن، جـ١، ص٢٢٤، تحقيق الدكتورة أمة الغفور الأمير، ص ٢٢٤، عامر بن محمد: بُغية المريد، مخطوط، ق١٥٤، ابن الوزير: طبق الحلوى، ص ٩٩.

(٣) محمد بن علي الشوكاني: البدر الطالع، جـ٢، ص٢٣٨.

الواضح من خلال الإجماع على مبايعة محمد بن القاسم ليكون خلفاً لوالده الإمام القاسم، أن تلك المبايعة لم تكن وليدة تلك اللحظة، بل لقد سبقها إرهاصات ومقدمات عمد الإمام القاسم على تنفيذها، لتهيئة ابنه محمد للإمامة، وكان يرى فيه الجدارة لتحمل تلك البيعة. وقد اتضحت مقدمات تلك الإرهاصات من خلال توجيهاته عند تنفيذ بعض المواقف العسكرية، وتخطيطها،وخوض تجاربها. وكذلك قناعة الإمام القاسم بن محمد، بمقدرة ابنه محمد العلمية حين كان يرشحه للإفتاء والتدريس ليقوم مقامه، ولذا فقد عمل جاهداً على تهيئته عسكرياً وسياسياً وعلمياً. ولعله من خلال تلك الأعمال كان الإمام القاسم يتلمس فيه المقدرة ليكون خلفاً مناسباً لتسلم زمام الإمامة من بعده، مع احتمال ظهور بعض المعارضين لإمامتها، أي القاسم وابنه محمد.

وكما اتضح من خلال كتابات معاصريه، ظهر التحيز الواضح لإمامته ومكانته الدينية، وكان أكثر وضوحاً من قبل مؤرخ سيرته المطهر الجرموزي، فأصبغ عليه مجموعة من الكرامات وخوارق العادات. وقد تكون بديهية في كتابات مماثلة في ذلك العصر، ولذا لن نحكم عليها بنظرتنا العصرية الحالية. وقد يبدو تفسيرها منطقياً بمفهوم ذلك العصر، خاصة وأنها تظهر تحيز الجرموزي للإمامة القاسمية، كما سيتضح عند ترجمة حياته.

سرد المؤرخ الجرموزي العديد من القصص وهي ما أطلق عليها بالكرامات والرؤيا الصادقة التي تنبأ بها مجموعة من الناس حول قيامه وترشيحه للإمامة، وبحسب قول لمؤرخ السيرة، «حتى نطق بإمامته الثعبان، الذي رآه أحد الشخصيات في منامه»[(١)].

وقد أسهب مؤرخنا في شرح العديد من الأحداث والقصص التي سمعها من مختلف الشخصيات المعاصرة له حول إمامة المؤيد محمد، وما صاحب ذلك من حكايا ورؤيا منامية رآها أصحابها، وتتضمن التأكيد على إمامة محمد بن القاسم[(٢)].

رأينا من خلال سرد الأحداث التاريخية حول النشأة الدينية لمحمد بن القاسم أن

---

(١) الجرموزي: النص، ق ٦أ.

(٢) نفسه، ق٧أ.

مشاركاته العسكرية والسياسية في حياة والده، ثم وقوعه في الأسر حوالي سبع سنوات زادت من مكانته بين اليمنيين، وخلو الساحة من منافس له في تلك الفترة.

وحرص مؤرخو عصره على التأكيد بأن ظروف نشأته الدينية، وصفاته الشخصية المميزة كان لها دور في تهيئته اجتماعياً ودينياً. وبالتالي فقد حرصوا على التأكيد بأن محمد بن القاسم اتخذ من سياسة الشورى الإسلامية مبدأ مفروضاً في أغلب شؤون حياته السياسية، وعند تنفيذ أحكامه وإصدار قراراته، اتضح ذلك جلياً من خلال الرسائل التوجيهية المختلفة التي كان يرسلها الإمام محمد بن القاسم لإخوته. وحرص على أن تكون الشورى مبدأ ثابتاً في تسيير أمور البلاد. وشدد على أخوته وعلماء عصره كي يتخذوا من ذلك المبدأ قانوناً في حياتهم السياسية، نلمس ذلك من خلال الرسائل المختلفة التي كان يرسلها لهم في مختلف الظروف والأحوال[1]. منها على سبيل المثال ما أورده المؤرخ الجرموزي في قضية احتواء الإمام لبعض الفارين من البحارة الأتراك المسيحيين الذين لجأوا إلى شهارة، فاستقبلهم الإمام في مقر إقامته وأحسن ضيافتهم، ثم رغَّبهم في دخول الإسلام فأسلموا، وأحسن إليهم أشد الإحسان، وأظهر لهم مدى عظمة الإسلام وتسامحه، وبأن الدين الإسلامي لا يحبذ العبودية ولا استغلال البشر، فأسلم هؤلاء الفارُّون جميعاً. ثم ظهر بعد ذلك ادعاء لأحد البشوات العثمانيين في جدة يطالب الإمام بملكيته لهؤلاء البحارة، وأنهم من مماليكه ويلح على ردهم إليه. لكن الإمام المؤيد محمداً حرص على استشارة العديد من العلماء في أمرهم ومصيرهم، وبناءً على ذلك وصل للإمام العديد من الفتاوى والأحكام من مختلف العلماء، وأجمعوا على أن يتم تعويض من ادعى ملكيته لهم؛ لأنهم أصبحوا في داخل الملة الإسلامية، ولا يجوز ردهم إلى ما كانوا عليه من قبل[2].

كان الإمام المؤيد محمد يظهر استياءه من بعض العادات الاجتماعية غير المستحبة مثل التدخين بالتبغ، وهو ما يطلق عليه محلياً بالتتن. وأصدر الإمام المؤيد وأخوه الحسن بن القاسم أوامرهما بمنع التدخين، خاصة بعد أن أدمن عليه كثير من العساكر. ونشبت مشادة

---

(١) الجرموزي: النص: ق٧٠أ،ب.

(٢) المصدر نفسه: ق٣١٧.

عنيفة بينهم عند شراء الدخان وأدواته. فأصدر الحسن أوامره في الأسواق بمنع بيعه ومعاقبة المدخنين له، بناءً على توجيهات الإمام، وتم إحراقه في الأسواق أمام الأشهاد[1].

وذكر المؤرخ يحيى بن الحسين بأن الإمام المؤيد محمداً كان يُشدد في النهي عن التدخين. وقد علق قائلاً: مع أنه لا دليل صحيح في تحريمه، بل من جملة المباحات الداخلة تحت قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾[سورة البقـرة:٢٩]، وعلة الإسكار غير موجودة فيه أصلاً[2].

حين قدم قانصوه باشا إلى اليمن قام بعدة طلعات عسكرية يائسة كإجراء منه لمحاولة الخروج من الحصار الذي فرضه الجيش الإمامي بقيادة الحسن بن القاسم. فتصدى له الجيش وحقق انتصارات متتالية على العثمانيين، كان أهمها معركة نجد مخيرب سنة (١٠٣٩هـ/ ١٦٢٩ م)، وظلَّ ما تبقى من قوات عثمانية مُحاصراً في المخا و زبيد وما حولها على الخط الساحلي لتهامة. فتقدم قانصوه باشا بطلب عقد هدنة بين الطرفين اليمني والعثماني سنة (١٠٤٠هـ/ ١٦٣٠م) ليتسنى للطرفين إعادة ترتيب أوضاعهما. فتفرغ الجانب اليمني لحسم بعض المشاكل التي نشبت بين القبائل ورؤسائها في تلك الفترة[3]. وقد استغل الإمام المؤيد محمد فترة الهدنة تلك، باستقبال الوفود من كل قطر، وجدَّ واجتهد في تقريب الشارد، وتسهيل مرافق الصادر والوارد. وعمل على تعمير المدارس الإمامية وتفقد شؤون أمورها[4].

كان للمؤيد محمد بن القاسم العديد من الإصلاحات والمآثر العمرانية التي كان حريصاً على القيام بها أثناء فترات الهدنة، وإجراء بعض التدابير السياسية للاستعداد للمرحلة التالية من الحرب ضد العثمانيين، واشتهر عن الإمام المؤيد محمد أنه كان دؤوباً عند القيام بأعماله اليومية، وتسيير أموره السياسية على أكمل وجه من قضاء حوائج الناس والاجتماع بهم،

---

(١) الشرفي: اللآلئ المضيئة، مخطوط، ق ٦٠٤.

(٢) يحيى بن الحسين: بهجة الزمن، ص٢٢٥، تحقيق الدكتورة أمة الغفور الأمير.

(٣) الجرموزي: النص،ق٢٠٥ب-٢٠٧أ، Serjeant: An Arabian Islamic City. P. 79

(٤) الجرموزي: النص، ق٢١٩ب.

وتلمس شؤونهم، وحل مشاكلهم وخلافاتهم، وكتابة رسائله وأوامره إلى مختلف مناطق اليمن التي تقع تحت سيطرته. وحرص على أن يكون مُطلعاً على كل أمر من أمور دولته ولو صغر وقل في نظر الآخرين حتى آخر يوم في حياته[1]. وقد وصف المؤرخ يحيى بن الحسين بن القاسم، وهو المؤرخ المعروف بكتاباته الحيادية ذو النظرة الثاقبة الصادقة والإنتقادية أحياناً أخرى، وصف زمن محمد بن القاسم وإخوته وصفاً صادقاً فقال: «وكما كان إخوته الحسن والحسين، ومع ذلك فالبركات في زمانه دارَّة والخيرات ما زالت في الثمار قارّة، يرعون الحقوق السالفة، وينزلون لهم المنازل التي يستحقونها في تلك الأيام الماضية. لا يستكثرون على أحد عطاء، ولا يقولون غيره أولى، يحسنون الظنون في المسلمين غالباً، ويسعون في الصلاح لهم مهما أمكن دائماً. يقيلون ذوي الهيئات عثراتهم، ويتجاوزون البعض عن زلاّتهم. فانتشرت البركات وكثرت الخيرات في زمانهم، بعد تلك الفتن العظيمة والأحوال الشديدة الجسيمة، فجُبلت قلوب الناس في الغالب على حبهم والدعاء لهم بحسن جميلهم فيهم»[2].

وبحسب ما ذكره المؤرخ الجرموزي بأن محمد بن القاسم كان يصرح في الأيام الأخيرة من حياته برغبته على جمع إخوته وأبناء إخوته في شهارة[3]. ولكن يبدو أن الظروف لم تمكنهم من تلبية رغبة الإمام والاجتماع به قبل وفاته. فهل أراد الإمام المؤيد محمد بن القاسم أن يجمع شمل الأسرة في شهارة كي لا يختلفوا في أمر من يخلفه؟ وهل كان ينوي أن يوجههم إلى أمر يصدر لهم تعليمات معينة؟ لكن من سياق الأحداث التاريخية اللاحقة، اتضح أنه عند وفاته لم يكن بصحبته سوى أخيه أحمد بن القاسم وابنه الحسين، وهما من حاولا مع بقية العلماء في داخل شهارة أن يجمعوا الآراء حول من سيخلف الإمام المؤيد محمد، وأظهرت الأحداث اللاحقة غير ما أرادوه.

---

(١) الجرموزي: النص، ق٣٣٦أ،ب.

(٢) يحيى بن الحسين: بهجة الزمن، ج١، ص٢٢٤.

(٣) الجرموزي: النص، ق٣٣٦أ.

ب- مبايعة الإمام المؤيد محمد بن القاسم حتى نقض الصلح مع العثمانيين

توفي الإمام القاسم بعد مرض ألم به لمدة أربعة عشر يوماً، في هذه الفترة كان قد علم بمرضه الخاصة والعامة واجتمعوا حوله، ومنهم أولاده محمد والحسين، أما الحسن فقد كان ما يزال في أسْره في صنعاء. كان الحسين إلى جانب والده ومحمد يُصرِّف أمور الجمهور أثناء مرض والده، «كما هي عهدته مع صحة أبيه»[(١)]، واجتمع العلماء والخاصة من الناس عندما سمعوا بوفاة الإمام القاسم وتداولوا حول من يخلفه، وتشاوروا وكاد يطول ما بينهم لأنهم كانوا بين رأيين، إما ابنه محمد أو أخوه الحسين، لكن الابن محمداً زاد على ذلك بأن تكلم بين ذلك الجمع من العلماء وقال: «إنما أنا وأخي عونان لمن يقوم بهذا الأمر، ولا لنا في ذلك شيء»[(٢)]. ومن ثم طلب مفاتيح مخازن بيت المال من متعهده ووضعه أمام الجميع كي ينظروا في أمرهم، وقفل خارجاً. لكن الجميع أجمعوا على اختيار محمد بن القاسم إماماً يخلف والده، «ولما وصل نصُّوا كلهم عليه وألقوا ثقل التكليف إليه، مُتفقين الرأي فيه فلا زال بهم حتى استحلفهم أنهم لا يعلمون له عذراً عن التخلف»[(٣)]. وتمت مبايعة محمد بن القاسم خلفاً لوالده الإمام القاسم بن محمد[(٤)]. إلاَّ أن هناك تساؤلات تطرح نفسها. لماذا تم اختيار المؤيد محمد بن القاسم إماماً يخلف والده؟ ألم تكن هناك شخصية علمية زيدية أخرى يمكن أن تتوفر فيها جميع الشروط وتحوز على نفس المكانة؟ أم أن حروب محمد بن القاسم مع والده، وقربه من جميع فئات العلماء ورؤساء القبائل جعلته الحائز على هذه المرتبة؟ وهل كان محمد بن القاسم هو الوحيد في الأسرة الذي اجتمعت فيه شروط الإمامة، وبالتالي أصبح أهلاً لها، ولماذا لم يتم اختيار الحسين بن القاسم ليخلف والده رغم علمه الواسع وشهرته الدينية الفقهية الزيدية بين علماء عصره؟.

وإن تساءلنا هل صرح الإمام القاسم في مناسبة ما عن ترشيح ولده محمد للإمامة من

---

(١) الجرموزي: النص، ق٤٨٧.

(٢) نفسه.

(٣) الجرموزي: النبذة المشيرة، مخطوط، ق ٤٨٧.

(٤) As. TRITTON: THE IMAMS oF SANAA، P 78.

بعده؟ وهل تُعتبر مبايعة محمد بن القاسم خلفاً لوالده شرعية، وكان الهدف منها الحفاظ على سنوات الحروب الطويلة والقاسية التي خاضها الإمام القاسم من أجل تحقيق الرسالة التي آمن بها وهي التخلص من فساد الحكم العثماني ومساوئه.

وقد وردت لدى مؤرخنا الجرموزي صاحب السِّير الثلاث (الإمام القاسم، والإمام المؤيد، والإمام المتوكل) تساؤلات يحمل في طياتها الشك في صحة ترشيح المؤيد محمد خلفاً لوالده. يذكر المؤرخ حادثة مفادها أنه تساءل بحضور الإمام المؤيد محمد قائلاً:«وقلت له في ذلك المقام: أرأيت يا مولاي أن الإمام كان يقطع بأنك القائم بعده وولي عهده، وليس في مذهبه ومذهبكم الشريف الوصية. فقال: كان يتوسم ذلك ويظنه غالباً لإمارات كان يجدها وإلاّ فالمذهب ذلك»(١).

نتيجة لهذا الاجتماع والاتفاق على مبايعة محمد بن القاسم، ساعد ذلك على استمرار وحدة القوى اليمنية الزيدية، وتماسكها أثناء الحروب التي خاضوها ضد العثمانيين، مما حقق لهم بالتالي الانتصار وتم وضع الأسس الأولى لبناء الدولة القاسمية في اليمن(٢).

ثم مضى الإمام المؤيد محمد بن القاسم بإرسال الرسائل للإبلاغ عن وفاة والده القاسم إلى بعض الشخصيات الهامة منها أخيه الحسن بن القاسم، والوالي العثماني محمد باشا، لكي يستطلع منه إن كان باقياً على الصلح الذي تم إبرامه مع والده الإمام القاسم، وإعلامه بتحمله زمام الإمامة بعد والده قائلاً: «وتحملنا ما كان عليه من ثقل الأمر، فإن ترون تمام المدة، وتسكين هذه الهدنة، فعلينا أن نقتفي أثره ونحيي ذكره، ولا ننقض له عهداً»(٣).

وقد تم تثبيت اتفاق الصلح والهدنة بين الجانب العثماني واليمني، خاصة بعد أن أرسل الوالي العثماني رسالة تعزية بوفاة الإمام القاسم، وجدد موافقته على تجديد الصلح الذي عُقد بينه وبين الإمام القاسم بن محمد قائلاً: «وأنتم بمقامه أحق وإليه أسبق، وذكرتم أن الذي

---

(١) الجرموزي: النبذة المشيرة، مخطوط، ق ٢١١.

(٢) أ.د سيد مصطفى سالم: الفتح العثماني الأول، ص٣٨٥.

(٣) الجرموزي: النبذة المشيرة، مخطوط، ق٤٨٨، يحيى بن الحسين: غاية الأماني، القسم الثاني، ص٨١٥.

بيننا وبين والدكم رحمه الله من العهود والمواثيق ثابت أساسها ومراسها ثباتاً وقوة كما هي الإرادة المرجوة» (١).

تتابعت رسائل التعزية بوفاة الإمام القاسم، والتأييد لاختيار محمد بن القاسم خلفاً لوالده من شخصيات مختلفة في اليمن. ولعلَّ اجتماع كلمة الناس في ذلك الحين على اختيار محمد بن القاسم خلفاً لوالده، كي يُثبِّتوا روابط اجتماع اليمنيين على ذلك الرأي، وحتى تستمر قوتهم واتحادهم في وجه القوة الأخرى المتواجدة على الساحة اليمنية، وهم العثمانيون. وربما كان نتيجة للثوابت القوية التي أرساها الإمام القاسم في المناطق الشمالية حيث انتشار المذهب الزيدي القوي متمثلاً بعلمائه، وهجره العلمية، والمناصرين من رؤساء القبائل المختلفة، بالإضافة إلى قلة ما يُجمع من الناس كما كان أثناء الحكم العثماني. وقد بدا ذلك واضحاً من خلال الرسائل العديدة والمتتالية الواردة إلى الإمام المؤيد محمد من آل المؤيدي في صعدة، فقد أرسلوا تعازيهم وبيعتهم لاختيار المؤيد محمد للإمامة وتضمنت الرسائل أسماء بعض السادة الأشراف في صعدة ونجران وقحطان وهمدان، وجميع رؤساء قبائل المناطق الشمالية، كان على رأس هؤلاء أحمد بن القاسم، وكلها تُعرب عن رضاها وتأييدها لبيعة المؤيد محمد بن القاسم (٢).

ونتيجة للحالة الاقتصادية القاسية التي كان يعاني منها اليمنيون أصبح هذا الإجماع ووحدة الصف ضرورة ملحة لتحسين ظروف حياتهم الاقتصادية خاصة مع تحملهم لمواسم من القحط والجفاف عانى منه الناس الفاقة. إزاء ذلك لم تكن الإمامة تفرض أي أعباء مالية إلاّ الزكاة الواجبة شرعاً عليهم. بينما العثمانيون كانوا قد أثقلوا كاهل اليمنيين بالعديد من الإتاوات والضرائب، وسن القوانين المالية العديدة التي كان اليمنيون جديدي عهد بها. ولم يجدوا لها في كثير من الأحيان مبرراً سوى ابتزاز الأهالي لتغطية صرفياتهم العديدة ولسد نفقات الجنود المتتالية، نظراً لانشغال السلطنة عن إرسال الأموال والإمدادات التي كانت فيما سبق دائمة وكبيرة.

---

(١) الجرموزي: النبذة المشيرة، مخطوط، ق٤٩١.

(٢) الشرفي: اللآلئ المضيئة، مخطوط، ق٤٠٤-٤٠٧.

كانت الخطوة التالية، أن قام الإمام المؤيد محمد بإرسال الرسائل المختلفة إلى جميع مناطق اليمن وقبائلها، يعرض اجتماع الكلمة وتوحيد الصف، وتوضيح منهجه وسياسته من أجل قيام دولة يمنية إسلامية إلى كل جهات اليمن المتباعدة، كما أطلق عليها الجرموزي وإلى أهالي تهامة وكل المدن المجاورة(١).

بدأ الإمام بترتيب أوضاع الدولة الإمامية واستغلال فترة الهدنة في المناطق الشمالية بالإمامة والتفافهم حولها، لاعتماده عليهم في حكمه، إلاّ أنه أرسل إخوته أحمد ثم الحسن بن القاسم لقمع بعض تمرد وثورات القبائل بالقرب من صعدة في أقصى الشمال لتأكيد قوة قبضته على تلك المناطق(٢). وتأكيداً للصلح القائم، واستغلال الهدنة المعقودة بين الإمامة والعثمانيين.

انشغل الإمام المؤيد ببعض الإصلاحات داخل شهارة، منها تقرير القواعد والعوائد، واستقبال الوافدين من الجمهور وجمع الأموال والواجبات الشرعية(٣)، وعمد أيضاً على تأكيد سلطته وتنفيذها، بأن قام بتعيين بعض الأشراف في إقليم تهامة، وهو السيد سليمان بن أبي القاسم الأهدلي الحسيني، ووجه له رسالة تعيين تضمنت إرشاده إلى بعض الأمور والأعمال التي يجب أن يقوم بها في تهامة، وعزز توجيهاته بتعيين أخيه عمر بن أبي القاسم نائباً له في حالة غيابه أو عرض مانع(٤). رغم أن إقليم تهامة في هذه المرحلة كان لا يزال تحت حكم العثمانين، ولم يكن للإمامة أي سلطة سياسية عليه.

ولعل الإمام المؤيد محمداً كانت غايته من ذلك الإجراء استغلال سلطته الروحية والأسرية، وانتماء هذه الأسر لنسب آل البيت، وإرهاصاً لما سيأتي من فتوحات وأحداث تاريخية قادمة.

استقرأنا من خلال الأحداث التاريخة السابقة اجتماع الكلمة ووحدة الصف في دولة

---

(١) الجرموزي: النص، ق٢٥أ،ب.

(٢) أ.د سيد مصطفى سالم: الفتح العثماني الأول لليمن، ص٣٨٦، يحيى بن الحسين: غاية الأماني، القسم الثاني، ص٨١٧.

(٣) عامر بن محمد: بغية المريد، مخطوط، ق١٥٣.

(٤) الجرموزي: النص، ق٢٥أ-٢٦أ.

الإمام المؤيد محمد بن القاسم، والإجماع على مبايعته، لكن لم يخلُ الأمر من معارض ظهر في تلك الحقبة من تاريخ الدولة المؤيدية، خاصة بأن المذهب الزيدي أجاز ظهور إمامين في عصر واحد.

فقد أعلن أحد المعاصرين للإمام القاسم إمامته، ويدعى السيد ناصر بن صُبح الغُرباني فقام الإمام القاسم في حينه بإرسال العلماء إليه لمناظرته وإقامة الحجة عليه، فخمدت دعوته حتى وفاة الإمام القاسم، وبعد مبايعة الإمام المؤيد محمد جدد دعوته -أي الغرباني- وأعلنها ثانية، فأرسل إليه المؤيد محمد بعض العلماء المطلعين على الأمر ليناظروه مرة أخرى، ويقيموا عليه الحجة في دعوى قيامه وأسبابها فرفض الرضوخ واستمر في إعلان عصيانه وادعاء إمامته، وتحريض القبائل. فاضطر الإمام المؤيد محمد باتخاذ الإجراء العسكري رادعاً له، وتمكنت قواته من القبض على الغرباني، لكنه تمكن من الفرار، وظل مطارداً حتى غابت أخباره عن الناس، كما ورد لدى مؤرخي عصره[1].

ثم ظهرت دعوة أخرى معارضة للإمام المؤيد محمد بن القاسم من جانب السيد محمد بن علي الحيداني، رافعاً راية العصيان والاحتجاج بدعوى أن حكم الإمام ومن يولي من طرفه في المناطق الشمالية بأن أعمالهم غير مرضية، وبحسب المؤرخ الجرموزي فقد ادعى بأنه المهدي المنتظر، وحرض الناس على إعلان العصيان والاحتجاج على الوضع القائم آنذاك. وثارت بعض المعارك العسكرية في رازح بالقرب من صعدة. وقد تصدر له أحد الشخصيات المقربة من الإمام المؤيد ووقف في وجهه تارة بالقوة، وتارة بالموعظة الحسنة حتى نجح في مسعاه، ولعله توصل إلى اتفاق يرضي جميع الأطراف، ثم يُعلق مؤرخنا الجرموزي بقوله: «وكان كما سيأتي إن شاء الله تعالى، من تمام خبره بعد وفاة الإمام»[2]. أي أنه سيظهر احتجاجه وسترد له أخبار في عصر المتوكل على الله إسماعيل الإمام الثاني من أولاد القاسم.

أما الدعوة الثالثة فهي حركة أحد متصوفة وصاب الذي أعلن عصيانه على حكم الأئمة والعثمانيين، وبعث الدعاة إلى مختلف مناطق وصاب، وحرض القبائل على إعلان

---

(١) الجرموزي: النص، ق٥١أ،ب، عامر بن محمد: بغية المريد، مخطوط، ق١٩٠.

(٢) الجرموزي: النص، ق٢١٩ب.

احتجاجهم، ونجح في تجميع ألفاف القبائل، ثم قام بمهاجمة معسكر الأمير سنبل في عتمة. وتعمد أنصاره قطع الطرق وإثارة الفتنة بين الناس. وصلت الأخبار إلى الإمام المؤيد وتفاقمها، فأرسل لإخوته الحسن وأحمد ثم الأمير سُنبل وأمرهم بالتوجه إلى وصاب وعُتمة، لكي يتم الوقوف في وجه ذلك التمرد والقبض على مثيري الفتن، بحسب رأي المؤرخ، وتمكنوا من القبض على المتصوف في قرية نقذ بالقرب من وصاب، وإرساله إلى الحسن بن القاسم الذي قام بدوره وأصدر أوامره بقتله[1].

ظهر من خلال تلك الدعوات الثلاث رغم اختلافها المذهبي والمكان التي ظهرت فيها، إلاّ أنها تشابهت في الفكرة، وهي الدعوة للتغيير والاحتجاج من بعض المظالم والأخطاء الإدارية التي يقترفها الأمراء والقادة والموظفون في ذلك الوقت، ولعل ذلك كان من قبيل التعبير عن وجهات نظر مختلفة تنشد التغيير ولفت انتباه الإمام لبعض الأمور التي لم تُحسم بعد في إدارة البلاد، فدعوة السيد الغرباني كانت دعوة معارض لإمامة كل من الإمام القاسم ثم ابنه محمد بن القاسم، ورأى في نفسه أنه الأصلح والأحق في ادعائه الإمامة.

أما الدعوتان الثانية والثالثة فقد اختلفتا في المكان، لكنهما اتفقتا في الهدف والتوقيت، وهي فترة انشغال الجانب الإمامي والعثماني في الحرب، وبالتالي تدهور الحالة الاقتصادية عند الناس، وسوء الإدارة اليمنية والعثمانية، وربما أن إعلان تلك الدعوات من قبيل الاحتجاج على الإمام والقائمين بالأمر إلى جانبه، لتوضيح فداحة الأخطاء الإدارية، التي تُقترف في حق الأهالي جميعاً. وانشغال الإمام ورجال دولته بتدبر مصاريف الحرب، والعمل على جمع الأموال، مع شحة الموارد الاقتصادية، وقلة الدخل، وتكرار جمع الأموال والعتاد للجيش الإمامي المحاصر للعثمانيين في تهامة، وعند أبواب زبيد. فهل كان انشغال الجميع بالحروب، جعلهم غافلين عن كيفية سير شؤون البلاد وسوء إدارتها؟ وهل كان لوجود القوتين العثمانية واليمنية وتصارعهما على الساحة سبباً في خلق نوع من التذمر بين الناس؟. وهل ارتفاع هذه الدعوات واشتهارها تعبير عن سوء الأحوال الاقتصادية والاجتماعية التي أثقلت كاهل اليمنيين؟.

---

(١) الجرموزي: النص، ق٢٥٦ب.

وقد لاحظنا عندما كان العثمانيون يتقدمون بطلب الهدنة أو عقد صلح مؤقت، كان الجانب اليمني الإمامي يسارع بالموافقة على عقدها، لكي يتفرغ لإدارة شؤون البلاد وترتيب أوضاعها. فيقومون بتعمير المدن ورصف الطرق، والإشراف على شؤون الهجر والمدارس العلمية، وتعيين العمال والقضاة، ودفع المظالم عن الأهالي، لكن كان جُل اهتمام الجانب الإمامي مُنصباً حول تجهيز شؤون الحرب وجمع الأموال اللازمة، ولذا فقد تم استغلال فترات الصلح تلك، لتعود بالفائدة على الجانب اليمني.

أما الجانب العثماني في هذه المرحلة، وهي مرحلة الصلح، فقد تتفاقم المشاكل بين الجنود العثمانيين وتزداد أمارات التذمر بين أفراد العساكر، نتيجة لأوضاعهم المالية والعسكرية المتدنية، وعدم وصول نجدات من جانب السلطنة لإنقاذ موقفهم العسكري السياسي في اليمن. رغم أن الولاة العثمانيين في فترات سابقة من حكمهم لليمن، حاولوا القيام بالكثير من الإصلاحات وإحلال النظام، وإلغاء بعض القوانين الجائرة في حق المواطنين، وتعمير بعض المنشآت المعمارية. فقد قام الوالي جعفر باشا بالقضاء على المظالم التي كانت سائدة هناك قبل ولايته، وذلك بأن ربط الضرائب بالثروة الحقيقية للأفراد، واشتهر بتقريب العلماء الفقهاء إليه،، وعمد إلى إظهار اهتمامه بالمسائل العلمية والفقهية.

واهتم الوالي محمد باشا الذي عاصر الإمام المؤيد محمد بإقامة العدل، وأنشأ الديوان في صنعاء للنظر في مظالم الأهالي. وكذلك صرف محمد باشا جُل وقته في إقامة بعض المنشآت العمرانية فاهتم بتجديد سور صنعاء وتعمير وتشييد بعض المساجد في صنعاء ويريم، واهتم ببناء القلاع والحصون وترميم الموجود منها[1].

وانصب اهتمام العثمانيين بشكل عام على جمع الضرائب وحماية وإقرار الأمن في المدن التي يقيمون فيها، وحرصوا على الاهتمام بالآثار العمرانية متمثلاً في إنشاء القلاع والتحصينات العسكرية، وتشييد المباني الحكومية والمدارس والسماسر، وكلها منشآت حرص العثمانيون

---

(١) د.سيد مصطفى سالم: الفتح العثماني، ص٣٨٨.

على إقامتها لتحقيق أغراضهم السياسية والعسكرية والتجارية[١].

إلاَّ أن الولاة اللاحقين الذين قدموا في فترة قيام الحرب بين الإمامة والعثمانيين قد أهملوا شؤون البلاد والناس، وانصب اهتمامهم حول جمع الأموال والغذاء وابتزازها من الأهالي في المناطق الزراعية، وعلى سواحل تهامة.

أما الأعمال الإصلاحية السابقة فقد كانت محاولات يائسة لتحسين صورتهم أمام اليمنيين، نتيجة للتذمر العام من حكم العثمانيين، ومن تصرفات الموظفين الفاسدة. فقد قاموا بتنفيذ تلك الإصلاحات في مقابل كسب ود اليمنيين، مع وجود قوى يمنية جديدة متمثلة بالإمامة وشعارها الذي نادت به، وهو القضاء على الحكم العثماني وسوء إدارته، وتثبيت النهج الإسلامي في تسيير أمور البلاد.

وكانت قد قامت بعض الثورات في المناطق التي تقع تحت سيطرة العثمانيين، وظهرت الانقسامات والاضطرابات في داخل صفوف العثمانيين فتنازعوا فيما بينهم حول السلطة والمال، وتكررت أعمال السلب والنهب من قبل الجنود الأتراك، ومصادرة أموال المواطنين والتجار، وحتى الأجانب والقادمين إلى اليمن، خاصة من قبل الولاة والموظفين العثمانيين[٢].

كانت النتيجة الحتمية لكل ذلك تخلخل النظم العثمانية، وضعف موقفهم أمام اليمنيين، وأصبح هؤلاء الأخيرون أكثر نجاحاً وتماسكاً في تحقيق هدفهم رغم ضعف العتاد العسكري وإحكام حصار العثمانيين على الموانئ اليمنية لمنع وصول الأسلحة والرصاص في أيدي اليمنيين[٣].

حرص العثمانيون في عهد الإمام المؤيد محمد، على بقاء عقد الصلح لحاجتهم إليه من أجل

---

(١) أ.د حسين العمري: تاريخ اليمن (من المتوكل إلى المتوكل)، ص٢٦.

(٢) براور وكبلانيان: اليمن أوائل القرن السابع عشر، ص ١٦٦.

(٣)نفسه، ص ١٤٢.

تهدئة الأحوال والتفرغ لحل مشاكلهم في باقي أقاليم اليمن[1]. وظلت الهُدنة التي عُقدت مع الوالي محمد باشا مستمرة حتى تم عزله من ولاية اليمن.

وعندما وصل الوالي التالي فضلي باشا إلى اليمن، حرص على إرسال تأكيده من أجل استمرار الصلح المُبرم بين الطرفين سابقاً. وأبدى عدم استيائه من فرار الحسن بن القاسم من سجنه في صنعاء، وعرض في رسالته التي أرسلها للإمام المؤيد، بأنه كان عازماً على إطلاق سراح الحسن من الأسر، ثم قام بإرسال بعض متعلقات كانت له في صنعاء إلى شهارة.[2]

نلاحظ أن الوالي فضلي باشا حاول التودد والتقرب من الإمام المؤيد، وعرض خدماته العسكرية على الإمام حين وصلته أخبار قيام الإمام بجولة تفقدية بين القبائل لحل بعض المشاكل التي بينها، ثم أعقبها فضلي باشا بإرسال هدية للإمام المؤيد بإبداء حُسن نواياه[3].

وظلت المراسلات بين الوالي العثماني والإمام مستمرة لتأكيد الصلح، فالوالي ينشد السلامة، والإمام مشغول بتنظيم شؤونه الداخلية، والطواف في المناطق الشمالية، وإصلاح ما اعوج من أمور القبائل الواقعة تحت سلطته.

وقد تعمَّد الوالي العثماني فضلي باشا البقاء في ميناء المخا الواقع على ساحل البحر الأحمر، رغم أن العاصمة صنعاء كانت لا تزال تحت سلطته. كانت غايته أن يكون قريباً من الميناء المنفذ الوحيد الذي ما زال تحت السيطرة العثمانية، لكي يتمكن من التصدي للسفن التجارية الأجنبية، وفرض المكوس والضرائب الفادحة، رغم أن هذا الوالي كان قد أعلن بإعطاء السفن التجارية الحرية في ممارسة تجارتها في ميناء المخاء، لكن سوء الأحوال الاقتصادية في اليمن كانت قد وصلت إلى مداها بسبب الحروب، ولذا فقد قل الطلب على البيع والشراء، وبالتالي انعدام قدوم السفن التجارية إلى ميناء المخاء وعانى العثمانيون من جراء ذلك كثيراً[4].

---

(١) د. سيد مصطفى سالم: الفتح العثماني، ص٣٩١.

(٢) الشرفي: اللآلئ المضيئة، مخطوط، جـ٣، ق٤٤٠، براور وكبلانيان: اليمن في أواخر القرن السابع عشر، ص١٩٠.

(٣) الجرموزي: النص، ق٥٤أ.

(٤) براور وكبلانيان: اليمن في أوائل القرن السابع عشر، ص١٨٠-١٨٢.

ولعل الوالي استحسن السكن في ميناء المخاء لجمع أكبر قدر من الأموال كما هي عادة الولاة والموظفين باليمن، ولأنها بعيدة عن مناطق المناوشات والحروب التي كانت دائرة في المناطق الشمالية، حريصاً على عدم الخوض في الحروب، وتأكيد حسن نواياه على بقاء الصلح في أغلب المناسبات، ناشداً للسلامة رغم ما اتصف به من حدة في الطباع. والتخلص من الشخصيات العثمانية القوية المتنفذة في أثناء ولايته. وقد استمر الحال على ذلك لمدة ثلاث سنوات، ولم يطرأ أي جديد في سير الأحداث بين الجانب اليمني والعثماني، حتى تم عزله عن ولاية اليمن، وقدوم الوالي الجديد حيدر باشا الذي سنرى ظهور أحداث جديدة ومثيرة في سياسة العثمانيين في عهده.

نقض الصلح أسبابه ودواعيه:

كان الحكم العثماني في اليمن قد وصل إلى أسوأ حالاته من سوء الإدارة واضطراب أحوال الجنود وفرارهم من اليمن. وتفاقمت وزادت مساوئ الإدارة العثمانية، مع قدوم الوالي الجديد حيدر باشا.

ساءت سيرة الوالي وأعضاء إدارته في العاصمة صنعاء وباقي مدن اليمن. في الجانب الآخر كان الإمام المؤيد محمد وأعضاء إدارته يمثلون العنصر الجديد المعتمد ذاتياً على السيرة الحسنة بين الأهالي، وجذبهم إليه عن طريق رفع الشعارات الدينية الفعالة في جذب أفئدة ونفوذ الناس إلى هذا الجانب، ورفع المطالب المادية.

زاد من تفاقم الأمر سوء إدارة حيدر باشا الذي تولى إدارة اليمن سنة (١٠٣٤هـ/ ١٦٢٥م). وفي عهده زادت مساوئ الجنود والموظفين وتعديهم على الأهالي. وأقدم على اتخاذ القرارات والتدابير العسكرية المهينة في حق بعض القبائل اليمنية، فقد قبض على مشايخ قبيلة الحداء بحجة مناصرتهم للإمامة، وأمر بسلب مواشيهم وأموالهم وسبي نسائهم وتجاوز حد الإذلال والمهانة بهذه القبيلة، بأن قام أحد الجنود ببيع أحد أفراد القبيلة بجمنة قهوة، وهو الوعاء الفخاري الذي يتم غلي وتحضير القهوة فيه على الطريقة

اليمنية القديمة[1].

ثم أمر حيدر باشا بقتل الكثير من مشايخ الحداء وكبار رجالهم، وبالتالي فإن تلك الأعمال اللاّ إنسانية والعنيفة، قد دعمت وزادت من سخط القبائل ضد العثمانيين. مما حفز رؤساء قبائل الحداء بأن سارعوا بالاستنجاد بالإمام المؤيد محمد، وعرضوا عليه أعمال الجنود العثمانيين المشينة، وحرَّضوه على نقض الصلح، وإعلان الحرب ضد العثمانيين، ثم عرضوا تقديم العون وبذل الأنفس والمال، من أجل الانتقام من هؤلاء. وتكررت دعوات القبائل في المناطق الشمالية وأرسلوا رسائلهم المتتابعة لتأييد موقفهم بإعلان الحرب ضد العثمانيين، بل وعمدوا على إرسال أبنائهم للإمام كرهائن لتأكيد التأييد والولاء وتقديم العون في حالة إعلان الحرب ضد الحكم العثماني[2].

فقام الإمام المؤيد من جانبه باتخاذ العديد من التدابير والمقدمات من أجل الاستعداد لهذا الحدث، وهو إعلان الحرب، فقد كان حريصاً على أخذ المشورة من العلماء وأصحاب الرأي، خاصة صنوه الحسين بن القاسم، فقد تباحث معه في شرعية إعلان الحرب، ونقض الصلح، والاستعداد الكامل لكل الأمور المتعلقة بشؤون الحرب، وكيفية تدبير وجمع الأموال اللازمة لهذه المرحلة[3].

وقد أرسل الإمام المؤيد بأوامره إلى مختلف الأقاليم الواقعة تحت سيطرته، لكي يجمعوا له ما استطاعوا من زكاة الفطر والنذور وزكاة المواشي، وغيرها مما أطلق عليها بحقوق الله.

ومرت هذه السنة (١٠٣٥هـ/ ١٦٢٦م) في مدوالات، وجمع للأموال والعتاد والتشاور مع الشخصيات المختلفة في مباحثات نقض الصلح مع العثمانيين، وقد أرسل الحسن بن القاسم بكتاب طويل من مدينة صعدة، يُحرض الإمام على نقض الصلح، ويُعرض العديد من التبريرات لدواعي النقض. ويطالب باغتنام الفرصة بإعلان الحرب، وجمع الكلمة

---

(١) الجرموزي: النص، ق١٨٥، يحيى بن الحسين: غاية الأماني، القسم الثاني، ص ٨١٩.

(٢) يحيى بن الحسين: غاية الأماني، القسم الثاني، ص٨٢٠، أ.د سيد مصطفى سالم: الفتح العثماني، ص٣٩٤.

(٣) الجرموزي: النص، ق١٨٥أ.

ووحدة الصف، «من أجل اجتثاث هذه الشوكة»[1].

كانت دعوة الحسن بن القاسم لأخيه الإمام المؤيد البداية لحزم أمره وإعلان الحرب، خاصة أنه رأى في نفسه وممن حوله الاستعداد الكامل لهذا الحدث. فقد أراد أن يُحقق هدف والده الإمام القاسم في التخلص من الحكم العثماني، وأن يقطفوا نتيجة ما زرعه والدهم في اليمن وفي نفوس اليمنيين.

ويُرجح المؤرخون السبب المباشر لنقض الصلح إلى مقتل الفقيه حسن العلماني أحد أتباع الإمام المؤيد محمد بن القاسم[2]، لكن ومن خلال تتابع الأحداث التاريخية السابقة كانت قد اجتمعت عدة من الأسباب التي عجلت بنقض الصلح وإعلان الحرب، منها سوء الإدارة العثمانية وضعفها، وسوء إدارة الوالي حيدر باشا، ونفور اليمنيين من اضطراب الحكم العثماني، وتعدد مساوئه الدينية والأخلاقية والمالية. أما مقتل الفقيه العُلماني، وهي الحجة الأخيرة في سبب إعلان الحرب، خاصة بعد أن دارت العديد من المداولات وتبودلت الكثير من الرسائل بين الإمام والوالي حول سبب مقتل العُلماني، ومطالبة الإمام بإظهار قاتله، أو دفع الدية المستحقة في ذلك، ومراوغة الوالي حيدر باشا لهذا الأمر وهو الضليع في هذه المؤامرة.

فقد وصلت للباشا وشاية ضد الفقيه العلماني بأنه يطوف الأقاليم الخولانية والسنحانية والرحبية، ويدخل إلى صنعاء، ويُرَغِّب الناس بالوقوف إلى جانب المؤيد، ويحرضهم على دفع الزكاة الواجبة للإمام المؤيد محمد، فأوغر المفسدون صدر الباشا ضد الفقيه العُلماني، فأمر بالقبض عليه، فلما مثُلَ بين يديه عنَّفَهُ وأمر بضرب عنقه[3].

أما مؤرخنا الجرموزي فيورد رواية أخرى في سبب مقتل العُلماني، فقد كانت أسرة الفقيه تقطن بالقرب من منزل الإمام المؤيد في شهارة، وتربطه بالإمام روابط متينة بحكم الجوار.

---

(١)الجرموزي: النص ،ق٨١أ،ب.

(٢) يحيى بن الحسين: غاية الأماني، القسم الثاني، ص٨١٩، براور وكبلانيان: اليمن في أوائل القرن السابع عشر، ص١٩٢.

(٣) عيسى بن لطف الله: روح الروح، مخطوط، جـ٣، ق٢،٣، يحيى بن الحسين: غاية الأماني، القسم الثاني: ص٨٢٠.

وقد كان الفقيه حسن يتردد إلى قرية عُلمان بالقرب من صنعاء لجمع أموال له مستحقة في هذه القرية، فشب شجار ونزاع بينه وبين أهل هذه القرية، وتنازعوا حول حقوق الفقيه، فوشوا به إلى حيدر باشا بأن الفقيه يجمع الزكاة للإمامة. وعلى يديه كان سبب هروب الحسن بن القاسم من السجن، وخروج أولاده من صنعاء. وأنه حرض الجنود العثمانيين على الفرار من صنعاء واللجوء إلى مقر الإمام المؤيد. وتلك كانت المبررات التي أوغرت صدر حيدر باشا ضد العُلماني، فأمر بالقبض عليه، ومن ثم قتله(١).

وتوالت الرسائل والبرقيات بين الإمام المؤيد محمد وحيدر باشا حول القضيتين، قضية مقتل العُلماني من جهة الإمام، وقضية تسليم الفارين من الجنود العثمانيين من جهة حيدر باشا.

وقد حاول حيدر باشا التقرب من الإمام بأن بعث بشيء من الهدية، مع اقتراب العيد سنة (١٠٣٥هـ/ ١٦٢٦م) ونوَّه في رسالة للإمام عن حقيقة انتشار شائعة بين الناس برغبة الإمامة في نقض الصلح، فكانت ردود الإمام تتضمن الإصرار على معرفة قاتل الفقيه العُلماني وإلزامه بدفع الدية الشرعية، أما قضية الجنود الفارين فقد كان رد الإمام حاسماً في هذه القضية، خاصة مع طرح أهمية مدينة شهارة باعتبارها هجرة علمية يقصدها سائر الناس بمختلف أجناسهم، ولا يمكن للإمام أن يمنع دخول أو خروج أي إنسان منها. فحرية التنقل مكفولة للجميع. أما إدعاء ا لوالي بأي ملكية خاصة به فيجب إثبات ذلك، والإمام كفيل بإرجاع هذه الملكية فيقول: «إن مكاننا هجرة وملاذٌ للمسلمين من عرب وعجم، فلا نعترض من وصل إلينا، وإذا عرفتم لكم مملوكاً وما في يده، أرسلتم من يعرفه وأعطيناكموه وفاءً بما هو لله سبحانه من حفظ العهود»(٢). وقد توصل الإمام المؤيد محمد إلى حقيقة واضحة، وهو أن الوالي يتهرب ويماطل، ومراده إثارة الفتن «وسفك دماء البرية في وقت البواكر والعشية»(٣).

---

(١) الجرموزي: النص، ق٧٩أ.ب.

(٢) نفسه: ق٧٩ب.

(٣) عيسى بن لطف الله: روح الروح، جـ٣، ص٣.

كانت نهاية كل تلك الأحداث، أن عزم الإمام محمد بن القاسم على إعلان الحرب والجهاد، خاصة وأنه تيقن من مناصرة جميع الفئات اليمنية للمشاركة في الحرب بمختلف طبقاتهم واتجاهاتهم من علماء وأمراء وسادة وشيوخ القبائل، إلى جانب أفراد أسرته.

وسنتطرق في الفصل التالي، إلى أحداث الحروب مع الجانب العثماني، وتوسع القوات اليمنية ونفوذها في أغلب المناطق والأقاليم اليمنية. وسنرصد إمكانيات الإمام المؤيد محمد المادية والمعنوية، وقدرة القائمين معه على تسيير وقيادة دفة الشؤون العسكرية والتخطيط لعملياتها. ثم نوضح العوامل المساعدة على إحراز الانتصارات النظامية. وكيف تمكنت الدولة المؤيدية من تحقيق الهدف الرئيسي الذي سعت إليه مع جميع اليمنيين للتخلص من الحكم العثماني لليمن.

الفصل الثاني

توسع نفوذ الإمام المؤيد محمد بن القاسم حتى الإستقلال عن الحكم العثماني

تعيينات وإجراءات الإمام المؤيد قبل الاستقلال

رأينا في الفصل السابق الأسباب الجوهرية التي أدت إلى نقض الصلح بين الإمام المؤيد محمد بن القاسم، وبين الجانب العثماني. وتطرقنا للأسباب والدوافع التي حذت بكل الفئات اليمنية إلى تشجيع الإمام المؤيد محمد على إعلان الحرب ضد العثمانيين.

وسنتناول في هذا الفصل السياسة التوسعية لنفوذ الإمام المؤيد محمد في الأقاليم المختلفة من اليمن. وكيف تم رسم الخطط العسكرية والسياسية لتوسع هذه الدولة؟

قام الإمام المؤيد محمد بعد وفاة والده بالعديد من الإجراءات العسكرية والتعيينات الإدارية، لإصلاح وتقويم ما اعوج من أمور القبائل، وخاصة في المناطق الشمالية. فقد عيَّن أخاه أحمد بن القاسم لإدارة أعمال صعدة، وأرسل له الرسائل والوصايا العديدة التي كانت بمثابة قوانين وأوامر في كيفية التعامل مع الناس وأهل العلم وطلابه، والحض على تشجيع نشر العلوم وفتح الهجر العلمية وتأمين مؤنتها. وجمع الزكاة الواجبة من القبائل في مختلف المناطق والمدن. وقد أعلنت القبائل في صعدة احتجاجها وامتنعت عن دفع العوائد المالية المفروضة عليها وازدادت نفوراً وبُعداً، وتحججت بسوء معاملة أحمد بن القاسم لها. وقد حاول المؤيد محمد التقريب من وجهات النظر بين الإمامة وبين القبائل، ورخَّصَ لهم في الكلام وآنسهم وأعطاهم[1]. فقام الإمام بتعيين أخيه الحسن بن القاسم وأوكل إليه قمع تلك الفتن والاحتجاجات التي نشبت في صعدة، خاصة مع عجز أحمد بن القاسم عن وضع الحلول المناسبة لها. ثم وجه الإمام المؤيد أمره لأخيه الحسن لإدارة أعمال صعدة، وحسم المشاكل المتفاقمة بين القبائل، وقد نجح الحسن في المهمة التي أوكلها إليه الإمام، وعززه بإرسال قرار التعيين وشدد في ذلك القرار بتنفيذ أوامر الحسن، واتباع تقاريره وقوانينه في إدارة أمور صعدة وأقاليمها الشمالية.

كانت تلك الولاية أو التعيين للحسن بن القاسم تحوي مجموعة من القوانين والتوجيهات أصدرها الإمام المؤيد محمد، وأمر بتنفيذها عند إدارة شؤون أعمال صعدة

---

(١) الجرموزي: النص، ق٦٧ب.

ونواحيها وقبائلها[1].

رأينا كيف كان الإمام المؤيد حريصاً على التدقيق والتحري في جميع أمور إدارة البلاد، وخاصة الواقعة تحت نفوذه. ولم يترك شأناً من شؤون الناس إلاَّ ووضع له قراره وقانونه، وحرص على التأكيد للجميع باتباع الشرع الإسلامي والنص النبوي فيما يتعلق بشؤون إدارة الناس والعامة.

وشدد بشكل خاص على الاهتمام بالعلماء وطلبة العلم، وتحري الإشراف على أمور الهجر العلمية في كل شاردة وواردة، وقد ظهر جلياً مدى اهتمام الإمام بتوضيح سياسته الإدارية وأن لا يترك أمراً من الأمور إلاّ ووضحه للجميع، سواء كان إدارياً أم اجتماعياً أم دينياً، وبالتالي تبين لنا مدى مكانة الإمام في نفوس إخوته واحترامهم لقدره وترتب على ذلك تنفيذ أوامره وقوانينه.

اختلف المؤرخان الجرموزي والشرفي رغم قرب كل منهما من الأحداث في تلك الفترة، في سبب تعيين الإمام للحسن بن القاسم لإدارة أعمال صعدة بدلاً من أخيه أحمد بن القاسم، فقد عزى الجرموزي أن السبب هو ثورات القبائل المتكررة وامتناعهم عن تنفيذ أوامر الإمام، ودفع المقررات المالية المستحقة عليهم.

لكن المؤرخ الشرفي أرجع سبب تغيير التعيين إلى عدة أمور منها: ضعف شخصية أحمد بن القاسم، ومحاباته بالعطايا لبعض القبائل دون البعض، واحتجابه عن الناس وعدم التقرب والنظر في حل مشاكل الأهالي، وتقصيره في إدارة شؤون القبائل في داخل صعدة وما حولها. مما حذا بالإمام أن يرسل رسالة طويلة شملت تقريعاً وتوبيخاً لأخيه أحمد بن القاسم، ووضح في تلك الرسالة النهج السليم في تسيير أمور الجمهور[2].

اتضح من خلال ذلك مدى قوة شخصية المؤيد محمد ونفوذه واحترام واستجابة إخوته

---

(١) الجرموزي: النص، ق٦٨ب-٧١أ، الشرفي: اللآلئ المضيئة، جـ٣، ق٤٣٤.

(٢) الجرموزي: النص، ق٧٢أ،ب، الشرفي: اللآلئ، مخطوط، جـ٣، ق٤٤٧-٤٥١، وليد النود: قيام الدولة الإمامية في اليمن، رسالة ماجستير غير منشورة، ص٢٠٥.

للسياسة التي يراها مناسبة في إدارة حكم البلاد والمناطق التي تقع تحت سلطته، وبالتالي ظهرت مقدرة الحسن القيادية والعسكرية وحرصه على تنفيذ أوامر أخيه الإمام المؤيد محمد، وتوسيع مناطق نفوذ الإمامة القاسمية في المناطق الشمالية، فقد تعارف على مدى التاريخ قوة وصلابة هذه القبائل وتناحر قبائلها الدائم حول أسباب وأطماع مختلفة متعلقة بالأرض والمرعى والعوائد القبلية المتعارف عليها فيما بينهم. ومن هذا المنطلق بدأت شهرة الحسن بن القاسم الشخصية والعسكرية تظهر وتنمو، وبرزت قوة نفوذه في هذه المناطق، وقد كان لهذه المرحلة نتائجها في تسلمه لقيادة الجيوش الإمامية، عند نشوب الحرب ضد العثمانيين.

واستمرت جهود الحسن في صعدة فقد وجهه الإمام في سنة (١٠٣٢هـ/ ١٦٢٢م) لقمع الفتن والثورات التي نشبت بين قبائل خولان صعدة، والتي كان أخوه أحمد بن القاسم قد فشل في حسمها سابقاً.

وتكررت أوامر الإمام للحسن بن القاسم في سنة (١٠٣٥هـ/ ١٦٢٥م) بالاتجاه شمالاً إلى بلاد فيفا ووادي العمالسة في أقصى شمال صعدة لإخضاعهم لسلطة الإمامة القاسمية، وتقويم سلوكهم الديني وما تفشى بين أفرادها من ابتعادهم عن تعاليم الدين الإسلامي، فقد عم الجهل أفرادها ومناطقها[(١)].

يذكر المؤرخان الجرموزي والشرفي العديد من الأوامر العسكرية والإدارية التي وجهها الإمام المؤيد محمد إلى المناطق الشمالية لتأكيد سلطته ونفوذه، ونجاح الحسن بن القاسم في تنفيذ تلك المهمات التي أوكلها إليه الإمام، فقام بضم كثير من رجال القبائل الشمالية للجيش الإمامي، وتأسيس نظم إدارية ومالية متوازنة تبعاً لظروف المنطقة، لكسب ثقة وولاء الأقاليم الشمالية، ثم أخذ الرهائن من رجالها لضمان عدم تكرار قيام الفتن والثورات، وتسنى له في الأخير أن أرسل للإمامة الغنائم والأموال التي جمعها من المناطق الشمالية بحسب تعاليم الشرع الإسلامي[(٢)].

---

(١) الجرموزي: النص، ق٧١أ،ب، يحيى بن الحسين : غاية الأماني، القسم الثاني، ص٨١٩، وليد النود: قيام الإمامية في اليمن، رسالة ماجستير غير منشورة، ص ٢٠٦.

(٢) الجرموزي: النص، ق٧٣ب، الشرفي: اللآلئ المضيئة، مخطوط، جـ٣، ق٤٥١.

أرسل الحسن بن القاسم رسالة تقريرية من صعدة، وضح فيها الأعمال والمهام التي نفذَّها في الأقاليم الشمالية، وبيَّن فيها قدر المكتسبات المادية والعينية التي حصل عليها ومصادرها، وتضمنت رسالته نصيحة للإمام، مفادها ضرورة نقض الصلح المبرم مع العثمانيين، خاصة وأن الوالي العثماني تعمد منع وصول التجارة الخارجية إلى داخل اليمن.

وقام بملاحقة التجار المخالفين، غايته تقوية قبضته على الحياة الاقتصادية، «وكسر شوكة التجار» بحسب قوله، وإذلال المواطنين والأهالي في مصدر أرزاقهم بمحاصرتهم ومنعهم من التبادل التجاري [(١)].

كان الحسن بن القاسم حريصاً على تعريف الإمام بمصدر الأموال والغنائم والخيول والهبات التي حصل عليها، وبيَّن ما هو ملك خاص به وما يخص بيت المال أو الحق العام، فقد كان لزاماً عليه إطلاع الإمام على مختلف مجريات الشؤون العسكرية والسياسية والمالية.

أما الإمام المؤيد محمد فقد كان يعد العدة استعداداً لاغتنام الفرصة والوقت الملائم لإعلان الحرب ضد العثمانيين، وكان مصدر معلوماته تصله تباعاً على شكل رسائل قصيرة وتقارير من القادة والأمراء والمقربين من كل جهات اليمن.

تطورت الأحداث السياسية في مقر الإمامة في شهارة، فقد أقدم كثير من رؤساء القبائل على مراسلة الإمام المؤيد محمد ومطالبته بنقض الصلح، والعزم على محاربة العثمانيين، وزاد البعض على ذلك بأن أرسلوا إليه أبناءهم كرهائن لتأكيد ولائهم ومساندتهم له[(٢)].

ألزمت الظروف الإمام المؤيد محمداً إلى إرسال قوات بقيادة أخيه الحسن بن القاسم إلى مدن وأقاليم الحدود والأطراف الشمالية من اليمن، وقد استطاع الحسن إخضاع المناطق الشمالية لسلطة الإمامة القاسمية في وقت مبكر قبل نقض الصلح مع العثمانيين في صنعاء. وكانت من أولويات اهتمام الإمام المؤيد هو بسط سيطرته على الأقاليم الشمالية.

---

(١) الجرموزي: النص، ق٨٢أ،ب.

(٢) أ.د سيد مصطفى سالم: مراحل العلاقات اليمنية السعودية، ص٤٣.

تقدمت قبائل حيان وظهران ونجران الشمالية، وأعلنت طاعتها للإمامة، ونجح الحسن بن القاسم في غزو مناطق وادي العمالسة التي تسكنها قبائل دُهْمة وأخضعها لسلطة آل القاسم، وتوجه بعد ذلك إلى بلاد فيفا، وهي الأراضي المتصلة ببلاد قحطان في السراة وتهامة إلى قُربْ ضَمَدْ وبوصان، وأخضع قبائل هذه الأقاليم تحت طاعة الإمامة، فأحسن إليهم الحسن وأجزل العطاء الوفير (١).

وكان الإمام المؤيد محمد قد حرص في السنوات الأولى من قيامه أن يستطلع آراء وتبعية الأمراء والأشراف والشيوخ في إقليم عسير. فقد أرسل سنة (١٠٣٦هـ/ ١٦٢٦م) رسالة إلى السيد الحسين بن أحمد بن الحسين الخواجي صاحب صبيا، تضمنت تلك الرسالة سرد جملة من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي تحض وتحرض على الجهاد وتقديم العون في الحرب ضد فساد الحكم العثماني.

ويحذرهم من التهاون والتراخي عن ذلك. ثم يوضح في الرسالة الأسباب والمبررات التي أجبرته على إعلان الحرب ضد العثمانيين، ومنها سياستهم غير المرضية، واقترافهم المعاصي المتكررة، ثم يورد أسباب نقض الصلح المبرم مع العثمانيين، نتيجة نقضهم للعهود والمواثيق وسفكهم للدماء وانتهاك المحارم(٢).

أرسل الإمام قوات إلى أبي عريش لمساعدة الأهالي هناك، وتزامن ذلك مع توجه الجيش لمحاربة العثمانيين في سواحل تهامة الشمالية، ومنها أبو عريش. فنجحوا في الاستيلاء على قلعة أبي عريش، واستسلم الجنود الأتراك الذين بداخلها، وسلموا ما بأيديهم من السلاح والخيل والأموال، وتم إرسالهم إلى شهارة(٣). ودخلت قوات الإمام المؤيد محمد إلى مدينة أبي عريش وصبيا وبندر جازان، وأعلن الأشراف الخواجيين انضمامهم لدعوة الإمامة الداعية لحرب وطرد العثمانيين من البلاد (٤).

---

(١) الجرافي: المقتطف من تاريخ اليمن، ص٢١٣.

(٢) الجرموزي: النص، ق١٧٩ب-١٨١ب.

(٣) الشرفي: اللآلئ، مخطوط، جـ٣، ق٤٤٨.

(٤) نفسه ونفس المصدر، ق٤٨٣.

حرص الأشراف الخواجيون على إرسال نواب من طرفهم إلى الإمام المؤيد محمد في شهارة ليعلنوا دخولهم تحت طاعة الإمامة. وبالتالي فقد أرسل معهم السيد أحمد بن محمد الشرفي «على أن يكون مؤدياً عنَّا ما كنا نحب أداءه مشافهة»[(١)]، ثم أرسل الإمام السيد محمد الشرفي نائباً عنه في أخذ البيعة من الأشراف الخواجيين في إقليم عسير، وبالتالي ألزمهم بتقديم العون والمساعدة للجيش الإمامي، فنجح السيد الشرفي خلال الفترة التي قضاها هناك أن يجمع القدر الممكن من الرجال والخيل والبنادق، لكي يتم إرسالها إلى الجيش المرابط في تهامة[(٢)].

وقد ذكر المؤرخون تهاون ومماطلة الأشراف الخواجيين في الاستجابة لدعوة الإمامة في بداية الأمر، لكنهم حين قرروا الانضمام للإمامة اشترطوا على الإمام المؤيد أن يبقيهم على إمارة بلادهم، ثم يعلنوا طاعتهم وتبعيتهم إليها، وبالتالي عليهم إمداد الجيش الإمامي بما يستطيعون من المال والعتاد والخيل، فبادر الإمام بإعلان موافقته تلبية لطلبهم هذا بقوله: «إنَّا لا نشح بالولاية على من فيه كفاية». واشترط عليهم أن لا يتهاونوا في أداء حقوق الإمامة المالية، فقد فرض لهم من جميع واجبات الولاية الثلث والثلثان يتم تسليمها للإمام[(٣)].

تتابعت حملات الإمام المؤيد نحو الشمال في عسير، بغرض ضمها تحت إدارة المؤيد. ونجحت إرسالياته إليها. ودخلت القوات الإمامية إلى مختلف المدن في أبي عريش وقلعة جازان، وتمكنوا من هزيمة العثمانيين هناك فاستسلم البعض والبعض الآخر فروا عن طريق البحر[(٤)].

اتضح موقف الإمام المؤيد محمد بن القاسم، وسياسته الإدارية والعسكرية تجاه حكام وأمراء المناطق الشمالية، ونجح في كسب ولائهم إليه، ثم قام بتثبيتهم في مراكز ولاياتهم، وهؤلاء بدورهم اعترفوا بسلطة الإمامة في شهارة، وقدموا له كل الإمدادات والمعونات في

---

(١) الجرموزي: النص: ق١٨٣أ.

(٢) الشرفي: اللآلئ، مخطوط، جـ٣، ق٤٩٩.

(٣) الجرموزي: النص، ق١٨٥أ.

(٤) نفسه: ق١٧٧ب، يحيى بن الحسين: غاية الأماني: القسم الثاني، ص ٨٢٦.

فترات الحرب الأخيرة في تهامة. وقد رأينا انضمام شخصية مرموقة مثل السيد هاشم بن حازم العسيري إلى قوات الإمام، وكان من قادته في الحرب، وعندما استقلت اليمن عمد الإمام إلى تعيينه والياً على مدينة الضحي، ثم زبيد في تهامة.

تكررت نفس سياسة الإمام المؤيد محمد في إقليم بيشة، فقد وصل إليه الشريف حسين بن مغامس، وتعهد للإمام بضم الإقليم تحت نفوذ الإمامة وطرد السباهية العثمانيين منها، وحين دبَّ الخلاف مع ابن عمه الشريف ناصر بن دخيل الله، استطاع الإمام أن يُوقِعَ بينهما صُلحاً، ثم ولاَّهما حكم إدارة إقليم بيشة، وأصدر لهما سنة (١٠٤٠هـ/ ١٦٣٠م) قرار التفويض لإدارة حكم الإقليم[١].

حرص الإمام المؤيد محمد على تثبيت الأشراف والأمراء والقادة الذين ينضمون للإمامة في ولاياتهم تلك، وقد اتبع الإمام تلك السياسة ليضمن ولاءهم للإمامة وتقديم العون المادي والمعنوي له في فترة الحرب مع العثمانيين، وبعد الاستقلال استمر اعترافه بسلطتهم أيضاً طالما قاموا بأداء دورهم للدولة وإرسال العوائد والأموال الشرعية المفروضة للإمامة في شهارة.

وحين تيقن الإمام المؤيد محمد من دخول قبائل الأقاليم الشمالية تحت سلطته ونفوذه، خاصة مناطق الأطراف البعيدة عن سيطرة العثمانيين، علماً بأن كل تلك التحركات العسكرية تم تنفيذها قبل نقض الصلح مع العثمانيين وقبل توجه قواته لحصار صنعاء.[٢]

بدأ الإمام المؤيد محمد مع مطلع سنة (١٠٣٧هـ/ ١٦٢٧م) يجمع شتات قواته ورؤسائها وينظم أمور البلاد، ثم أرسل الرسائل والتوجيهات من شهارة إلى كل مناصريه لإعلان الحرب ضد العثمانيين. تضمنت توجيهاته التوجه صوب مدينة صنعاء لحصار العثمانيين فيها، وهي المعقل الرئيسي لهؤلاء، بعد أن عزم على نقض الصلح المبرم، كما سبق أن وضحنا.

عزم الإمام المؤيد محمد على إرسال الأوامر والتوجيهات للقادة المحاصرين للمدينة وعلى

---

(١) الجرموزي: النص، ق٢٣٤ب٢٤٠أ.

(٢) أ.د. سيد مصطفى سالم: مراحل العلاقات اليمنية السعودية، ص٤٢.

رأسهم إخوته، وقد حدد لكل منهم مهامه العسكرية وموقع تمركز حصاره للمدينة، ووزع الأدوار القيادية عليهم، ومنهم أحمد بن القاسم، فقد شارك في ذلك الحصار من منطقة الروضة في الجهة الشمالية لمدينة صنعاء[1].

اجتمعت القبائل من كل مناطق اليمن لمحاصرة العثمانيين داخل مدينة صنعاء، وقد أحكموا حصارها من مختلف الجهات. كان الحسن بن القاسم يترأس الفرق التي تمركزت في قرية حَدَّة وعُطَّان جنوب غرب صنعاء، والحسين بن القاسم طرح بقواته في أقاليم الحيمة غرب صنعاء، وحط أحمد بن القاسم في الروضة شمال صنعاء وتم توزيع بقية القادة على المناطق الشمالية والشرقية، وأصدر الإمام توجيهاته لجميع القادة وأمراء الجيش أن يتعاضدوا ويتعاونوا فيما بينهم ويتبادلوا إرسال المؤن والمدد في حالة المباغتة أو الهجوم من قبل القوات العثمانية[2].

قام الإمام المؤيد محمد بإرسال الرسائل والدعاة إلى مختلف المناطق والقبائل الموالية للعثمانيين، خاصة قبائل همدان وأمراء آل شرف الدين في كوكبان، حذرهم من الوقوف مع العثمانيين أو مد يد المساعدة والعون لهم، واشترط عليهم شرطين: إما إظهار تأييدهم وإعلانها ظاهراً أو الوقوف على الحياد وعدم تقديم المعونة لأي طرف من الأطراف المتحاربة[3].

وتعمد الإمام المؤيد محمد إرسال تحذيراته وتوجيهاته للقبائل المجاورة لمدينة صنعاء، خاصة قبائل همدان وبعض قبائل الحيمة وحذرهم من التعاطف مع العثمانيين، أو تقديم المؤن والعتاد للجيش العثماني. فقد قامت هذه القبائل بتدبير الحيل والتسلل أثناء الليل إلى محطة معينة يتفق عليها الطرفان لتهريب بعض المؤن والغذاء إلى داخل المدينة، فانكشفت هذه الطلعات المتسللة، وقام الحسن والحسين بتسيير دوريات ليلية في الطرقات المحاذية لصنعاء

---

(١) الجرموزي: النص، ١٠٧أ، ١٧٤أ،ب، عيسى بن لطف الله: روح الروح، مخطوط، جـ٣، ق٣، يحيى بن الحسين: غاية الأماني، القسم الثاني، ص٨٢٨.

(٢) الجرموزي: النص، ق٢٠٣ب، ٢٠٤أ.

(٣) نفسه: ق١٧٤ب.

والقبض على من يقوم بكسر طوق هذا الحصار الذي فرضته القوات الإمامية. وتم فرض الغرامات المالية على البعض وإنزال عقوبة الإعدام على من تجاسر وتمادى في تكرار تلك الأعمال[1].

وقد نجح قادة الإمام المؤيد محمد وعلى رأسهم الحسن والحسين في إحكام الحصار على صنعاء ثم تعز وباقي المدن الرئيسة، واتبعوا العديد من الإجراءات العسكرية المتنوعة التي تمكنهم من الاستيلاء على صنعاء بغتة وخدعة دون حرب، فقد حاولوا استمالة بعض قادة وأمراء العساكر العثمانيين، لكن كما يبدو أن هذه المحاولات باءت بالفشل.[2]

بذل الجيش اليمني جهوداً كبيرةً عند حصار صنعاء فأرسلوا دوريات عسكرية في كل الطرقات المحاذية لصنعاء، وأقاموا الحفائر والخنادق حول سور صنعاء الخارجي، وملاحقة وإنزال العقاب لكل من يمد يد العون والمساعدة للعثمانيين في المدينة، وقد عانى العثمانيون من جراء ذلك الحصار الكثير.

كان الإمام المؤيد محمد بن القاسم يتابع تحركات قواته حول صنعاء، فقد كان حريصاً على متابعة الجيش ورسم الخطط العسكرية لذلك الحصار وتوجيه القادة وإرسال الرسائل المتتابعة للقبائل المجاورة لصنعاء.

وفي نفس الوقت يجمع لجيشه الأموال والغذاء ويرسله إليهم. ونتساءل كيف تمكن الإمام المؤيد محمد، وهو البعيد جغرافياً في شهارة أن يتابع سير الأحداث والحروب؟ وتصله أدق تفاصيل الطلعات العسكرية وأحداثها ونتائجها، وبالتالي يوجه أوامره وتعليماته للقادة ويرسم لهم الخطط العسكرية ومناوراتها!! فهل خبرته السابقة في الحروب ساعدته على تخطي تلك العقبات وإدارة العمليات الحربية باقتدار ومن بُعد، ورغم أنه لم يخرج من شهارة منذ أن تسلم زمام الإمامة؟ فلعلّ وجود إخوة الإمام والقادة الآخرين في ساحة الحرب وما تميزوا به من قوة عزيمة ومقدرة قيادية ساعد على نجاح ذلك الحصار والتغلب على القوات العثمانية

---

(١) الجرموزي: النص: ق١١٨أ، ١٩٣أ،ب، ١٩٤،أب.

(٢) نفسه: ق١٨٦ب.

ذات التنظيم والتسليح العالي بمفهوم ذلك العصر. كل ذلك ساعد على تخطي كل العقبات وإدارة تلك العمليات، فقد كان الإمام المؤيد محمد حريصاً على أن تكون له عيون ترصد له كل شاردة وواردة عن سير الأحداث والمعارك، وتصرفات القادة ورؤساء القبائل، وترسل له التقارير العسكرية تباعاً ويُعرِّفونه بسير الأمور وأخبار الأحداث. وإلاَّ فكيف له أن يُلم بكل ذلك وهو البعيد جغرافياً في شهارة عن مركز العمليات حول صنعاء.

ضاق الحصار على حيدر باشا وقواته داخل صنعاء، والذي استمر حوالي عام كامل لاقى العثمانيون من هول ذلك كثيراً، ومن ثم أرسل حيدر باشا من طرفه سفيراً من أهالي صنعاء، بعد خمسة أشهر من بداية الحصار، يطلب هدنة خلال شهر رمضان، فاستجاب الإمام لهذا الطلب، لكن الوالي تراجع عن هذا الطلب حين وصلتهم المعونة من قبائل همدان غرب صنعاء[1]، فقد تم الاتصال والتآمر بين حيدر باشا وشيوخ هذه القبائل، على أن يتم مشاغلة الجيوش الإمامية عن حصار صنعاء، فقد أعلن بعض شيوخ قبائل الحجرة وأعلى الحيمة الإسماعيليين الثورة والعصيان ورفضوا دفع الحقوق المالية المستحقة عليهم، وقاموا بمهاجمة معسكر الحسين بن القاسم على حين غفلة، وأثناء انشغال الجيش الإمامي بصد ذلك العصيان، قامت هذه القبائل بمد العثمانيين بالمؤن المطلوبة؛ لكن الحسين بن القاسم تمكن من كشف خيوط هذه المؤامرة، وأرسل الإمام المؤيد بدوره رسائله ورسله إلى هؤلاء يُقَرِّعهم ويؤنبهم على تلك الأعمال الشنيعة بحسب رأي المؤرخ في حق القوات الإمامية، ثم قام الحسين باقتحام قراهم وحصونهم وكشف تآمرهم مع حيدر باشا الذي كان قد أمدهم بالسلاح والبنادق، وحرضهم على تلك الأعمال[2]. وقد ساعد على توالي انتصار قوات الإمام المؤيد محمد غفلة حيدر باشا عن أمور الولاية وانصرافه إلى السُكر والملاهي، وسار على نهجه موظفوه وقادته الذين بدورهم انغمسوا في غفلتهم كواليهم حتى فقدوا الحصون والكتائب، وخرجت عن سيطرتهم وفرغت أكثر قلاع اليمن من المؤن، ولم يعد للباشا إلاَّ صنعاء وعدن[3].

---

(١) الجرموزي: النص، ق١٢٣أ.

(٢) أ.د مصطفى سالم: الفتح العثماني، ص٣٦٩.

(٣) عيسى بن لطف الله: روح الروح، مخطوط، جـ٣، ص ٥.

ونتيجة لاضطراب سياسة حيدر باشا، فقد قام باتباع السياسة القمعية في حق بعض الشخصيات الهامة بالولاية منها: قتله لمحمد بن سنان باشا الكخيا في المخاء، وتخلص من أتباعه خوفاً من انتقامهم منه [1].

بيَّنت هذه الأعمال التي قام بها حيدر باشا ضعف مركزه ومركز العثمانيين في اليمن، فقد أدت تلك الأعمال أن فقدوا شخصيات كبيرة ذات مكانة هامة كان لها خبرة كبيرة في شؤون اليمن، وأظهرت هذه الأعمال ضعف شخصية الوالي ونزوعه إلى القتل واللهو وجمع الأموال والمتاع وانصرافه عن شؤون حكم الولاية، وترك في يد أتباعه الذين كانوا لا يختلفون عنه قيد أنملة في مساوئه.

كرر حيدر باشا طلب الصلح بعد أن فرغت مخازن صنعاء من الطعام والمؤن وعلف الحيوانات، واضطر الباشا إلى خفض قيمة العملة وإدخال النحاس عند سكها. وتقدم بطلب عقد هدنة لمدة ثلاثة أشهر، كي ينظر في أمره، وتوالت رسله إلى الحسن والحسين أبناء الإمام القاسم، ليعزز ذلك الطلب، وقد وافق الإمام على عقد الهدنة مع الجانب العثماني. أما الحسن والحسين فقد كرها ذلك الصلح، خاصة الحسن فقد كان يطمح ويتطلع إلى معاجلة الحرب على العثمانيين في صنعاء وإخراجهم كي يتمكن من التفرغ للحرب في ميدان آخر، وتجميع شتات الجيش لمحاصرة تعز خاصة مع وصول خبر استسلام بعض القادة العثمانيين، منهم الكتخدا عمر الذي سلم نفسه لأحمد بن القاسم في عمران [2].

وافق الإمام المؤيد على طلب الهدنة، تم تبادل العديد من المراسلات بين الجانب العثماني واليمني حول تثبيت شروط تلك الهدنة، فقد نصت بنود الاتفاق على خروج حيدر من صنعاء، وإطلاق الأسرى والرهائن بين الطرفين، وإعلان الأمان على الأنفس والأموال، وتسليم مدينة صنعاء لقوات الإمام، وإعطاء الوالي الحرية في اصطحاب الفرسان المقربين له

---

(١) أ. د سيد مصطفى سالم: الفتح العثماني، ص٣٩٣.

(٢) الجرموزي: النص، ق٤٠٥، يحيى بن الحسين: غاية الأماني، القسم الثاني، ص ٨٢٥، عيسى بن لطف الله: روح الروح، مخطوط، جـ٣، ق١٢.

والأموال التابعة إليه، ومنحه الأمان في المناطق التي تقع تحت نفوذ الإمام حتى يصل إلى زبيد[1].

تم تعميم نص الهدنة وإرساله إلى قادة الجيش الإمامي، وعلى رأسهم الحسن بن القاسم المرابط على أبواب تعز، فقد سبق له ومنذ بداية الهدنة الأولى أن ترك حصار صنعاء لأخوته الحسين وأحمد وبقية القادة، بعد أن تيقن من قوة الحصار والعزيمة القوية من الجميع فاتجه صوب تعز لحصارها بناءً على توجيهات الإمام كي يعمل على تشتيت جنود القوات العثمانية في مناطق عديدة، وقد نجحت هذه الخطة وعجلت من استسلام حيدر وطلبه الخروج من صنعاء إلى تهامة، وبناءً على تعهد الإمام للوالي فقد أرسل معه ابنه علي بن المؤيد، وعدداً من الشخصيات لحمايته في أثناء الطريق، لكي لا يتعرض للهجوم والمباغتة من قبل القبائل الثائرة على الوالي وسوء إدارته.

سار علي بن المؤيد صحبة الوالي حيدر باشا لحمايته بناءً على توجيهات الإمام المؤيد حتى وصل موكب الوالي إلى قاع الخبت بالمحويت بالقرب من تهامة، ومن هناك رجع أدراجه إلى صنعاء، وقد رأى الإمام أن يُسند حكم وإدارة صنعاء لابنه علي بن المؤيد، خاصة حين لمس التنافس عليها بين إخوته، وجعلها بنظر ابنه تلافياً لما قد ينشب بين الأخوة من التنافس والإحن على ولاية صنعاء[2].

كان للحسن والحسين رد فعل مخالف حول موافقة الإمام على خروج حيدر باشا من صنعاء وحمايته حتى وصل إلى زبيد.

ويذكر المؤرخون محاولات من قبل الحسن والحسين للهجوم على الوالي أثناء الطريق، وقاما بتحريض بعض القبائل للهجوم على موكب الوالي حيدر وقتله، وقد سبق وجاهر الحسن عن تذمره من تصرف الإمام وموافقته على خروج حيدر باشا وجنوده من صنعاء في نفس الفترة التي كان هو يحاصر مدينة تعز.

---

(١) الجرموزي: النص، ق ١١٦ب.

(٢) نفسه، ق ١١٧أ، عامر بن محمد: بغية المريد، مخطوط، ق ١٦٠، يحيى بن الحسين: غاية الأماني، القسم الثاني، ص ٨٣٠.

فقد خشي من تجمع القوات العثمانية في المخاء وزبيد، وربما قد يشكل هذا خطراً على قواته المرابطة خارج أسوار تعز، وتصبح تلك الفرق التي خرجت من صنعاء عضداً للجنود العثمانيين المحاصرين في داخل تعز.

قامت شرذمة من القبائل بملاحقة موكب الوالي حيدر بغرض قتله، لكنهم فشلوا، خاصة مع تلازم وحراسة علي بن المؤيد للوالي طوال رحلتهما تلك، وحرصه على تنفيذ عهد الأمان الذي منحه الإمام للوالي.

وصل خبر موقف الحسنين الرافضين لخروج حيدر من صنعاء سالماً وتحريضهما للقبائل بمهاجمة موكب الوالي، فاستشاط الإمام غضباً من موقف إخوته، وهمَّ أن يرحل بنفسه لكي يحافظ على وعده وأمانه الذي منحه للوالي العثماني، فأرسل برايته المنصورة المعروفة مع أحد أعوانه وكتب لابنه علي: «إنك تقاتل دون الباشا أنت ومن معك»[1]. فلما علم الحسين بن القاسم بموقف الإمام وغضبه من تآمرهما حال دون ذلك التصرف ورحل بنفسه ولحق بذلك الموكب ومنع القبائل التي كانت تلاحق موكب حيدر باشا من تنفيذ ذلك الاتفاق وأمرهم بالرحيل كلٌ إلى جهته، وسار موكب الباشا حيدر بأمان حتى وصل إلى زبيد في شعبان سنة (١٠٣٨هـ).[2]

إذا تلمسنا موقف الحسن والحسين من حيدر باشا، وكذلك موقف الإمام فنرى أن موقف كلا الطرفين إيجابي ومبرر، كان الحسن يخشى أن يؤدي خروج حيدر من صنعاء وإعطائه الأمان حتى يصل إلى مأمنه فيعمل على تجميع قواته في المدن الرئيسية التهامية مثل زبيد والمخاء، فيشكل تجمعهم هذا خطراً على قوات الإمام، وقد تصلهم إمدادات عن طريق البحر فيتقوّى عضدهم، وبالتالي قد يفكرون بالانتقام والرجوع إلى صنعاء لاستعادة ما فقدوه من نفوذ وسيطرة في الأقاليم الجبلية.

أما الإمام المؤيد محمد فقد كان موقفه أمراً حتمياً؛ لأنه أعطى وعده وأمانه للوالي بعدم

---

(١) الجرموزي: النص، ق ١٢٥ب.

(٢) نفسه: ق ١٢٦أ.

التعرض له حال خروجه من صنعاء مع تنفيذ بقية الشروط التي وضعها الطرفان العثماني واليمني، ولعل غاية الإمام الأساسية كانت تتمحور حول وضع يده على العاصمة صنعاء وأهم المدن التي كان يرابط فيها الجيش العثماني ووالـيهم، وبالتالي يوفر الجهود العسكرية والبشرية لمساعدة أخيه الحسن في أثناء حصار تعز. إلى جانب أن الإمام كان يرمي إلى حصر القوات العثمانية في مساحة جغرافية محدودة في المدن التهامية، وبالتالي يتم تجميع القوات الإمامية ويعمل على حصار العثمانيين في إقليم مُعَيَّن، وقد صدق حدس وتخطيط الإمام، ورأينا نجاح وتفوق القوات الإمامية عندما قامت بمحاصرة القوات العثمانية في زبيد والمخاء.

ونلاحظ أنه مع تزامن هذه المرحلة أي مرحلة المفاوضات، ثم طلب الهدنة وخروج حيدر باشا من صنعاء، وتواصل حصار الحسن للعثمانيين في تعز، أرسلت السلطنة العثمانية عابدين باشا والي الحبشة سنة (١٠٣٧هـ) أرسلته مدداً وعوناً لحيدر باشا وعضداً للقوات العثمانية في اليمن، لكن ومن خلال سير الأحداث نلاحظ أن هذا الوالي لم يقم بأي دور ملحوظ، ولم يحقق النجاح الذي كانت تأمل منه السلطنة.

كان لضعف السلطنة وتواني والي مصر عن مد يد العون للولاة في اليمن تدهور الأوضاع السياسية والاقتصادية للجنود العثمانيين فيها. ونتيجة للظروف الطبيعية والبشرية الخاصة باليمن وصعوبة تجهيز الحملات العسكرية إليها، كان هذا كله من أهم العوامل التي أدت إلى إهمال شؤون اليمن في ذلك الوقت [1].

تزامن في تلك الفترة وقوع عدة أحداث منها خروج حيدر باشا من صنعاء ووصول عابدين باشا إلى اليمن، ونشوب كثير من الحروب في كل أرجاء اليمن شماله وجنوبه. وفي نفس الفترة تم الاستيلاء على مدينة تعز بقيادة الحسن بن القاسم، واستقر حيدر باشا في زبيد. فقد كان الحسن يتوجس خيفة من حيدر باشا ومن محاولاته المتكررة لإمداد العساكر العثمانيين المحاصرين في داخل مدينة تعز بالمعونة، خاصة وقد سبق له أن قام بتوزيع كثير من

---

(١) أ.د سيد مصطفى سالم: الفتح العثماني لليمن، ص٣٩٨.

الأموال والعطايا على الجنود، لكي يحفزهم ويشجعهم على الصمود والقتال أثناء حصار تعز[1].

تبلورت الأحداث التاريخية بعد ذلك بمحاولات ضعيفة من قبل السلطنة بإرسال حملة عسكرية بقيادة أحمد باشا، ولكن تلك الحملة غرقت عند ميناء جدة، وتضاربت الأنباء حول مصير هذه الحملة، وعند قدوم عابدين باشا من الحبشة دخل في صراع ضد حيدر باشا، وحبك خيوط مؤامرته ضد الوالي حيدر باشا طمعاً في الأموال التي بحوزته، وللتخلص منه قام بإلقاء القبض عليه وأرسله سجيناً إلى جزيرة كمران بحجة موالاته للإمام المؤيد محمد، وتسليم مدينة صنعاء، واستولى عابدين باشا على مطلق الأمور وأصبح هو صاحب السلطة في المخاء وزبيد، وتعاون معه بقية الأغوات والأمراء طمعاً في عطاياه[2].

كثف الإمام المؤيد محمد من طلعاته العسكرية، وأرسل الفرق إلى مختلف النواحي والمدن التي ما زالت إما مؤيدة للعثمانيين ومحرضة لهم أو متقاعسة عن مساندة القوات الإمامية بالإمدادات الضرورية، وخاصة في المناطق التهامية الشمالية، فقد جهز الإمام المؤيد السيد أحمد بن محمد لقمان، والسيد أحمد بن المهدي بعدد من الفرق العسكرية، وصرف لهم الإمدادات اللازمة، وأمرهم بالتوجه إلى تهامة الشام لصد غارات الفرق العسكرية العثمانية القادمة من الشمال[3]، وتوجه الحسن بن القاسم بأمر من الإمام لغزو قبيلة (الْزغَارِير) التي كانت موالية للعثمانيين في تهامة.

ولم تتوقف الطلعات الحربية والعسكرية من قبل الحسن والحسين إلى كل المناطق الوسطى، وخاصة المناطق التي ما بين زبيد وتعز، ثم عزز الإمام المؤيد محمد طلعات قواته الحربية بأن أرسل جماعة من العلماء والقادة إلى أبي عريش وبندر جازان وساندهم في تلك الطلعات أهالي صبيا والهيجة والأشراف القطبية في عسير، وتم مطاردة بقية الجنود العثمانيين

---

(١) الجرموزي: النص، ق١٢٧أ.

(٢) نفسه: ق١٢٧أ،ب، أ.د سيد مصطفى سالم: الفتح العثماني لليمن، ص٣٣٨، يحيى بن الحسين: غاية الأماني، ص٨٣٠.

(٣) الجرموزي: النص، ق١٤٣أ.ب، ٤٤أ.

في هذه المناطق حتى هربوا عن طريق البحر [1].

تعمد الإمام أن تتزامن حملاته العسكرية في تهامة وبعض المناطق الوسطى والشمالية مع حصار تعز، حتى تم الاستيلاء عليها وإخراج العثمانيين منها.

كانت تعز من المدن الهامة التي حرص العثمانيون على الصمود والدفاع عنها، وبها قلعة القاهرة التي تحصن الجنود العثمانيون فيها. لكننا سنلاحظ أن الحسن سينجح في اقتحامها ودخول مدينة تعز بعد حصار دام سنة كاملة.

وكان عابدين باشا قد حاول القيام بعدة طلعات عسكرية تزامنت مع حصار مدينة تعز، وغايته مساندة العثمانيين المحاصرين داخل المدينة ولإشغال جيش الحسن بن القاسم وتشتيت قواته، فتقدم عابدين باشا بقواته باتجاه مدينة تعز فاصطدم بالجيش الإمامي بقيادة الحسن بن القاسم في معركة نجد قسيم في المحرم من سنة (١٠٣٨هـ/ ١٦٢٨م) بالقرب من تعز في قرية الجند. وقد نجح الحسن بن القاسم أن يلحق به الهزيمة، ويطارد فلول قواته، وقد كان لهزيمته تلك أثرها السيء في نفوس العثمانيين فأدت إلى إضعاف معنوياتهم وفشلهم، مما أدى إلى تقاعد عابدين باشا في المخا، وتوالى فرار الجنود من السواحل إلى كمران [2]. أما الجانب الإمامي فقد أزالت هذه المعركة الخوف والرهبة من قلوب اليمنيين نتيجة لما سمعوه عند قدوم عابدين باشا إلى اليمن واصطحابه لقوات قد يعجز عن ردعها اليمنيون [3].

وسنرى نتيجة للانتصار الذي حققته قوات الحسن في معركة نجد قسيم بالقرب من تعز، خاصة حين تلمَّس الحسن المحاولات اليائسة من قبل العثمانيين لكي يثبّتوا وجودهم مع قدوم عابدين باشا، لذا فقد عزم الحسن على مطاردة الجنود العثمانيين حتى دخلوا مدينة المخاء ودارت معركة بين الطرفين داخل المدينة، وقد نجح العثمانيون في تلك المعركة، نتيجة لتحصنهم في أعلى الدور مع مدافعهم وتغلغل قوات الحسن فيما بين المنازل، وتوالى الرمي

---

(١) الجرموزي: النص، ق١٧٧أ،ب، ١٧٨أ،ب، الشرفي: اللآلئ، جـ٣، ص٥٧١.

(٢) SIR WILLAM FOSTER: THE RED SEA AND ADJACENT COUNTRIES، P94

(٣) أ. د سيد مصطفى سالم، الفتح العثماني، ص٣٩٩.

على اليمنيين من كل الجهات من البحر ومن البر، مما ساعد على انتصار العثمانيين وهزيمة قوات الحسن وخسارتها للعديد من الأرواح[1].

ويرجع سبب تلك الهزيمة أن العثمانيين دافعوا عن المدينة والميناء بقوة؛ لأنها تعتبر المعقل الوحيد لهم في اليمن، إلى جنب زبيد؛ ولأنها الميناء الوحيد المتبقي لهم على الساحل ولتمكنهم من الاتصال الخارجي بالسلطنة، وقد استماتت الجنود العثمانيون في الدفاع عن المدينة وأحكموا سُبل المواجهة. ومع توالي الرمي على قوات الحسن بن القاسم وسقوط كثير من القتلى، وفي الوقت ذاته انشغل بعض قواته بجمع الغنائم، فأدى ذلك إلى هزيمة قوات الحسن في هذه المعركة، وخروجهم من مدينة المخاء[2].

جرت مراسلات عديدة بين عابدين باشا والإمام بعد معركة المخاء بغرض عقد هدنة بين الطرفين، وقد رأى الإمام المؤيد المصلحة العامة في عقد هذه الهدنة لعدة أسباب لعل أهمها منح الجيش الإمامي فترة من الراحة والسكون، خاصة أنهم كانوا يقاتلون في مناطق تتصف بشدة الحرارة، وقفار بعيدة عن المراكز الهامة التابعة للجيش الإمامي، وكذلك قدوم موسم رياح وعواصف وأمطار شديدة أعاقت تقدم وحركة الجيوش، ولعل من أهم الأسباب التي دعت الإمام إلى عقد الهدنة عدم تعاون أهالي تلك المناطق مع الإمام والامتناع عن تقديم المساعدة للجيوش.

وقد اشترط الإمام المؤيد محمد أن يكون الصلح على المخاء وزبيد فقط، وأن يُسلم عابدين باشا مبلغاً وقدره عشرة آلاف حرف للحسن بن القاسم [3].

رافق الحروب على تعز وحصارها حروباً متفرقة، وطلعات عسكرية متنوعة قادها الحسن وإخوته، شملت مدناً مختلفة في إِبْ وجِبْلَةَ وعلى جبل سُمارة ومدينة يَرِيْم وعُتمة، وغيرها من المدن الممتدة ما بين ذمار وتعز، ورافق ذلك إخراج الحاميات والفرق العثمانية من المدن تلك

---

(١) الشرفي: اللآلئ المضيئة، مخطوط، جـ٣، ق٥٧٣.

(٢) أ.د سيد مصطفى سالم: الفتح العثماني، ص٣٩٩، يحيى بن الحسين: غاية الأماني، القسم الثاني، ص٨٢٩.

(٣) الشرفي: اللآلئ، جـ٣،ص٥٧٤.

حتى تمت السيطرة على كل المدن في نفس الفترة التي كان جيش الحسن يُحاصر مدينة تعز ويمنع الصادر والوارد إليها، وقد عانت الحامية العثمانية في داخل المدينة الأهوال من جراء ذلك الحصار.

وإذا ما تطرقنا إلى شرح تفاصيل الحرب التي دارت حول مدينة تعز وحصارها الذي استمر لمدة عام كامل إلى سنة (١٠٣٨هـ/ ١٦٢٨م)، فسنجد أن قوات الحسن بن القاسم استقرت خارج أسوار مدينة تعز، واشتد الحصار حول المدينة، وفرق قادته وأصحابه للتمركز حول أبواب ومنافذ المدينة الهامة منها باب موسى، والمداجر، والخضيرية وأعلى قلعة القاهرة في الطريق المؤدي إلى جبل صبر، وحرص الحسن على إعمار معسكره خارج المدينة، وشجع الأهالي على إقامة الأسواق فيها، وقام ببناء النُوَبْ وإقامة المتاريس للعساكر، واستمر ذلك الحرب والحصار سجالاً بين الطرفين ليلاً ونهاراً، وامتنع الحسن عن ضرب المدينة بالمدافع رفقاً بالناس والأهالي داخل المدينة، وحاول تدبير الحيّل المختلفة لدخول المدينة واختراق الحراسة الشديدة على الأسوار. وقام بحفر الخنادق والأنفاق وبناء السلالم، وتكررت محاولاته تلك، لكنه فشل ولم يتمكن من فتح واختراق أبواب وأسوار المدينة(١).

وقد تخلل ذلك الحصار إبرام العديد من الاتفاقيات بين الجانب اليمني والعثماني وكثيراً ما يُعلن الحسن بن القاسم عن امتعاضه وعدم رغبته في إبرام أو عقد أي هدنة، لكن بناءً على أوامر الإمام يمتثل للأمر الواقع، مع أن تلك الاتفاقيات كانت تشترط إطلاق سراح الأسرى بين الطرفين(٢).

خلال فترة الصلح المبرم بين الطرفين اليمني والعثماني ينشغل الإمام واخوته وبقية القادة بأمور وحملات عسكرية متفرقة، وظهرت بعض مظاهر العصيان والاضطرابات في مناطق مختلفة من المناطق الوسطى، كان أهمها إعلان الأمير السلمي صاحب الحجرية الثورة في الحُجرية ويَفْرس والمناطق المحاذية لتعز وزبيد، ورفضه سابقاً إمداد الجيش الإمامي بالمؤن

---

(١) الجرموزي: النص، ق٢٠١ب-٢٠٣أ،ب. بروار وكبلانيان: اليمن في أوائل القرن السابع عشر، ص١٧٣.

(٢) الجرموزي: النص، ق٢٠٤أ.

والغذاء المتفق عليه[1].

كان قانصوه باشا أثناء فترة ولايته يعمد على تحريض شيوخ القبائل في المناطق والأقاليم المحاذية لتهامة، إما في يافع أو في المناطق الوسطى في منطقة الدمنة (الحجرية) غايته جمع الأنصار والمؤيدين من أهالي المناطق الوسطى للخروج من دائرة الحصار الذي فرضه عليه الجيش الإمامي بقيادة الحسن بن القاسم، وقد تذبذبت علاقة الأهالي السياسية والعسكرية بالإمام في هذه المناطق، وظلوا بين الحين والآخر يعلنون العصيان ضد التبعية للإمامة، وخاصة مع قرب وجود النفوذ العثماني في المدن والأقاليم التهامية والجنوبية من اليمن، اتضحت تلك الصورة عندما قام أحمد بن شعفل أحد حكام يافع بإعلان تمرده وعصيانه ضد الإدارة الإمامية واستقوى بالوجود العثماني، لكن الحسن بن القاسم جرد جيشاً لمحاربته وقمع تمرده، ونجح في نهاية الأمر أن يخضع قبائل هذه المناطق، وفرار المحرض الأول لهذه القبائل في هذه الثورة، وهو ابن شعفل، وعمد الحسن إلى تعيين أخيه الشيخ جعفر بن شعفل، وأرسل للإمام تقريراً مفصلاً يطلعه على سير الأمور في هذا الإقليم، فيذكر: «ووجهنا الأمير جعفر بن شعفل إلى بيوتهم، وأقمناه مقام أخيه في جميع الأمور، وقدرنا يده على ما يعتاده من قبله من العوائد، وألزمنا عليه من الإدراك في الطرقات وصلحت تلك البلاد»[2].

وقد تكررت مظاهر التمرد ضد الإمامة في منطقة الدمنة (الحجرية) قبل نشوب معركة نجد قسيم سنة (١٠٣٧هـ/ ١٦٢٧م) فقد أعلن بعض مشايخ هذه البلاد التمرد والعصيان ضد الإمامة، نتيجة علاقة هؤلاء بالعثمانيين واستمرار تحريض قانصوه باشا لهم، وقد حاول الحسن ردهم عن ذلك بالحسنى، فازدادوا نفوراً، ولكنهم رضخوا للأمر الواقع مع تنامي قوة الإمامة وهزيمة العثمانيين وحصارهم في تهامة[3].

---

(١) الشرفي: اللآلئ، مخطوط جـ٣، ق٥٧١.

(٢) نفسه، جـ٣، ق٦٠٦.

(٣) نفسه: ق٥٧١.

سنلاحظ أن مشايخ هذه المناطق رفضوا إعلان التبعية التامة للإمامة في بادئ الأمر، إما خوفاً على مصالحهم وعلاقاتهم بالعثمانيين المحرض الأول لهذه الثورات والتمردات، وهو الواضح في ذلك الوقت، أو لرغبتهم الاستقلالية بإدارة مناطقهم بعيداً عن نفوذ وسياسة الإدارة الإمامية.

رأينا خلال العرض السابق تشتت القوات الإمامية في كل أقاليم اليمن، وبالتالي قيام الإمام المؤيد محمد بالإشراف على كل تلك الحروب والاطلاع على نتائجها والتحري في كيفية النفقات والصرفيات ثم تصدره عند إبرام الاتفاقيات والمراسلات التي دارت بين الطرف العثماني والطرف اليمني حول هذه الأمور.

وسنرى الأسباب الحقيقية والجوهرية التي مكَّنت الحسن بن القاسم وقواته من دخول مدينة تعز والاستيلاء عليها، رغم قوة وبسالة الحامية المرابطة بداخل المدينة. فقد أرسل حيدر باشا قبل استسلامه وخروجه من صنعاء الأموال الوفيرة، وأمر بتوزيعها على العساكر والجنود داخل المدينة اعترافاً بقوتهم وبسالتهم، لكن عند توزيع الأموال تم المحاباة بين أفراد الجنود والقادة في داخل المدينة عن الحامية المرابطة في قلعة القاهرة، وتم تسليم الجنود في المدينة الكثير من البقشيش، وتحايلوا على حامية القاهرة وأعطوهم اليسير من تلك الأموال رغم تكبدهم صعوبة الحصار في القلعة وحماية المدينة من الهجوم، فاشتد غضب آغا حامية قلعة القاهرة لهذا التحايل والمحاباة في توزيع الأموال، وأضمر في نفسه الرد على هذا التحايل بالانتقام، فأرسل للحسن بن القاسم المرابط خارج الأسوار، واتفق معه على أن يقوم بفتح الأبواب والسماح لقوات الحسن بالدخول إلى مدينة تعز، نكاية في الوالي وقواته الذين تسلموا إكراميات تفوق ما تم تسليمه لجنوده في قلعة القاهرة، وتم تنفيذ ذلك الاتفاق وتسهيل دخول القوات الإمامية إلى المدينة والسيطرة عليها تماماً، وبناءً على ذلك استسلمت العساكر العثمانية وتم إرسال قادتهم إلى شهارة، وأكرم الحسن بن القاسم قائد الحامية في قلعة القاهرة عثمان آغا، وأجزل له العطاء، ثم تفرغ لتعمير المدينة وإرسال فرق عسكرية متفرقة

للاستيلاء على حصن حَبّ والتَّعكر القريبين من مدينة تعز [1].

حرص الحسن بن القاسم على إرسال تقرير مفصل إلى الإمام المؤيد محمد، يشرح فيه الأحداث العسكرية والسياسية التي واجهته مع جيشه أثناء حصار مدينة تعز، والأسباب والدوافع التي ساعدت على فتح أبواب المدينة، وشرحاً مفصلاً للصعوبات التي واجهته أثناء خوضه غمار تلك الحرب أثناء الحصار حتى تم الاستيلاء على مدينة تعز [2].

تضمنت رسالة الحسن بن القاسم الأفكار والنقاط التي تعبر عن المعاناة التي واجهت الجيش، وتخلل الخطاب أو التقرير على شرح صادق عن كل المتاعب والصعوبات التي واجهت الحسن وقواته أثناء الحصار، وبيَّن مدى قوة وبسالة الحامية العثمانية داخل المدينة وارتباط الأهالي بهم، والسيطرة عليهم، ونتيجة لقوة ومناعة سور المدينة وحصانتها واستماتة الجنود العثمانيين دفاعاً عن مداخل المدينة مما خلق له كثيراً من المتاعب والخسائر في الأموال والأرواح، وأدى طول الحصار إلى ظهور ما يسمى بالطابور الخامس بين الجنود وتعاون هؤلاء مع قواته.

خرج العثمانيون من مدينة تعز وصنعاء وباقي المدن الشمالية، وتم حصرهم في المدن التهامية، وخاصة في زبيد والمخا، وتفرغ الإمام المؤيد محمد وإخوته ورجال دولته لشؤونهم الداخلية وللإصلاحات وتعمير ما تم خرابه أثناء الحروب السابقة.

ظهرت بعد ذلك محاولة أخيرة من جانب ولاة مصر لإنقاذ السيطرة العثمانية في اليمن، وتمثلت تلك المحاولة بتعيين والي جديد لليمن، بدلاً من حيدر باشا، وصاحب إرسال الوالي الجديد إرسال قوات عثمانية عسكرية كمحاولة لإظهار قوتهم حينذاك، فأرسلت السلطنة الوالي أحمد قانصوه باشا آخر والي قدم إلى اليمن في هذه المرحلة التاريخية، وقد حاول بذل جهود صادقة لاستعادة نفوذ وسيطرة العثمانيين في اليمن، لكنها كانت جهوداً يائسة مُنيت

---

(١) الجرموزي: النص: ق١٤٦ب-١٤٧أ،ب، الشرفي: اللآلئ، مخطوط، جـ٣،ق٥٩١، بروار وكبلانيان: اليمن في أوائل القرن السابع عشر للميلاد، ص١٩٣.

(٢) الجرموزي: النص، ق ١٤٨أ.

بالفشل، وتم في عهده خروج العثمانيين من اليمن.[1]

يرجع سبب فشل قانصوه باشا في ولاية اليمن إلى حالة التردي الذي وصلت إليها العساكر العثمانية، وبث الدسائس والمؤمرات والمكائد على بعضهم البعض طمعاً في السلطة والمال، وقتل بعضهم البعض، فقد تآمر عابدين باشا على حيدر باشا ونفاه إلى جزيرة كمران، واستولى على السلطة والولاية من يد حيدر باشا. وقد رأينا أن عابدين باشا لم يتم إرساله إلى اليمن إلاَّ ليكون عوناً للعثمانيين وللوالي في ذلك الحين، لكن أطماعه قادته إلى أكثر من ذلك وتآمر ضد حيدر باشا بمساعدة بعض القادة والعساكر بعد أن أوغر صدورهم بأن الوالي حيدر تعاون مع الإمام المؤيد وخان السلطنة وسلم صنعاء للإمامة. وحين قدم قانصوه باشا إلى اليمن قتل عابدين باشا، بحجة أنه أساء معاملة الوالي السابق حيدر باشا واستولى على الأموال التي كانت بحوزته[2].

أما موقف الجانب اليمني من الأحداث التاريخية تلك فقد تفرغ الحسن لإعمار مدينة تعز، وتقرب من الأهالي وأحسن إليهم ونشر العدل فيما بينهم،[3] ودأب الإمام المؤيد وبقية الأخوة والقادة على إصلاح المدن وتعميرها، وجمع الأموال وحشد الطاقات والجهود استعداداً للمرحلة القادمة من الأحداث، وقيام الحرب في تهامة.

قدم الوالي الجديد قانصوه باشا إلى اليمن عن طريق الحجاز، وتركزت أعماله في تهامة، وفشل في التوغل إلى داخل اليمن نظراً للاستعدادات الضخمة التي أعدها الإمام ورجال دولته منذ أن علم بضخامة القوات التي اصطحبها معه، وقد أسهب معاصروه في وصفها وبالغوا في تقدير قوتها وعتادها، لكننا نرى أن هناك مبالغة في تقدير هذه الحملة، نظراً للظروف المختلفة التي أحاطت بها، وأيضاً ظروف القوات المتواجدة في اليمن[4].

تعمد قانصوه باشا أن ينزل بقواته في ميناء أبي عريش في أقصى شمال اليمن، لاستعراض

---

(١) أ.د سيد مصطفى سالم: الفتح العثماني، ص٤٠٠، يحيى بن الحسين: غاية الأماني، القسم الثاني، ص٨٣١.

(٢) الجرموزي: النص، ق١٦٥ب، يحيى بن الحسين: غاية الأماني، ص٨٣٢،

(٣) الجرموزي: النص، ق١٧٨أ.

(٤) د/ سيد مصطفى سالم: الفتح العثماني، هامش ص٤٠٠.

قواته ولإشاعة الخوف بين اليمنيين، وقد نجح إلى حد ما، وقام قانصوه باشا بعد ذلك بتجميع شتات القوات العثمانية في تهامة، ونجح إلى حد ما في استرجاع بعض المناطق في تهامة وعلى السواحل اليمنية[1].

قام قانصوه باشا بالعديد من الإجراءات العسكرية والسياسية لتأكيد سلطته وإظهار قوته بين جنوده وبقية الجنود العثمانيين في زبيد والمخاء. فقد أقدم على قتل كل من يعارضه في قول أو فعل، منها قتله عابدين باشا بتهمة سوء معاملته للوالي السابق حيدر باشا، وألصق تهمة الخيانة لكثير من الجنود العثمانيين، ليتمكن من قطع مستحقاتهم المالية المقررة، وتعمد قتل كثير من علماء ومشايخ تهامة، منهم الشيخ أحمد بن جعفر الصوفي من علماء بيت الفقيه بن عجيل بتهمة أنه لم ينفذ أوامره، ويجمع خمسمائة حمل من الطعام (الحبوب) وموالاته وتعاطفه مع الإمامة[2].

كان قانصوه باشا يتعمد إظهار قوته العسكرية، ونشر خيام الجنود ومعسكراتهم خارج مدينتي المخاء وزبيد بهدف استعراض قواته، ولإدخال الخوف والرهبة في نفوس اليمنيين، وقد نجح إلى حد ما.

لكن تلك الاستعراضات العسكرية التي تعمد القيام بها الوالي فلم يكن بمقدوره أن يتعدى بها الحدود ما بين المخاء وزبيد وبعض السواحل التهامية المحاذية لهما، نظراً لسيطرة القوات اليمنية لجميع أقاليم اليمن ومدنه، وسنرى لاحقاً قيام قانصوه باشا باتخاذ عدد من الإجراءات العسكرية، لكي يكسر طوق الحصار الذي فرضه الجيش اليمني على قواته.

أما الجانب اليمني متمثلاً بالحسن بن القاسم وبقية الإخوة، وبناءً على توجيهات الإمام المؤيد، فقد قاموا بالعديد من الإجراءات العسكرية الاحترازية لمواجهة ما يمكن أن يقوم به الوالي الجديد من حركات وطلعات عسكرية في تهامة.

---

(١) الجرموزي: النص، ق١٧٧أ،ب، يحيى بن الحسين: غاية الأماني: القسم الثاني، ص٨٣١، د/ سيد مصطفى سالم: الفتح العثماني لليمن، ص٤٠٠.

(٢) الجرموزي: النص، ق١٨٧أ، يحيى بن الحسين: غاية الأماني، القسم الثاني، ص٨٣١.

تدفقت القوات اليمنية إلى تهامة وحط الحسين بن القاسم بمعسكره في منطقة الدن بوصاب، وقام بتوزيع جنوده على بقية المدن المحاذية لتهامة في بُرعْ ووُصاب السافل وعُتمة. وأرسل للقادة والأمراء لأخذ الحيطة والتَّيقظ مما قد يقدم عليه العثمانيون ووالييهم الجديد مع توارد أخبار طلعاته العسكرية السريعة في سهل تهامة. (١)

جمع الحسن بن القاسم قواته في مدينة إب ثم ألقى عليهم أوامره وخططه العسكرية القادمة، وعيَّن منهم قادة على بعض الفرق العسكرية التي أرسلها إلى جهات ومدن محاذية وقريبة من معسكر صنوه الحسين ابن القاسم لمواجهة أي حركة قد يقدم عليها العثمانيون في تهامة، وحطَّ بمعسكره على جبل الزواقر في إقليم ذي سفال، وهي منطقة استراتيجية تطل على تهامة، ولكي يتمكن من حفظ المدن والإشراف على جميع الطلعات العسكرية. (٢) نتيجة لكل تلك الإجراءات العسكرية لكل من الطرفين العثماني واليمني، أراد قانصوه باشا أن يستعرض قوته العسكرية فزحف بقواته إلى منطقة نجد مخيرب بالقرب من شرعب، وهي أقرب ما تكون إلى تهامة. (٣) وكان الحسن بن القاسم قد شدد على حراسة أغلب هذه المناطق، وعيَّن عليها قادته المشهود لهم بالقوة والفطنة العسكرية، منهم الأمير سنبل الذي كان له دور كبير في هزيمة العثمانيين في معركة نجد المخيرب سنة (١٠٣٩هـ) يسانده في تلك المعركة فرق عسكرية متتالية أرسلها الحسن بقيادة أخيه الحسين بن القاسم (٤).

نتيجة لتكاتف الجهود المبذولة من قبل قوات الإمام المؤيد تمكن هذا الجيش رغم إمكانياته العسكرية المتواضعة أن يُحسم نتيجة هذه المعركة لصالحه، وهروب فلول الجيش العثماني صوب تهامة بعد فشله في تلك المحاولة اليائسة.

تعمد الحسن بن القاسم بعد هذه المعركة التشديد على حصار العثمانيين في تهامة، وقام بقطع طريق حيس جنوب الحديدة ليمنع وصول المؤن المختلفة في تهامة. وأوصاهم بالتأهب

---

(١) الجرموزي: النص، ق١٨٧ب، يحيى بن الحسين: غاية الأماني، القسم الثاني، ص٨٣٢.

(٢) الجرموزي: النص، ق١٨٨ب، الجنداري: الجامع الوجيز، مخطوط، ق١٣٦.

(٣) يحيى بن الحسين: غاية الأماني، القسم الثاني، ص٨٣٢.

(٤) الشرفي: اللآلئ، مخطوط، جـ٣، ق٥٩٩-٦٠٣.

للزحف إلى قفار تهامة والاستعداد للحرب الكبرى التي سنأتي على تفاصيلها لاحقاً.

أسهب مؤرخنا الجرموزي الشرح عن تفاصيل معركة نجد المخيرب سنة (١٠٣٩هـ/ ١٦٢٩م) والأعمال السياسية والعسكرية التي قام بها الحسن والحسين ويعاونهما في تلك الجهود بقية القادة والأمراء، أمثال الأمير سنبل، ثم شرح تفاصيل طويلة عن هزيمة العثمانيين وهروب الجنود والغنائم والأسلحة التي حصل عليها اليمنيون، وخلال ذلك الشرح لم يغفل دور الإمام المؤيد محمد في تكبده لعناء جمع أموال العتاد والمؤن المختلفة من شهارة وما حولها من الأقاليم الشمالية وإرسالها للجيش في تهامة.

ويتضح من خلال سير الأحداث العسكرية أن الإمام المؤيد محمداً كانت تصله تقارير ورسائل مفصلة، تُعرِّفه عن سير المعارك والطلعات الحربية والانتصارات والهزائم وأسبابها وتحركات الجنود والقادة، وكثيرٌ من الشؤون المتصلة بأخبار تلك الأحداث. وقد ذكرها الإمام المؤيد محمد بتفاصيلها في محتوى رسائله التي أرسلها للشريف مسعود بن إدريس في مكة، ولعلي باشا والي إقليم الحسا[(١)] شمال شرق الجزيرة العربية.

وصل إلى الحسن بن القاسم بعض قادة وأمراء من الجيش العثماني يلتمسون عقد هدنة وصلح لمدة عام كامل، وقد اتفق الطرفان اليمني والعثماني على إبرام ذلك الصلح، بعد مشاورات ومداولات بين الإمام المؤيد وإخوته وقادة الجيش، فتم عقد الهدنة بين الطرفين في أول رجب لسنة (١٠٤٠هـ/ ١٦٣٠م)[(٢)].

تفرغ الجانب اليمني لحل بعض المنازعات والفتن التي ظهرت هنا وهناك وفي أقاليم مختلفة من المشرق وبعض مناطق تهامة، ووزع الحسن قوته على سفوح الجبال وفي المناطق الاستراتيجية لحفظها من هجمات عثمانية مباغتة وإفشال ما يمكن أن يدبروه[(٣)].

وانشغل الإمام المؤيد محمد بتوجيه القرارات والأحكام، وحسم المنازعات والمشاكل التي

---

(١) الجرموزي: النص، ق: ١٩٧ب، ق٢٠٠أ.، الشرفي: اللآلئ، مخطوط، جـ٣، ق٦٠٠.

(٢) الجرموزي: النص، ق٢٠٤أ، يحيى بن الحسين: غاية الأماني، القسم الثاني، ص٨٣٢.

(٣) الحبسي: تتمة الإفادة، مخطوط، ق١١٤.

ظهرت في تلك الفترة منها تصدره لحل قضية غدر شيخ قبيلة الأمـروخ في تهامـة بفرقـة مـن الجيش الإمامي المرابطة في تهامة، وتقدم الشيخ عندئذ يطلب العفو والأمان من الإمام وسلم ما تم سلبه من الأسرى والخيول والأموال، فـأعلن الإمـام العفـو العـام خوفـاً مـن تـسرب الأخبار للعثمانيين، ولكي يتفرغ للمرحلة المقبلة من الأحداث [1].

اتضح لنا من خلال سير الأحداث السابقة، أن الإمام المؤيد محمداً سارع بعقد الهدنة مـع العثمانيين بعد معركة نجد المخـيرب، ليتفـرغ لحـل بعـض المـشاكل التـي ظهـرت وأفرزتهـا الأحداث وتواصل الحروب والمنافسات التي ظهرت بين الأمراء والقادة، وقـد كـان الإمـام مُجبراً على إعلان العفو عن كل هفوات وأخطاء القبائل خاصة قبائل تهامـة والمـشرق، ولعلـه كان مُجبراً على اتباع تلك السياسة، لكي يضمن ولاء هؤلاء في المرحلة القادمة من الحرب ضد العثمانيين، وخاصة أن الإمام كان يرى ويلمس مدى توسع نفوذ دولته وامتدادها على مختلف الأقاليم.

وفي تلك الأثناء تفرق القادة وإخوة الإمام في المدن المختلفة، فقد عاد الحسين إلى صـنعاء، ورحل الحسن بن القاسم إلى إب، وعاد الأمير سُنبل إلى محطته في ذمار، وتخلل ذلـك التفـرق ظهور خلافات في وجهات النظر، وتطلع للمراكز القيادية بين قادة الجيش الإمامي، والقـادة المقربين من الحسن بن القاسم [2]، وفي هذه الأثناء أيضاً ظهر سوء تفـاهم بـين الإمـام المؤيـد محمد وأخيه الحسين بن القاسم حول بعض الأمور الإدارية، وانشغل الجميع لحسم مادة هذا الإشكال، وحاولوا التقريب بين وجهات النظر، فُحسم الأمر بين جميـع الأطـراف وامتثلـوا جميعاً لرأي الإمام ومشورته، وسنرى لاحقاً تفاصيل ذلك، وكيف آلت إليه الأمـور بـانعزال الحسين بن القاسم عن الشؤون العامة، وتفرغ للعلم ولإدارة شؤونه الخاصة [3].

جمد الصلح المبرم بـين الطـرفين اليمنـي والعـثماني سـنة (١٠٤٠هـ/ ١٦٣٠م) الأعـمال العسكرية حول زبيد وتهامة، فطالت مدته إلى ما بعد إنقـضائه بكثـير نتيجـة لانـشغال جميـع

---

(١) الجرموزي: النص، ق ٢٠٦أ،ب، ٢٠٧أ.ب، الشرفي: اللآلئ، مخطوط،جـ٣، ق٦٠٣.

(٢) الجرموزي: النص، ق٢٠٧أ.

(٣) نفسه: النص، ق٢١٣أ، الحبسي: تتمة الإفادة، مخطوط، ق١١٥.

الأطراف بمشاكلهم الخاصة[1].

فقد قام الحسن بن القاسم بجولة كبيرة لأغلب مناطق اليمن شملت بلاد ظُليمة، وبلاد الظاهر وظُفار وذِيْبين، ثم عرج على حصن ذي مرمر وعمَّر مدينة الغراس القريبة من صنعاء، وتردد على صنعاء، ثم طاف بلاد كوكبان وحراز في الحيمة، وكانت آخر جولته في آنس. كان الحسن يرمي من خلال جولته الطويلة تلك التعرف على أحوال البلاد وإصلاح حصونها وقلاعها، ومحاولة توفير السلاح والأموال والعتاد وجمع الأفراد من الأقاليم المختلفة، حرصاً منه على التأهب والاستعداد للجولة القادمة من الحرب ضد العثمانيين[2].

أما الجانب العثماني فقد انشغلوا هم أيضاً بخلافاتهم ومشاكلهم المالية والإدارية حتى بعد انقضاء فترة الصلح التي أُبرمت سابقاً، وتكررت مظاهر الفوضى والاضطرابات بين صفوف العثمانيين، وتركزت حول الحصول على الأموال والهبات والاستحواذ على السلطة، وانتهت تلك الاضطرابات بظاهرة خطيرة تدل على انهيار الأوضاع بين العثمانيين إلى حد كبير، فبعد أن كان الجنود يلجأون إلى الأئمة أو إلى القبائل في بعض فترات ضعف الحكم العثماني في اليمن، إذا بهم في هذه الفترة يهربون بشكل جماعات إلى خارج اليمن[3].

أفرزت الأحداث التاريخية السابقة أن فترة الهدنة تلك نتجت عنها عدة من الأعمال السلبية والإيجابية من الجانب اليمني والعثماني.

ورأينا بالنسبة للعثمانيين الضعف الذي تمثل لنا بالفوضى والأطماع والاضطرابات، ثم الهروب فرقاً وجماعات خاصة مع انشغال السلطنة عن هؤلاء، ويبدو أن العثمانيين في هذه المرحلة لم يعد لديهم ذلك الاهتمام بتقوية نفوذهم في اليمن، كما رأينا في فترات وجودهم في اليمن سابقاً.

---

(١) د/ سيد مصطفى سالم: الفتح العثماني، ص٤٠٢.

(٢) الحبسي: تتمة الإفادة، مخطوط، ق١١٤، د/ سيد مصطفى سالم: الفتح العثماني، ص٤٠٢،

(٣) الشرفي: اللآلئ، مخطوط، ق٦٢١، د/ سيد مصطفى سالم، الفتح العثماني، ص٤٠٢.

ويبدو أن الحسن بن القاسم استحسن الهدنة للطواف حول مناطق ومدن اليمن المختلفة لإظهار القوة والسلطة والقيام بترميم وبناء القلاع والحصون والمدن. ثم قام بزيارة الإمام المؤيد محمد في شهارة واجتمع هناك ببقية إخوته وأولادهم حسب طلب الإمام المؤيد محمد، وللنظر في المرحلة القادمة من الأحداث، وما يمكن أن تفرزه الأيام من أمور وكيف يمكن التعامل مع بقية العثمانيين المتواجدين في المخا و زبيد ، ولعل اجتماعهم هذا كان للتخطيط في حالة نشوب الحرب بينهم وبين العثمانيين مرة أخرى، وخاصة وأن الجانب اليمني بات يتلمس وبقوة مدى توسع نفوذهم وقوتهم المادية والمعنوية بين القبائل واليمنيين جميعاً.

أما بالنسبة للجانب العثماني فقد تواردت الأخبار بفرار فرق الجنود السباهية-أي الفرسان-وتكرر هروب الجنود إما براً أو بحراً ولم يبق في اليمن إلاَّ من أُشتهر بتمرده وعناده، وبالتالي ضعف موقف قانصوه باشا في زبيد، لكنه أراد أن يظهر شيئاً من القوة فخرج بطلعات عسكرية محددة، غايته إشغال بقايا الجنود وكسْر طوق الحصار الذي وقع فيه على ساحل تهامة [1].

فقد تآمر قانصوه باشا مع بعض قبائل يافع وخرج من المخاء سنة (١٠٤٣هـ) على رأس ما تبقى لديه من الجنود، وتوجه إلى ميناء عدن بغية السيطرة عليه، لكن خيوط المؤامرة انكشفت وباءت بالفشل [2].

وأقدم قانصوه باشا أيضاً على القيام بمحاولة أخيرة، فقد تعمد إرسال حملة بحرية إلى ميناء جيزان وتحقق له بعض النجاح، واستولى على الميناء، وقام جنوده بأعمال السلب والنهب في الميناء والمناطق المجاورة للميناء، مما حدا بشيوخ هذه المناطق إلى اللجوء إلى الإمام المؤيد والاستنجاد به لصد العثمانيين عن بلادهم [3].

عقد الإمام المؤيد الأمر وحسمه، بأن جهز الجيوش وأمرهم بالتوجه إلى تهامة، خاصة مع

---

(١)الشرفي : اللآلئ، مخطوط ، جـ٣، ق٦٢١،

(٢) الجرموزي: النص: ق٢٤٠ب، الشرفي: اللآلئ، مخطوط، جـ٣، ق ٦٢٢.

(٣) د/ سيد مصطفى سالم: الفتح العثماني، ص٤٠٣.

تعاقب ورود أخبار قانصوه وحملاته العسكرية إلى عدن وجيزان. فأراد الإمام حسم كل تلك المؤامرات وقطع دابر التهديد الذي كان يشكله بقايا الجنود العثمانيين في ساحل تهامة [1].

توجه الحسن بن القاسم بجموع جنوده وعساكره وعده وعتاده إلى تهامة، وتنقل بين المدن والقرى لاستطلاع الأوضاع هناك.

وعيَّن لكل منطقة ومدينة قائداً متأهباً لمواجهة ما ستؤول إليه الأمور، وحين قامت الحرب بين الجانب العثماني واليمني كان النصر والهزيمة سجالاً بين قوات كل منهم، وتذكر المراجع المعاصرة لتلك الأحداث تفوق الجيش اليمني غالباً نظراً لتفوق العدد والحصار الذي فرضته القوات اليمنية على المدن التهامية، ومنها زبيد والمخاء. كان الحسن بن القاسم يخطط ويوجه الفرق العسكرية من معسكره الذي أقامه خارج مدينة زبيد.

وقد التقى الجيش الإمامي مع الجيش العثماني في عدة معارك تكبد فيها الطرفان كثيراً من الضحايا والخسائر، لكن تفوق الحسن وجيوشه كان نابعاً من تكاتف جيشه وإيمانهم بالدور الذي يقومون به إلى جانب الحصار الذي فرضته القوات اليمنية على المدن والسواحل، كما سبق أن شرحنا، وقد عانى الجيش العثماني من الحصار أشد المعاناة حتى قلت مواردهم وأنهكت جيوشهم، ولا نغفل المعاناة التي واجهت الجيش الإمامي بقيادة الحسن، نتيجة لطول فترة الحرب، وتغير الميدان الذي يقاتلون فيه، فتهامة وما تشتهر بها من شدة الحرارة والرطوبة وانتشار الأمراض والأوبئة، كانت من ضمن المصاعب التي واجهت جيوش وقوات الإمام المؤيد محمد.

وقد اختلف الوضع بالنسبة للعثمانيين قليلاً؛ لأنهم كانوا يتحصنون بمدينتي زبيد والمخا، ورغم ذلك فقد نالهم العوز وشدة الحصار الذي فرضه عليهم الجيش الإمامي، وضاقت بهم الأحوال ولم يعد لهم من منفذ إلا ما يصل من موزع أو من الحبشة، وقد لا تصل هذه الإمدادات كاملة.

---

(١) الجرموزي: النص، ق٢٤١أ.

خلال هذه الصعوبات تقدم قانصوه باشا بطلب إلى الحسن بن القاسم قائد الجيش الإمامي، يرجوه عقد هدنة مؤقتة بين الطرفين لمدة ثلاثة أشهر، وكان ذلك في سنة (١٠٤٤هـ/ ١٦٣٤م) وطلب العثمانيون بأن يتم التعامل بالدرهم الإمامي والدرهم السلطاني سواء بسواء رغم ضعف قيمة الدرهم السلطاني، فجاراهم الحسن في هذا الطلب بعد مداولات واستشارات عديدة، وحتى تصله المؤن والأموال التي أرسل في طلبها من المناطق الشمالية(١).

تجددت الحرب بعد انقضاء الهدنة المتفق عليها سابقاً وفشل الجنود العثمانيون في الصمود أكثر من ذلك فقد تعمدوا الهروب إلى معسكر الحسن بن القاسم مع بعض الأحصنة والأموال، فأرسل الوالي إلى معسكر الحسن يدَّعي ويطالب بإرجاع تلك الأموال وإلا تجددت الحرب، فانتهز الحسن بن القاسم الفرصة فجر المدافع حتى أبواب زبيد وأحكم حصاره حول المدينة من جديد، وتتابعت الحروب بين زبيد والمخاء وموشح، ومنع ذلك الحصار الجنود العثمانيين الاتصال فيما بينهم في تلك المدن، واشتدت المعارك على القُرَيَّة والحما خارج مدينة زبيد.

أما العثمانيون فقد تفاقمت الخلافات الداخلية فيما بينهم واضطربت أمورهم واختلفوا في آرائهم وأهدافهم، فالجنود كانوا يحبذون الصلح، والوالي يرغب ويستعجل قيام الحرب، فقد كانت غايته إما أن يُقتلوا فيستريح منهم، وإما أن يَقتلوا عدوهم فيرتاح ويخرج من اليمن(٢). وقد كرر العثمانييون طلب عقد الهدنة من الجانب اليمني وتم عقد تلك الهدنة لمدة عام وتمت الموافقة على ذلك الصلح مع بداية (١٠٤٥هـ) رغم معارضة الحسن عند عقدها إلا أنه وافق على مضض تحت رغبة وموافقة الإمام المؤيد محمد.

فقد كانت رغبة الحسن تتلخص في أن يتم الإجهاز على بقايا العثمانيين سريعاً خاصة وهو يلمس ضعف موقفهم وانكسارهم، لكن الإمام المؤيد محمداً كانت له وجهة نظر سياسية

---

(١) الجرموزي: النص، ق٢٥٠أ.

(٢) نفسه: ق٢٦٣أ، الشرفي: اللآلئ، مخطوط، جـ٣، ق ٦٤٥.

أخرى، وهي أن مواصلة الحرب يعني أن يتحمل اليمنيون سواء الذين يشاركون في الحرب أو الذين يقطنون المناطق الخاضعة للعثمانيين مزيداً من الجهد والضحايا والأموال دون مبرر، إذ أن تضييق الحصار حول العثمانيين بالإضافة إلى اضطراب أحوالهم البيَّن حينذاك كفيلان بالإجهاز على بقايا الجنود العثمانيين في اليمن(١).

وما لبثوا إلا قليلاً وسلم قانصوه باشا نفسه إلى معسكر الحسن بن القاسم طالباً الأمان ومساعدته على الرحيل والخروج من اليمن، بسبب تمرد الجند وتعديهم عليه وضعف موقفه وشأنه بينهم، وقد أكرم الحسن وفادته وقدم له العون والمال وزوده بكل ما يلزمه للسفر بحراً إلى مصر عن طريق ميناء المخاء وغادر اليمن(٢).

كان لهروب قانصوه باشا إلى معسكر الحسن أثره السيء في نفوس بقية الجنود العثمانيين داخل زبيد والمخاء، فجاهر بعضهم بالذهاب والفرار إلى معسكر الحسن بن القاسم، وهرب البعض الآخر إلى خارج اليمن، أما من تبقى منهم فقد بايعوا الأمير مصطفى على أن يقوم مقام الوالي لكي يواصلوا الدفاع عن أنفسهم، لكن الأخير لم يصمد إلا قليلاً، ثم طلب عقد الصلح مع الحسن وجنوده على أن يغادر وجنوده اليمن سالمين إلى مصر.

حقق الحسن كل ما طلبوه ويسر لهم الخروج من اليمن، فتم نزوحهم في العشر الأوائل من جمادى الأولى لسنة (١٠٤٥هـ/ ١٦٣٥م). ويعلق مؤرخنا الجرموزي بقوله: «ما كاد الناس مع خروجه أن يخرجوا من عقولهم فرحاً»(٣).

وتسلم القادة المدن التهامية من العثمانيين وقد رحل منهم من رحل، واختار آخرون البقاء في اليمن، ودخل الحسن بن القاسم مدينة زبيد والمخاء بعد أن أعلن الأمان بين أهلها، وتم كذلك تسلم إدارة جزيرة كمران وفرسان(٤).

---

(١) د/ سيد مصطفى سالم: الفتح العثماني، ص ٤٠٤.

(٢) الجرموزي: النص، ق ٢٦٧أ،ب، الشرفي، اللآلئ، مخطوط، جـ٣ ص٦٤٥، د/ سيد مصطفى: الفتح العثماني/ ص٤٠٤.

(٣) الجرموزي: النص، ق ٢٦٨أ، د/ سيد مصطفى: الفتح العثماني، ص٤٠٥.

(٤) الشرفي: اللآلئ المضيئة، مخطوط، ق٦٤٦.

أما سياسة الإمام في المناطق الجنوبية في عدن، والجنوبية الشرقية في حضرموت فقد حاول الإمام المؤيد توطيد علاقاته بأمراء هذه المناطق عن طريق الرسائل الودية المتبادلة بين الطرفين، واتخذ من السياسة الهادئة المعتادة طريقاً للوصول إلى أمراء وحكام حضرموت. وسوف نلاحظ أن ضم الأطراف الشمالية من اليمن إلى المركز في شهارة كان أنجح بكثير من ضم الأطراف الجنوبية، واستقرأنا من خلال سير الأحداث تسامح الإمام المؤيد مع أشراف عسير وأبقاهم في مراكزهم مقابل أن ينضموا لنفوذ الإمامة، سيماثله نفس التسامح مع بقية القوى المحلية في الأطراف الجنوبية مثل عدن ولحج وحضرموت(١).

بادر الإمام المؤيد محمد بإرسال رسائله إلى أمراء حضرموت باسطاً سياسة دولته و الأهداف التي ينوي تحقيقها من خلال إعلان شعار حكم آل البيت على مذهب الشريعة الإسلامية، واضعاً نصب عينيه بأن أمراء وحكام هذه المناطق لن يكونوا أسهل خضوعاً كما كان مع أشراف عسير، ولذا فقد تخللت رسائل الإمام إلى الأمير بدر بن عبد الله الكثيري وابن عمه كثيراً من المواعظ الدينية والفقهية، مستشهداً بالآيات القرآنية، والأحاديث النبوية، مبيناً صلة القربى العلوية، وأحقية تلك الصلة لتحسين العلاقات بين الطرفين، ويبدو أن آل الكثيري تساهلوا وتناسوا دعوة الإمامة القاسمية لفترة، ولم يظهروا اهتمامهم لدعوة الإمام المؤيد محمد إلا في سنة (١٠٤٣هـ). لاحظنا ذلك من خلال الرسائل المتبادلة بين الطرفين، فقد ذكر الإمام تجاهل بدر بن عبد الله الكثيري لدعوة الإمامة بقوله: «وذكرتم عذركم في التراخي إلى هذا التاريخ عن إظهار فريضة الإجابة والإعلان بما كتب الله عز وجل في دياركم تلك»(٢).

نستشف ذلك من خلال رد للإمام المؤيد على رسالة بعثها الكثيري من قبل ولم يسجلها مؤرخ سيرته. ففي إحدى رسائل الإمام للكثيري أراد أن يظهر له حُسن النية، والإيعاز له بأن العلاقة بين الطرفين لن تكون فرضية، بل ستكون علاقة تعاون متبادل فيبادر بقوله: «إنا

---

(١) د/ سيد مصطفى سالم: مراحل العلاقات اليمنية السعودية، ص٤٧.

(٢) الجرموزي: النص، ق١٧أ،ب.

لنقف معكم وفي أمركم على ما تحبون، إما إخواناً وأنصاراً وهو المأمول منكم إن شاء الله»[1].

كان المؤيد محمد يدرك تماماً أن إعلان التبعية للإمامة لن تتحقق إلا إذا لوح لهم بالتفويض والاستقلالية في حكم بلادهم، ولن يكون بسط سيطرته عليهم إلا صورية يقابله تعاون منهم، وتقديم الدعم المادي المعنوي للإمامة في الحرب التي يخوضها ضد العثمانيين في تهامة، ولذا التزم الإمام المؤيد محمد من خلال تلك الرسائل اتخاذ سياسة المهادنة اللينة تجاه هذه القوى، وإعطاءَها استقلالها الذاتي، طالما وأنها قد اعترفت بالإمامة في مركزها بشهارة[2].

ورغم ذلك إلاَّ أن الإمام المؤيد محمداً في إحدى رسائله للسلطان بدر بن عمر الكثيري سنة (١٠٤٤هـ/ ١٦٣٤م) يظهر رغبته بإرسال شخصية من قبله من أهل العلم والمعرفة الدينية ليعمل على نشر المذهب الشريف بحسب قوله، فقد ذكر ذلك في طيات رسالته تلك قائلاً: «وإن لم تجدوا من يقوم بذلك إلا مع إعانة ممن يصل من عندنا منهم، نبَّهتم علينا إن شاء الله، وأرسلنا إليكم من أهل العلم من يكون عوناً لمن هنالك، وشدّاً لأزر أولئك»[3].

الملاحظ في هذه الرسائل المتتابعة لآل الكثيري أن الإمام المؤيد محمداً وضَّح في بداية الأمر تأخرهم عن تقديم الدعم المادي، وتراخيهم عن الاستجابة لدعوته، وتحججهم بأعذار واهية، وتكرر ذلك مع بقية آل الكثيري، ولعلَّ الإمام كان يرى أن أعذارهم تلك؛ لأنهم غير مؤمنين بالمذهب الزيدي أو غير متعصبين له، على الرغم من كونهم علويين، وقد يرجع ذلك أيضاً لعدم وجود علماء يمثلون المذهب الزيدي في أقاليم حضرموت، وعدم تشجيعهم لهذا المذهب فقد كانوا أميل إلى الصوفية السنية عن أي مذهب آخر، ولذا فقد كانت سيطرة الإمامة على هذه المناطق أبعد ما يطمح إليها آل القاسم في فترة ما قبل الاستقلال.

اختلف الأمر كلياً مع الأمير عبد القادر بن محمد صاحب عدن، كما كان يُطلق عليه، فقد أعلن تأييده ودعمه للإدارة الإمامية منذ وقت مبكر أي منذ سنة (١٠٣٧هـ/ ١٦٢٧م). فقد

---

(١) الجرموزي: النص، ق٢٠ب.

(٢) د/ سيد مصطفى سالم: مراحل العلاقات اليمنية السعودية، ص ٤٨.

(٣) الجرموزي: النص، ق٢٢ب.

حاول العثمانيون إبعاده عن إمارته بسبب تنامي طمعهم في الأموال العائدة من ميناء عدن، لكن الأمير عبد القادر بادر وأرسل للإمام المؤيد محمد، وأعلن تأييده لسياسته وتقديم الدعم اللازم، وقد أمد القوات الإمامية في فترات الحرب بالأموال والأسلحة والمدافع، وظلت العلاقة متنامية بين الطرفين حتى بعد وفاة المؤيد(١).

كان الإمام المؤيد محمد في الفترات الأولى من إعلان الحرب ضد العثمانيين، حريصاً على إرسال الرسائل المختلفة إلى أقاليم اليمن البعيدة لجمع الأنصار المؤيدين له في حربه ضد العثمانيين، وقد بيَّن في هذه الرسائل أسباب ودواعي قيام الحرب ضد حكمهم.

وقد كانت رسالة الإمام المؤيد محمد بن القاسم إلى صاحب المهرة أقصى جنوب شرق اليمن إحدى هذه المحاولات لجمع الأنصار والمؤيدين لهذه الدعوة الإمامية. أورد الإمام المؤيد محمد في رسالته تلك جُملاً من علامات الترغيب والترهيب والمبررات الفقهية والسنية للدعوة الإمامية ولمن يساندها(٢).

من الملاحظ أن الإمام المؤيد محمداً أثناء فترة حروبه مع العثمانيين كان يضع في حسبانه جمع المناصرين له في أقاليم اليمن المختلفة، ولذا ومن هذا المنطلق فقد حرص على إرسال الرسائل المتتابعة إلى آل الكثيري في حضرموت، وإلى صاحب المهرة بأقصى شرق اليمن غايته ربط هذه الأقاليم بالإمامة في شهارة، باعتبارها أقاليم يمنية ضمن إطار الدولة القاسمية.

تلمسنا من خلال سرد الأحداث السابقة الأسباب الجوهرية والقوية التي أدت إلى خروج العثمانيين من اليمن، فقد اجتمعت العديد من الأسباب التي ساعدت على نجاح ثورة الإمام القاسم، ثم ابنه الإمام المؤيد محمد من بعده. فقد زادت قوة الإمامة اليمنية في القرن الحادي عشر للهجرة السابع عشر للميلاد. يساندهم في ذلك تكاتف جميع اليمنيين، ووقوفهم صفاً واحداً ضد الحكم العثماني، وكان الهدف الذي يتطلع إليه الجميع التخلص من

---

(١) الجرموزي: النص، ق١٩٠-٢٠٢أ، الشرفي: اللآلئ، مخطوط، جـ٣،ق ٥١٦، ٥١١، ٥٥٧، ٥٤٤.

(٢) الجرموزي: النص، ق٢٢ب-٢٥أ.

مساوئ هذا الحكم، وتعاون الجميع الإمام المؤيد وإخوته الثلاثة، وكثير من القادة المخلصين في سبيل تحقيق الهدف الذي نصّبوا أعينهم تجاهه، ولعلَّ إدارة وحنكة الإمام المؤيد وحكمته وصرامته، ثم قوة شخصيته يسانده بقية القادة ساعد على تحقيق آمالهم وطموحاتهم الذي سعوا من أجله حتى تم لهم تحقيقه، وأصبحت اليمن أول ولاية عربية مستقلة في العالم العربي.

الفصل الثالث

الإمام المؤيد محمد بن القاسم وقيام الدولة المستقلة في اليمن

آل القاسم وبناء الدولة المستقلة

خرج العثمانيون من اليمن وتحقق لليمن استقلاله عن الحكم العثماني في القرن الحادي عشر للهجرة السابع عشر للميلاد، وكان اليمن هو الولاية الوحيدة في العالم العربي الذي نال استقلاله مبكراً، بينما بقية الدول العربية كانت لا تزال ترزح تحت وطأة الحكم العثماني بكل ما يتخلله من سلبيات وإيجابيات.

الإمام المؤيد

نجح الإمام المؤيد محمد بن القاسم يشاركه إخوته وشخصيات بارزة في تحقيق هذا الاستقلال، وبناء الدولة القاسمية المستقلة، وسوف نتطرق في هذا الفصل للدور السياسي والعسكري المنوط بكل إخوة الإمام المؤيد محمد وبقية القادة ورؤساء المشايخ والأمراء من آل شرف الدين، ودورهم في بناء الدولة المستقلة.

كان لكل شخصية من شخصيات إخوة الإمام المؤيد دور بارز ونافذ داخل أقاليم اليمن إلى جانب دور الإمام الرئيسي لبناء الدولة المستقلة، وبالتالي سنبين دور القادة والأمراء الذين شاركوا في هذا البناء، وكيف كوّنوا نفوذهم السياسي والمادي، وبالتالي أصبح لهم مراكزهم القوية في بناء الدولة القاسمية الجديدة.

كان الإمام المؤيد محمد يُعد الرأس والمرجع للجميع على اختلاف طبقاتهم واتجاهاتهم، أما شخصيته القوية فقد كان لها الأثر على رجال الدولة، ومنهم إخوته دون استثناء، وباتوا جميعاً يرجعون إليه في قراراتهم وخطواتهم السياسية، فقد كان الكل يُدين له بالولاء والطاعة، فهو الإمام المُجمع عليه، يؤمنون بمبدأ الطاعة لولي الأمر ما لم يأمر بما فيه معصية لله تعالى بمفهوم ذلك العصر.

اعتبر المؤرخون الإمام المؤيد محمد بن القاسم الشخصية الأولى في بناء الدولة القاسمية، ويليه صنواه الحسن والحسين، وقد اتضح ذلك من خلال سياق سيرة الإمام المؤيد محمد أن الحسن بن القاسم أصبح بعد الاستقلال اليد اليمنى أو الجناح الأول للإمامة في إدارة شؤون

البلاد وبناء الدولة المستقلة، يعاونه الحسين بن القاسم.

الحسن بن القاسم

أطنب المؤرخون في وصف صفات الحسن بن القاسم الخَلقية والخُلقية والنفسية. وسنتناول اليسير منها لكي نتبين الحالة الخاصة لهذه الشخصية القيادية التي أثرت إيجاباً وسلباً في تدرج وقيام ثم بناء الدولة القاسمية في ذلك العصر، فقد أطلق عليه مؤرخو العصر لقب (ملكاً) فقد كان يحمل كل صفات الملوك في الشجاعة والإقدام والسخاء والكرم[1]. درس علم البلاغة واشتهر بقول الشعر، قيل عنه: بأن له حذاقة في النحو، سريع الفهم، يجيد تلاوة القرآن الكريم وحفظه، واسع الأخلاق مظهره يدل على ملك عظيم، وكان مهاباً صارماً بين جنوده الكثر[2].

وقد كان للوجود العثماني في اليمن أثره في حياة الحسن بن القاسم، اتضح ذلك التأثير نتيجة للحالة السياسية والعسكرية المرموقة التي وصل إليها، وازداد ذلك حين دخل كثير من القادة والجنود تحت إمرته وقيادته، وسيطر على أغلب الأمور العسكرية والعائدات المالية في مناطق نفوذه.

أدَّت تلك الحروب الكثيرة والمتفرقة التي كان الحسن مجُبراً على خوضها سابقاً، حتى تحقق للبلاد الاستقلال. إلى أن يستعين بالعديد من الشخصيات والقادة إلى جانب إخوته، وقد كان لهؤلاء القادة دورهم الفعَّال في سير الأحداث السابقة، وفي تثبيت نفوذهم في مرحلة بناء الدولة المستقلة.

نجح الإمام المؤيد محمد بن القاسم بكل اقتدار وخبرة سياسية وعسكرية فذة، أن يُنظم ويحدد الأدوار السياسية التي اضطلع بها الأمراء والقادة. وأصبح هؤلاء القادة يمثلون مراكز قوى في مناطق متفرقة من اليمن على رأسهم الحسن بن القاسم وأخوه الحسين، فقد هيأت الظروف التي مر بها الحسن على إبراز قوة نفوذه في المناطق الوسطى، وتمثل ذلك حين عمد

---

(١) الجرموزي: النص، ق ٢٩٢أ، عيسى بن لطف الله: روح الروح، مخطوط، جـ٣، ق٢٦، الشرفي: اللآلئ، مخطوط، جـ٣، ق٦٤٩.

(٢) الجرموزي: النبذة المشيرة، مخطوط، ق٤١٨، عامر بن محمد، بُغية المريد، مخطوط، ق١٢١، ابن الوزير: طبق الحلوى، ص٧٢.

على بناء حصن الدامغ ومدينة ضوران لتكون حاضرة جديدة تنافس شهارة مقر الإمامة، ولإدارة شؤونه السياسية والعسكرية، ثم أصبحت مستقراً لحاشيته والأكابر من القوم، كما كان يُطلق عليها. [1] ومن هنا ظهر دور الشخصيات المتنفذة ذات المراكز القوية في البلاد، منهم الشيخ علي بن شمان والأمير سنبل وأمراء آل شرف الدين وغيرهم من القادة والشخصيات البارزة من رؤوساء القبائل، وسنشرح دور هؤلاء في مرحلة الحرب وبناء الدولة القاسمية المستقلة.

ومن الملاحظ أن الإمام المؤيد بعد استقلال اليمن قد منح أخاه الحسن صلاحيات واسعة، وجعله نائباً عنه في إدارة المناطق الوسطى والجنوبية إلى جانب المدن التهامية، ومن هذا المنطلق فقد أصبحت هذه المناطق تحت سلطته وإدارته. وقد تفرغ الحسن لإدارة وتصريف شؤون البلاد في المناطق التهامية والوسطى والجنوبية، وبعد الرجوع لرأي الإمام فقد كان مخولاً بتعيين الولاة والقضاة في زبيد والمخاء وموشج والحديدة وكمران وفي حيس وبيت الفقيه، وغيرها من المدن الساحلية التهامية.

استقر الحسن إلى حاضرته الجديدة ضوران آنس وعلى جبل الدامغ بنى له قصراً ودوراً لأصحابه وقادته، وبنى المسجد الجامع، كما سبق أن ذكرنا[2]، وتفرغ لتصريف شؤون العامة من الناس والنظر في أمور الرعية فأعطى الجنود أرزاقهم ومنح العثمانيين المنضمين إلى الجيش الإمامي العطاء الذي رغبوا فيه[3]، ويبدو أن الحسن بعد انتقاله إلى ضوران قد استأثر ببعض الأمور وتناسى دور الإمام في تصريف شؤون البلاد، ولم يعد كالسابق يستشير الإمام في كثير من المواقف، ففي سنة (١٠٤٦هـ/ ١٦٣٦م) قام الإمام المؤيد محمد بإرسال خطاب طويل لأخيه الحسن بن القاسم، ضمنه كثير من الوصايا والأوامر والنواهي شملت الإحسان للعلماء وطلبة العلم وتوقير أصحاب البيوت القديمة والأحساب الكريمة، ويوصيه أن

---

(١) يحيى بن الحسين: غاية الأماني، القسم الثاني: ٨٣٤.

(٢) بروس بالوك-ريا الصكار: جامع الحسن بن القاسم في ضوران، دراسة تاريخية معمارية، نشر المعهد الأمريكي للدراسات اليمنية، ص٥.

(٣) الجرموزي: النص، ٢٧٢أ-٢٧٣ب.

يكف أيدي الجند والحاشية عن التخطي إلى ظلم الناس، وشدد على إقامة الصلاة والجماعة وجمع الزكاة وإيداعها في بيت المال، وأن ينظر في معاش الرعية بتشجيع التجار والتجارة، والتخفيف عنهم، وإزالة الرسوم الجائرة والأوضاع المجحفة، وأن يستشير أهل التجارب من العلماء وذوي الخبرة[1].

الرسالة توضح بداية عهد جديد ودولة جديدة، ولذا فقد أخذ الإمام المؤيد محمد على عاتقه بناء هذه الدولة المستقلة والملك الواسع برفع شعار حكم آل البيت حسب الشريعة الإسلامية، فبدأ يضع القوانين والنظم المنظمة لشؤون الحياة، ولربط طموحات الحسن الواسعة، لكي لا يشعر بالاستقلالية والاستئثار بإدارة البلاد، وتناسي دور الإمام الرئيسي لهذه الدولة، رغم أن الإمام المؤيد محمداً قد استعان بالحسن في الفترات السابقة نتيجة لخبرته الطويلة، وتمرسه في إدارة شؤون المناطق الوسطى والجنوبية.

سجل المؤرخون العديد من أعمال الحسن بن القاسم خاصة في مناطق اليمن الأسفل، وشرحوا مآثره العمرانية التي سنقوم بشرحها لاحقاً، وأسهب مؤرخنا الجرموزي بإبراز أعماله وحروبه وسيرته بين الناس والجنود وعلاقاته الواسعة إلى جانب كرمه الواسع الذي شمل القريب والبعيد، يتمثل ذلك حين رحل إليه إخوته عبد الله بن القاسم وإسماعيل بن القاسم وابن أخيه الحسين بن المؤيد محمد، فتقربوا إليه وطمعوا في كرمه وعطائه الواسع، خاصة حين لمسوا زهد الإمام المؤيد ورفضه للبذخ وصرف أموال بيت المال على غير وجهها المشروع[2]. واستمر الحسن بن القاسم في تأدية مهامه والدور المنوط إليه في بناء الدولة المستقلة حتى وفاته.

الحسين بن القاسم

أما إذا انتقلنا إلى الأخ الثاني من أولاد الإمام القاسم، وهو الحسين بن القاسم واستقرأنا دوره السياسي والعسكري من أجل بناء الدولة القاسمية، فإننا نرى أنه قد تعرضنا لدوره

---

(١) يحيى بن الحسين: بهجة الزمن، جـ١، ص١٠٦.

(٢) الجرموزي: النص، ق٢٩٣ب،٢٩٤أ،ب.

العسكري البارز حتى تم استقلال اليمن عن الحكم العثماني، لكننا سوف نأتي على بعض أعماله السابقة كي نتلمس من خلالها تدرج الأحداث التي صاحبت تلك المرحلة، أي فترة قبل الاستقلال، وتأثير التقلبات السياسية والعسكرية تلك على نفسيته الخاصة وإنتاجه العلمي، وما مدى حدود نفوذه الشخصي في البلاد؟ وما تأثير بعض الأحداث التي قامت على نهجه السياسي والعسكري؟ وكيفية مشاركاته مع بقية الأخوة والقادة من أجل بناء الدولة المستقلة، حتى نصل إلى دوره السياسي الفعَّال بعد الاستقلال، وخاصة بعد وفاة أخيه الحسن بن القاسم.

كان الحسين بن القاسم في المرحلة السابقة ما قبل الاستقلال يعد الجناح الثاني في حروب الإمامة ضد العثمانيين، وبالرغم من اهتماماته العلمية المعروفة، إلا أنه حرص على أن يؤدي دوره في كل المراحل العسكرية. فقد شارك في حصار صنعاء، وتولى قيادة المنطقة الغربية لمدينة صنعاء، وتصدى لقبائل همدان وبعض أهالي الحيمة المتعاونين مع العثمانيين، وعند عقد أي هدنة مع الجانب العثماني، كان الحسين حريصاً على التجوال وتلمس أحوال الأهالي في حَضُور وبلاد الحجرة، وغيرها من المدن التي تقع تحت نفوذه في منطقة الحيمتين.

ومن الأحداث السياسية التي صاحبت حياة الحسين بن القاسم، وكان لها تأثير بارز في حياته. ما حدث في أعقاب معركة نجد المخيرب سنة (١٠٣٩هـ/ ١٦٢٩م) حيث عُقدت هدنة عسكرية بين الجانبين اليمني والعثماني، فحبذ الحسين الانتقال إلى صنعاء، وتولي بعض شؤونها، فانتقل إليها مع أهله وبعض جنوده وخواصه، لكن الإمام المؤيد أرسل للحسين بن القاسم يُعرب له عن رفضه لهذه الخطوة، وأمر بتعيين الشيخ المنتصر بن عبد الله الطير لإدارة بعض شؤون صنعاء، ثم وجه بإخراج جُند الحسين من المدينة، وأمره أن يُعمِّر لهم مواضع خارج باب السبحة أي خارج مدينة صنعاء، ورضخ الحسين بن القاسم لأوامر أخيه الإمام وامتثل لرغبته.

أما الحدث الآخر، حين رفض مشايخ الحيمة تسليم الحقوق المالية الواجبة عليهم، وتقدموا بشكوى إلى الإمام المؤيد محمد ضد أخيه الحسين بن القاسم، مفادها أنه تعمد جمع

الحقوق المالية بشدة، وأمر بتطبيق الأحكام الشرعية الإسلامية كما يجب، وهذه الأمور لم يحبذها هؤلاء ورفضوا الامتثال لأوامر الدولة، وكانت حجتهم بأن بلادهم تابعة للإمام القاسم، ويكون أخذ الحقوق منها تأليفاً لأهلها، فقد رغبوا أن يُعاملوا معاملة المؤلفة قلوبهم، وبالتالي ليس عليهم إلا أن يدفعوا ما يرونه مناسباً، وللإمام المؤيد محمد مباشرة، وأن لا يتسلمها منهم الحسين بن القاسم اعتقاداً منهم بأن تلك الأموال ستكون عائدة إليه(١).

وقد تفاقمت مثل تلك النزاعات القبلية في مناطق مختلفة من اليمن بعد استقلال اليمن، فقد اتضح موقف هؤلاء مع توقف الحروب، وبالتالي حرموا من الغنائم التي كانوا يحصلون عليها أثناء الحرب، وفقدوا انفرادهم بالسلطة داخل القبيلة، وكان رد فعلهم اختلاق النزاعات والمشاكل، والامتناع عن الرضوخ لنفوذ الدولة القاسمية المستقلة.

كان لهذه الحادثة رد فعل غير متوقع من جميع الأطراف، خاصة حين أقدم الإمام على تعيين شخص آخر لإدارة أعمال الحيمة، فظهر سوء تفاهم بين الإمام وأخيه الحسين، وكانت النتيجة لكل ذلك انعزال الحسين بن القاسم عن الحياة السياسية لفترة ورفض المشاركة في إدارة أمور البلاد، وبقي في ضوران جليس كتابه وسمير محرابه(٢).

نتيجة للأحداث التاريخة العسكرية والسياسية التي سبقت الاستقلال عن الحكم العثماني، واختلاف وجهات النظر بين الإمام وأخويه الحسين والحسن، وما نجم عن ذلك من ضغائن في النفوس واختلاف في الآراء والمواقف، فقد تصدر للنصيحة أحد علماء عصرهم وهو السيد العلامة محمد بن عبد الله الغشم، وتقدم بحلول وآراء اجتهادية تجمع بين الأخوة، محاولة منه لتهدئة وتصفية النفوس، فقد قام بكتابة رسالة طويلة وجهها للإمام المؤيد محمد وإخوته الحسن والحسين وأحمد، تضمنت مجموعة من النصائح والأوامر والنواهي، محاولة منه للتقريب من وجهات النظر بين الجميع، فيحذرهم من التفرقة وأخذ

---

(١) الجرموزي: النص/ ق٢١٣أ.

(٢) نفسه، ق٢٤٣أ، الحبسي: تتمة الإفادة، مخطوط، ق١١٥، الشرفي: اللآلئ، مخطوط، جـ٣، ق٦٣٨، ابن الوزير: طبق الحلوى، تحقيق: محمد عبد الرحيم جازم، ص٦١.

العظة من الدولة السابقة، وسبب تدهورها، ويقترح تقسيم نفوذ البلاد بين الأخوة يتقدمهم الحسن، ثم الحسين، وجعل الأربعة الآخرين (إسماعيل، وعبد الله، ويحيى، ويوسف) وزراء لإخوتهم المتقدمين، واعترف بفضل الإمام المؤيد محمد، وبحسب قوله فهو كالرأس من الجسد وشدد بأن الحسن من الحسين كالعضو الواحد. ووضع عدة من الاقتراحات والقوانين في كيفية إدارة البلاد وسبل التعامل مع الناس والرعية. وأمرهم بجمع الكلمة فيما بينهم، وعدم مخالفة أوامر الإمام فهو الأساس والجميع تحت ظله وسلطته، ووضع عدة من الاقتراحات في كيفية التعامل مع الجند والعلماء والمتعلمين وسائر الفضلاء-بحسب قوله- وإنصاف المظلوم والضرب بشدة على يد الظالم، وشدد عليهم بأنه ينبغي منهم التعاهد والتعاضد وإصلاح ذات البين فيما بينهم[1].

نلاحظ أن الرسالة طويلة وقد جمعت بين الناحية السياسية والدينية، لكن الواضح من خلال سطور ذلك الخطاب هو التحيز الواضح للحسن والحسين رغم اعترافه بمكانة الإمام وقدره فهو الرئيس والمتقدم عليهم بحسب قوله.

ونتساءل ألم يكن الحسن والحسين مجرد قادة عسكريين يأتمرون بأمر الإمام ويحاربون تحت رايته؟ فقد لمسنا من خلال السطور أن المناطق التي فتحها الحسن والحسين قد تكون ملكاً لهم فهل كان المقصود المال أم الأرض أم التصرف العام؟ وهل المناطق التي حاربوا فيها ستصبح تحت سلطتهم وتصرفهم؟ وهل كان الإمام المؤيد محمد سيرضخ لهذا الأمر؟. لكن الأحداث القادمة وتطورها أثبتت بأن أولاد الحسن بن القاسم حاولوا التمسك والاستحواذ على ما كان بنظر والدهم من الأقاليم والمدن، وسنرى لاحقاً كيف نجح الإمام المؤيد محمد من تجريد هؤلاء من أطماعهم وإرجاع الأمور إلى نصابها الحقيقي المعروف.

نستشف من خلال ذلك الخطاب الطويل انحياز المؤرخ الجرموزي للحسنين بدليل أنه لم يوضح أسباب الخلاف بالتفصيل والإطالة، كما فعل مع الخطاب نفسه، واتخذ نفس أسلوب كاتب الخطاب في إظهار تحيزه إلى جانب الحسنين، ولم يوضح المؤرخ موقف الإمام المؤيد من

---

(١) الجرموزي: النص، ق٢١٤أ-٢١٨ب.

هذا الخطاب، ولم يذكر سوى أن الإمام المؤيد كتب للسيد الغشم ولاية عامة، والمقصود بالولاية أن يمنحه صلاحيات في أمور دينية في منطقة معينة، أي أن يُسند إليه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في هذه المنطقة، وفض المنازعات، وإقامة وتطبيق الحقوق الشرعية المنصوص عليها في الدين الإسلامي. وقد كانت غاية الإمام من كتابة هذه الولاية أن يمنح هذه الشخصية الدينية اعترافه بفضله ومكانته، ويُعلق المؤرخ الجرموزي بقوله: «نعم ومع ذلك المتقدم ومولانا الحسن يقرر الأمور ويليها بنفسه»[1]، أي أن الحسن بن القاسم ظل متصدراً لكل الشؤون برغم كل ما سبق.

ظهر أثر الحسن والحسين أبناء الإمام القاسم وبقية الأمراء والقادة واضحاً أثناء حصار وحروب العثمانيين في سهول تهامة وعلى أبواب زبيد وبالقرب من المدن التهامية، وتعاون الجميع وتعاضدوا ضد عدوهم المشترك، وكان الحسن بمثابة القائد للجميع، نتيجة لقوة شخصيته ومقدرته العسكرية، وكان الحسين بن القاسم وبقية القادة والأمراء تابعين له، ويعدون أنفسهم من جملة أجناده وأصحابه، إكباراً لقدره واعترافاً بمقدرته السياسية، ورغم ملازمة الحسين بن القاسم لأخيه الحسن في كثير من الأمور إلا أنه كان في أغلب أوقاته حريصاً على التفرغ للقراءة والتأليف والانكباب على العلم الشريف، كما سبق أن ذكرنا[2].

انعزل الحسين بن القاسم كلياً عن الحياة العامة بعد استقلال اليمن، واستقر في صافية ذي بهلان بضوران آنس، لكن أحد المؤرخين المعاصرين ذكر لنا بأن الإمام المؤيد محمداً وفي سنة (١٠٤٦هـ/ ١٦٣٦م) قام بإرسال خطاب للحسين بن القاسم، تزامن مع خطاب آخر أرسله لأخيه الحسن بن القاسم-وقد تم سرد الأول سابقاً-تضمَّن خطاب الإمام لأخيه الحسين العديد من النصائح الدينية والاجتماعية والسياسية، فقد حثه على التواضع وإعطاء ذوي الحق حقوقهم، ونهاه عن القطيعة والعقوق، وتوظيف مراتب أهل الحقوق على طبقاتهم بمراعاة العالم والجاهل والغني والفقير، وتفقد الأجناد وكف أيديهم عن المظالم، وجمع حقوق

---

(١) الجرموزي: النص، ق٢١٨ب،٢١٩أ.

(٢) نفسه: ق٢٩٣أ.

بيت المال وحفظها[1].

من خلال هذه الرسالة يتضح لنا أن الإمام المؤيد محمداً تعمد إرسال هذه الخطابات لأخويه، لكي يوجهما للاتجاه الصائب في إدارة البلاد. وقد وضع لهم مجموعة من النصائح والوصايا المساعدة لهم في إدارة شؤون البلاد التي تحت نظرهم، ويذكرهم بمكانتهم بين الرعية ومبدأ التساوي بين الناس، لكي لا يتسرب الغرور في أنفسهم، ولعل الإمام المؤيد محمداً كانت غايته الحقيقية هي عدم الاستئثار بالأمور دون الرجوع إليه، كما كانوا يفعلون سابقاً.

واجه الحسين بن القاسم كثيراً من المصاعب والمتاعب بعد وفاة أخيه الحسن بن القاسم. وقابلته كثير من المعوقات عند إدارة المناطق التي كانت تحت إدارة أخيه الحسن بن القاسم، وقد حاول التغلب عليها، تمثل ذلك في رفض أتباع الحسن من الجند والعبيد والموظفين الانصياع له والاستجابة لأوامره، وقد عَظُمَ ذلك على الحسين وفكر كثيراً ومراراً أن يعود إلى عزلته في صافية ذي بهلان بضوران آنس[2].

أولاد الحسن بن القاسم

اقتضى أمر الإمام المؤيد محمد أن يقوم الحسين بن القاسم بإدارة البلاد التي كانت بنظر أخيه الحسن من قبل كرد فعل لتصرف هؤلاء السابق تجاه الحسين، فقد وجه الإمام المؤيد محمد أوامره لأولاد الحسن بن القاسم أحمد بن الحسن ومحمد بن الحسن، وأمرهم أن يخضعوا لأوامر عمهم الحسين في الإقدام والإحجام والحل والإبرام، ولا يُقدمان ولا يؤخران أمراً إلا برأي الحسين، خاصة وأن أولاد الحسن بن القاسم حاولا الاستئثار بالأمور من بعد والدهم وكانا يتوهمان بأن الإمام سيجعل لهما أمر المناطق الوسطى ميراثاً لهما[3]، لكن الإمام كما رأينا قطع دابر تلك الأطماع وأسند للحسين إمارة كل المناطق الوسطى التي كانت

---

(١) ابن الوزير: طبق الحلوى، تحقيق محمد عبد الرحيم جازم، ص٥١.

(٢) الجرموزي: النص، ق٢٩٣أ،ب.

(٣) يحيى بن الحسين: بهجة الزمن، الجزء الأول، ص ١٣٤.

بنظر أخيه الحسن بن القاسم.

تعمد محمد بن الحسن وأحمد بن الحسن تجاهل أوامر الإمام وتأهلوا للإمارة، وتحكموا بتصريف الأمور، واستولى محمد بن الحسن وأخوه على الخزائن وجميع الأموال المادية والعينية التي تركها والدهم، وساروا إلى ذمار وبصحبتهم جميع جند والدهم غير أن الإمام المؤيد محمد أصدر أوامره لأولاد أخيه الحسن، بأن يمتثلوا لأوامر عمهم وأن يكون تصريف جميع أمور البلاد تحت نظر وتحت أمر الحسين بن القاسم، وقطع دابر الفوضى التي استشرت بين الناس حول من تكون له الإمارة والرئاسة من أولاد الحسن بن القاسم[1]؟

رجع الحسين بن القاسم إلى حصن الدامغ بضوران، وبدأ يمسك بزمام الأمور، ومن هناك بدأ يرتب الأعمال ويضع القوانين والأوامر، ثم جمع الجنود والأعيان وألقى على مسامعهم قرار الإمام بتأكيد نيابته في المناطق الوسطى ولزاماً على الجميع الانصياع لأوامر الإمام، لكن أولاد الحسن بن القاسم تذبذبوا في الإجابة وماطلوا عند تنفيذ أوامر الإمام وأخيه الحسين، وتوهموا في قرار أنفسهم أنه بمرور الأيام قد يتراجع الإمام عن قراره، ويُمكنهم مما يطمحون إليه خاصة وأن أتباع الحسن بن القاسم مثل الشيخ علي بن شمسان يتحكم بعائدات وإمارة مدينة إب والعُدين وبعض المناطق الوسطى، وبنظره يجمع الأموال ويرسلها لأولاد الحسن بن القاسم، ويتجاهل تنفيذ أوامر الحسين بن القاسم في هذا الشأن، أي بأن يتم إرسال هذه الأموال لبيت المال[2].

اضطربت الأمور في عدن والمخاء وبقية الموانئ، نتيجة لاختلاف الأوامر من الحسين بن القاسم، ومن أولاد الحسن بن القاسم وتابعهم الشيخ علي شمسان، وقد حاول الحسين بن القاسم الحد من سلطة هذا الشيخ ومنعه من دخول مدينة تعز، حين امتد نفوذه إليها، وحاول الاستئثار على شؤونها، فحرص على تنفيذ أوامر الإمام المؤيد محمد وتم إسناد شؤونها لمن يتم تعيينه من قبل الإمام مباشرة.

---

(١) الجرموزي: النص، ق٢٩٤أ-٢٩٦أ، الشرفي: اللآلئ، مخطوط، جـ٣، ق٦٥٣.

(٢) الجرموزي: النص، ق٢٩٦أ.

وفي هذه الأثناء تعمد محمد بن الحسن أن يجمع أعوان والده من القادة والجنود، وجمع الخيل والرجال واستمالهم جميعاً إلى صفه محاولاً تقليد والده الحسن في بعض مظاهر حياته ثم توجه إلى ذمار، ولكنه عجز عن سد كفاية وصرفيات هؤلاء، فتقرب من عمه الحسين بن القاسم وطلب إقطاعاً يعينه على تلك الصرفيات والنفقات، وبالرغم من كل ذلك إلا أن الحسين حقق له مطالبه وعين إليه ولاية بلاد الشوافي وخُبان وبني سَرْحة والتَّعكر(١)، وكلها مناطق غنية بثروتها الزراعية وتقع في المناطق الوسطى من اليمن بالقرب من مدينة إب.

أما أحمد بن الحسن فقد أقطعه الحسين عائدات بلاد وصاب وعُتمة وجعلها تحت إدارة المؤرخ الجرموزي(٢)، لكن أحمد بن الحسن استحقرها وردها بحجة أنها لا تفي بسد مصاريفه وحاجياته وطالب بالمزيد، وطرد واليها من قبل الإمام وهو المطهر الجرموزي، ثم قام بتحريض أهالي آنس بعدم تنفيذ أوامر الحسين بن القاسم، وعين فيها من قبله محمد كاشف لإدارتها، وازداد تخبط وعسف أحمد بن الحسن على الناس، وتعمد مخالفة كل أوامر عمه الحسين بن القاسم، وعقب ذلك دخل أحمد بن الحسن في حرب ضد عمه الحسين ورافعاً راية العصيان ضد الإمامة، وبالقرب من المقرانة تمكن الحسين من هزيمة أحمد بن الحسن حتى تفرق أصحابه من حوله ومن ناوأه من القبائل، ونجح الحسين في احتواء ابن أخيه، وجرى بينهما حوار وعتاب طويل، وقد انتهبت أمتعة أحمد بن الحسن وخيله، فاستردها له عمه الحسين محاولاً بهذا التقرب إليه وكبح طموحه الثائر، ثم أعلن الأمان العام لكل من شارك في تلك الحرب والفتنة(٣).

وقد ظل محمد بن الحسن يرقب الأمور من بعيد وكان يُظهر أمام عمه أن موقفه محايدٌ، لكنه كان قد حاول مد يد العون لأخيه أحمد بن الحسن، لكنه فشل وبرر موقفه: بإنكار ما وقع من صنوه أحمد، وإنما أراد إرسال عسكر لحفظ أخيه مما وقع، لكن الأحداث كشفت غير

---

(١) يحيى بن الحسين: بهجة الزمن،جـ١، ص١٤٨-١٥١.

(٢) الجرموزي: النص، ٢٩٧أ،يحيى بن الحسين: بهجة الزمن، جـ١، ص١٥٣، ابن الوزير: طبق الحلوى، ص٦٩.

(٣) الجرموزي: النص، ق٢٩٧أ، يحيى بن الحسين: بهجة الزمن، جـ١، ص١٥٣، ابن الوزير: طبق الحلوى، ص٦٩.

ذلك فقد استمر محمد بن الحسن يُدبر الحيل ويتصرف بعيداً عن أمر الإمام وعمه الحسين، فعلى سبيل المثال محاولاته لاستمالة الأمير عبد القادر صاحب عدن إلى صفه للاستيلاء على الأموال العائدة من ميناء عدن.

حرص محمد بن الحسن على الاجتماع بعمه الحسين بن القاسم وخطب وده والتظاهر بطاعته، خاصة حين لمس دخول كثير من القبائل تحت طاعته، وقدم على عمه الحسين وصحبته حليفه الشيخ علي بن شمسان، لكن الإمام المؤيد محمداً سيوجه أوامره بطلب وصول الشيخ وأحمد بن الحسن إلى مقر إقامته، فاضطرا للاستجابة لهذا الطلب ورحلا من فورهما إليه.

مكث أحمد بن الحسن في شهارة تحت نظر عمه الإمام فترة من الزمن، ثم غادرها إلى صنعاء، أما الشيخ علي بن شمسان فقد أجبره الإمام على الإقامة الجبرية في شهارة، وعمر له داراً للإقامة الدائمة، ولم يسمح له بمغادرة شهارة، إلا أنه تمكن من انتزاع موافقة الإمام المؤيد للسماح له بأداء فريضة الحج، وفي أثناء الطريق توفي الشيخ قبل أن يحقق رغبته ويؤدي الفريضة[1].

نلاحظ من خلال تفاصيل الحوادث التي أعقبت وفاة الحسن بن القاسم ظهور سلطة مراكز القوى ونموها في اليمن إن جاز لنا التعبير، خاصة في المناطق الوسطى، فقد حاول الإمام المؤيد محمد أن يقطع أطماع وتطلعات هؤلاء، حيث أعطى الولاية والنيابة لأخيه الحسين بن القاسم لينوب عنه في تسيير دفة الأمور التي كان أخوه الحسن بن القاسم يتولاها، وقد واجه الحسين بذلك كثيراً من الصعوبات لكي يقمع تطلعات وأطماع أولاد أخيه الحسن بن القاسم والقادة ورؤساء ومشايخ المناطق الوسطى.

وإن تساءلنا لماذا أعلن أحمد بن الحسن العصيان على عمه الحسين بن القاسم، وما حدود مطالبه؟ فهل كان متوهماً بأن كل المناطق التي استفتحها والده ستكون ميراثاً خاصاً له

---

(١) الجرموزي: النص، ق٣٠٠أ،ب، يحيى بن الحسين: بهجة الزمن، جـ١، ص٥٣-٥٩، ابن الوزير: طبق الحلوى، ص٦٩.

ولأسرته؟ وبالتالي هل الأموال المادية والعينية التي تركها الحسن بن القاسم تعتبر ميراثاً لأولاده أم هي ملك الحق العام، وكان لا بد أن ترجع لبيت المال؟ وقد اتضح لنا من خلال الأحداث السابقة أن أولاد الحسن بن القاسم أرادوا أن يحكموا ويسيطروا على كل المناطق التي كانت تحت ولاية والدهم الحسن، وبالتالي امتلاكهم لكل عائدات وأموال هذه المناطق، رغم أن الإمام المؤيد محمداً كتب وصرح مراراً بأن كل تلك المناطق لن تكون ميراثاً يرثه أولاد الحسن، وليس لهم إلا ما أمر به عمهم الإمام، ولعل نشأة أولاد الحسن بن القاسم المرفهة، والحياة الاجتماعية والمالية التي تعودوا عليها في عهد والدهم وما تخللها من مظاهر الرخاء وكثر الغنائم والعبيد، والقادة الذين حول الحسن والحاشية الملكية التي كانت تحيط به كما وصفها المؤرخون. كل ذلك أوهم أولاد الحسن أنَّ بإمكانهم الاحتفاظ بكل ذلك خاصاً بهم، ولم يستوعبوا بأن الهدف الذي سعى إليه المؤيد محمد ووالده من قبل وبقية الأخوة، هو أن يقوموا ببناء دولة قوية مستقلة وموحدة لا تتنازعها الأطماع والمواقف الفردية وحب الذات وامتلاك ما لا يمكن امتلاكه، خاصة وأن الهدف هو إقامة دولة مستقلة لا يتخللها النظام المختل والفاسد الذي كان يعاني منه اليمنيون مع وجود الحكم العثماني.

نجح الإمام المؤيد وبمساعدة أخيه الحسين أن يمسك بزمام الأمور ويتغلب على المشاكل التي تفاقمت، وعمل على بناء كيان الدولة المستقلة بفضل صرامته وقوة شخصيته.

توفي الحسين بن القاسم في ربيع ثاني سنة (١٠٥٠هـ/ ١٦٤٠م) في مدينة ذمار، وقد وصل إليها بعد تحمله جملة من المشاكل والمصاعب التي واجهته، نتيجة لإعلان أحمد بن الحسن العصيان على الإمام المؤيد محمد وعمه الحسين بن القاسم، كما سبق أن وضحنا، وقد انتهت الأمور بسكون أحمد بن الحسن وبقي متنقلاً ما بين صنعاء وحصن ذي مرمر. ورضخ الجميع لسلطة الإمامة وتنفيذ أوامرها.

أحمد بن الحسن

كرر أحمد بن الحسن إعلان تمرده وعصيانه على أوامر الإمام المؤيد محمد بعد وفاة عمه

الحسين بن القاسم، ففي سنة (١٠٥١هـ/ ١٦٤١م) أرسل الإمام المؤيد محمد لأحمد بن الحسن يأمره بتسليم الأموال التي بحوزته إلى بيت المال، وإن كانت للورثة فلا يحق له التصرف بها كاملة، فوقع هذا الأمر على أحمد بن الحسن موقع الصاعقة، وأعلن تمرده وعصيانه لتلك الأوامر، وجمع الأموال والأصحاب، ورحل من حصن ذي مرمر متجهاً جنوباً، فتصدى له عمَّاه إسماعيل بن القاسم وعبد الله بن القاسم بأمر من الإمام، واشتبك الطرفان في معركة الشيم التي هرب على إثرها أحمد بن الحسن إلى جوار الأمير عبد القادر بن محمد صاحب عدن، ولبث لديه فترة كما سبق أن ذكرنا حتى وصلته الرسائل من الإمام المؤيد محمد، يطالب برحيل ابن أخيه عن بلاده، وقد لمس أحمد بن الحسن تأثير رسالة الإمام على تصرفات الأمير، فغادر إلى يافع لاجئاً، وهؤلاء بدورهم أحسنوا استقباله وصاهروه ومكث لديهم فترة طويلة(١)، ولم ييأس الإمام المؤيد محمد من موقف ابن أخيه، فأرسل الرسائل إلى أهل يافع يستحثهم بعدم السماح له بالمكوث لديهم، فرفض أهل يافع رد أحمد بن الحسن عن بلادهم حتى يكون له الخيار في الخروج عن بلادهم بإرادته(٢).

عزم الإمام المؤيد محمد على إخراج أهل أحمد بن الحسن وزوجته من حصن ذي مرمر القريب من صنعاء، وأمر بانتقالهم إلى صنعاء، وقبض على الأموال الخاصة ببيت المال من الحصن(٣)، ثم أرسل الإمام المؤيد أحد الشخصيات الموثوق به وهو الحسن بن أحمد الحيمي، إلى بلاد يافع للسعاية في استمالة أحمد بن الحسن وترغيبه من أجل رجوعه إلى كنف عمه ودياره، فبادر أحمد بن الحسن بالموافقة ولم يشترط غير رضا الإمام والعفو والمسامحة.

قدم أحمد بن الحسن سنة (١٠٥٣هـ/ ١٦٤٣م) إلى شهارة وصلح حاله ثم استأذن الإمام لأداء فريضة الحج، فحقق له الإمام رغبته، وبعد عودته من الحج سكن في صنعاء وقرر له الإمام المؤيد محمد جميع المصاريف التي يحتاجها وله أن يتسلم موارد إقليم وصاب دون شرط، وهو الإقليم الذي حدده له الإمام من قبل(٤).

---

(١) الجرموزي: النص، ق٣١١ب-٣١٣أ، نصر صالح حسين سبعة: من ينابيع تاريخنا اليمني، ص١٤٠.

(٢) يحيى بن الحسين: بهجة الزمن، جـ١، ص٢١٤.

(٣) الجرموزي: النص، ق٣١٥أ-٣١٦أ.

(٤) نفسه، ق٣٠١أ،ب-٣١٦ب، يحيى بن الحسين: بهجة الزمن، جـ١، ص٢١٨.

أصدر الإمام المؤيد محمد أوامره من شهارة بعد وفاة أخيه الحسين بن القاسم، بأن يجتمع أولاد الحسين في ذمار، ثم عيّن خازناً لبيت المال، ووجه بإرسال الأموال إليه وهو بدوره يعمل على صرف مرتبات العساكر[1]، ونجح الإمام المؤيد محمد أن يربط شؤون البلاد به لكي لا تتكرر الأحداث التي قامت من قبل بعد وفاة أخيه الحسن بن القاسم وتظهر نزعات السلطة والحكم لدى أحدهم.

ونلاحظ بأن الحسين بن القاسم كان قبل وفاته قد حرص على كتابة وصيته لأولاده من بعده، وحدد في تلك الوصية أمواله الخاصة عن الأموال العامة التي ستؤول لبيت المال، وتعمد التفصيل والتدقيق في سطور تلك الوصية لكي لا تظهر مرة أخرى نفس المشاكل والأطماع التي واجهها مع أولاد أخيه الحسن بن القاسم[2].

قام الإمام المؤيد محمد بن القاسم بتضييق وتحديد سلطات محمد بن الحسن بعد وفاة أخيه الحسين بن القاسم وحدد له حدود سلطته في المناطق التي حددها له عمه الحسين بن القاسم من قبل، واشترط عليه أن يُرسل محصول اليمن الأسفل إلى شهارة بعد أن يخصم منها اليسير لمصاريف جنده.

وقد لحقت المشقة بمحمد بن الحسن، خاصة وأنه كان يخشى تفرق العساكر من حوله لقلة عطائه وتزول رئاسته، وبلغ به ضيق المعاش أن ضرب عدة خيله من الفضة وحوّلها إلى دراهم لكي يظهر أمام حاشيته بغير حاله الحقيقي[3].

ونتيجة لكل الأحداث السابقة فقد تعمد الإمام أن يقوم بمراقبة شؤون البلاد عن كثب، ويطلع على سير أعمالها بمفرده، وإن تناهى إلى مسامعه إنحراف فيما لا يرتضيه من تلك الأعمال، يسارع ويعمل على تغييره وتبديله، ويُنزل عقابه دون رحمة على المتهاونين والمتسببين في أي ظلم أو عسف، ويعتبر ذلك انقلاباً من حال الإمام المؤيد محمد وسياسته المعهودة، فقد

---

(١) الجرموزي: النص، ق٣٠٣أ.

(٢) نفسه: ق٣٠٣ب، يحيى بن الحسين: بهجة الزمن، جـ١،ص١٩٣.

(٣) يحيى بن الحسين: بهجة الزمن، جـ١، ص١٩٨.

قام الإمام بإرسال خطاب شديد اللهجة إلى ابن أخيه محمد بن الحسن يُقرّعه ويُحمله اللوم حول بعض المظالم التي صدرت عنه في حق الناس والرعية، منها الزيادات التي فُرضت على الناس عند جباية الفطرة، وأمره أن يرد للناس ما أُخذ منهم، وعليه إلغاء كل بدعة تُسن كتقرير فرض السبار[1] وحدد له القدر المعلوم في الشرع الإسلامي عند جباية الأموال على الأرض والزرع والحيوان، وكم يكون نصابها ومقدارها، وشدد على إقامة العدل والسيرة الحسنة بين الناس[2].

إسماعيل بن القاسم

تطورت الأحداث التاريخية بعد وفاة الحسن والحسين أبناء الإمام القاسم، وأصبح الإمام المؤيد محمد بن القاسم يتدبر شؤون البلاد بمفرده دون الاتكال على إنابة أي شخصية محددة، واقتصر الأمر على الحكام والولاة والقادة والعلماء من حوله، وتكليف هؤلاء بأداء مهمات محددة دون إعطائهم صلاحيات واسعة حتى لو كان أحد أفراد أسرته. ظهر ذلك جلياً عندما بدأ الإمام يسند لأخوته بمهام معينة ومحددة مثلما فعل مع أخيه إسماعيل بن القاسم.

ظهرت شخصية إسماعيل بن القاسم كشخصية عامة، تناولها المؤرخون في الأيام الأخيرة من حياة الحسن بن القاسم، ثم لعب دوراً كبيراً في آخر حياة الحسين والإمام المؤيد محمد.

رحل إسماعيل من شهارة إلى ضوران مقر إقامة الحسن بن القاسم طامعاً في كرمه والعيش بكنفه، فأنعم عليه بالأموال الغزيرة الكثيرة وزوجه بابنة زوجته، وظل مجاوراً لأخيه الحسن حتى وفاته ثم عاد إلى شهارة[3]، وفي سنة (١٠٥١هـ/ ١٦٤١م) كلف الإمام المؤيد محمد أخاهُ إسماعيل لردع تمرد أحمد بن الحسن ومحاربته، فاشتبك معه في معركة الشيم بالقرب من قعطبة، ونجح إسماعيل في هزيمة أحمد بن الحسن حتى ولى الأخير هارباً إلى عدن ثم يافع كما سبق أن وضحنا، واستولى الجيش الإمامي على الأسلحة والأموال الوفيرة التي

---

(١) السبار: هو ما يتم فرضه على الأهالي لإطعام الجند والعساكر.

(٢) يحيى بن الحسين: بهجة الزمن، جـ١، ص ١٩٩.

(٣) الجرموزي: النص، ق٣٠١أ،ب، ٣١٦ب، يحيى بن الحسين: بهجة الزمن، جـ١، ص٢١٨.

كانت بحوزة أحمد بن الحسن[1].

وفي سنة (١٠٥٣هـ/ ١٦٤٣م) استأذن إسماعيل من أخيه الإمام المؤيد أن يسمح له بالانتقال للعيش في ضوران آنس، وكان قبل ذلك متنقلاً بين تعز واليمن الأسفل، وأصبح له الأمر والنهي والقوة في هذه المناطق[2].

أصبح الإمام المؤيد محمد في هذه الفترة يعتمد على أخيه إسماعيل دون الآخرين في كثير من المهام، وأوكل إليه شيئاً من المهام في المناطق الوسطى والجنوبية. ولكنه مع قدوم سنة (١٠٥٤هـ/ ١٦٤٤م) أرسل الإمام المؤيد محمد بقرار عزل إسماعيل بن القاسم من ضوران آنس وبلاد ريمة وعُتمة، لكن ذلك القرار لم يلق قبولاً في نفس إسماعيل بن القاسم، وعزم على مغادرة اليمن إلى مكة المشرفة، بحجة أنه لم يبق له متسع في اليمن[3].

ولم تنتظر الإيام إلاَّ قليلاً، ويصل خبر وفاة الإمام المؤيد محمد بن القاسم في يوم الجمعة رابع عشر من شهر رجب سنة (١٠٥٤هـ/ ١٦٤٤م).

الملاحظ من خلال تصرف إسماعيل تجاه عزله عن المناطق التي ولاه الإمام المؤيد فيها، أنه كان يحاول أن يستأثر ببعض النفوذ في المناطق الوسطى، خاصة مع خلو الساحة من طامع جديد بعد أن تم للإمام القضاء على أطماع أولاد أخيه الحسن بن القاسم، وقد حاول الإمام إسناد بعض المهام لإسماعيل، ولكن خشيته من تكرار المشاكل التي واجهته سابقاً، فقد سارع وعزل إسماعيل من منصبه، كي لا يتسنى له الوقت الكافي لبناء نفوذ جديد في الدولة.

وفاة الإمام

حكم الإمام المؤيد محمد بن القاسم من سنة (١٠٢٩هـ/ ١٦١٩م) إلى سنة (١٠٥٤هـ/ ١٦٤٤م) أي فترة خمس وعشرين عاماً تخللتها كثير من الأحداث التاريخية الجسام، شملت الحرب ضد العثمانيين حتى تم خروجهم من اليمن

---

(١) الشرفي: اللآلئ المضيئة، مخطوط، جـ٣، ص٦٥٤.

(٢) يحيى بن الحسين: بهجة الزمن، جـ١، ص ٢١٩.

(٣) نفسه: ص٢٢٣.

سنة (١٠٤٥هـ/ ١٦٣٥م)، ثم الفترة الي أعقبتها وهي عصر الاستقلال وبناء الدولة المستقلة.

حضر وفاة الإمام المؤيد محمد صنوه أحمد بن القاسم، وخوفاً من الشقاق وتضارب الآراء فقد أجمع رأي الأعيان والعلماء في داخل شهارة على مبايعة أحمد بن القاسم خلفاً لأخيه المؤيد محمد بن القاسم(١)، وتم مبايعته من قبل الأطراف المتواجدة حينها في المدينة، واستمرت بيعته لمدة ثمانية أيام، ونتيجة لتفرق الأخوة وبقية أفراد الأسرة خارج شهارة، يُعلق المؤرخ الجرموزي بقوله: «وكنت حاضراً ولا رأيت لمبايع أو متابع أو حاضرٍ أو غائب إلى هذه البيعة اعتقاداً ولا إلى لزومها استناداً»(٢).

ظهر تحيز المؤرخ الجرموزي لإسماعيل دون أحمد، فقد سجل أحداث هذه السيرة في عهد الإمام الثاني إسماعيل بن القاسم، خاصة وأنه لم يظهر اعتراضه في حينها رغم تواجده في داخل شهارة عند وفاة الإمام المؤيد، ولعل تعليقه هذا جاء متأخراً عن حين كتابة هذه السيرة.

أحمد بن القاسم

وإن تطرقنا إلى السيرة الشخصية لأحمد بن القاسم وأثره في بناء الدولة وسير الأحداث السابقة، يبدو أن المؤرخين قد هضموا حق هذا الرجل ولم يسجلوا له من حياته سوى النزر اليسير، لكننا سنجد أن هناك من أنصفه وسجل لنا سيرة أحمد بن القاسم ودوره في المرحلة التأريخية السابقة.

كما سبق أن ذكرنا في الفصول السابقة فقد تم تعيين أحمد بن القاسم على ولاية صعدة من قبل والده الإمام القاسم، واستمر حتى عهد الإمام المؤيد محمد، لكن يبدو أنه لم يكن حازماً مع قبائل صعدة، فقد استشرت الفتن والقلاقل التي أشعلتها كثير من قبائل المناطق الشمالية، وخاصة قبائل عمار في عهد ولايته، وحين أعلن المؤيد محمد الحرب ضد العثمانيين شارك

---

(١) الجرموزي: النص، ق٣٤١أ.

(٢) نفسه: ونفس الورقة، الحبسي: تتمة الإفادة، مخطوط، ق١١٦.

أحمد بن القاسم مع إخوته الحسن والحسين، وحارب العثمانيين في عمران، واشتهر يومها باستسلام عمر كخيا ليد أحمد بن القاسم، ثم شارك في الحرب حول صنعاء وحصارها من الشمال، وكان مقر معسكره في الروضة، وأثناء المعارك التي دارت رحاها في تهامة كان الدور المسند لأحمد بن القاسم أن يجمع المؤن والمدد والعتاد من ذمار ومن مختلف المناطق، ويعمل على إرسالها لأخوته في تهامة، ويذكر المؤرخون أن أحمد بن القاسم اختار القيام بدوره هذا نتيجة لبدانة جسمه، فقد كان قليل الحركة، وبعد خروج العثمانيين من اليمن، رغب أن يسكن شهارة، وظل قريباً من الإمام المؤيد حتى وفاته، وحين بايعه الناس في شهارة خلفاً لأخيه المؤيد كتب رسائل عديدة إلى جميع المناطق وإلى كافة آل القاسم يُبلغهم ببيعته، فاشترطوا عليه أن تظل أيديهم على ما تحتهم من البلاد، فلم يسايرهم إلى ذلك، فمالت القلوب عنه، وأمسك يده عن العطايا للمقربين والعساكر الذين حوله، فمالوا عنه واتجهت أنظارهم إلى بيعة إسماعيل بن القاسم الذي أعلن معارضته لأخيه أحمد، ونجح في جمع أفئدة الأعيان والخاصة والعامة خاصة أفراد آل القاسم لكرمه وعطائه الواسع[1].

غفل أحمد بن القاسم عن مسايسة أولاد أخيه ورفض منحهم النفوذ والمال الذي تحت أيديهم، وعند مراجعته رد بقوله: لا يسعني عند الله ذلك، وبالتالي فقد أحمد بن القاسم لموقفه هذا موافقة الجميع على مبايعته، واشتهر بين آل القاسم بأنه كان ضنيناً عند الصرف، ونتيجة لموقفه هذا أصبح الناس من إمامته بين إقدام وإحجام[2].

من خلال الطرح التاريخي لسيرة أحمد بن القاسم وموقفه من آل القاسم نتساءل، هل كان مُحقاً في موقفه من عدم مجاراته لأطماع أولاد أخوته؟ أم أن وجود شخصية قوية كشخصية إسماعيل بن القاسم قد طغت على شخصية أحمد بن القاسم؟

فقد اشتهر عن إسماعيل بن القاسم قوة شخصيته وطموحه القوي، ودهاؤه السياسي، وبالتالي نجح وتمكن من إغراء جميع آل القاسم والعلماء والأعيان على ترك بيعة أحمد بن

---

(١) عامر بن محمد: بُغية المريد،٣٥٢-٣٦١.

(٢) يحيى بن الحسين: بهجة الزمن، جـ١، ص٢٢٥، عيسى بن لطف الله: روح الروح، مخطوط، جـ٣/ ق٢٨.

القاسم واختياره، ولنفس الغاية فقد أعطى ووهب الأموال والهبات للجميع دون شرط حتى تمكن من زمام الأمور، وبويع إماماً خلفاً للإمام المؤيد محمد بن القاسم.

كانت تلك أهم الأدوار السياسية التي قام بها آل القاسم لبناء الدولة القاسمية قبل خروج العثمانيين وبعد الاستقلال.

دور الشخصيات الاجتماعية المختلفة في بناء الدولة بعد الاستقلال

تطرقنا في الجزء الأول من هذا الفصل إلى شرح دور آل القاسم في بناء الدولة المستقلة، بداية بالإمام المؤيد محمد بن القاسم، ثم إخوته الحسن والحسين وأحمد ثم إسماعيل، وشرحنا الأدوار المنوطة بكل شخصية من هؤلاء، وعلى مراحل حياتهم ومدى نجاحهم في توسيع وفرض هيبة الدولة وسيطرتها قبل خروج العثمانيين وحتى نال اليمن استقلاله في عهدهم، ومن ثم تناولنا أثرهم الفعال في سير الأحداث العسكرية والسياسية وبناء الدولة المستقلة حتى وفاة المؤيد محمد بن القاسم، وفي هذا الجزء من الفصل سوف نتناول الأدوار البارزة لبعض الفئات الإجتماعية الأخرى والتي شملت أمراء ورؤساء القبائل، وتأثيرهم على سير الأحداث العسكرية والسياسية أيضاً في زمن الإمام المؤيد محمد بن القاسم، وسوف نبرز دور هؤلاء كلٍ على حدة لنتبين أدوارهم المؤثرة على مُجمل الأحداث من أجل بناء الدولة المستقلة.

الشيخ علي بن شمسان

بداية سوف نتناول دور أحد الشخصيات البارزة التي ظهرت في عهد الحسن بن القاسم، وهو الشيخ علي بن شمسان، وهو أحد الشخصيات القيادية الذي اعتمد عليها الحسن اعتماداً تاماً في زمن الحرب والسلم، واعتبره الوزير الأول في إدارة شؤون حياته الخاصة والعامة، وكانت له أدوار تاريخية ناجحة في إدارة المعارك العسكرية وتنفيذ أوامر الحسن الحربية، لكن بعد خروج العثمانيين من اليمن تمسك الشيخ علي بن شمسان بنفوذه وسلطته، خاصة أنه كان يعتبر نفسه اليد اليمنى للحسن في الفترة السابقة، وقد نجح إلى حد ما رغم أن

الحسن بن القاسم حاول بعد الاستقلال وتوقف الحرب أن يكبح جماح هذا التطلع. ففي الفترة التي تلت دخوله تعز، برزت العديد من المشاكل والأحداث التي كان الشيخ علي بن شمسان أحد رموزها[1]، فقد قام الحسن بن القاسم بتقليص تطلعاته وسلطته وسحب البساط من تحت رجليه، فعين بعض الأمراء والقادة في تعز لكي لا ينفرد الشيخ بالسلطة داخل تعز.

كان الإمام المؤيد محمد قد وجه أوامره من قبل بأن تكون ولاية مدينة تعز للأمير ناصر بن عبد الرب من آل شرف الدين، عرفاناً بفضلهم وقدرهم؛ ولأنهم انضموا تحت راية وطاعة الإمامة منذ وقت مبكر، ثم كانت لهم مشاركات عديدة وفعالة في الحرب، وقد أمر الإمام أن تعود عائدات ومحاصيل مدينة تعز لأولادهم من بعدهم، إلا أن حفظ الأمن والتصرف العام فيها كان لا يزال بيد الشيخ علي بن شمسان وجنوده[2].

استمر الشيخ علي بن شمسان في فرض قوة نفوذه، ويُعتبر من الشخصيات المؤثرة على سير الأحداث حتى بعد الاستقلال، وأصبح له المركز القوي والنافذ في المناطق الوسطى التي تقع تحت نفوذ وإدارة الحسن بن القاسم بالإضافة إلى إدارة مدينتي إب والعُدين التي يسيطر عليهما الشيخ علي بن شمسان، ويجمع عائداتها باسم الحسن، وقد استمرت سياسة هذا الشيخ حتى بعد وفاة الحسن بن القاسم سنة (١٠٤٨هـ/ ١٦٣٨م) ومن ثم فقد رفض الخضوع لإدارة الحسين بن القاسم، وأعلن انحيازه لأحمد بن الحسن عندما أعلن عصيانه وتذمره من سياسة الإمام المؤيد محمد ثم عمه الحسين، وكان الشيخ علي يستهين بأوامر الحسين ولا يُنفذ إلا أوامر ورغبات أولاد الحسن بن القاسم.

وتعمد خلال تلك الفترة أن يجمع الأموال من المناطق الوسطى التي كانت بنظر الحسن بن القاسم من قبل، ويقوم بإرسالها لأولاده أحمد ومحمد[3].

---

(١) الجرموزي: النص، ق٢٩٦أ،ب.

(٢) نفسه، ق٢٩٦أ،ب.

(٣) نفسه: ق٢٩٦أ.

واستمر هذا الشيخ على حاله حتى فر هارباً إلى عدن بعد هزيمة حليفه أحمد بن القاسم. ولجأ للأمير عبد القادر بن محمد صاحب عدن، محاولاً جمع الأعوان والمؤيدين أثناء النزاع الدائر بين أحمد بن الحسن والإمام المؤيد محمد، وكما سبق أن عرضنا، فقد رجع أحمد بن الحسن إلى كنف عمه الإمام، وتم إرسال الشيخ علي بن شمسان إلى شهارة، وقد أحسن الإمام المؤيد استقباله وعفا عن تصرفاته السابقة، وأجبره على الإقامة في شهارة، ثم تقدم بطلب للإمام لكي يسمح له بأداء فريضة الحج، وفي أثناء الطريق وافته المنية وتوفي قبل أن يبلغ مناله وحجه سنة (١٠٥١هـ/ ١٦٤١م)[(١)]. وقد علق مؤرخنا الجرموزي على دور الشيخ وأثره في تلك الفترة بقوله: «بأن الشيخ قد تاب وأناب، وحاله حال من يُعرف بالديانة والرئاسة، وقلَّ من سلم من فتنة الدنيا وعلائقها»[(٢)].

الأمير عبد القادر بن محمد

وإن عدنا وتناولنا دور الأمير عبد القادر بن محمد، وأثره على الأحداث في شمال اليمن، وموقفه من الصراع الدائر حينذاك بين العثمانيين والإمامة القاسمية أولاً، ثم الصراع بين أفراد الأسرة بعد الاستقلال.

كان للعثمانيين قدم راسخة ونفوذ مادي ومعنوي على ميناء عدن، وقد كان أمراء أبين ولحج قد توارثوا فيما بينهم حفظ الميناء، وطرقات التجارة البرية المؤدية منه وإليه، مع تعهدهم بإرسال بعض العائدات المالية للعثمانيين الذين يحكمون شمال اليمن في صنعاء، وحين آل الأمر في ميناء عدن إلى الأمير عبد القادر بن محمد، كان يرسل ما هو متعارف عليه إلى الوالي العثماني حيدر باشا، لكن حيدر باشا دفعه طمعه إلى تبديل وتغيير بعض تلك القوانين التي تُنظم العلاقة بين الطرفين، ولعله طمع في استنزاف المزيد من الأموال، فأرسل للأمير عبد القادر أمير عدن يأمره بالمثول بين يديه في صنعاء، ويبدو أن الأمير قد استجاب للأمر وهمَّ بالرحيل إلى صنعاء في بادئ الأمر، لكن أنصاره حذروه من مغبة الإقدام على هذه

---

(١) الجرموزي النص: ق٣٠٠ب، يحيى بن الحسين: البهجة، جـ١، ص٢٠٨، ابن الوزير: طبق الحلوى، ص٧٣، ٨٥.

(٢) الجرموزي: النص، ق٣٠١أ.

الخطوة، خاصة مع شيوع خبر تقوي دولة الإمام المؤيد محمد واتساع نفوذها في أغلب المناطق اليمنية الشمالية. فتراجع الأمير عبد القادر عن هذا الأمر، وأرسل للحسن بن القاسم يُعلن تأييده للإمامة وللحرب القائمة ضد العثمانيين، وأبدى رغبته أن يمد يد العون لهم، وأن عليهم أن يرسلوا من طرفهم نائباً للإمام في ميناء عدن، وقد أظهر الأمير عبد القادر إخلاصه وحسن نواياه للإمامة. وفي مراحل تاريخية لاحقة من ثورة الإمام المؤيد محمد، قام الأمير بإرسال المدد والعتاد والخيول والمدافع للحسن بن القاسم أثناء حصار تعز، ثم المخاء، وعند حصار زبيد، حتى تم نزوح العثمانيين من اليمن.

وقد رأينا الدور الذي اضطلع به الأمير عبد القادر بن محمد، حين لجأ إليه أحمد بن الحسن أثناء فترة تمرده على عمه الإمام المؤيد محمد. ومن ثم تبينا الدور الذي قام به من أجل رجوع أحمد بن الحسن إلى كنف عمه الإمام، ورأينا حين تم تبادل الرسائل بين الإمام والأمير، وإلحاح الإمام بطلب عودة أحمد بن الحسن وتسليم ما بيده من الأموال[1].

ونظراً للعلاقات الحسنة بين الإمام والأمير عبد القادر، فقد خشي الأمير من تعكر تلك العلاقة، وحاول السعي للصلح بين الطرفين، لكن أحمد بن الحسن كان قد فر إلى أهالي يافع واستقر بينهم لفترة من الزمن، كما عرضنا سابقاً، وقد تكررت نفس الأحداث التاريخية مع الشيخ علي بن شمسان وفراره إلى عدن بسبب تحريضه لأولاد الحسن ضد عمهم الحسين، وامتناعه عن تسليم عائدات بعض المناطق للحسين، وقد حاول الشيخ أثناء تواجده في عدن أن يستميل الأمير عبد القادر إلى طرف أحمد بن الحسن، دون الحسين بن القاسم، طمعاً في العائدات المالية التي تم قبضها من ميناء عدن، ولذا فقد حرص الجميع على التقرب من هذا الأمير، وخطب وده نظراً لأهمية ميناء عدن، لكن المنية عاجلت هذا الأمير، وبوفاته سيضطر الشيخ للعودة إلى حليفه محمد بن الحسن.

الأمراء آل شرف الدين

ننتقل إلى فئة اجتماعية أخرى كان لها أثر فعال في سير الأحداث وهم آل شرف الدين

---

(١) الجرموزي: النص، ق١٩٠ب-٢٠٢أ، نصر صالح حسين سبعة: من ينابيع تاريخنا اليمني، ص١٤٠-١٤٢.

أمراء كوكبان، نستطلع موقفهم من الحكم العثماني ومن الإمامة المؤيدية، وكيف آلت إليه الأمور بانضمامهم إلى معسكر الإمام المؤيد محمد بن القاسم.

كان آل شرف الدين يعتبرون من الأمراء التابعين للعثمانيين في الفترة السابقة عند قيام دعوة الإمام القاسم وتذبذبت مواقفهم واتجاهاتهم في تلك الفترة، فتارة يحاربون ضد الإمام القاسم بن محمد، وتارة أخرى ينضمون إلى قواته ضد العثمانيين، وبعد وفاة الإمام القاسم وقيام الإمام المؤيد محمد، حارب بعض أفراد من آل شرف الدين إلى جانب العثمانيين ضد قوات الإمام المؤيد محمد، اتضح ذلك من خلال الرسالة التي أرسلها الإمام إلى أحد أشراف الحجاز يشكو فيها موقف آل شرف الدين العدائي، وحربهم لقوات الإمامة(١)، وقد منحهم الإمام المؤيد محمد الخيار إما أن يكفوا عن تحيزهم للعثمانيين بعدم محاربة القوات الإمامية، وإما أن يُعلنوا حيادهم دون المشاركة في تلك الحرب، ومع أي طرف من الأطراف(٢).

ومع تطور الأحداث يقوم أحد رجال آل شرف الدين ويُعلن انضمامه لمعسكر الإمامة وهو الهادي بن الحسن بن الإمام شرف الدين، وأمر جنوده بالتنصير(٣) وحمل السلاح دلالة على إبداء حُسن نواياه، فكافأه الإمام المؤيد محمد وعينه على جهات كحلان تاج الدين وبني عُشب وجهات عفَّار وبين حَبَشْ وبلاد حَنَبْ، وزاد الإمام على ذلك بأن أرسل له هدية وهي عبارة عن فرس وبندقين وسيف محلى، وبيرق وكثير من الأعوان والعساكر(٤).

بالغ الإمام المؤيد في تأكيد وإظهار تقديره لهذه الشخصية وكانت غاية الإمام هي تشجيع البقية من آل شرف الدين للانضمام إلى معسكر الإمامة، ونتيجة لذلك فقد انضم أفراد آل شرف الدين تباعاً لمعسكر الإمامة فسلم البعض نفسه لأحمد بن القاسم، ثم أعلن الأمير عابدين بن المطهر بن الشويع من آل شرف الدين انضمامه إلى معسكر الحسن بن القاسم، فأحسن إليه وأعلى من شأنه بالتفخيم والتكريم، فقد كان من أهل الرأي والرئاسة لدى آل

---

(١) الجرموزي: النص، ق٢٨ب.

(٢) نفسه: ق١٠٤ب،١٠٨أ.

(٣) التنصير: أي إشعال النيران على قمم الجبال ليدلل على انضمامه لقوات الإمامة.

(٤) الجرموزي: النص، ق١٠٩، الشرفي: اللآلئ، مخطوط، جـ٣،ق٤٦٢.

شرف الدين[1].

استمر انضمام آل شرف الدين لمعسكر الإمامة القاسمية، وقد تعمد الإمام تعيينهم أمراء على مناطق نفوذهم كولاة يمثلون الدولة الإمامية، وتم تعيين البعض الآخر كقادة عسكريين يترأسون الجنود والفرق المهاجمة للعثمانيين في ذي جبلة وإب[2]، ولنفس الغاية تعمد الإمام المؤيد محمد والحسن بن القاسم مع تواصل أحداث الحرب، أن يقربوا إليهم أفراد ورجال آل شرف الدين، وتم تعيين أحدهم لولاية مدينة تعز، كما سبق توضيحه، وعندما هم الحسن بمحاصرة تعز عيّن الأمير عبد الرب لحمل لواء القيادة أثناء ذلك الحصار، ووجه أوامره للأمير وبعض الشخصيات البارزة للتصدي لبعض المناوشات والحروب القصيرة التي دارت حول المدينة.

وبعد استقلال اليمن استمرت ولاية مدينة تعز تحت إدارة آل شرف الدين أثناء إمامة المؤيد محمد واستمروا على ولايتهم تلك حتى عهد الإمام إسماعيل بن القاسم[3].

لاحظنا أن آل شرف الدين، وخاصة الأمير عبد الرب آل شرف الدين كان يرسل للإمام المؤيد محمد التقارير وأخبار المعارك العسكرية، وعند حصار المدن يزوده بكل الأخبار المتصلة بسير تلك الأحداث، فقد كان عيناً للإمام في ساحة المعركة وعند وقوع الحدث[4]. ولعل الإمام المؤيد قد كلفه للقيام بهذه المهمة لثقة الإمام بصدق الأخبار التي ينقلها وتفاصيلها الأكيدة والدقيقة.

الأمير سنبل

ومن الفئات الاجتماعية الأخرى التي كان لها دور في بناء الدولة القاسمية، سوف نتطرق إلى شخصية عسكرية وقيادية أخرى، وهي شخصية الأمير سنبل إحدى الشخصيات الهامة

---

(١) الجرموزي: النص، ق١٨٥ب.

(٢) نفسه: ق١٩٩أ.

(٣) نفسه: ق٢٠١أ، عيسى بن لطف الله: روح الروح، مخطوط، جـ٣،ق١٣.

(٤) الشرفي، اللآلئ، مخطوط، جـ٣، ق٥٧١.

التي كان لها دور فعال في الحرب التي خاضها مع الإمام المؤيد محمد ضد العثمانيين.

كان للأمير سنبل تأثير بارز وبصمات عسكرية واضحة، وكانت له مشاركات قوية وفعالة في الحرب التي دارت في تهامة حتى تم إخراج العثمانيين من اليمن.

كان الأمير سنبل أحد الشخصيات القيادية العسكرية العثمانية، تولى قيادة كثير من الحروب والمعارك العسكرية العثمانية، وانتصر فيها، لكن شيوع أخبار وتوسع نفوذ القوات الإمامية في الأقاليم المختلفة، وانتشار أخبار انتصارات الحسن بن القاسم جعل الأمير سُنبل يُراسل الإمامة ويُعلن عن رغبته في الانضمام إلى جانب القوات الإمامية، وقد أرسل الحسن بن القاسم، بناءً على توجيه من الإمام كبار قواده ومن يثق بهم إلى الأمير سنبل يرحب بانضمامه إلى الجانب الإمامي، وتم منحه الأمان من الإمام، ورحبوا بدخوله إلى معسكر الجانب اليمني، وأرسل الإمام قرار تعيينه على ولاية ذمار ووصاب، وبانضمام الأمير سُنبل لمعسكر الإمام المؤيد محمد ستنضم تباعاً الفرق التابعة له في قلعة ذمار وجبل الكبريت وفي رداع ووصاب وغيرها من الجيوب العسكرية التي حول ذمار، وحرص الأمير سُنبل بعد ذلك على إظهار حسن النية وصدق النوايا(١).

سجل لنا صاحب البُغية أسباب انضمام الأمير سنبل بن عبد الله إلى معسكر الإمام وخروجه عن طاعة العثمانيين، فقد أرسل الوالي حيدر باشا للأمير سُنبل برسالة إلى ذمار يؤنبه ويُقرّعه، ويدَّعي عليه أنه تهاون في حروبه ضد الجيش القاسمي ومكّنهم من الاستيلاء على بعض المناطق، ونسب إليه خيانة وخذلان السلطنة، ثم أمره بالمثول بين يديه، وهدد بتعيين قائد آخر عوضاً عنه لقيادة القوات العثمانية في ذمار، وما أن وصل تهديد الوالي حيدر، عزم من فوره وراسل الحسن والحسين إلى كوكبان بواسطة أحد الشخصيات اليمنية البارزة في ذلك الحين، وهو السيد إبراهيم بن حثيث، وعرض رغبته في ترك القوات العثمانية والانضمام إلى المعسكر الإمامي، وتم مراسلة الإمام بهذا الشأن، وكان رده «أن لا شرط بل

---

(١) الجرموزي:، النص، ق١٧٩أ-٢٠٢ب، عيسى بن لطف الله: روح الروح، مخطوط، جـ٣، ق١٦، الشرفي، اللآلئ، مخطوط، جـ٣، ص٥٠٨، د/ سيد مصطفى سالم: الفتح العثماني، ص٣٩٥.

يكون الأمير ثالث الأخوين في الإصدار والإيراد له ما لهم، وعليه ما عليهم، وفي ذلك كفاية إن شاء الله»[1]. ولنفس الغاية حرص الإمام المؤيد على تقريب الأمير سُنبل إليه، فقد طلب منه أن يقوم بزيارته في شهارة، فقام الأمير سُنبل بالزيارة بناء على رغبة الإمام ومكث لديه فترة، زاد الإمام في إكرامه غاية الكرم وأعلى من قدره وشأنه، ثم رحل الأمير من شهارة قبيل حروب تهامة.

أسند الإمام المؤيد محمد ولاية ذمار ووصاب للأمير سُنبل فصلحت وحسنت سيرته وإمارته، وأصبح من أجلّ الأمراء قدراً وعقلاً وكمالاً، ومن مآثره في ذمار بناء مسجد الأمير سُنبل الذي يُعرف بمسجد النور، وقد وقف عليه أوقافاً واسعة وكثيرة[2].

سجلت المخطوطات المعاصرة للأمير سُنبل قوة مشاركاته في الحروب إلى جانب اليمنيين، وأظهر إخلاصه وقوته في ميدان الحرب، وكانت له آثار عسكرية بارزة في الحروب التي دارت رحاها في تهامة، وعند حصار العثمانيين في المخا وزبيد وموشج وغيرها من المدن التهامية المختلفة، وكان يُجبذ فصل معسكره وجنوده بعيداً عن معسكر بقية القادة، لتكتيك عسكري في نفسه ويراه مناسباً، وقد عوّل عليه الإمام المؤيد وأخوته في كثير من الأمور العسكرية الناجحة حتى تم إخراج العثمانيين من اليمن سنة (١٠٤٥هـ/ ١٦٣٥م).

الأمراء الأتراك

ننتقل إلى موقف باقي الأمراء الأتراك الذين اختلفت مواقفهم ما بين السلطنة وبين الإمامة المؤيدية اليمنية، وظهر تباين واختلاف تلك المواقف باختلاف وقوة الوالي المتواجد في اليمن، فعند ما ضعف الحكم العثماني في اليمن، وتجاهلت السلطنة وحكامها استغاثة بقية الجنود في اليمن، فقد تعمد كثير من الجنود العثمانيين الفرار منها أفراداً وجماعات، ومع امتداد نفوذ الإمامة في كل مناطق اليمن وتكرر انتصاراتهم ازدادت تلك الأمور وزادت نسبة الجنود العثمانيين الفارين من اليمن.

---

(١) عامر بن محمد: بُغية المريد، مخطوط، ق٣١٠-٣١٤.

(٢) نفسه: ق٢١٣.

ففي سنة (١٠٤١هـ/ ١٦٣١م)، شاع هروب طوائف الجند المختلفة إلى خارج اليمن إما براً أو بحراً وشاع هروب فرق السباهية الفرسان، وبهروب هؤلاء تحطمت معنويات باقي الجنود في السواحل اليمنية، وساعد ذلك على ارتفاع القوة القتالية في الجانب اليمني[(١)].

وتكررت مواقف الإمام من القادة والجنود العثمانيين الذين رغبوا في التقرب والعيش بجوار الإمامة، منها موقف الأمير صفر أحد قادة الجيش العثماني في منطقة ثلا ومن قبل في مدينة صعدة، ولم يختلف موقف الإمام منه حين رغب بالانضمام إلى القوات الإمامية، وتم معاملته كغيره من القادة، وأحسن إليه الإمام وعمّر له داراً في شهارة.

ومن طريف المواقف حين قامت السلطنة بإرسال أحد القادة ليكون مدداً لجنودها في تهامة، ويدعى الأمير رجب، وبصحبته خزائن وأموال وفيرة وصدقات ونذور للمدينة المنورة، وقد تَعمَّد هذا الأمير الوصول إلى مقر الإمام في شهارة مباشرة، وأفصح عن رغبته بالعيش بالقرب من الإمام ويكون من أعوانه، فأحسن الإمام استقباله وضيافته، وأغدق له العطاء الواسع، فأمر بمنحه إقطاعاً زراعياً في منطقة السحول بالقرب من إِبْ، فقام هذا الأمير بدوره وزرعها وعمّرَ له داراً في أراضيها، وقد قام الأمير رجب بتسليم الإمام المؤيد الصدقات والنذور التي كانت بصحبته، فقام الإمام بإرسال تلك الصدقات إلى المدينة المنورة، وكتب الرسائل المختلفة بشأن توصيل هذه الأمانة إلى حاكم يَنْبع، ثم إلى شيخ الحرم النبوي[(٢)].

اعتمد الإمام المؤيد محمد على سياسة البساطة واللين، وعمل على تقريب الشخصيات الهامة إليه، ولعله نحا ذلك المنحى نتيجة للوضع العام الذي كان يعيشه وهي الحروب وعدم الاستقرار، وأراد بعد خروج العثمانيين أن يوطد أركان دولته ويستفيد من خبرات هذه الشخصيات في بناء هذه الدولة.

---

(١) الشرفي، اللآلئ، مخطوط، جـ٣، ق٥٦٥-٦٢٢.

(٢) الجرموزي: النص، ق١٤١أ،ب.

الأمير حسين الجوفي

تباينت مواقف واتجاهات الشخصيات القيادية الهامة في ذلك العصر باختلاف مصالحهم وتقلب أهوائهم ما بين الجانب العثماني واليمني، ومنهم الأمير حسين بن ناصر الجوفي أحد أمراء المشرق، فقد حرص الإمام على مراسلته واقناعه بالانضمام إلى الجانب اليمني ضد القوات العثمانية، وقد نجحت هذه الخطوة، وكان لها تأثير عسكري وسياسي بارز في سير الأحداث آنذاك، لكن إخلاص هذا الأمير تذبذب، ومواقفه تغيّرت، خاصة حين حاول الحسن بن القاسم تقويم ما اعوج من تصرفات هذا الأمير حين بدر منه بعض الأعمال غير المرضية، فقد تجارى هو وأصحابه على أهل جبلة بالظلم والعدوان، ولَّما تكررت أعمال الأمير حسين هذه، أرسل له الحسن بن القاسم يذكّره بسوء أعماله وجنوده، ولم يصوّبه في تلك التصرفات، فعمد الأمير حسين بمراسلة الأتراك وسوّلت له نفسه ترك طاعة الإمام ومعسكره.

علم الإمام من مصادره باختلاف وجهات النظر بين الأمير حسين الجوفي وبين أخيه الحسن بن القاسم، وحرص على مراسلة الطرفين، ثم أوعز للأمير حسين أن يُبدي حُسن نواياه وصدق مواقفه من الإمامة، فتراجع هذا الأمير عن موقفه وقراره السابق، وقدم على الحسن بن القاسم إلى مقر إقامته وأظهر له أسفه وحُسن نيته[1].

القبائل ورؤسائها

وإذا ما انتقلنا إلى مواقف القبائل وأثرها على سير الأحداث العسكرية والسياسية، فقد اختلفت مواقفهم باختلاف وتغيّر الحدث التاريخي، وظهر ذلك جلياً عند نشوب الحروب، وبالتالي حصولهم على الغنائم والأموال، ومثال ذلك تذبذب موقف إحدى قبائل المشرق، وهم آل الرصاص، فقد تقربوا من العثمانيين ليتسلموا منهم جامكية شهرية، ولنفس الغاية تحولوا إلى جهة الإمام وأعلنوا الطاعة وتسلموا منه ما قدروا عليه من الهبات والأموال تبعاً

---

(١) الجرموزي: النص، ق٢٠٠ب.

لمصالحهم[1].

كان الإمام المؤيد محمد حريصاً على الإحسان لكثير من رؤساء القبائل في فترة الحكم العثماني، وكان يبادر بتعيين وتثبيت كل من يُعلن عن طاعته للإمامة في منطقته ويمنحه عائد الإقطاعات الزراعية كراتب شهري تشجيعاً له ولضمان ولائه للإمامة، وبعد الاستقلال وتوقف الحروب وبالتالي توقف الغنائم والهبات، تذبذبت مواقف وولاء بعض هؤلاء من الإمامة، فإذا ما كف الإمام عن عطاياه تراجعوا ولم يفوا بوعودهم، واتضح ذلك حين بدأت دولة الإمامة المستقلة تطالبهم بدفع الحقوق الشرعية الواجبة عليهم[2].

سنلاحظ أن أحد أسباب اختلاف مواقف القبائل ورؤسائها تجاه الإمامة بعد الاستقلال، يرجع إلى تشدد الموظفين وعمَّال الإمام عند جباية الحقوق والأموال الواجبة للدولة، فقد عانت القبائل من الضيق الاقتصادي، خاصة قبائل المناطق الشمالية الجبلية، ولحق باليمن المجاعة والفقر، وقد يكون ذلك ناتجاً عن توقف كثير من القبائل عن الزراعة في فترة الحروب مع العثمانيين، وبالتالي خلق لديهم نوعاً من العوز المادي، وعدم الاستجابة لقوانين السلطة الجديدة.

لكننا لا نغفل الدور الرئيسي والفعال لقبائل اليمن من الشمال إلى الجنوب بمختلف توجهاتهم، ودورهم العسكري إلى جانب الإمامة، وما قوات الإمام وجند إخوته إلا من رجال القبائل اليمنية الذين آمنوا بموقف الإمام ودوره، وكان لهم أدوار عسكرية فعّالة وقوية طوال المرحلة السابقة، حتى استقلال اليمن عن الحكم العثماني.

سجلت الباحثة في هذا الفصل الأدوار السياسية التي اضطلع بها آل القاسم من أجل بناء الدولة القاسمية المستقلة، بزعامة الإمام المؤيد محمد. فقد تعرضنا للظروف الإيجابية والسلبية التي رافقت هذا البناء، وتبيّنا دور كل شخصية على حدة، وتم شرح وإبراز دور الإمام المؤيد

---

(١)الجرموزي: النص: ق١٤٢ب.

(٢) نفسه، ق٣٤٠ب.

الرئاسي الموجِّه لزمام الأمور من أجل قيادة وبناء الدولة المستقلة ووضع اللبنات الأولى للدولة القاسمية. وقد تم عرض دور الفئات الاجتماعية الأخرى التي شملت القادة والأمراء وشيوخ القبائل وفئات اجتماعية أخرى كان لها دور فعَّال في سير الأحداث، وبناء الدولة، حتى وفاة الإمام المؤيد محمد بن القاسم سنة (١٠٥٤هـ/ ١٦٤٤م).

الفصل الرابع

سياسة الإمام المؤيد محمد بن القاسم

الإدارية والمالية

وعلاقاته الخارجية

ويشتمل الفصل على:

١- الوضع في اليمن إبان خروج العثمانيين منها.

٢- سياسة الإمام المؤيد محمد بن القاسم الإدارية.

٣- سياسة الإمام المؤيد محمد بن القاسم المالية.

٤- العلاقات الخارجية لدولة الإمام المؤيد محمد بن القاسم.

١- الوضع في اليمن إبان خروج العثمانيين منها:

حكم العثمانيون اليمن ما يقارب المائة عام تخللتها حوادث تاريخية مختلفة ومتنوعة، كان أهمها محاولة إحكام السيطرة والنفوذ العثماني في اليمن ضد الفئات اليمنية المختلفة، كان منها ثورة آل شرف الدين، ثم ثورة الإمام القاسم وأكملها ابنه المؤيد محمد، وما صاحبها من نمو وتطور في القوة والسيطرة اليمنية في كل أرجاء اليمن.

وتدهورت السلطة العثمانية في اليمن، وبالتالي تحقق لليمنيين القوة والحكم، وتم إخلاء الساحة من قوة آل عثمان، وبدأت مرحلة جديدة من حكم آل القاسم في اليمن.

وإذا تطرقنا إلى الأسباب العامة التي أدت إلى تدهور واضمحلال قوة العثمانيين في اليمن سنجد أن أسبابها كانت في أغلبها داخلية، أما الخارجية فكان منها بُعد اليمن عن استانبول والغزو الصفوي للعراق، وبالتالي فقد عجزت السلطنة في نهاية فترة حكمها عن متابعة الأحداث في اليمن، وتتبع أسباب قيام الثورات ضدها، وانصرف السلاطين العثمانيين إلى مشاكلهم المركزية، وأهملوا مشاكل اليمن وثوراتها، فكان أدعى للفئات المحلية اليمنية أن تثور وتتقوى على حساب ضعف وتدهور الجانب الآخر.

وقد كان لفساد الولاة والموظفين في اليمن أثره على نظام الحكم، وانصرافهم إلى المشاكل الخاصة بهم، وجمع الأموال والتآمر ضد بعضهم، ومحاولة جمع أكبر قدر ممكن من الأموال بالسلب والنهب، واستحداث قوانين وأوامر جديدة لتحقيق مطامعهم ونزواتهم، إلى جانب انعدام الرقابة والمحاسبة من قبل السلاطين العثمانيين في المركز.

وإذا تتبعنا تاريخ الثورات في اليمن سنجد أن الدوافع المسببة لها هي التذمر من ظلم الولاة والعساكر العثمانيين، إلا من فترات قليلة توارت فيها تلك الأسباب، وتم تنفيذ حكم العدل أو الكف عن الظلم، خاصة في الفترة الأولى من الحكم العثماني، فقد حاول بعض الولاة القيام ببعض الإصلاحات المستمرة في اليمن، وإزالة بعض الإجراءات القمعية التي عانى منها اليمنيون في بعض الفترات.

ونظراً لقيام الاضطرابات والثورات في اليمن، فقد أهمل العثمانيون الجانب الفكري والعقلي، ولم يكن لهم أي أثر حضاري يذكر سوى اهتمامهم بالجانب المعماري الذي يخدم مصالحهم العسكرية، وكان أكثر ديمومة، وشمل مدناً كثيرة.

أما الإصلاحات المالية والإدارية التي قام بها بعض الولاة في اليمن، فقد كانت لخدمة مصالحهم والتقرب من الأهالي، ولتثبيت سيطرتهم على المدن المختلفة، وقد سجل لنا الأستاذ الدكتور سيد مصطفى سالم جُل ما قام به العثمانيون من نظم إصلاحية وطرق تنظيمها والأساليب التي اتبعها الولاة والموظفون لتحقيق هذا الحكم في تنظيمها في كتابه **(الفتح العثماني الأول في اليمن)** في الفصل التاسع.

انسحب العثمانيون من اليمن سنة (١٠٤٥هـ/ ١٦٣٥م) بعد أن خاضوا حروباً طويلة مع اليمنيين بزعامة الإمام المؤيد محمد بن القاسم، وخرج اليمن من تلك المرحلة مُحطماً دون أن تذكر لنا مصادر تلك الفترة أي إصلاحات إدارية أو مالية، أو حتى عمرانية إلا اليسير مما قام به بعض الولاة في اليمن، فالمدن اليمنية ظلت كما هي لم تطلها أي إصلاحات تذكر، ناهيك عن بعض الإنشاءات الخجولة داخل (صنعاء) و(تعز)، أما القرى اليمنية فقد خرجت من تلك الحرب يسودها الخراب والفوضى، وأهملت الزراعة؛ نتيجة لمشاركة فئات كبيرة من القبائل في تلك الحروب، وضعفت الأعمال الزراعية وهي الحرفة الرئيسة في ذلك الحين، وساد القحط والفقر كل أرجاء اليمن، ومنها الأقاليم الشمالية، وعم الكساد التجاري الموانئ، وعلى وجه الخصوص ميناء (المخاء)، عندما قام آخر الولاة العثمانيين في اليمن بالسطو على السفن التجارية الأوروبية، وعمد إلى مصادرة الأموال والحبوب من اليمنيين في المناطق التهامية المحاذية لـ(زبيد) و(المخا)، خاصة حين فقدوا الأمل في وصول بعض الإمدادات من (استانبول).

وتطور الصراع فيما بين العثمانيين أنفسهم حول انتزاع الأموال والهبات، حتى آل الأمر إلى الكيد والتآمر فيما بينهم، وفشل الولاة في آخر فترة وجودهم في اليمن في أن يقوموا بأي إصلاحات إدارية ومالية تُعزز أو تقوي موقفهم فيها.

وقد ادّى تخبط سياسة الولاة في اليمن وعجزهم عن كبح أهواء ونزوات العساكر والقادة في المدن المحاصرة إلى مزيد من الكراهية من قبل اليمنيين تجاه هؤلاء، حتى آل الأمر إلى خروجهم من اليمن نهائياً.

٢- سياسة الإمام المؤيد محمد بن القاسم الإدارية:

تسلم الإمام المؤيد محمد بن القاسم زمام الإمامة بعد وفاة والده الإمام القاسم سنة (١٠٢٩هـ/ ١٦٢٠م) بعد أن أجمع على إمامته جُل علماء وفقهاء عصره دون منازع، وقد التف حول الإمام جميع أفراد أسرته وعلى رأسهم إخوته الحسن والحسين وأحمد، كما سبق أن وضحنا في الفصول السابقة، وبناءً على توجيهات وتخطيط وإشراف المؤيد محمد أصبحوا بالنسبة للإمامة ولأخيهم الإمام اليد اليمنى المنفِّذة لتسيير وترتيب أمور الدولة القاسمية، وجرى على أكتافهم وبسيوفهم جميعاً بناء الدولة القاسمية المؤيدية المستقلة.

استطاع الإمام المؤيد محمد بمقدرة وحنكة سياسية فذة، تسيير أمور الدولة التي حمل أعباءها بعد وفاة والده، ونجح نجاحاً فائقاً في تسييس أمور البلاد والقبائل قبل خروج العثمانيين من اليمن، وبعد استقلالها، وتسلمه زمام الإمامة وأصبح هو القائم على رأس هذه البلاد وربَّانها الموجه لدفتها إلى بر الأمان.

قام الإمام المؤيد محمد فور اختياره إماماً خلفاً لوالده بترتيب أوضاع البلاد وتعيين العمال والقادة والقضاة من العلماء، وتثبيت القائم منهم في مناصبهم، خاصة الذين عاصروا وعاضدوا والده الإمام القاسم، وحرص على أن يُقرِّب إليه جُل علماء عصره، ويمنحهم الوظائف، ويقلدهم المناصب، ويوكل إليهم أمور الجمهور والرعيَّة إكباراً وإجلالاً لقدرهم، وقبل تحقيق الاستقلال الكامل للبلاد قسم الإمام المؤيد محمد الأقاليم التي تحت سيطرته إلى مناطق نفوذ مختلفة، عيَّن إخوته على رأس هذه المناطق وأوكل إليهم أمر إدارتها وتعيين عُمالها وحكامها بناء على توجيهاته وإشرافه، واضعاً نصب عينيه ترتيب أمور البلاد وجمع أفئدة القبائل وتوجهاتها نحو هدف واحد لا مناص منه، هو بناء دولة إمامية مستقلة عن حكم

العثمانيين وتحت شعار حكم آل البيت حسب الشريعة الإسلامية.

وبحسب مؤرخه الشخصي المطهر الجرموزي فقد قسم فئات العلماء والشخصيات المعاصرة للإمام إلى طبقتين:

الطبقة الأولى أطلق عليها المناصرين والمؤيدين لإمامته وشمل العديد من أسماء العلماء ووجوه القوم من السادة ورؤساء المشايخ الذين عاصروا دعوة الإمام القاسم، ثم جددوا بيعتهم لولده المؤيد محمد.

والطبقة الثانية من القادة والشخصيات البارزة والأمراء الذين أيدوا إمامته وعاصروا قيام دولته.

وقد قام الإمام المؤيد محمد بالعديد من الإجراءات الإدارية التي حرص على أن يكون تنفيذها في الأقاليم التي تقع تحت نفوذه وسلطته، وعلى أن لا يتدخل في المناطق والمدن التي تقع تحت حكم العثمانيين آنذاك، والتزم ببنود الاتفاق الذي أبرم في عهد والده الإمام القاسم مع الوالي محمد باشا سنة **(١٠٢٨هـ/ ١٦١٩م)**، وكانت حدود سلطته الإمامية لا تتجاوز حدود المناطق الشمالية والشمالية الشرقية والأقاليم المحاذية لشهارة والحيمتين.

اتخذ الإمام المؤيد محمد العديد من الإجراءات الإدارية وتنظيمها وتعيين القضاة والعمال في المناطق التي تقع تحت نفوذه، وفوَّض إخوته الحسن والحسين وأحمد للإشراف على إدارة تلك المدن والقرى. وهم بدورهم قاموا بتعيين العمال والقادة وتجنيد القبائل، وتنصيب القضاة من الشخصيات البارزة في ذلك الحين، فقد كان أحمد بن القاسم مفوضاً لإدارة أعمال صعدة ونجران وما جاورها لكن الأحداث واضطراب القبائل والتنازع فيما بينها، أحوجت الإمام المؤيد محمد إلى تغيير ذلك التفويض سنة (١٠٣٢هـ/ ١٦٢٢م) وعيَّن أخاه الحسن بن القاسم لحل المشاكل التي تفاقمت بين القبائل، كما سبق أن شرحنا. ورغم أن الإمام المؤيد محمداً كان قد سبق وأرسل رسالة توجيهية سنة (١٠٣٠هـ/ ١٦٢٠م) إلى القائمين بشؤون الهجر العلمية في صعدة من العلماء والمدرسين والطلبة، تضمنت تلك الرسالة التي تم

تعميمها على الجميع توجيهات لتذكيرهم بفضل العلم والحث على طلبه والعمل به، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، واحتواء طلبة العلم وتوجيههم، والرفق بهم، وتوقير البارزين منهم، وأوضح لهم طرق وأساليب التعليم ومناهجه ومواده وتنوع مناهج العلم ما بين علوم المعقول والمنقول وعلوم العربية والفقه وأصوله، ومعرفة شروط الأوامر والنواهي، وحقائق ألفاظ العموم والخصوص، والفرق بين الحقيقة والمجاز، والظاهر وتأويله، والناسخ والمنسوخ، والتمحيص في قراءة الأخبار ولوازمها والأفعال والتقارير، وتحري تلقي القياس وأركانه وما يمكن أن يُستدل به، وعند قراءة المختصرات لا بد من تفكيك ما تعقد من العبارات وتفسير ما أغرب من الكلمات، وطلب ما سقط من زلة صاحب الكتاب، وعلى طالب العلم بعد تلقيه كل تلك العلوم يحق له النظر والبحث والسؤال وإبداء رأيه في المانع والمعارض[1].

نستخلص من خلال محتويات تلك الرسالة أن الإمام المؤيد كان يُذكِّر القائمين على الهجر العلمية بأن يقوموا بدروهم في إدارة هذه المدارس، ورمى من خلال ذلك إلى توجيههم وحضهم على تلقي العلم وتلقينه، واستطرد ببث مواعظه وحكمه وأوامره ونواهيه من خلال سرد أمثلة من القرآن وأقوال وأفعال الرسول ﷺ وصحابته المقربين، وشدد على التذكير بفضل أهل العلم.

وغاية الإمام المؤيد أن يجعل أهالي صعدة ينشغلون بما هو أفضل وأتقى لهم من إشعال فتيل الحرب والبُعد عن المماحكات القبلية برفع فضل العلم والشرع الإسلامي، ورمى من وراء ذلك إلى أن يُبين للجميع مدى حرصه واهتمامه بتثبيت الشرع الإسلامي وتطبيق أحكامه، والتشجيع على طلب العلم وفروعه، وكلها أمور كانت بعيدة عن اهتمام الحكام العثمانيين أثناء حكمهم لليمن.

وبعد أن قام الإمام المؤيد محمد بعزل أحمد بن القاسم عن إدارة شؤون صعدة وقام بتعيين الحسن بن القاسم عوضاً عنه، وأكد على تثبيت قرار التعيين وتنفيذه، ووضح الإمام في بنود

---

(١) الجرموزي: النص (رسالة المؤيد محمد إلى القائمين على طلبة العلم وطلبتها)، ق٦٤ب-٦٧أ.

هذا القرار كل الخطوات الدينية والعملية والاجتماعية والاقتصادية التي يجب العمل بها والالتزام بما يحتويه القرار، وقد رتب الإمام محمد بنود قرار التفويض أولاً بأول وعلى حسب أهميته، ولم يترك أي شأن من شؤون الإدارة ومنها شؤون العلماء والقضاة وطلبة العلم والرعية والتجار والمساكين وعامة الناس وأعطى كل ذي حق حقه[1].

نلاحظ أن الإمام المؤيد محمداً ومن خلال قرار التعيين الذي أطلق عليه «التفويض لشؤون إدارة صعدة وأقاليمها» كان هدفه تنظيم إدارة شؤون المدينة والقبائل المجاورة لمدينة صعدة ونجران وأن لا تُترك الأمور تسير بعشوائية، وأكد على تحديد الأدوار الإدارية المنوطة بكل شخصية في البلاد وعلى رأسهم إخوته الحسن بن القاسم وأحمد بن القاسم.

فقد قام الحسن بن القاسم بعد قمع ثورات القبائل ومماحكاتها وبناءً على ذلك التفويض قام بتعيين القضاة والموظفين والعمال في العِر وراَزِح وبنو جُماعة وبنو حذيفة وبنو سويد والعِشْة وكلها قرى ومدن أقاليم محاذية لمدينة صعدة شمالاً[2].

أما الحسين بن القاسم فقد وجه إليه الإمام المؤيد تفويض إدارة مناطق أخرى هي منطقة الشرفين وبلاد الحيمة وحَرَازْ ومناطق همدان ووادي ضهر ثم إقليم ريمة بكامله[3]، ورغم هذا التفويض إلا أن الإمام كان يتدخل حين يستدعي الأمر ويفرض تعيين إحدى الشخصيات الموثوق بها، فقد عمد إلى تعيين الحسن يحيى بن أحمد بن حابس الدواري لمنصب القضاء في مدينة صعدة، وعين الفقيه أحمد بن فيروز على الخطبة في مدينة إِبْ[4]، وولى منصب القضاء والتدريس الفقيه المهدي بن جابر بن نصَّار العفاري في مدينة شهارة[5].

كانت تلك بعض الإجراءات التي قام بها الإمام قبل إعلان الحرب ضد العثمانيين، فقد

---

(١) الجرموزي: النص،ق٦٨ب-٧١أ، الشرفي: اللآلئ، مخطوط، ج٣ق٤٣٤.

(٢) الجرموزي: النص، ق٤٩أ.

(٣) نفسه: ق٤٩أ، ب، ٥٠أ.

(٤) نفسه: ق٤٨ب.

(٥) نفسه: ق٤٦ب.

حاول ترتيب أمور مناطقه وتنظيمها-كما رأينا- استعداداً للمرحلة القادمة من الأحداث، وقسم الإمام جُل أوقاته في تحديد المهام والأمور التي سينظمها بنظره. فقد كانت تفد إليه الوفود من أقاليم اليمن المختلفة فينظر في أحوالهم ويتلقى تأييدهم«ويعمل على تقريب الشارد وتسهيل مرافق الوارد والصادر»[1].

كان للحسن والحسين وأحمد أبناء الإمام القاسم دور إداريٌّ ظهر جلياً وواضحاً في الفترة الأخيرة من الحكم العثماني لليمن، بعد أن نجح الحسن في دحر قواتهم من أغلب مدن ومناطق اليمن. فقد كان يعمل على تعيين الولاة والحكام والموظفين من المدن التي ينسحب منها العثمانيون، وخاصة حين تم حشد القوات الإمامية عند حصار العثمانيين في تهامة حول زبيد والمخا، ونجح الحسن كذلك في السيطرة على أغلب مدن ومناطق اليمن بعد خروج العثمانيين من اليمن وعمد إلى تعيين قادته وشخصيات مختلفة شاركت في فترة الحرب ضد العثمانيين ومنحهم الإقطاعات والحُكم في مدن وأقاليم مختلفة، أما الحسين بن القاسم - الشخصية الثالثة في البلاد بعد الحسن- فقد أطلق الإمام المؤيد محمد يديه، ومنحه صلاحيات واسعة في المناطق التي سبق وأن ولاّه عليها قبل خروج العثمانيين منها، كما سبق أن شرحنا.

الملاحظ أن الإمام المؤيد محمداً عندما منح إخوته صلاحيات واسعة في إدارة الأقاليم والمدن، لكنه ظل متابعاً لكل تحركاتهم وأعمالهم، وهم بدورهم حرصوا على أن يتم تبليغه واستشارته في كل الأمور الإدارية والسياسية، اتضح ذلك حين قام الإمام بتعيين شخصية اعتبارية بالنسبة للإمام وهو الأمير عبد الرب بن شرف الدين، فقد اهتم بمنحه حق ولاية مدينة تعز له ولأولاده من بعده، رغم أن الحسن في وقت سابق كان قد عين الشيخ علي بن شمسان ولكنه التزم بقرار الإمام وحاول سحب الشيخ من تعز والحد من نفوذه السابق في المدينة[2]. وعندما خرج حيدر باشا من صنعاء رغب الحسين بن القاسم السكن فيها وإدارة أعمالها، وظهر التنافس بين الأخوة أحمد بن القاسم والحسين بن القاسم، لكن الإمام أرسل توجيهاته وعيَّن ابنه علي بن المؤيد لإدارة شؤون صنعاء لكي يحد من التنافس على المدينة، كما

(١)الجرموزي: النص: ق٢١٩ب، عامر بن محمد: بُغية المريد، مخطوط، ق١٥٣.

(٢) الجرموزي: النص، ق٢٩٦أ.ب.

سبق أن وضحنا، والتزم الجميع بأوامر الإمام وطاعته.

استمر الإمام المؤيد محمد في إرسال توجيهاته وأوامره إلى الرعية والقبائل، فقد أمر القاضي أحمد بن عبد الله الغشم أحد الشخصيات الاعتبارية المقربة من الإمامة، وكان ذا نفوذ ومكانة دينية كبيرة في ذلك الحين، فقد أرسله الإمام إلى بلاد همدان وحراز، وهي مناطق قريبة من صنعاء، وكلفه بتوعية عامة الناس، وتعريفهم بأصول الشرع الإسلامي وما يجهلونه من أموره(١).

اتخذ الإمام المؤيد محمد العديد من الإجراءات الإدارية محاولاً تنظيم شؤون البلاد والناس بعد خروج العثمانيين من اليمن، حيث عيَّن وولى شخصيات مرموقة لإدارة المناطق والمدن المختلفة إلى جانب إخوته، فقد عيَّن السيد جمال الدين علي بن الحسن النُّعمي في منصب القضاء لمدينة صبيا ومخلافها، وفي ظفير حجة عين السيد يحيى بن أحمد بن محمد المنتصر ليشغل منصب القضاء فيها، وغيرهم الكثير ممن حرص الإمام المؤيد محمد على تعيينهم وتثبيتهم في مراكز القضاء والتدريس في المدن والهجر والأقاليم المختلفة(٢).

وتعمد الإمام المؤيد محمد أن يجمع أفئدة جُل علماء وفقهاء عصره الذين أيدوا دعوته واستندوا إلى إمامته، فقام بتعيينهم لمناصب القضاء والتدريس والإفتاء في كثير من الهجر العلمية والأقاليم المختلفة(٣).

يتضح لنا من خلال ذلك أن الإمام المؤيد أراد أن يرمي عصفورين بحجر، فقد رغب في تعيين أصحابه من الشخصيات العلمية البارزة الذين ساندوا دعوة الإمام القاسم، ثم أيدوا إمامته وترشيحه للإمامة، ولكي يفرض آراءه وقراراته الإدارية الحاسمة في عدة مناطق حتى وإن كانت تحت نفوذ أحد إخوته لكي يدركوا بأن للإمام اليد الطولى في فرض قوانينه وتعييناته، واستمر ذلك حتى بعد خروج العثمانيين من اليمن تبيّن ذلك حين كان الإمام يُرسل أوامره الإدارية إلى إخوته وعلى رأسهم الحسن بن القاسم فقد ولَّى السيد محمد بن

---

(١) الجرموزي: النص: ق٢١٩ب.

(٢) نفسه، ق٤٠أ.ب.

(٣) نفسه، ق٤٢أ.

أحمد بن الناصر على مخلاف جعفر وبلاد حيس في تهامة، ثم عزز بتعيين الأمير الناصر بن عبد الرب من آل شرف الدين على مدينة تعز وما حولها، والمهدي بن الهادي اليوسفي على الأقاليم التي ما بين تعز وذي جبلة، ثم عين السيد هاشم بن حازم بن أبي نُمي على مدينة زبيد، وفي ذمار ووصابين تم تعيين الأمير سنبل بن عبد الله، وفي عتمة المؤرخ المطهر الجرموزي، ثم أسند إليه ولاية بلاد وصاب بعد وفاة الأمير سنبل، وهناك الكثير من الأوامر والتعيينات الإدارية التي حرص الإمام المؤيد محمد على فرضها في المدن والأقاليم المختلفة(١)، وفي وقت لاحق قام الإمام بإرسال أوامره بتعيين الشيخ أحمد الناخوذة شيخاً على مدينة صنعاء، لكن هذا ظلم الأهالي في المدينة وأثار الفوضى والفتن؛ فسارع الإمام وأزاحه عن هذا المنصب وأوقع عليه من العقاب ما جعله عبرة لغيره(٢).

كان الإمام المؤيد محمد ومن خلال عهده الإمامي نلاحظ أنه لم يُغادر مدينة شهارة البتة، لكننا نلاحظ مقدرته على تسيير شؤون البلاد ومتابعتها من مركزه في شهارة، وقاد الدولة بحكمة وإصابة رأي، اتضح ذلك من خلال العديد من الأعمال والأوامر الإدارية التي وجهها في مختلف نواحي الدولة، منها حرصه على تجهيز قافلة الحج اليمني إلى المشاعر المقدسة، وأوكل قيادة القافلة إلى ولده علي بن المؤيد(٣)، واضعاً نصب عينيه أهمية تجهيز وتنفيذ هذه العادة الدينية السنوية والتي حرص العثمانيون أنفسهم على الاهتمام بها وليس هو أقل منهم تديناً وحرصاً على القيام بمساعدة اليمنيين من أجل أداء مناسك شعائرهم الدينية الواجبة.

حرص الإمام المؤيد محمد على احتواء وحل المشاكل الناجمة عن التنافس والصراع الدائر بين المشايخ والقبائل، وظهور عصيان ضد الإمامة في مناطق مختلفة في يافع وبعض قبائل الربعتين وابن العفيف وتآمرهم ضد الأمير عبد القادر بمساعدة الوالي العثماني في ذلك الحين قانصوه باشا، فوصلت أخبار تلك الحوادث والمؤامرات إلى الإمام فأرسل إلى الحسن بن القاسم وبمساعدة بعض القادة وكلفهم بالتوجه إلى هذه المناطق والقبض على مسببي الفتن

---

(١)الجرموزي: النص: ق٤٤أ-٥٠أ.

(٢) نفسه: ق٢٢٥أ.

(٣) نفسه، ق٨٠أ، يحيى بن الحسين: غاية الأماني، القسم الثاني، ص٨٣٣.

والمتآمرين فيها، ثم فرض الإمام على هذه القبائل عقوبة السبار وهو إطعام الجيش المرابط في ناحيتهم[1]، وفي ناحية أخرى يُعلن الإمام المؤيد العفو العام عن أهالي جبلة وما حولها نتيجة لإعلانهم الثورة والاحتجاج من تصرفات بعض أمراء وموظفي الإمامة ممن عينهم الحسن هناك والتمادي في ظلم الأهالي، لكن الإمام حرص على احتواء تلك المشكلة وعزل الأمير حسن وعفا عن الأهالي ومشايخ البلاد وجمع أفئدتهم ناحية الدولة الإمامية[2].

كانت أخبار الأقاليم والمدن تتوارد إلى الإمام المؤيد عن مختلف الشؤون الإدارية والسياسية وكيفية تطبيق شؤون إدارتها في تلك النواحي التي أصبحت تحت سيطرة الإمامة، ولم يألُ الإمام جهداً في احتواء مختلف المشاكل ومعاقبة مسببها، خاصة وأن إدارة الإمام لا زالت في بداية عهدها، ولذا نلاحظ اقتراف هؤلاء لكثير من الأخطاء وظلم الأهالي من قبل الأمراء والموظفين، مما يضطر الأهالي للجوء إلى الجانب العثماني، فيسارع الإمام ويعمل على احتواء تلك المشاكل وحل معضلاتها لكي لا تتكرر ثانية، خاصة في المناطق الوسطى والجنوبية من اليمن.

ونلاحظ أيضاً أن الإمام كان يتابع أحداث الحرب في تهامة باهتمام شديد، فأرسل الجيوش إلى مدينة صَبْيا وأبي عريش في إقليم عسير للقضاء على بقايا فلول العثمانيين وتدمير جيوبها على الساحل الشمالي من اليمن حتى تم حصارهم في زبيد والمخا[3].

وقد تعمد الإمام المؤيد محمد القيام بكل تلك الإجراءات العسكرية لإحكام الحصار على العثمانيين في تهامة، وليكون عوناً لأخيه الحسن قائد الجيوش فيها الذي بات يعد العدة من أجل حصار العثمانيين داخل زبيد والمخا بعد أن تمكن من إخراجهم من جميع المدن في المناطق الوسطى والتهامية من اليمن.

ولم يغفل الإمام المؤيدمحمد دور إخوته في إدارة شؤون البلاد في السلم وفي الحرب، وكان

---

(١) الشرفي: اللآلئ، مخطوط، جـ٣، ق٦٠٦.

(٢) الجرموزي: النص، ق١٩٩ب.

(٣) نفسه، ق١٧٧ب-١٧٨ب.

على رأسهم صنوه الحسن بن القاسم، فقد قام الحسن بن القاسم بدرو فعّال في إدارة شؤون البلاد، وكان له نفوذ وسلطة قوية في هذا المجال، اتضح جلياً مع بداية إعلان الحرب ضد العثمانيين بعد الهدنة الأخيرة. فقد حرص الحسن على أن تكون حاضرة نفوذه وسلطته أغلب المناطق الوسطى والجنوبية من اليمن، وحاول الاستئثار ببعض الأعمال فيها، لكن الإمام المؤيد محمداً كان بين الحين والآخر يفاجئه بفرض أحد القرارات أو التعيينات والأوامر لكبح هذا النفوذ والتسلط ولكي لا يغفل عن وجود السلطة الفعلية للإمامة المؤيدية.

ونلاحظ أن المطهر الجرموزي كاتب سيرة الإمام المؤيد محمد قد توسع في أجزاء كبيرة من نص السيرة للأعمال العسكرية التي قام بها الحسن بن القاسم في ذلك الحين، ومن بين الثنايا لم يغفل أن يدرج أعماله الإدارية والمالية، ورغم ميل الجرموزي للحسن فإن تلك الأعمال الإدارية التي نفذها الحسن في أقاليم اليمن المختلفة ما هي إلاَّ جزء من الكل الذي يشمل الفترة التاريخية كاملة، وهي فترة حكم المؤيد محمد بن القاسم، ولا نغفل الدور القيادي الذي اضطلع به الحسن في إدارة البلاد في ذلك الحين، ليس تحيزاً لشخصه، وإنما لأن المؤرخين أبرزوا هذه الشخصية، ثم يليها في الأهمية الحسين بن القاسم الذي ظهر دوره بعد وفاة أخيه الحسن بن القاسم، خاصة وأن الإمام المؤيد محمداً أسند للحسين إدارة كل المناطق والمدن التي كانت تحت نفوذ وإدارة الحسن بن القاسم لكي يحد من نفوذ وطموح الطامحين الذين ظهروا في تلك المرحلة التي أعقبت وفاة الحسن بن القاسم (١٠٤٩هـ/ ١٦٣٩م)، وخاصة أبناء الحسين.

كان للحسن بن القاسم عدة أعمال إدارية قام بتنفيذها وإدارتها خاصة في أوقات الهدنة التي كانت تُبْرم مع الجانب العثماني، فقد كان يتنقل بين أقاليم ومدن اليمن التي تحت نفوذه، وينظم شؤونها وإدارتها، ويُعين الموظفين القائمين عليها، ويرفع المظالم عن أهلها ويقرر ما عليهم من حق المعاونة في الحرب.

فقد كان الحسن حريصاً على التنقل بين القرى والمدن المختلفة للاطلاع على أحوال الأهالي ومعاشهم، واستعداداً وتهيئة للمراحل القادمة من الحرب ضد العثمانيين، فقد قام

بجولة في ظليمة وبلاد الظاهر وظُفار وذِيْ بِيْنْ، ثم عرج على حصن ذي مرمر وجهزه بما يلزم من المؤن، ثم دخل الغراس وعمَّرها وصعد إلى كوكبان ومكث بها فترة للاطلاع والتقصي عن أحوالها ومعاش أهلها وأحسن إليهم، واجتمع بأخيه الحسين هناك، وقاما بجولة تفقدية شملت كثيراً من القرى والأقاليم منها بلاد الحِجْرة وحَرَازْ في الحْيمة حتى انتهى به المطاف في ضوران آنس[1].

وخلال تنقلاته تلك اتخذ العديد من الإجراءات القمعية بحق البدو المتنقلين لما كانوا يثيرونه من الشغب والفتن والنهب، واستقوى بقبائل الحداء وقربهم إليه وجند رجالهم في جيشه واتخذهم سنداً له، ولكنه اشترط عليهم أمرين الإجابة للشريعة المطهرة وأن عليهم تسليم الحقوق المالية الواجبة[2].

قام الحسن في خلال جولته التفقدية تلك بتقوية سلطته وعزم على إنشاء حاضرة حكم جديدة لحكمه في ضوران آنس، كما سبق أن عرضنا، ووسع حجم قواته فقرّب إليه الكثير من السادة والأعوان، وضم إليه أعوان البلاد، وأمَّرهم على المدن المختلفة، وقد سبق له أن ضم إلى جيشه كثيراً من العسكريين العثمانيين الذين انضموا إلى المعسكر الإمامي، واستفاد من خبرتهم العسكرية والإدارية[3].

تجلت مقدرة الحسن بن القاسم الإدارية والعسكرية عند حصار زبيد والمخاء وبعض الجيوب العثمانية على الساحل، فقد أحكم الحصار على المدن التهامية بناء على توجيهات الإمام المؤيد محمد، فقد أوكل مهمة حصار مدينة زبيد للأمير سنبل بن عبد الله من ناحية حيس ووصاب، ثم أرسل الإمام توجيهاته بتعيين السيد هاشم بن حازم من أهالي عسير بالتمركز في بيت الفقيه ليكون سنداً لبقية القادة المُحاصرين للعثمانيين في زبيد وما حولها[4].

---

(١) الجرموزي: النص، ق٢١١أب-٢١٣أ، ب، يحيى بن الحسين: غاية الأماني، القسم الثاني، ص٨٣٤.

(٢) نفسه: ق٢٧٦، ابن الوزير: طبق الحلوى، ص٥٩.

(٣) وليد النود: قيام الدولة الإمامية في اليمن، ص٢٧٥، رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة إلى قسم التاريخ جامعة صنعاء.

(٤) الجرموزي: النص، ق٢٠٣أ، يحيى بن الحسين: غاية الأماني، القسم الثاني، ص٨٢٦.

أدرك الحسن بن القاسم أهمية التنظيم الإداري في البلاد وهو في الوقت ذاته لا يزال يخوض الحرب ضد العثمانيين في تهامة، فيقوم بتحديد المهام الإدارية لإحدى أسر النقايل وهي أسرة عامر بن عبد الوهاب القصار. منح الحسن بن القاسم لهذه الأسرة مهام إدارية حددها لهم وهي ضبط الأمور الإدارية والتسجيل في الدفاتر للصادر والوارد، وكأنه بذلك يضع اللائحة التنفيذية للوظيفة التي عيَّنه فيها في مدينة تعز أثناء المرحلة الأخيرة من الحكم العثماني والحسن لا يزال يحكم حصاره عليهم في زبيد. ورغم انشغاله بأموره العسكرية إلا أنه لم يغفل أمراً مهماً وهو بناء جهاز الدولة الإداري وتنظيم أوضاع الدولة الجديدة وبناء كيان إداري جديد على أنقاض الحكم العثماني، وبالتالي عليه فرض هيمنة الدولة الجديدة. ولعله كان يهدف من وراء هذا التعيين مكافأة هذه الأسرة على الخدمات السابقة التي قاموا بتقديمها للإمامة وللجيش الذي يحارب ضد الحكم العثماني(١).

عمد الحسن بن القاسم قبل انسحاب العثمانيين من اليمن على بناء حاضرة جديدة تكون مقراً ومستقراً له ولحاشيته وجنوده، فاختار إقليم آنس وفي مدينة ضوران استحسن الاستقرار والبناء فيها فقام ببناء حصن الدامغ في رجب سنة (١٠٤٠هـ/ ١٦٣٠م)، وانتهى من عمارته سنة (١٠٣٤هـ/ ١٦٣٣م)، وكان قد سبق له أن أرسل للإمام المؤيد يستشيره في هذا الأمر، وعرض عليه مقدار استحسانه لهذا الموضع، وبدوره الإمام أرسل من قبله من يعاين هذا المكان، ثم أرسل لأخيه الحسن يعلن استحسانه لفكرة بناء وتعمير مدينة ضوران وحصن الدامغ وزوده بأدوات البناء والبنائين، وقَدِمَ الحسين بن القاسم إلى ضوران آنس وشارك أخاه الحسن في تعمير المنطقة واستصلاح الأراضي الزراعية(٢).

كان الحسن قبل إنجاز فكرة بناء مدينة ضوران قد تنقل بين صنعاء وكوكبان ثم ضوران خاصة حين عزم على ترك العيش في شهارة، وانتقل بأهله وحاشيته عنها لقول له «بأنها لم تعد تسعه وتسع أهله» نظراً لضيق مساحتها وشحة مواردها فقد كان لزاماً عليه أن يبحث عن

---

(١) د/ سيد مصطفى سالم: وثائق يمنية، ص٤٥.

(٢) الجرموزي: النص، ق١٢١٢أ، يحيى بن الحسين: غاية الأماني، القسم الثاني، ص٨٣٤، جامع الحسن بن القاسم: بروس بالوك-ريا الصكار، ص١٤.

ملجأ ومستقر آخر له ولأهله وجنوده[1].

ولعل الحسن بن القاسم قد خطط لفكرة بناء حاضرة جديدة له، لكي يتمكن من جمع الأعوان من علية القوم ورؤساء المشايخ من حوله، ولكي يتمكن من ممارسة سياسته الإدارية والمالية من هناك بعيداً عن نظر الإمام المؤيد الزاهد، وتوسع الحسن في رغد العيش والعبيد وكثرة الأهل والأبناء، وكل هذه الأمور لا يستحسنها الإمام ولا قانونه في الزهد والتدين، وعدم وضع المصارف المالية في غير موضعها.

بدأ بناء الدولة المؤيدية مبكراً قبل انسحاب العثمانيين من اليمن، وقد اتخذ الإمام المؤيد العديد من التدابير لتنفيذ سياسته الإدارية في كل مناطق اليمن، وحين بدأت الحرب في تهامة وعند حصار العثمانيين في زبيد والمخا نلاحظ أن الإمام كان يُرسل أوامره وتوجيهاته إلى معسكر الحسن في التريبة خارج مدينة زبيد، ويعمل جاهداً على جمع الرجال والعتاد من شهارة، ويراسل القبائل إلى كل المناطق يستحثها من أجل المشاركة والمعاونة في تلك الحرب، وبلغ به الأمر أن أرسل إخوته وجميع المقربين من آل القاسم لكي يشاركوا الحسن في تلك الحرب.

وقد رأينا في الفصول السابقة دور الإمام عند وضع خطط الحرب، ودوره عند عقد الهدنة والصلح مع الجانب العثماني حتى تم خروجهم من اليمن.

استقلت اليمن عن الحكم العثماني سنة (١٠٤٥هـ/ ١٦٣٥م) وتواصل بناء الدولة المؤيدية المستقلة بزعامة المؤيد محمد بن القاسم، وسنلاحظ بعد انسحاب العثمانيين تطوراً ملحوظاً وتغيراً في السياسة الإدارية للمؤيد محمد وإخوته، وبناءً على توجيهات الإمام قام الحسن بن القاسم بترتيب الأوضاع الإدارية في المناطق التهامية، فقد دخل مدينة زبيد وأمضى شهر رمضان فيها، فتقرب من الأهالي وأعلن الأمان بينهم، ثم قام بترتيب الشؤون الإدارية في المدينة وعيّن السيد هاشم بن حازم العسيري عليها، وأوكل إليه تنظيم إدارة زبيد ونواحيها على أن يرسل الأموال والضرائب الواجبة للدولة، ويُحسن إدارة أوقافها وصوافيها

---

(١) الجرموزي: النص، ق٢١٢ب.

كما يجب[1]. ونفذ الحسن بن القاسم العديد من الإجراءات الإدارية في زبيد وباقي المدن التهامية، فقد تم تعيين الشيخ علي بن شمسان على العساكر في زبيد، وولى بعض قادته على جهات الحجرية وبعض نواحيها، ليتم ضبط الأمور فيها، خاصة مع انشغالهم سابقاً بتلك الحروب، وامتناع كثير من قبائل تلك النواحي من تقديم يد العون ومنها المساعدات المالية[2].

وتوجه الحسن إلى جزيرة كمران لتدريب الجنود على الشؤون البحرية، وقام بتنظيم قانون الأسواق فيها، وقد حرص الحسن على إلغاء القوانين الجائرة التي فُرضت على الأهالي وثَبَّتَ القوانين الشرعية في المدن التهامية ومنها زبيد، ثم أمر بعمارة الأسواق والدور والأسوار التي تضررت من الحرب، وحصَّن كمران بالمدافع، وقام بجولة تفقدية في الموانئ، وحرص على بناء السفن والقوارب وتدريب القادرين على العمل فيها، وأمَّر عليهم النقيب سعيد بن ريحان، واتجه إلى موزع وعيّن عليها الأمير الهادي بن الشويع، وحين اطمأن الحسن إلى تنظيم كل الشؤون الإدارية في مدن وسواحل تهامة، توجه إلى حاضرته مدينة ضوران بصحبته كثير من الجنود العثمانيين الذين رغبوا في البقاء وأصبحوا من خواصه وأصحابه[3].

نلاحظ من خلال الأحداث السابقة أن الحسن بن القاسم كان قد فرض سيطرته ونفوذه على أغلب المناطق التهامية والوسطى، ثم رحل إلى ضوران ومنها إلى صنعاء متنقلاً وبصحبته أخيه الحسين بن القاسم ومكثا فترة فيها، ورجع الحسين بعد ذلك إلى ضوران زاهداً عن المظاهر الملوكية التي أحاطت بأخيه الحسن في تلك الرحلة، ولذا سيبادر إسماعيل بن القاسم بالانتقال من شهارة إلى ضوران طامعاً في كرم الحسن الواسع ومبتعداً عن المشقة التي نالته من زهد الإمام المؤيد محمد[4].

---

(١) يحيى بن الحسين: بهجة الزمن، جـ١، ص١٠١، رسالة ماجستير منشورة للدكتورة/ أمة الغفور الأمير.

الصوافي أو الصواف: جمع صافية، وهي الأرض الزراعية التي ليس لها وارث أو جلا عنها أهلها، وفي اليمن كثير من الصوافي أقدمها صافية صنعاء وذمار، الموسوعة اليمنية مقالة للدكتور العمري، الجزء الثاني/ من منشورات مؤسسة العفيف، ص٥٥٨.

(٢) الجرموزي: النص، ق٢٧٢ب.

(٣) نفسه: ق٢٧٢ب-٢٧٣ب، الحبسي: تتمة الإفادة، مخطوط، ق١١٤، د. حسين العمري: تاريخ اليمن (من المتوكل إلى المتوكل)، ص٣٤.

(٤) يحيى بن الحسين: بهجة الزمن، جـ١، ص١١٣، الحبسي: تتمة الإفادة، مخطوط، ق١١٥، ابن الوزير: طبق الحلوى، ص٥٦.

نعمت البلاد بالاستقلال وتفرغ الإمام لحل ما أشكل وظهر من مشاكل قبائل نِهْم وخَوْلان بني الحارث وَهَمْدان، وتفاقمت مشاكل هذه القبائل لأمور سادت فيما بينها من الإحن والمماحكات القبلية، فأرسل الإمام المؤيد محمد لأخيه الحسن، ووجه له الأوامر بحل تلك المشاكل والفوضى القبلية، فاتجه الحسن صوب صنعاء وجمع فيها الأطراف المتناحرة من تلك القبائل وقبض على الساعين في ذلك الفساد وأنزل فيهم العقاب «الذي وصل به رأي الإمام»[1].

وفدت إلى الحسن في صنعاء قبائل المشرق الشمالية من أقاليم قحطان وشهران وعرضت عليه نجائب خيولها، فاشتراها منهم وأحسن وفادتهم وتفاوض معهم على أن يقدموا له العون والمشاركة حول بعض تطلعاته المستقبلية وهي التوسع شمالاً.

كان الحسن بن القاسم يتطلع لفتح مكة والحجاز حسب قول المؤرخ الجرموزي-أما مصر فكان يرى أنها ستكون «أسهل ما يطمع في فتحها»، خاصة وأنه كان يتلمس أن العرب لا محالة سوف يساندونه ويقدمون له العون والمشاركة، وبدأ يستعد بأن جمع الخيول وفرقها على القبائل للعلافة، وأصلح الآلات والمعدات المساعدة له في تلك الفتوحات، وشجع حياكة الكسا والأثواب المناسبة لذلك، لكن الأجل عاجله ولم يتمكن من تحقيق ذلك الحلم[2].

الملاحظ أن الحسن بن القاسم أصبحت تطلعاته وطموحاته أكبر من أن تسع اليمن، فقد رغب في إدخال الحجاز لطاعته وطرد الأتراك منها، ثم يتوجه إلى مصر التي رأى من وجهة نظره أنها ستكون أسهل منالاً، نظراً للكراهية التي يكنها العرب للعثمانيين، فقد كان واثقاً من مساندة العرب جميعاً له في ذلك التطلع أو كما سماه الفتح، لعل الحسن بن القاسم لم يدرك صعوبة تحقيق هذا الحلم، خاصة وأنه لم يغادر اليمن بتاتاً ولم يكن على دراية كاملة باختلاف الأفئدة والاتجاهات لدى العرب، واختلاف الظروف الاجتماعية والجغرافية، ولم يستطلع آراء ومواقف ذوي النفوذ من الأسر والعشائر المختلفة في الجزيرة العربية، خاصة الحجاز،

---

(١) الجرموزي: النص، ق٢٨١.

(٢)نفسه، ق٢٨١أ،ب.

ويبدو أنه لا يعلم من سير الأمور إلا كراهية العرب للحكم العثماني في العالم العربي.

أما إذا انتقلنا إلى الدور الإداري الذي اضطلع به الحسين بن القاسم في الفترة ما قبل انسحاب العثمانيين من اليمن، وتوضيح وإبراز دوره في فترة الاستقلال وبناء الدولة المستقلة، فقد كان الحسين بن القاسم ملازماً ومشاركاً في جُلِّ الشؤون السياسية والإدارية والعسكرية التي قام بها إخوته وعلى رأسهم الإمام محمد، وقد سبق أن وضحنا دور الحسين السياسي والعسكري قبل انسحاب العثمانيين من اليمن، وإسهاماته العسكرية البارزة في الحرب بين المدن والأقاليم المختلفة، ووضحنا مشاركاته في الحصار الطويل في تهامة، ونتيجة لصعوبة فصل الأمور الإدارية بالشؤون السياسية فسوف نحاول تلمس واستنباط بعض الأعمال الإدارية التي قام بها الحسين بن القاسم في هذه المرحلة من تاريخ اليمن.

ترجع شهرة الحسين بن القاسم إلى علمه الواسع وتصانيفه العلمية الكبيرة، وانشغاله في أكثر أوقاته بتأليف أمهات الكتب الفقهية والشرعية التي تداولتها الأجيال بعد ذلك كأثر ديني وفقهي هام استحوذ على اهتمام الكثير من المسلمين في اليمن وخارجه، ورغم ذلك إلا أن الحسين قام بدور إداري ملموس وتحمل جزء من الشؤون السياسية والإدارية التي وجهه إليها الإمام المؤيد محمد.

فقد حرص الحسين بن القاسم على القيام بجولات تفقدية في المدن والأقاليم المختلفة التي أوكل إليه الإمام بشؤون إدارتها وتنظيم شؤونها، وفرض القوانين الشرعية الواجبة كجباية الأموال والزكاة، خاصة في أوقات الهدنة. وتم شرح ذلك في الفصل السابق.

أما في أوقات الحرب وخوض غمارها فقد كان أحد جناحي الإمامة المؤيدية بعد أخيه الحسن بن القاسم، وتحمل مشقة الحرب والحصار، وتمرد القبائل، ونفذ كل توجيهات الإمام المختصة بإدارته، فقام بتنفيذ وتطبيق القوانين الشرعية في منطقة الحيمة وعزل المشايخ الذين ظلموا الأهالي ورفضوا تسليم معونة الحرب الواجبة عليهم حسب رأي المؤرخ[1].

---

(١) الجرموزي: النص، ق١٢٠أ.

وعند حصار صنعاء كان أحد المشاركين في ذلك الحصار حتى تم إخراج حيدر باشا منها، ثم شارك في أغلب المعارك العسكرية في كل مناطق اليمن. انشغل الحسين بالتأليف والتصنيف، وانعزل في وادي النائجة بآنس أوقاتاً كثيرة من السنة، وفي أوقات أخرى يتنقل إلى صافية ذي بهلان محبة بالزراعة وإدارة بعض الأعمال الخاصة به، خاصة حين اختلف مع الإمام المؤيد محمد حول بعض الشؤون الإدارية في صنعاء والحيمتين[1].

وبعد وفاة الحسن بن القاسم أوكل الإمام للحسين إدارة كل المناطق والمدن التي كانت بنظر وتحت إدارة الحسن بن القاسم، وتعمد الإمام إسناد جُل الشؤون الإدارية والسياسية في المناطق الوسطى والجنوبية تحت إدارة وإشراف الحسين بن القاسم لكي يَحُدّ من نفوذ الطامحين من أولاد الحسن أصحاب المراكز القوية التي برزت في عهد الحسن بن القاسم، كما سبق أن شرحنا أبعاد ذلك الطموح والنفوذ مُفصلاً.

أرسل الإمام المؤيد بمرسوم أو قرار توجيهي للحسين بن القاسم، وأُعلن على الملأ لكي يحد من أطماع هؤلاء، ولكي يطلق يد الحسين في إدارة كل المناطق والمدن الوسطى والتهامية التي كانت تحت إدارة الحسن، وإسنادها إليه.

تضمن المرسوم أو القرار الذي أصدره الإمام عدة من الأوامر والنصائح والنواهي شملت «كل ما يتبع من أعمال جميع ما كان إلى الصنو الحسن ولايته من البلاد إلى أخيه الحسين أغوارها وأنجادها وقربها وبعدها، بحرها وبرها وحصونها ومعاقلها ومدنها وسواحلها وأقاصيها ودانيها، وما اشتمل عليه أطرافها ونواحيها وعقد ولايتها وإنفاذ أوامرها وقبض حقوقها وتقرير وظائفها وتمهيد قواعدها وسد ثغورها وإصلاح أمورها ونظم جنودها وعساكرها ومواردها ومصادرها، ليس إلى صغير ولا كبير إقدام ولا إحجام إلا عن أمره، ولا تصرف في قليل ولا كثير إلا عن تصرفه وإذنه، بل إليه جميع ما فيها يؤدي منه ما أمرناه بتأديته من نحو مرتزقيها وموظفيها، ويرفع ما فَضل من ذلك إن شاء الله إلينا، ويوفر بمعونة الله قليله وكثيره علينا لنضعه في محله، ونعد منه في أمر المسلمين ولعدوهم ما

---

(١) يحيى بن الحسين: بهجة الزمن، جـ١، ص١٣٢.

أمر بإعداده في كتابه». ثم يواصل سرد أوامره بالعديد من التواصي والنواهي منها تشجيع العلم والعلماء وعمارة المساجد والأوقاف والسُبل والمناهل والمدارس، والتحري في إقامة الحدود من الآداب، وأن يتشدد على أهل المعاصي، ويختتم ذلك القرار بوجوب الرضوخ من الجميع والطاعة لهذه الولاية دون منازع. «وأن يجتمعوا على التعاون وعمارة البلاد وصلاح العباد وتطهير الأرض من الفساد»[1].

حرص الحسين بن القاسم أثناء فترة ولايته لهذه المناطق أن يطوف ويتجول فيها، ليطلع وعن قُرب على شؤونها وأحوالها، فاستقر في تعز لمدة ثلاثة أشهر، تمكن في خلال هذه الفترة من جمع الجنود والعساكر المتفرقة، وخصص لهم المرتبات والحوافز المالية، وثبَّتَ بعض الأمراء والولاة في مناطق ولاياتهم الأولى مثل السيد هاشم بن حازم العسيري في زبيد وفي الموانئ المجاورة لها، ثم تقرب من أولاد أخيه محمد وأحمد بن الحسن وحاول احتواءهم إلى صفه هم وعساكرهم وجميع أصحابهم وحاشيتهم، وسجلهم في سجلات المرتبات والحوافز التابعة للجيش الإمامي المؤيدي.

وقام الحسين بزيارات تفقدية شملت مدينة إب ويريم لإصلاح وترتيب شؤونها الإدارية، وعزم على زيارة الإمام في شهارة لكي يشرح له الأوضاع والشؤون العامة للبلاد[2]، ورحل بعد ذلك إلى ذمار، وفيها تفاقمت عليه المشاكل من هرج ومرج واضطرابات العساكر في المدينة، فكان ذلك سبباً لوفاته[3].

توفي الحسين بن القاسم سنة (١٠٥٠هـ/ ١٦٤٠م) وفقد الإمام المعين والمساند الآخر في بناء دولته، وتغيرت أحواله وسياسته، وبدأ ينفذ خطة إدارية أخرى، عازماً على تسيير أمور الجمهور دون منح أي سلطات لأي شخصية أخرى، وقد ساعد على ذلك عدم ظهور أي قوة متنفذة وطامحة من أبناء الحسين بن القاسم أو من المقربين إليه، وقد رأينا أن الحسين كان

---

(١) الجرموزي: النص (رسالة الإمام لأخيه الحسين بن القاسم)، ق٢٩٤ب-٢٩٦أ.

(٢) الجرموزي: النص، ق٣٠٢ب.

(٣) يحيى بن الحسين: بهجة الزمن، جـ١، ص١٩٢.

حريصاً على ترك وصية طويلة ومفصّلة، حدد ووضح فيها كل الشؤون الخاصة عن العامة، وفصل كل الحقوق العامة للدولة عن الحقوق الأسرية والخاصة بأولاده من بعده، ولم يترك لا صغيرة ولا كبيرة إلا ووضحها في وصيته تلك[1].

استمر الإمام المؤيد محمد في إدارة شؤون البلاد بعد وفاة أخويه الحسن والحسين، وحرص على الإشراف وتنفيذ جميع الشؤون الإدارية والسياسية في كل مناطق اليمن، فأرسل توجيهاته لجميع الشخصيات الإدارية في عموم البلاد وهم بدورهم أدوا المهام الموكلة إليهم كما أمر به الإمام، ومنهم إخوته أحمد بن القاسم وإسماعيل بن القاسم. اتضح ذلك حين أسند قيادة الجيش لإسماعيل، وأمره بقمع تمرد أحمد بن الحسن في عصيانه للمرة الثانية-كما سبق أن وضحنا-ثم عيَّنه لإدارة مدينة ضوران لفترة زمنية وجيزة، ثم عزله عن ولايتها خوفاً من تجدد وازدياد السيطرة والنفوذ في هذا الإقليم[2].

قام الإمام المؤيد محمد بتنفيذ بعض الشؤون الإدارية الخاصة بالشؤون القبلية، فقد تقدم أهالي ظفير حجة بشكوى إلى الإمام عن تفاقم وتطور المشاكل والإحن بين القبائل ومشايخها، فأصلح الإمام المؤيد ما شجر بين هؤلاء من خلافات ومماحكات قبلية، فألزمهم بتوقيع صلح اتفاق بين جميع الأطراف، ثم أجبر المشايخ بتطبيق القوانين والقواعد الشرعية في المنطقة وفيما بين الأهالي[3]، وفي موقف آخر فقد قام الإمام بمنح بعض الامتيازات لبعض الأسر اليمنية كأسرة المقبلي من وادعة، وهو امتياز ديني منحه الإمام المؤيد لهذه الأسرة ذات المكانة والحظوة غايته إبعاد القبائل عن سلطاتهم ونفوذهم القبلي، وفرض الشعار الذي رفعه ضد العثمانيين، وهو الحض على التمسك بالتعاليم الدينية والعمل بالأحكام الشرعية، والابتعاد عن الأعراف القبلية المسماة بالطاغوت، خاصة وأن الدولة القاسمية في هذه الفترة أي فترة الاستقلال لم تعد بحاجة لمنح أي امتيازات مادية للأعوان والأنصار، وإنما هي بحاجة إلى فرض التوجيهات الدينية، ورفع الشعارات الإسلامية وتأكيد وفرض سلطة

---

(١) الجرموزي: النص، ق٣٠٣ب، يحيى بن الحسين: بهجة الزمن، جـ١، ص١٩٣.

(٢) المصدر السابق: ق٣٦٢ب، ٣٢٦أ. ، يحيى بن الحسين نفس المرجع، ص٢٢٣.

(٣) نفسه، ق٣٣١.

الدولة[1]. وقد كان الإمام يحرص على إصلاح الشؤون الإدارية في البلاد، فتصدر لعدة مواقف إصلاحية لتقويم ما اعوج من أمور بعض المدن والأقاليم، وتقليص نفوذ بعض الأسر المتنفِّذة في بعض المدن، فقد أعلن أهالي جبل الشرق في آنس وبنو الرَوِيَّة وقبائل ريمة الثورة والاحتجاج سنة (١٠٥٢هـ/ ١٦٤٢م) على الولاة والحكام، وطالبوا الإمام بتغييرهم بحجة أن هؤلاء تمادوا في ظلم الأهالي وقطع الأرزاق، وترأس ذلك الاحتجاج الشيخ علي بن ناصر راجح الآنسي، وعمد إلى قطع الطريق للتعبير عن مطالبهم، فأمر الإمام بتسكين تلك الثورة، ثم عيَّن إبراهيم بن عامر لتولي أمر هذه المناطق، فأحسن إدارتها وتسيير شؤونها، وأغدق عليهم الأموال الواسعة حتى وصل به الحال إلى استدانة الأموال ليسد حاجة ومطالب الناس، ويجمع أفئدتهم ناحية الدولة[2].

اتضح من خلال ذلك التمرد الإداري لبعض القبائل في تلك المناطق، واحتجاجهم على سوء إدارة الولاة، ورد فعل الإمام إزاء ظهور مثل هذه الأخطاء الإدارية الناجمة عن إعطاء نفوذ وصلاحيات لبعض الأسر التي شاركت في فترات سابقة من الحرب وعند بداية بناء الدولة المستقلة، وقد حاول الإمام جمع وتركيز سلطته على مختلف القوى السياسية، ومنهم أولاد أخيه الحسن بن القاسم وتكرار أعمال التمرد والعصيان من أحمد بن الحسن -كما سبق أن وضحنا- فعزم الإمام المؤيد محمد الحد من نفوذهم السياسي والإداري، فكانت خطوته التالية أن أمر بخراب حصن ذي مَرْمَرْ بعد إخراج أهله وحاشيته منه، وإجبارهم على الانتقال إلى صنعاء[3]، وقد عبَّر بعض المؤرخين عن احتجاجهم لخراب هذا الحصن الأثري القديم، «فلم يكن للإمام أي فائدة من خرابه، ولا دفع ضرر، وإنما كان بقاؤه أصلح من خرابه»، بتعبير المؤرخ عيسى بن لطف الله[4].

كانت وجهة نظر الإمام حين أمر بخراب حصن ذي مرمر، أن ذاك الحصن كان يمثل

---

(١) د/ سيد مصطفى سالم: وثائق يمنية، ص٥١.

(٢) الجرموزي: النص، ق٣٢٨ب،٣٢٩أ، يحيى بن الحسين: بهجة الزمن، جـ١، ص٢١٠.

(٣) يحيى بن الحسين: بهجة الزمن، جـ١، ص٢١١.

(٤) عيسى بن لطف الله: روح الروح، مخطوط، جـ٣، ق٢٧.

مقراً وبؤرة لأصحاب النفوذ ومنهم أحمد بن الحسن وأصحابه، وبخرابه يفقدهم لهذا المكان ويخفي كل أثر ومستقر لهؤلاء، وقد نجح الإمام وسيطر على كل الاضطرابات والاختلالات السياسية والإدارية، وقمع كل من تخوِّلُ له نفسه ويفكر أن يخلق له نفوذاً في أي منطقة من مناطق اليمن.

أما إذا تطرقنا إلى نفوذ الإمام المؤيد محمد بن القاسم السياسي والإداري في المناطق الشمالية وأقاليمها أي في إقليم عسير، وتوضيح العلاقة بين الإمامة في شهارة، وبين الفئات الاجتماعية المختلفة في عسير ونواحيها، وكيف تطورت تلك العلاقة وإلى أي مدى تعاطف أشراف هذه المناطق مع الإمامة في شهارة؟ فلقد رأينا ومنذ وقت مُبكر أن الإمام حرص على استطلاع اتجاهات وتبعية أشراف عسير للإمامة. وقد تجاوب هؤلاء مع الإمام، وقدموا له الكثير من العون أثناء حروبه ضد العثمانيين، كما سبق وأن شرحنا ذلك مفصلاً، وبالرغم من تعاطف أشراف عسير مع الإمامة، إلا أنهم كانوا دائماً يحبذون استقلال إدارتهم الذاتية في أقاليمهم، وقد تعمد الإمام المؤيد أن يُصرح لهم في رسائله، بعدم معارضته لحقهم في إدارة حكم وولاية بلادهم. فيذكر في إحدى رسائله«إنَّا لا نشحُّ بالولاية على من فيه كفاية»[1]، لكن الارتباط الوحيد الذي كان يشترطه على هؤلاء الأشراف أن يقدموا للدولة الواجبات المالية المستحقة عليهم[2]، وأن تكون الخُطبة والولاء في التعيين للإمامة.

وقد توطدت علاقة قوية بين الإمام المؤيد محمد وبين أشراف عسير حين تصدر الإمام لحل بعض النزاعات والتنافس بين الأشراف هناك، ولتدخل أشراف الحجاز في شؤونهم الداخلية لمحاولة فرض بعض التبعية، لكن وبالرغم من كل ذلك فقد كان لهم الحكم الذاتي عن الجميع، ونرجح بأن العلاقة التي نشأت بين الإمامة وبين أشراف عسير ترجع إلى حاجة هؤلاء للاستقوا بطرف آخر وهي الدولة الإمامية في شهارة ضد أشراف الحجاز، ولمنعهم من محاولاتهم الحثيثة لاحتواء أشراف عسير إليهم، وقد كانت سياسة الإمام الإدارية واضحة

---

(١) الجرموزي: النص، ق١٨٣أ.

(٢) نفسه: ق١٨٥أ.

تجاه هؤلاء، فقد نجح في كسبهم إلى ناحيته، واعتراف هؤلاء الأشراف بسلطة الإمامة القاسمية، طالما أبقت على مصالحهم وبقائهم في المناطق التي يحكمونها، وقاموا بأداء دورهم المنوط إليهم بإرسال العوائد والأموال الشرعية المفروضة إلى الإمامة في شهارة حتى وفاة المؤيد محمد.

نستخلص من خلال ذلك العرض مدى نجاح سياسة الإمام المؤيد الإدارية، ومحاولته الحثيثة لتأسيس إدارة قوية وشرعية لدولته، وبالرغم من الصعوبات التي واجهت الإمامة القاسمية إلا أن الإمام المؤيد محمداً وبجهود متواضعة استطاع في ذلك الوقت تحقيق ذلك لقوة شخصيته وسياسته الهادئة المسالمة، وبالتالي نجح في جمع الأنصار والمؤيدين الذين ساعدوا في تأسيس السياسة الإدارية للدولة القاسمية.

المآثر العمرانية

أما الدور الحضاري والمآثر العمرانية التي برزت في عهد الدولة القاسمية المستقلة، بلا شك إن إحدى مقومات بناء الدولة المستقلة يتطلب من الفئات التي تحكم وتسيطر على شؤون البلاد أن تعمل من أجل البناء والعمران، ومن هذا المنطلق فقد حرص الإمام المؤيد محمد وإخوته على تشييد بعض المآثر العمرانية في مدن وأقاليم مختلفة من اليمن، وحين قامت الدولة الإمامية المستقلة كانت تعاني من أزمة اقتصادية خانقة، نتيجة لعدة أسباب، سوف نشرحها لاحقاً، لكن الدولة المستقلة حاولت وبمواردها الاقتصادية الشحيحة أن تعمل على تأسيس وإيجاد موارد اقتصادية فعَّالة في البلاد.

انحصرت أغلب المآثر العمرانية التي شيدها المؤيد محمد في مركز الإمامة أي في شهارة وما حولها، وانصب جُل اهتمامه على بناء وتأسيس الهجر العلمية فقط. إلا أنه أمر ببناء سمسرة القبتين على طريق «باب اليمن» قريباً من أحد أبواب صنعاء القديمة.

كانت إحدى أولويات اهتمام المؤيد محمد في تحسين مداخل مدينة شهارة والطرق المؤدية إليها، فقد حرص على رصف وتمهيد الطرق المؤدية إلى المدينة لتسهيل الدخول والخروج

منها؛ فالمعروف أن مدينة شهارة عبارة عن مدينتين تقعان على قمة جبلين شاهقين، هما شهارة الأمير وشهارة الفيش، وتفصل بينها هاوية سحيقة، وتربطهما طريق واحدة عبارة عن جسر معلق لا زال قائماً حتى الآن يعبره الناس على الأقدام، وللمدينة طرق محكمة بين الجبال، ولكل طريق باب وهو باب النصر وباب النحر وباب السرو وباب الفتوح، هو المشهور في عهد الإمام المؤيد محمد الذي حرص على عمارة المدرج المؤدي إليه(١)، وقد اهتم الإمام بعمارة وتشييد هذا المدرج كل الاهتمام، وحرص على العمل فيه بيده أحياناً، وإذا انشغل ببعض أمور الرعيَّة، عمد على أن يستنيب بمن يثق به في إتمام هذا العمل، وقام بعمارة المَدْرَجْ (أي سلالم حجرية للمشاة) المؤدي إلى شهارة الفيش إلى جانب اهتمامه ببناء الدور والمناهل المائية الكثيرة داخل المدينة(٢)، وحفر الآبار المائية التي تسد حاجة الناس في مواضع مختلفة من مدينة شهارة وما حولها، ثم أمر بتمهيد الطرق الفرعية إلى داخل المدينة للخيل والجمال، فقد كان الناس يقاسون من ذلك الكثير، وكذلك اهتم برصف وبناء المدرج المتصل بين شهارة ووادي أقر(٣)، وهناك شيّد ووسع في جامع أقر الذي يقع أسفل مدينة شهارة، وأقام البرك المائية والسقايات والعمائر التي تتبع الجامع، ومهد في وسط المدينة مواضع وساحات واسعة للخيول والجمال، أما في أقر وهي المدينة التي كان الإمام المؤيد يُحبذ الانتقال إليها في فصل الشتاء، فقد عمل على بناء البيت الذي كان ينتقل فيه عندما يغادر شهارة، ويحوطه الدكاكين وعمائر أخرى لإحياء وإنعاش الحياة التجارية في داخل المدينة(٤). ومن مآثره العمرانية الأخرى فقد عمَّر مسجداً بدرب الأمير الأعلى بشهارة، وحرص على بناء وتحصين المدينة. وقد وجه بتمهيد الطرق المؤدية إلى المدن الجبلية العالية مثل بلاد نهم، «فأمر بإصلاح طرقها وتسهيل منافذها»(٥).

انصب جُل اهتمام الإمام المؤيد محمد بن القاسم على عمارة المدارس والهجر العلمية في

---

(١) المقحفي: معجم بلدان اليمن، جـ١، ص٨٨٠.

(٢) الجرموزي: النص، ق٧٤ب-٧٥أ.

(٣) أقر: يطلق عليها حالياً القابعي.

(٤) الشرفي: اللآلئ، مخطوط، جـ٣، ق٤٣٦.

(٥) الجرموزي: النص، ق٩١أ.

شهارة وغيرها من المدن اليمنية، وحرص على توجيه أوامره لإخوته الحسن والحسين وأحمد من أجل إقامة وإحياء الهجر العلمية في شهارة وظفير حجة وصعدة وحوث وغيرها من المدن اليمنية، وتزويدها بالكساء والنفقات الواسعة من أجل نشر وإحياء المذهب الزيدي[1].

وننتقل إلى دور الحسن بن القاسم واهتمامه ببناء وتشييد المآثر العمرانية في مدن مختلفة من اليمن، كان أشهرها بناء وتوسيع مدينة ضوران سنة (١٠٤٠هـ/ ١٦٣٠م)، وجعلها معقلاً ومقراً له، وأصبحت الحاضرة الثانية بعد شهارة، وقد اهتم الحسن بن القاسم بتوسيع المدينة، وبناء الجامع والقصور والبرك والمرافق العامة فيها، واهتم ببناء وترميم حصن الدامغ الذي يقع على قمة جبل ضوران، ووجه اهتمامه بزراعة الغروس والأشجار الوفيرة حول مدينة ضوران وفي وديانها، كان أهمها زراعة البن وتوسعه في تلك الزراعة في صافية ذي بهلان ووادي النائجة بالقرب من ضوران، وفي الأراضي التي اهتم باستصلاحها وزراعتها[2].

وقد قام الحسن بن القاسم ببناء البركة المشهورة في مدينة شهارة، وسميت الحسنيَّة، إلى جانب تشييده لبعض المباني والمرافق وسماسر للضيوف داخل المدينة[3]، وفي مكان آخر اهتم الحسن بترميم حصن حب الأثري في إقليم بَعْدَانْ بالمنطقة الوسطى من اليمن، وحرص في أوقات كثيرة من السنة أن يزود أهله والساكنين فيه بما يلزمهم من الغذاء والعتاد، باعتباره معقلاً حربياً يجب الحفاظ عليه[4].

أما مدينة صنعاء فقد اهتم بها الحسن بن القاسم، وكان في بعض الأوقات راغباً في السكن بها وإحيائها، لكن الإمام تعمد إبعاده عنها هو وبقية الأخوة خوفاً من التنافس عليها، ولذا فقد قام الحسن بتشييد كثير من المباني والبيوت، واستخرج غيلاً للماء بالقرب من غيل

---

(١)الجرموزي: النص ، ق٧٧أ، ٣٣٥ب.

(٢) الجرموزي: النص، ق٢١١أ-٢١٢أ، يحيى بن الحسين: بهجة الزمن، جـ١، ص١٢٣،١١٨، د. العمري: تاريخ اليمن الحديث (من المتوكل إلى المتوكل) ص٣٥.

(٣) الجرموزي: النص، ق٢١١أ.

(٤) نفسه، ق١٦٩ب، الحبسي: تتمة الإفادة في تاريخ الأئمة السادة، مخطوط، ق١١٣.

الوريد في مدينة الروضة بالقرب من صنعاء ومتنزهها[1]، واهتم الحسن بتعبيد وتمهيد الطرق الخارجة من صنعاء إلى قرية معبر، ومن بني الكينعي إلى مدينة ضوران، وتسهيل الطرقات من اليمن إلى ملص أي في نواحي المناطق الوسطى لتسهيل سير القوافل والمسافرين، وشيد سمسرة مدينة العبيد لنفس الغرض، كما عمل على استصلاح الأراضي وإحياء الزراعة، وغرس الأنواع الوفيرة من الأشجار في ضوران وبكيل والأودية المحاذية لها[2]، وعمَّر مدينة الغراس في عمران شمال صنعاء، واهتم بزراعة أوديتها وصوافيها، وقد رأينا عندما دخل مدينة المخاء بعد خروج العثمانيين منها حرص على حفر بئر ماء بداخلها أُطلق عليها الحسنية، ورمم كثيراً من الدور والأسوار في المدن التهامية بعد خروج العثمانيين منها[3].

أما الحسين بن القاسم واهتمامه بإبراز الدور الحضاري للدولة القاسمية، فقد كان جُل اهتمامه ينصب حول اهتماماته العلمية والفقهية، وتأليف الكتب الإسلامية في أصول الدين وأصول الفقه، التي ظلت متدوالة بين طلبة العلم في اليمن، كان أهمها كتاب غاية السؤل في علم الأصول وشرحها في مجلدين، واهتم بتدوين الأحاديث من كتب السنة، وله مصنفات عديدة وواسعة في الصلاة، وسجل اعتراضاته على كتاب الأساس لوالده الإمام القاسم بن محمد سماه (كتاب الأساس في عقائد الأكياس المتكفل بشرح الالتباس) [4]، وقد رأينا الدور السياسي والإداري الذي اضطلع به الحسين بن القاسم، إلا أن دوره العلمي كان أكبر وأهم شأناً عن بقية الأدوار، وبالرغم من ذلك إلا أنه اهتم ببناء السماسر، وشيد المباني في الحصن بالقرب من حصن الدامغ في ضوران آنس، وقام ببناء مسجد البستان بباب السبحة خارج مدينة صنعاء ووقف عليه الأوقاف الواسعة[5].

وإذا ما انتقلنا إلى الأخ الثالث من أولاد القاسم وهو أحمد بن القاسم ودوره في هذا

---

(١) يحيى بن الحسين: بهجة الزمن، ص١٠٢.

(٢) الجرموزي: النص، ق٢٧٦أ، ٢٧٧أ.

(٣) نفسه، ق١٠٦ب، ٢١١أ.

(٤) الجرموزي: النص، ق٢١٢ب، الشرفي: اللآلئ، مخطوط، جـ٣، ق٤٣٦، يحيى بن الحسين: بهجة الزمن، جـ٣، ص١٩٤.

(٥) يحيى بن الحسين:بهجة الزمن، ص١٩٨.

المجال، فيذكر له من مآثره العمرانية الهامة والبارزة بناء الجامع المشهور في الروضة شمال صنعاء ومتنزهها، وقد أوقف عليه الأوقاف الواسعة، واهتم ببنائه أشد الاهتمام ، ويعتبر من المآثر العمرانية الهامة حتى اليوم[1].

من خلال ذلك العرض تبيَّن لنا المآثر العمرانية والحضارية التي شيدها آل القاسم في المدن المختلفة من اليمن، ولا نغفل دور العلماء والفقهاء والمؤرخين الذين برزوا في هذه المرحلة التاريخية، وتركوا لنا مدوناتهم وكتاباتهم التاريخية والإسلامية، التي أمدتنا بالكثير عن هذه المرحلة من تاريخ اليمن، كان على رأسهم الإمام المؤيد محمد بن القاسم، فقد اشتهر بشغفه بالعلم وإحياء علومه، وجمع الكتب الفقهية والشرعية وعلوم العربية[2]، واهتم بكتابة الفتاوى والرسائل والوصايا أسوة بمن عاصروه من العلماء في كل أرجاء اليمن.

٣- سياسة الإمام المؤيد محمد بن القاسم المالية:

تمكن الإمام المؤيد محمد في فترة حكمه تلك أن يحقق نجاحاً فذاً في السيطرة والتحكم في إدارة البلاد رغم ظروف الحرب أولاً، ثم صعوبة بناء دولة مستقلة بموارد شحيحة واتجاهات سكانية مختلفة ومتذبذبة، ونجح في إدارة شؤون البلاد بمقدرة فائقة، وبمساعدة من حوله من الأخوة، وبفضل سياسته الهادئة المسالمة، ونجح لذلك في جمع أفئدة الناس والقبائل جميعاً.

وإن تطرقنا إلى سياسة الإمام المالية في ذلك الحين، وما مصادرها وأدواتها؟ وكيف نجح ولو إلى حد ما في تدبر موارد مالية دولته في فترة الحرب أو في فترة الاستقلال؟

لم تكن سياسة الإمام المؤيد محمد المالية واضحة من خلال المراجع التي بين أيدينا، وبحسب سيرته الخاصة، لم يذكر المؤرخ إلا شذرات بسيطة ومتفرقة عن السياسة المالية للدولة ومصارفها وما يتبع ذلك من الأمور المالية.

---

(١) عيسى بن لطف الله: روح الروح، ق، جـ٣، مخطوط.

(٢) الجرموزي: النص، ق٧٧أ، ٣٣٥ب.

وسنحاول تتبع واستخلاص ما يمكن نزعه من خلال سطور المخطوطة والمراجع الأخرى لنوضح السياسة المالية للدولة المؤيدية القاسمية رغم شحتها وعدم وضوحها في هذا الجانب.

تسلم الإمام المؤيد محمد زمام الإمامة والبلاد تعاني من أزمة اقتصادية خانقة يشوبها الجفاف وقلة الطعام (الحبوب) خاصة في المناطق الشمالية، فأدى ذلك إلى تفرق الناس ومنهم العلماء وخروجهم من حاضرة البلاد شهارة، والبحث عن مصدر آخر للعيش، وعانى الناس المشقة من جراء ذلك، لكن الظروف تحسنت مع قدوم سنة (١٠٣٠هـ/ ١٦٢٠م) عند هبوط الأمطار، وتنامت الخيرات خاصة في الأقاليم الغربية من اليمن[(١)]. في أول الأمر تجمعت الجهود لبناء الدولة وتنفيذ الأحكام والأنظمة، وكان لزاماً على هذه الدولة الجديدة أن تضع نصب عينيها المعاناة المالية والعوز المادي الذي يشكو منه الناس، خاصة مع تغير طرق التجارة العالمية، وتنافس الشركات العالمية على مصادر التجارة.

فقد عانت التجارة في الموانئ اليمنية من الركود سابقاً فكان للأعمال العسكرية في تلك الفترة انعكاساتها السلبية على التجارة اليمنية، إلى جانب أعمال القرصنة التي تعرضت لها بعض السفن التجارية الأوروبية، من قبل الولاة والحكام العثمانيين، على سواحل البحر الأحمر وميناء المخا، كان له أسوأ الأثر على الاقتصاد والتجارة داخل اليمن[(٢)].

وكما سبق أن وضحنا، فقد كان للسياسة العثمانية دور في تقلص التجارة البحرية على السواحل اليمنية، فقد تقدم أشراف تهامة بعريضة شكوى، يذكرون فيها تعرض سفنهم وتجارتهم ما بين المخا وجدة لجور وتعدي الجيش العثماني في هذه السواحل، ولذا لم يغفل الإمام عن تقصي شؤون التجارة البحرية، وإدراك أهميتها فأرسل للوالي العثماني في ذلك الحين، يعرض عليه مضمون شكاوى التجار، مع طلب التصدي لتلك الأعمال غير المسئولة[(٣)].

---

(١) الجرموزي: النص، ق٥٤ب.

(٢) نفسه: ق١٦٦ب.

(٣) نفسه، ق١٦٦ب.

وقد تلمسنا ما واجه اليمنيين جميعاً من جراء الحروب وحصار المدن من فاقة اقتصادية كبيرة، طالت الجميع اليمنيين والعثمانيين سواء بسواء، فقد خرج العساكر والولاة العثمانيون من اليمن والحالة الاقتصادية بائسة مع ما جُبلوا عليه من استنزاف موارد البلاد اقتصادياً، وتقليل قيمة العملة المتداولة، فقد قام حيدر باشا في نهاية المطاف بصهر المدافع في مدينة صنعاء، وأصدر عملة ضعيفة التدوال، وترافق ذلك مع ضعف التجارة الدولية، القادمة إلى ميناء المخا(١). وعمد الإمام المؤيد محمد في السنوات الأولى من تقلده لمنصب الإمامة أن يجمع الضرائب والأموال اللازمة ليسد حاجة البلاد من العملة النقدية، رغم أن عائدات هذه الأقاليم كانت بالكاد تكفي مصاريفه، لكي يتمكن من ممارسة سلطته الفعلية في هذه المناطق القبلية الشمالية.

وقد حرص الإمام المؤيد على اتباع سياسة مالية تنطلق من أحكام الشريعة الإسلامية، ولذا فقد اتخذ بعض الإجراءات المالية مثل فرضه قانون «الرسم» وفرضه كغرامة للمتعدين على التجارة وطرقها، واهتم بتوضيح طرق جباية الأموال والزكاة ومصارفها، ومن هم مستحقوها، وحدد قيمة جمارك التجارة ومقدارها وغيرها من الأعمال التي تنظم الشؤون المالية في البلاد(٢).

أما التعامل النقدي في اليمن فقد كان يشمل عدة مسميات منها الدرهم والكبير ، والحرف، والبقشة، والفلس، وفي المرحلة الأخيرة من الحكم العثماني، ضعفت العملة المتداولة فيما بينهم نتيجة للغش الذي دخل عليها، ولذا فقد حرص الإمام المؤيد محمد أن تُضرب وتسك العملة العالية القيمة، فتم التداول بالدرهم الإمامي والحرف والكبير والبقشة والقرش.

وقد رأينا أثناء الهدنة الأخيرة مع العثمانيين في زبيد رفض الناس التعامل بالعملة العثمانية، وقل التداول بها نتيجة لضعف قيمتها، وتداولوا العملة الإمامية، لكن الوالي العثماني حين

---

(١) الجرموزي: النص، ق١٩٣ب،١٩٥أ، براور: اليمن في أوائل القرن السابع عشر، ص١٦١.

(٢) الجرموزي: نفسه، ق١٨٥أ، ٢٢٥أ، ٢٣٩أ، يحيى بن الحسين: بهجة الزمن، جـ١، ص١١٦، ابن الوزير: طبق الحلوى، ص٥٨.

رأى امتناع الناس عن التداول بعملتهم، تقدم للجانب الإمامي يطلب أن يُعلن بين الناس تساوي قيمة العملتين، ويكون الدرهم السلطاني كالدرهم الإمامي والبقشة كالبقشة، وقد وافق الإمام على هذا الاقتراح مجاراة للأمور؛ ولأنه كان يتوقع قرب خروجهم من اليمن(١).

وقد قام الحسن بن القاسم بسن العديد من التدابير المالية، مثل تعيين مُحصلي الضرائب عند مداخل المدن، وشجع على إقامة الأسواق الواسعة والتبادل التجاري عند أبواب المدن كما فعل في تعز وزبيد والمخا، وقد عانت الدولة من حلول بعض مواسم القحط والغلاء وانقطاع الأمطار، وعانى الناس من جراء ذلك كثيراً، وقد أورد المؤرخ الجرموزي بعض أخبار تلك المواسم وأسعار الحبوب والسلع الزراعية بأنواعها في مناطق مختلفة من اليمن(٢).

وبعد خروج العثمانيين من اليمن، لم تهمل الدولة القاسمية الشأن الاقتصادي والتجارة الخارجية، وأولوا شؤون البحر اهتماماً عظيماً، فقد اهتموا بالموانئ والجزر اليمنية، وبناء السفن وتعيين الموظفين عليها من الموالي الموثوق بهم للإشراف وتسيير هذه الشؤون، ثم اتجهت الدولة إلى الاهتمام بالزراعة وتوسيع نطاقها، وخاصة زراعة البن وهي السلعة الاقتصادية الواسعة الانتشار حينذاك.

وحرص الإمام المؤيد محمد في رسائله المتكررة لأخوته وولاته في أقاليم ومدن اليمن، على الحث والأمر بمراعاة جانب التجارة وتخفيض الضرائب، وعمد على إحكام سيطرته بتنفيذ توجيهاته وتعميمها على أصحاب النفوذ والطامحين في البلاد، الذين تحكَّموا بمقدرات الزكاة وتم جباية الأموال حسب أهوائهم ولصالحهم الخاص، وقد ظهر ذلك جلياً في سيطرة أبناء الحسن بن القاسم على عائدات الأراضي الزراعية المتحصلة من الأقاليم الوسطى والجنوبية، واحتسبوها إرثاً لهم بعد والدهم، لكن الإمام نجح في سحب البساط من تحت أرجلهم وجردهم من امتيازاتهم المالية تلك إلا ما وافق عليه، ثم فرض القوانين المنظمة لشؤون جبايتها، وقمع المتنفذين من أصحاب المصالح الذين حاولوا قبض عائدات ميناء عدن

---

(١) الجرموزي: النص، ق٢٥٤أ، الحبسي: تتمة الإفادة، مخطوط، ق١١٥.

(٢) الجرموزي: النص، ق٢٧٣، عيسى بن لطف الله: روح الروح، مخطوط، جـ٣، ق٢٣، الحبسي: تتمة الإفادة، مخطوط، ق١١٦.

لحسابهم الخاص[1].

وقد اتضحت السياسة المالية للدولة الإمامية من خلال الرسائل التي بعثها لأشراف عسير من آل دخيل الله وآل نمي، فقد وضَّح قوانينه المالية حسب الشريعة الإسلامية، وطرق مصارفها، مع توضيح حقوق الدولة متمثلة في شخصه، وكيف يجب الرجوع إليه في مصارف البلاد، وكيفية تقسيم الأموال على شؤون البلاد[2].

وحين تسلم الحسين بن القاسم إدارة المناطق الوسطى والجنوبية من اليمن بعد وفاة صنوه الحسن بن القاسم، حرص على الرجوع لرأي الإمام في جُل الشؤون الإدارية والمالية التي أُنيطت به، وخاصة الشؤون المالية، وتأكيداً لذلك فقد عمد إلى وضع وصية خاصة به سجل وثبّت فيها أمواله الخاصة عن الأموال العامة التابعة للدولة التي كانت تحت عهدته، محاولاً فصل الحق الخاص عن الحق العام، وتلافياً لما يمكن أن ينشب من صراع وفتنة كالتي حدثت بعد وفاة الحسن بن القاسم[3].

وعندما عيَّن الإمام أخاه إسماعيل بن القاسم لإنابته في شؤون ذمار وضوران ووصاب، فحرص على فرض الموظفين من قبله لإدارة الشؤون المالية في هذه المناطق، ولم يترك الإمام المؤيد محمد لأخيه إسماعيل أي صلاحيات كمن سبق من أفراد الأسرة، خوفاً مما قد حدث نتيجة لتقوي مراكز القوى من الأسرة أو من القادة والمشايخ السابقين وسيطرتهم على الأموال التي كانت بعهدتهم.

ولم يوضح المؤرخون ومنهم مؤرخ سيرة الإمام المؤيد محمد بن القاسم أي إشارات في وصية الإمام إلى النواحي المالية، فلم يذكر في وصيته إلا الكتب الخاصة به، وأوصى بفصلها عن كتب والده الإمام القاسم وتوزيعها على الورثة من مستحقيها. وقد تضمنت وصاياه الشؤون الدينية والفقهية والأسرية، فشدد على التكافل والتراحم الأسري فيما بينهم[4].

---

(١) الجرموزي: النص، ق٢٩٦ب، يحيى بن الحسين: بهجة الزمن،ص٢١٢.

(٢) الجرموزي: النص، ق٢٣٨أ.

(٣) نفسه، ق٣٠٣ب، يحيى بن الحسين: بهجة الزمن، ص١٩٣.

(٤) الجرموزي: النص، ق٣٣٨أ.

نستخلص من خلال الوصية التي تركها الإمام المؤيد محمد أنه قد أخذ العبرة من أولاد أخيه الحسن بن القاسم (أحمد ومحمد) حين استحوذا على ميراث والدهم وتركته، فلعله كان قد قسم ما يملك بين أولاده، رغم اشتهاره بالزهد والتقوى، وكان لا يملك من حطام الدنيا شيئاً سوى علمه وكتاباته ورسائله ومدوناته التي تركها بعد وفاته.

رأينا من خلال العرض السابق السياسة المالية والإدارية للإمام المؤيد محمد بن القاسم ومدى نجاحه في تحقيق هذه السياسة، وكيف تمكن وبمشاركة من حوله أن يؤسس اللبنات الأولى لبناء الدولة القاسمية المستقلة، ويمد جسورها إلى خارج اليمن بتكوين علاقات خارجية مختلفة، وبالرغم من السلبيات والإيجابيات التي واجهت الإمام المؤيد محمداً إلا أنه وبفضل قوة شخصيته وسياسته الهادئة المسالمة تمكن من بناء كيان مستقل لدولته عن باقي الدول العربية التي كانت لا تزال ترزح تحت الحكم العثماني.

٤- العلاقات الخارجية لدولة الإمام المؤيد محمد بن القاسم:

عزم الإمام المؤيد محمد بن القاسم إلى تكوين علاقات خارجية، ومد جسورها لكي يتمكن من نزع الاعتراف بدوره، وجمع المناصرين لدعوته من خلال توطيد علاقاته الخارجية، للوقوف أمام الجبهة العثمانية، وهي الطرف الآخر في هذا النزاع، وكان حريصاً على إعلان دعوته وشعاره (حكم آل البيت حسب الشريعة الإسلامية)، وتمكن من خلال هذا الشعار أن يجمع المناصرين لدعوته تلك، فقام بتبادل الرسائل بينه وبين أشراف الحجاز وشاه إيران والحبشة والمغرب، هادفاً من وراء ذلك إلى إبراز قوة نفوذه في اليمن، وجمع المناصرين له ضد الدولة العثمانية القائمة آنذاك، فعندما تم تعيين الإمام المؤيد محمد للإمامة يذكر مؤرخ سيرته «ووصلت الوفود من مكة المشرفة والمدينة المنورة»[1]. للتهنئة وإعلان تأييدهم.

وعندما استقلت اليمن من الحكم العثماني عمد المؤيد محمد إلى مد جسور العلاقات

---

(١) الجرموزي: النص، ق٧٥أ.

الخارجية مع هذه الدول، وخاصة أشراف الحجاز، وحاول توطيد علاقته ونفوذه متطلعاً إلى أكثر من مجرد علاقات جوار بين الطرفين، فحين تمت سيطرته وضمه للأقاليم الشمالية من اليمن تطلع إلى الحجاز والإشراف على شؤون الحجاز.

لمسنا في الفصل الثالث طموح الحسن وتطلعاته لطرد العثمانيين من الحجاز ومصر، ومد الحكم الإمامي إلى هذه المناطق، ويبدو أن هذا التطلع لم يأت من فراغ بل قد يكون نابعاً من مشاورات وأفكار سيطرت على الإمام المؤيد محمد وإخوته في ذلك الحين، خاصة عندما لمسوا ضعف الحكم العثماني في الجزيرة العربية، وتخلخل أنظمته وانشغال السلطنة بشؤون خارجية ضد الهجمات الفارسية على العراق، صرفتها عن الاهتمام بالشؤون العربية.

قام الإمام المؤيد محمد بتبادل الرسائل بينه وبين الأشراف في الحجاز حرصاً على اجتلاب أفئدتهم نحو دولته، والتحريض ضد الحكم القائم آنذاك في الحجاز، ونبذ السيطرة العثمانية على الأماكن المقدسة.

وتوطدت العلاقة بين الأشراف في الحجاز من بني حسن وآل موسى بن عبد الله، وبين الدولة الإمامية، وتم تبادل الرسائل بين الطرفين، وتبادل الأخبار والمنافع بينهم، فقد قام الإمام المؤيد بإرسال رسالة لبني حسن أشراف الحجاز منذ وقت مبكر. منذ سنة (١٠٣٦هـ/ ١٦٢٦م). حرص على إبلاغهم بأخبار دعوته بعد وفاة والده الإمام القاسم، ثم يذكر فضلهم ومكانتهم في العتبات المقدسة، من خلال إشرافهم على بيت الله الحرام، فقد فضَّلهم الله أي آل البيت لحفظ هذا البيت استدامة للأمن، وأحقيتهم في الإشراف على الحجاز، ولذا فهم أحق بالتأسي بكتاب الله وتواصي رسول الله ﷺ، فقد تقرب إليهم بقوله: بأن دعوته شاملة «لمن حسبه حسبي، ونسبه نسبي» داعياً لهم بجمع الشمل على كلمة الإسلام، وقد نوَّه أيضاً أن ما يرمي إليه هو التذكير على الاتحاد على مبدأ شامل كامل، وهو التعاون المتبادل بين الطرفين ضد الطرف الآخر وهو الحكم العثماني[1].

عدد الإمام المؤيد الأسباب التي دعته إلى نبذ الحكم العثماني والدعوة ضد وجودهم

---

(١) الجرموزي: النص، ق١٢ب-ق١٦ب.

لاقترافهم الموبقات والفتن، وما ارتكبوه من تعطيل للكتاب والسنة، وهتك حرم الله المؤتمن، وقد عمَّ الفساد البلاد بسبب حكمهم وأحوالهم الفاسدة من وجهة نظر الإمام المؤيد، ثم يذكر وجوب التعاون بين الطرفين من أجل إحياء كلمة الله والانتصار لدين الله الحنيف، ثم أرسل الإمام المؤيد محمد إحدى الشخصيات القيادية المرموقة إلى مكة المشرفة لتوطيد العلاقات فيما بينهم، وإعانة بني حسن على نبذ الحكم العثماني والتخلص من سيطرتهم.

عمد الإمام المؤيد محمد على تحريض الأشراف ضد العثمانيين، وقدم تعاونه المادي والمعنوي لنبذ هذا الحكم قائلاً :«كيف تستدعون تمليك أنفسكم وبلدكم الحرام علوج الأعاجم..... فاشغبوا هذا الصدع باجتماع الكلمة فيما بينكم ..... واجمعوا أيديكم على نصرة الحق». ويذكرهم بأحقية اجتماع كلمتهم، فقد تواردت إليه الأخبار عن التناحر والتنافس فيما بينهم في البلد الحرام، وأن لا يُمكّنوا الأتراك من السعي للتفريق فيما بينهم وارتكاب سخط الله فيذكر «وظننا فيكم، وظن المسلمين الدفاع عن حرم الإسلام في أقاصي البلدان، فضلاً عن القتل والقتال وإيثار الظالمين»[(١)].

كرر الإمام المؤيد في رسائله الأهداف التي يرمي إليها وهو التعاون فيما بينهم، وتحقيق ذلك لن يتم إلا باجتماع الجهود وطرد العثمانيين[(٢)].

قام الإمام المؤيد محمد بإرسال الرسائل للأشراف في الحجاز مع توارد الأخبار من هناك باستيلاء الشريف محسن بن حسين على بعض المراكب التي خرجت من اليمن، وكان على متنها بعض الجنود الفارين من الحديدة واللحية، ونجح في الاستيلاء على هذه المراكب، وما تحويها من جنود وأموال[(٣)]. اعتبر الإمام المؤيد محمد هذا التصرف من قبل الشريف محسن، تعاطفاً وتعاضداً ضد فساد العثمانيين المتواجدين في اليمن، وبالتالي فقد بدأ بمراسلتهم وتحريضهم ضد العثمانيين، وجمع المؤيدين معه، ومحاولة التكتل عربياً وإسلامياً.

---

(١) الجرموزي: النص، ق١٢أ/ ب.

(٢) نفسه، ق١٢ب-١٦ب.

(٣) الشرفي: اللآلئ، مخطوط، جـ٣، ق٤٩٥.

وقد تم تبادل الرسائل بين الإمام المؤيد محمد، وبين الشريف محسن بن حسين، وتبادلا الأخبار والمنافع، وحرص الشريف محسن على توطيد علاقته بالإمامة في شهارة لكي يؤكد نفوذه في الحجاز ويقوي مركزه، فطلب من الإمام المؤيد محمد إعلان ولاية له من قبل الإمامة والاعتراف بأحقيته بمنصب الشرافة، وفي نفس الوقت ليقوي مركزه أمام الآخرين، فأرسل له الإمام المؤيد محمد رسالة تتضمن ولاية عامة له ذكر فيها «جعلنا له بعد أن طلبها منّا ولاية يقوم بها إن شاء الله مقامنا فيما علينا القيام به، ويتصرف بها فيما إلينا التصرف فيه على مقتضى الشرع وموجبه، ويبسط يده فيما يجوز لنا بسط أيدينا إليه، ويعوِّل فيما يأتيه من ذلك إلى ما نعوِّل من العمل بكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ، ويأمر بالمعروف الأكبر، وينهى عن الفحشاء والمنكر ..... وإذْ أقمناه مقامنا فيما ذكرنا فعليه القيام بما يقوم به من الفرائض والسنن، والدعاء إلى ما ندعو نحن إليه من كل فعل، وليبدأ حماه الله بمقامه وبالنظر في المهمات من الأمور السياسية التي كالقواعد لغيرها والسبيل الموصل إلى ما وراءها» ... إلى آخر الرسالة من مواعظ وتواصي دينية[1].

أرسل الإمام المؤيد محمد السيد أحمد لقمان لتقديم العون والمساعدة للشريف محسن بن حسين، ويعاضده في النزاع القائم بينه وبين بقية الأشراف، ومحاولة فض التنافس الدائر فيما بينهم، وأن ما يساند ذلك النزاع وجود العثمانيين في الحجاز وتحريضهم.

وقد تبادل الإمام المؤيد محمد الرسائل العديدة مع الشريف محسن بن حسين والشريف مسعود بن إدريس وتناول مسألة التنافس الدائر بين الأشراف في الحجاز، وتعاون الشريف أحمد بن عبد المطلب مع العثمانيين للفوز والاستحواذ على منصب الشرافة، حتى فاز بها وتم قتل الشريف إدريس، وهروب الشريف محسن بن حسين لاجئاً إلى الإمام المؤيد في مقر حكمه في شهارة، وقد حاول الإمام المؤيد محمد تقديم العون والمساعدة للشريف محسن فلم يتمكن نتيجة لانشغال قواته وإخوته بالحرب الدائرة في اليمن ضد العثمانيين.

وقد لجأ الشريف محسن بن حسين إلى اليمن ناشداً مؤازرة الإمام ومساعدته لاسترداد

---

(١) الشرفي: اللآلئ جـ٣، ق٥٦٥.

منصب الشرافة من المغتصبين لها، لكن الإمام المؤيد «يُقرب ويبعد وينتظر فرج الله»، ومكث الشريف فترة في شهارة، ثم طلب الرحيل إلى صنعاء، وفي أثناء الطريق وافاه الأجل ومات وتم نقله إلى صنعاء وقُبر فيها[1].

حرص الإمام المؤيد على تبادل الرسائل مع الشريف أحمد بن عبد المطلب حين وصلته الأخبار بالصراع الدائر بينه وبين الشريف محسن بن حسين، وقدم الإمام النصيحة للشريف أحمد بن عبد المطلب في طيات رسالة طويلة تضمنت إسداء النصيحة والموعظة الحسنة، ويحذره من التنازع والتناحر حول منصب الشرافة والرئاسة، فلا بد أن يتسلمها من هو أَهلٌ لها. ونصح بتوجيه الجهود لمحاربة العدو المشترك وهم العثمانيون المحرضون على هذا التنازع، ويأمل من جميع الأطراف نزع فتيل الفتن والحرب، وأن تجتمع وتتوحد جهودهم حول كلمة وهدف واحد[2].

وقد نجح الشريف أحمد بن عبد المطلب بالفوز بمنصب الشرافة في بلاد الحجاز، وتعاون مع العثمانيين من أجل الاستحواذ على ذلك المنصب، خاصة حين كال التُّهم للشريف محسن بن حسين ونسب إليه الخيانة وموالاة الإمامة في اليمن، تقديم العون والمساعدة في الحرب ضد العثمانيين متمثلاً بإرسال السيد هاشم بن حازم ومشاركته في تلك الحرب، ونجح في كسب عطف وانحياز العثمانيين ومساعدتهم له، واستولى على منصب الشرافة بعد أن خاض العديد من المؤمرات والحروب ضد الأشراف في الحجاز[3]، وظلت العلاقات بين الإمام المؤيد محمد والأشراف في الحجاز مربوطة بتبادل الرسائل والأخبار والتناصح فيما بينهم.

وحرص الأشراف في الحجاز على أخذ المشورة والنصيحة من الإمام، فقد قام الشريف مسعود بن إدريس عندما تولى الشرافة بمراسلة الإمام المؤيد محمد، وسرد له بعض الأعمال

---

(١) الجرموزي: النص، ق١٣١أ،١٣٨،ب، يحيى بن الحسين: غاية الأماني، جـ٢، ص٨٣٠، الشرفي: اللآلئ المضيئة، مخطوط، جـ٣، ق٥٣٢، ٥٣٦، ٥٤١،٥٣٩.

(٢) الجرموزي: نفسه، ق١٣٣أ.

(٣) نفسه، ق١٢٨أ،ب،١٢٩أ، الشرفي: اللآلئ، مخطوط، جـ٣، ق٥٦٧.

والمهام التي اشتغل بها وهي هطول الأمطار الغزيرة على البيت الحرام، وكيف تسبب ذلك المطر بانهيار بعض أركان البيت، وانشغال الشريف بالبناء والإصلاح، ومن ثم يستطلع أخبار الإمامة مع الأتراك، وتساءل الإمام بدوره عن سبب تهاون وتراخي الشريف عن تقديم العون والمساعدة في تلك الحرب الدائرة في اليمن ضد العثمانيين[1].

وبعد وفاة الشريف زيد بن إدريس، وتولى منصب الشرافة الشريف زيد بن محسن وسيطر على المناطق من حلي بن يعقوب إلى القنفذة، ثم نجح في دخول مكة سنة (١٠٤٠هـ/ ١٦٣٠م) وعقد اتفاقاً بينه وبين الأشراف الآخرين وسجلوا صلحاً فيما بينهم، على أن يكون له ثلث عائدات مكة وبلدانها حتى ميناء القنفذة وجميع الجهات التي حوله، وطلبوا الرجوع إلى رأي الإمام المؤيد محمد وأخذ المشورة والنصيحة منه[2].

سنلاحظ تنامي العلاقات بين الإمامة في شهارة والأشراف في الحجاز، اتضح ذلك حين قام الإمام بمراسلة حاكم ينبع، ثم شيخ الحرم النبوي سنة (١٠٣٨هـ/ ١٦٢٨م) تضمنت الرسائل ألفاظ الدعاء والثناء وبسط روابط الأخوة العلوية، ومحاولة التقريب بين وجهات النظر للطرفين، وتحسين العلاقات بين البلدين، ويوضح في الرسائل الأسباب التي دعته إلى المراسلة، وذلك لكي يتم تسليم بعض الصدقات والوقفيات الواصلة للإمام المؤيد من مصر، وتفويض حاكم ينبع بإرسالها إلى شيخ الحرم النبوي في المدينة المنورة[3].

سيطر العثمانيون على الحجاز وبسطوا أيديهم على الأشراف القائمين على شئونه، خاصة بعد خروجهم من اليمن، وتنامى لديهم الخوف من انتقال الروابط الروحية العربية الأخوية ما بين الإمام والأشراف في الحجاز. ففرضوا سيطرتهم على المشاعر المقدسة، وتحفَّظوا من دخول الشخصيات المرموقة من اليمن، وأوعزوا إلى شريف مكة برفض دخول المقربين من الإمامة وموظفيه، فقد عزم السيد محمد بن صلاح النُّعمي على أداء فريضة الحج سنة (١٠٥١هـ/ ١٦٤١م) وكان قائد المحمل اليمني العسكري على أبي عريش وجيزان، فترأس

---

(١) الجرموزي: نفسه، ق١٦٠أ.

(٢) الشرفي: نفسه، جـ٣، ق٦٠٧.

(٣) الجرموزي: النص، ق١٤١ب،١٤٢أ،ب.

قافلة الحجاج هذا العام، وعندما همَّ بدخول ميناء حلي بن يعقوب أرسل الشريف زيد بن محسن إلى قائد القنفذة وأمره بمنع السيد محمد بن صلاح النُّعمي من دخول الأراضي الحجازية، فما كان من السيد النُّعمي إلاَّ أن عاد أدراجه دون أداء فريضة الحج، ولعل الشريف زيد بن محسن أراد بهذا التصرف أن يُجنب نفسه تهمة السلطات العثمانية، بأنه سمح لقائد الإمام المؤيد محمد بالدخول إلى الأراضي الحجازية(١).

تدارك الشريف زيد بن حسن هذا التصرف فأرسل للإمام المؤيد محمد يبلغه برغبته بقدوم شخصية علمية يُعتد بها ليزيِّن بها صدر مجلسه الشريف برجل من أهل العلم والعمل بحسب قوله في الرسالة التي أرسلها للإمام، فيسارع الإمام المؤيد ويلبي له رغبته في تحقيق هذا الطلب فيذكر: «بل عتبتم (أي الشريف زيد بن محسن) علينا في تراخي توجيه من يُعينكم على ما يتم لكم به بلاغ حجة الله عز وجل»، ثم يُرسل الإمام المؤيد القاضي محمد بن علي بن محمد الجملولي ويأمره بالتوجه إلى الحجاز وتلبية رغبة الشريف زيد بن محسن(٢).

وكان الإمام المؤيد محمد يهدف من وراء ذلك أن تتم الخطبة له في الحرمين الشريفين، لكن الأخبار تصل بخبر موت الإمام المؤيد محمد والقاضي الجملولي لم يصل بعد إلى مكة، فعاد من حينه، وقد علق المؤرخ يحيى بن الحسين باستحالة أن تتم الخطبة للإمام المؤيد محمد، وإنما كان الشريف يجاري الإمام فيما يحث إليه؛ ولأن الحجاز تتبع السلطان العثماني ولن يسمح العثمانيون أن يتم ذكره في هذه العتبات، خاصة مع تواصل إمداد الأشراف بالأموال والأغذية الدائمة ومساندتهم لهم(٣)، ثم يذكر المؤرخ يحيى بن الحسين أن الإمام المؤيد في سنة (١٠٥٤هـ/ ١٦٤٤م)، سبق له أن كتب إلى مكة المكرمة، يذكر فيها جمع الزكاة، ودفعها إليه، لكنهم «أجابوه بجواب عظيم، واستدلال بكتاب الله الفخيم، وقالوا: إن هذا البلد كما قال عز وجل حكاية عن إبراهيم الخليل: ﴿**رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ**

---

(١) يحيى بن الحسين: بهجة الزمن، جـ١، ص٢٠٩.

(٢) الجرموزي: النص، ق٣٣٠أ.

(٣) يحيى بن الحسين: بهجة الزمن، جـ٣، ص٢٢٢.

﴿ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ **[إبراهيم:٣٧]**، فالواجب أن يرسل لهم الإمام بالمعونة المالية ولا يطالبهم بالعكس، وأن لا يتعلق بشيء من تلك الآمال»[١].

ويبدو أن الإمام المؤيد محمداً كان يتطلع إلى فرض بعض النفوذ على الأشراف في الحجاز، وتعمد إظهار قوة دولته وسيطرته، واستغلال قرابته العلوية على هؤلاء لكي لا يعطي مجالاً للعثمانيين في العودة أو حتى استرداد نفوذهم في اليمن، وقد رأينا من خلال الرسائل المتبادلة بين الإمام والأشراف تحريض المؤيد لهؤلاء للتخلص من الحكم العثماني، ونبذ الوصاية العثمانية على منصب الشرافة في الحجاز، فقد فكر المؤيد وأخوته باتباع هذه السياسة أي التحريض ليصرف اهتمام العثمانيين عن اليمن، فقد كان الغرض سياسياً وليس عسكرياً، لكنه لم يدرك أن هؤلاء بدورهم يقعون تحت سيطرة ونفوذ الدولة العثمانية التي كانت حريصة على بسط سيطرتها على الحجاز والاهتمام بتزويد محمل الحاج، وإرسال الصرة السنوية إلى مكة، واهتم السلاطين العثمانيون أنفسهم بالحجاز أيّما اهتمام طوال فترة حكمهم للعالم العربي والإسلامي[٢].

وسنلاحظ أن العلاقات بين الإمام المؤيد محمد والأشراف في الحجاز قد خضعت لظروف سياسية واقتصادية متنوعة، وتنامت في فترة ما، خاصة في الصراع الدائر بين الأشراف على منصب الشرافة، كما سبق أن عرضنا، ثم ضعفت في فترة أخرى عندما تمكنت السلطنة العثمانية من تقوية وبسط سيطرتها على الحجاز.

وإذا انتقلنا إلى العلاقات الخارجية للإمام المؤيد محمد مع أطراف أخرى حرص الإمام المؤيد محمد على مراسلتها وتوطيد علاقته معها، سنجد الشاه عباس بن إسماعيل شاه إيران، حيث حرص المؤيد محمد على تبادل الرسائل والأخبار بينهما في فترات وأوقات متنوعة، كانت الرسالة الأولى للإمام المؤيد مع بداية تسلمه زمام الإمامة في شهارة، ويعرض عليه رغبته في التعاون والتناصح، واستغلال الرابطة العلوية التي تجمع فيما بينهما من وجهة نظر

---

(١) يحيى بن الحسين: بهجة الزمن، جـ١، ص٢٢٢.

(٢) إبراهيم محمد الصبحي: بلاد الحجاز في القرن السابع عشر، ص٢١-٢٤.

الإمام[1]، وقد كرر الإمام المؤيد إرسال رسائله للشاه عباس بن إسماعيل في ظروف ومتغيرات تاريخة متتالية. فقد تعمد الإمام إبلاغ الشاه بمتغيرات الظروف وتفاقم المشاكل والتنافس بين الأشراف في الحجاز، وتدخل السلطنة العثمانية، وبسط سيطرتها على الشرافة في مكة المكرمة[2]. وكتب الإمام المؤيد رسالته الثالثة للشاه عباس إيعازاً له بتقديم العون للشريف محسن بن حسين صاحب الحق في الشرافة من وجهة نظر الإمام، وخاصة حين تم هزيمته من قبل الشريف أحمد بن عبد المطلب بإيعاز من العثمانيين ومساعدتهم والتحكم بمركز الشرافة في الحجاز[3].

نستخلص من خلال مضمون تلك الرسائل وتواليها من الإمام المؤيد محمد للشاه عباس أنه لم يتلق الإمام الرد المتوقع من الشاه، فلعل الظروف العسكرية التي كان يواجهها الشاه في العراق، ودخوله في حرب طويلة ضد العثمانيين، وتمكنه من دخول بغداد وسيطرته على أغلب الأراضي العراقية من أيدي العثمانيين، قد حالت كل تلك الظروف والمتغيرات دون أن يقوم الشاه بالرد والاستجابة لدعوات الإمام المتكررة من أجل حماية الحجاز من سيطرة العثمانيين، أو أن مؤرخنا الجرموزي لم يعثر عليها، وبالتالي لم يسجلها لنا في هذه السيرة.

وقد تنوعت علاقات الإمام الخارجية واختلفت الرسائل التي حرص الإمام المؤيد محمد على تبادلها مع أطراف خارجية أخرى، فقد وفد إلى شهارة سنة (١٠٤٨هـ/ ١٦٣٨م) أحد الشخصيات العربية من مدينة فاس في المغرب الأقصى، ويدعى الطاهر عبد الله من آل شكر الله من ولد الإمام إدريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب، وكان سبب قدومه إلى اليمن، تنازع وتنافس أفراد أسرته على الرئاسة في تلك البلاد، فخرج سائحاً في البلاد حتى وصل إلى اليمن، والتقى بالسيد هاشم بن حازم في تهامة، فقام بإرساله إلى مقر الحسن بن القاسم، ومكث لديه نحو شهرين، ثم رحل إلى مقر الإمام المؤيد محمد بن القاسم، فأحسن الإمام استقباله وآنسه وأزال عنه وحشته وغربته، وأهدى إليه مجموعة من

---

(١) الجرموزي: النص، ق١٠أ.

(٢) نفسه، ق١٣١أ.

(٣) نفسه، ق١٣٤أ.

الكتب الدينية والفقهية القيمة، وبدوره حرص الحسن على أن يقدم له الخيل والأموال والهدايا النفيسة، ثم كتب معه الإمام المؤيد رسالة طويلة أسماها «الدعوة إلى أهل المغرب» تضمنت بعد الديباجة الدينية المعتادة ومقتطفات من القرآن الكريم والسنة النبوية بقوله: «فإن كتابنا هذا إلى إخواننا بني أبينا صفوة العترة وخير الأسرة من آل شكر الله»[1] ... ثم يسترسل قائلاً: «لزمنا بذلك الحجة، وتعيَّن علينا الفرض بقيامنا لله داعين، وبأمره في عباده مُعلنين...»[2] إلى آخر الرسالة.

عرض الإمام في رسالته إلى آل شكر الله في المغرب، أسباب قيام دعوته في اليمن، وعزمه على تبليغ تلك الدعوة إليهم في المغرب، وقد حرص الإمام المؤيد محمد على ذكر فضل آل البيت بين طيات رسالته ثم ذكر الحروب التي خاضوها ضد الظلم وتمنى أن تستمر تلك المآثر والأعمال إلى ما شاء الله، وفي الرسالة يورد رسالة للإمام إدريس بن عبد الله إلى أهل مصر، ثم رسالة الحسن بن إبراهيم ودعوته، ويتمثل بتلك الرسائل والدعوات من أئمة آل البيت، ومنهم الإمام يحيى بن الحسين، ودعواتهم المتواصلة للجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر طول عقود عهودهم، مبرراً أن من أسباب قيام الإمامة في اليمن وحروبها المتواصلة ضد العثمانيين، ما هي إلا تمثلاً بآبائه من آل البيت لمحاربة الفساد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الواقع في عصره وعهده[3].

تغيرت وتعددت الرسائل التي أرسلها الإمام المؤيد محمد إلى جهات مختلفة، وبالتالي تواردت إليه رسائل أخرى من أشخاص وجهات مختلفة أيضاً، منها الرسالة التي وصلت إليه من حاكم الحسا والقطيف سنة (١٠٤٠هـ/ ١٦٣٠م)، ويدعى علي باشا، أرسلها في خضم الحروب والفتن التي كانت دائرة في اليمن بين الجانب العثماني والجانب الإمامي، تضمنت الرسالة استطلاع أخبار تلك الحروب في اليمن، ويقدم النصيحة والموعظة للإمام، ويدعوه إلى الخضوع لحكم الدولة العثمانية، باعتبارها دولة كبرى قد يعجز عن التغلب عليها

---

(١) الجرموزي: النص، ق٢٧٨أ.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) نفسه، ق٢٧٧أ،ب، الشرفي: اللآلئ، مخطوط، جـ٣، ق٦٤٩، الوزير: طبق الحلوى، ص٦١.

نظراً لقوة جيوشها ومكانتها الدولية في العالم في ذلك الوقت، ثم يورد العديد من الأفكار والاقتراحات التي تجنب الطرفين الخسائر الفادحة ويدعوه إلى الدخول تحت طاعة السلطنة العثمانية، ويرد الإمام على هذه الرسالة، فيعرض الأسباب التي أجبرته على إعلان الحرب، ويورد المبررات التي استدعت قيام تلك الحروب(١).

وتسلم الإمام المؤيد رسالة من ملك الحبشة مصحوبة بالهدايا النفيسة، متضمنةً الدعوة إلى التبادل التجاري، وتوطيد حسن الجوار بين البلدين، وتقدم بطلب شخصي من الإمام المؤيد أن يمنحه بعض الخيول والسيوف اليمانية المشهورة، وبعث الإمام بدوره بالرد مصحوباً بالمطالب التي تقدم بها ملك الحبشة، وأبدى الإمام استجابته لتوطيد العلاقات وحُسن الجوار بين البلدين(٢)، ولعل ملك الحبشة بادر بإرسال الرسائل وتقدم برغبته لتحسين العلاقة بين الطرفين، غايته في ذلك أن يقوي مركزه وجانبه بالجيران ضد أي هجوم مباغت قد يقوم به الأتراك في الحبشة، خاصة بعد خروجهم من اليمن.

ويبدو أن حصول اليمن على الاستقلال ساعد على إبداء ملك الحبشة لرغبته في الاستقواء بالإمامة في اليمن، وتكرر الأمر بالنسبة لملك الهند فقد وصلت للحسن بن القاسم هدايا ثمينة من ملك الهند يخطب وده وتحسين العلاقات بين اليمن والهند(٣)، ولعل العائد المالي والتبادل التجاري بين البلدين كان له دور لمحاولة توطيد العلاقة بين البلدين.

وحرصت اليمن على تلقي الأخبار الخارجية، ولذا سنرى توارد الأخبار عن البلدان المختلفة وأحوالها، فلعلها قد وصلت إلى اليمن عن طريق التجار والحجاج والرحالة الذين قدموا إلى اليمن ونقلوا الكثير من الأخبار التي سجلها المؤرخ الجرموزي في نص السيرة(٤).

سنلاحظ من خلال تلك الرسائل الخارجية التي وصلت للإمام المؤيد محمد اختلاف

---

(١) الجرموزي: النص، ق١٦٢أ،ب، الشرفي: اللآلئ، مخطوط، جـ٣،ص٦١٣، يحيى بن الحسين: بهجة الزمن، جـ٣، ص١٧٢، غاية الأماني، جـ٢، ص٨٣٣.

(٢) الجرموزي: نفسه، ق٣٢١ب.

(٣) نفسه، ق٢٧٦أ،ب.

(٤) نفسه، ق٣٣٣أ،ب.

مواضيعها وأهدافها، وقد حرص المؤيد على الرد عليها، وبالتالي تضمنت رسائله إبلاغ حجته للجميع في العالم العربي والإسلامي، فقد كانت غايته تعريف الحكام العرب والمسلمين بأهدافه ومبادئه في قيام الدولة القاسمية، هذا من ناحية، أما من الناحية الأخرى فلعل المؤيد محمداً كان يهدف من خلال تبادل تلك الرسائل إلى توطيد علاقاته الخارجية، وجمع المناصرين له، وإظهار مدى قوة نفوذه وحرصه على تبادل التجارة وتأمين طرقها وطرق قوافل الحجاج، يقابله قوة الدولة العثمانية في العالم العربي والجزيرة العربية، خاصة وأن الإمام قد نجح في بناء دولته المستقلة وبناء علاقات وطيدة مع الجيران كما رأينا، واستمر ذلك حتى بعد وفاته، وتولى زمام الأمور الإمام المتوكل على الله إسماعيل بن القاسم.

الفصل الخامس

دراسة تمهيدية عن المؤرخ الجرموزي ومخطوطته

ترجمة حياة المؤرخ الجرموزي:

نشطت حركة التأليف والتدوين التاريخي في فترة الحكم العثماني الأول في اليمن، نتيجة لتأثرها بالأحداث السياسية والعسكرية الواقعة في تلك الفترة، وبالتالي فقد تأثرت الحياة الثقافية والفكرية لهذه الأحداث، إذ كان من الطبيعي أن يشترك القلم في المعارك القائمة آنذاك[1].

وقد ظهرت تلك السِّير والكتابات التاريخية للأئمة كرد فعل عن الحالة السياسية التي واجهها اليمنيون في تلك الفترة، وهي فترة الحكم العثماني الأول لليمن وما صاحب تلك الفترة من تغيُّرٍ في طبيعة وظروف حياة الأئمة واليمنيين بشكل عام، وربما كان هذا من أسباب ازدهار حركة التأليف حينذاك، فقد أجبرت الظروف السياسية المعاصرة لهؤلاء على تدوين الحدث التاريخي، بغض النظر عن حياد أو انحياز هؤلاء الكتاب، وقد برز كثير من العلماء والمؤرخين الذين عاصروا هذه الأحداث التاريخية، وانحازوا إلى الجانب الإمامي وكانوا من المقربين إليه.

ومنهم: المؤرخ المطهر الجرموزي بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن محمد بن المنتصر أو علي الشريف الحسن الجرموزي، من ولد يوسف بن المرتضى بن المفضل، وينتمي إلى هجرة بني جرموز من بني الحارث، وكان جده محمد بن المنتصر أول من انتقل إلى هجرة بني جرموز[2] احتل الجرموزي مكانة كبيرة في الدولة آنذاك، فقد كان فقيهاً مؤرخاً، وسياسياً وأديباً[3].

عاصر الجرموزي قيام الدولة القاسمية في اليمن وشارك في أحداثها ووقائعها، وتأثر بسير الحوادث القائمة فيها، فسجل كل تلك الحوادث السياسية والعسكرية، ودوَّنها في ثلاث سِيَر لثلاثة من الأئمة القاسميين الذين عاصر حياتهم، كان أولهم الإمام القاسم بن محمد، فقد

---

(١) د/ سيد مصطفى سالم: المؤرخون اليمنيون في العهد العثماني الأول، ص١٠.

(٢) المصدر السابق، ص٧٣، د/ العمري: مصادر التراث اليمني في المتحف البريطاني، ص٨٧، الزركلي: الأعلام، مجلد ٧ ص ٢٥٤.

(٣) عبد السلام الوجيه: أعلام المؤلفين الزيدية، ص١٠٣٥.

سجل سيرة حياته والأحداث التي عاصرته في كتاب أطلق عليه: «النبذة المشيرة في جمل من عيون السيرة»، وهي السيرة التي تضمنت الأحداث السياسية والعسكرية إلى جانب الشخصية للإمام القاسم نفسه، حتى وفاته سنة (١٠٢٩هـ-١٦١٩م).

أما الكتاب الثاني الذي سجله المؤرخ الجرموزي،فهو «الجوهرة المنيرة إلى جمل من عيون السيرة» ويحكي عن سيرة الإمام المؤيد محمد بن القاسم، وتعتبر هذه الفترة من الفترات التاريخية التي عاصرها وعايش أحداثها،أرخ في هذه السيرة لحياة الإمام المؤيد محمد منذ تقلده الإمامة بعد وفاة والده الإمام القاسم حتى وفاته سنة (١٠٥٤هـ/ ١٦٤٤م)، وهي السيرة التي تتناولها الباحثة بالدراسة والتحقيق، أما السيرة الثالثة فهي سيرة الإمام المتوكل على الله إسماعيل بن القاسم، الإمام الثاني من أولاد الإمام القاسم بن محمد، وتسمى: «تحفة الأسماع والأبصار بما في السيرة المتوكلية من غرائب الأخبار»، ويتناول فيه سيرة الإمام إسماعيل بن القاسم، فعرض فيه لحياة الإمام إسماعيل السياسية والعلمية، وإصلاحاته الاقتصادية وحروبه المختلفة التي خاضها لبسط نفوذه على مناطق اليمن قاطبة، وتطرق للعلاقات الخارجية التي أقامها الإمام إسماعيل مع الدول العربية والإسلامية والأجنبية، وقد توقفت أحداث السيرة عند سنة (١٠٧٤هـ/ ١٦٦٣م)[1].

وللمؤرخ الجرموزي مؤلف آخر كتبه في النصف الثاني من القرن الحادي عشر للهجرة، وهو كتاب تاريخي معروف يسمى: «عقد الجواهر البهيَّة في معرفة المملكة اليمنية والدولة الفاطمية الحسنية»، ذكر في مقدمته أنه جمعه في أخبار ملوك اليمن منذ عهد النبي ﷺ إلى زمنه، وجعله خمسة عشر فصلاً، خُصص لكل دولة فصلاً حتى انتهى فيه إلى أول سنة ١٠٠٧هـ/ ١٥٩٨م[2].

عاصر المؤرخ الجرموزي الإمام القاسم والإمام المؤيد محمد وأخيه إسماعيل، وكان من

---

(١) رسالة ماجستير منشورة، دراسة وتحقيق الدكتور عبد الحكيم الهجري، ص٢٧.

(٢) د/ العمري: المؤرخون اليمنيون في العصر الحديث، ص ٤٣(ويذكر الدكتور العمري بأن النسخة الأم المجهولة يمتلكها الشيخ حمد الجاسر)، عبد السلام الوجيه: أعلام المؤلفين الزيدية، ص١٠٣٥.

رجال دولتهم ومن المقربين إليهم، احتل مكانة كبيرة في حياة هؤلاء، وتقلد المناصب الوظيفية، وكان قريباً من الإمام المؤيد محمد وإخوته، فقد أوكل إليه الإمام المؤيد كثيراً من المهام العسكرية والسياسية، وسوف نأتي على تفاصيل مهامه الوظيفية والعسكرية تلك.

وقد ترجم للمؤرخ الجرموزي كثير من المؤرخين نتيجة لشهرته الواسعة، ومصنفاته المشهورة، ومنها الترجمة المفصلة في نهاية كتاب: «النبذة المشيرة» في الورقة الأخيرة، وقد كتبت بخط مغاير لخط المخطوطة، وفي زمن متأخر عن زمن المؤرخ والناسخ، فحين كُتبت ألصقت في نهاية الكتاب بتاريخ ربيع آخر سنة ١٣١٣هـ/ ١٨٩٥م، وقد تم اقتباس هذه الترجمة كما ذكر صاحبها من كتاب: «عقود الجوهر في أبناء السادة آل المطهر» لحفيد المؤرخ أحمد بن الحسن بن المطهر، وهو كتاب مفقود بحسب ما ذكره الباحث الأستاذ عبد الحكيم الهجري في كتابه الذي يحتوي على تحقيق مخطوطة: «تحفة الأسماع والأبصار» للجرموزي.

عاش المؤرخ الجرموزي في عُتمة حتى توفي في شهر محرم من سنة ١٠٧٧هـ/ ١٦٦٦م، وقد قارب الستين سنة، وقبره معروف في قرية سماه بناحية عتمة، رزق الجرموزي الكثير من البنين والبنات، وكان محباً للخير والصدقات، واشتهر عنه أنه عمَّر في نواحي عتمة حوالي اثني عشر مسجداً ما بين صغير وكبير، واهتم ببناء برك الماء والمواجل[1] للواردين في الطريق، وبحسب صاحب الترجمة سالف الذكر فقد كان لمؤرخنا الجرموزي اهتمام بالعلوم الدينية، لا سيما أصول الفقه، وله كتاب في هذا المجال سماه: (تفسير أولي الألباب في معرفة رب الأرباب). ورسائل أخرى في مسائل الأصول والفقه[2]. وبالنظر إلى قرب الجرموزي من السلطة الحاكمة في ذلك الحين، وتسلمه كثيراً من المهام السياسية، فقد ذكر المؤرخ كثيراً من الأحداث والمواقف التي شارك فيها أو كان شاهداً على حدوثها في أثناء سرده لأحداث السيرة، فقد حرص على إبراز وإيضاح كل المواقف الشخصية التي جمعته بالإمام والحسن ثم

---

(١) المواجل: هي المآجل، ومفردها ماجل، وهو بناء في مجال الري الزراعي، وتبنى على الينابيع الصغيرة على السفوح والشعاب وتكون مبنية بناء قوياً متقناً، فبناء المآجل لحجز العيون والينابيع. (مطهر بن علي الإرياني: الموسوعة اليمنية، ج٢، ص٨٠٤).

(٢) مجهول: ترجمة في آخر ورقة من كتاب النبذة المشيرة، مخطوط، ق٥٠٨، يحيى بن الحسين: بهجة الزمن، ج١، ص٤٤٢.

الحسين في مختلف مراحل حياته، فقد عين الإمام المؤرخ الجرموزي على جهة الحِجْرَة في السنة الأولى من قيامه بالإمامة فيذكر: «وكنت في الحِجْرَة على العمل الذي أمرني به الإمام»[1]. ويبدو أن المؤرخ الجرموزي كان في السنوات الأولى من قيام الإمام المؤيد محمد حاضراً ومصاحباً له في جميع الأمور، ومطلعاً على كثير من شؤون البلاد.

فعندما وصلت للإمام المؤيد هدية ورسالة من الوالي العثماني فضلي باشا يستطلع أخبار الإمام والصلح المبرم سابقاً مع العثمانيين وأنه باقٍ على عهد الصلح، فيذكر الجرموزي: «وكنت حاضراً ولم أقف على لفظ الكتاب[2]».

وعندما ولَّى الإمام السيد عبد الله بن عامر بن عم الإمام على بلاد الحيمة، وأرسل معه مجموعة من الأعوان كان منهم مؤرخنا الجرموزي، فقد كان ممن حضر جلسات الصلح بين أصحاب الإمام ومشايخ تلك البلاد، ثم يؤكد مؤرخنا على ذلك بقوله:«وله مواقف حضرته»[3]. وأثناء حصار صنعاء من قبل الجيش الإمامي كان مؤرخنا الجرموزي ممن اعتمد عليهم الإمام المؤيد محمد في تدبير كثير من المؤن العسكرية والمالية، إلى جانب ذلك كان رسول الإمام إلى مختلف الشخصيات ليلقي عليهم أوامره، ومنهم إخوته الحسن والحسين، فيذكر تلك المواقف «ووصولي من عند الإمام-عليه السلام-ببعض حديث»[4].

كلف الإمام المؤيد محمد المؤرخ الجرموزي بعدة من المهام، منها: أمره أن يجمع قدر استطاعته الغذاء والإمدادات العسكرية وإرسالها إلى تهامة للجيش المرابط هناك. وعندما اشتد حصار العثمانيين في تهامة على أبواب زبيد، وطالت أيام تلك الحرب، فقد أصاب الجيش الإمامي كثير من الأمراض نتيجة للأجواء الحارة في تهامة.

وأصاب المرض الأمير سنبل وغيره من القادة هناك، فوجَّه الإمام للمؤرخ الجرموزي أن

---

(١) الجرموزي: النص، ق٨٥أ.

(٢) نفسه: ق٥٤أ.

(٣) نفسه، ق٥٥أ.

(٤) نفسه، ق٢١٤أ،٢١٩أ،٢٩٣ب..

يسارع ويرحل إلى معسكر سنبل، ويقوم مقامه في قيادة الجيش والخطبة والجماعة، وبقي المؤرخ هناك طوال شهر كامل[1].

وبعد استقلال اليمن أسند الإمام للمؤرخ الجرموزي بعض المهام العسكرية منها: قمع ثورات وتمردات في جهات ريمة، وقد نجح المؤرخ في تلك المهمة، وعيَّنه الإمام بعد ذلك لولاية عُتمة، والأمير سنبل لولاية وصاب[2]، وعندما توفِّي الأمير سنبل أوكل الإمام للجرموزي بحصر أموال الأمير وتقسيمها على ورثته وتسوية أوضاع المنطقة والجنود، ثم أمره أن يتولى إمارة وصاب إلى جانب ولاية عُتمة[3].

كان المؤرخ الجرموزي قريباً من الإمام المؤيد في الأيام الأخيرة من حياته، لمسنا ذلك في كثير من المواقف التي كان الإمام يشكو إليه عبء المهام والمشاكل التي يواجهها، خاصة عند ثورات وعصيان أحمد بن الحسن المتكررة، ومواقف أهل يافع المتذبذبة من الإمامة، ثم توافد قبائلهم إلى شهارة وطمعهم المتكرر في عطاء الإمام من الأموال فيقول: « وأسررته النصيحة كما يجب»[4].

ويتضح لنا من خلال سياق السيرة أن المؤرخ الجرموزي كان قريباً من الأحداث ومن شخصياتها، ومنهم الحسن بن القاسم، وقد أورد مؤرخنا كثيراً من المواقف والشؤون المتعلقة بالبلاد في ذلك الوقت، وصلة الحسن الدائمة بأخبارها، فذكر عدة مواقف بينه وبين الحسن بن القاسم منها الرسائل التي بعثها الحسن للجرموزي يعرض فيها حاجته للأموال والإمدادات، ويطالب المؤرخ أن يتدبرها ليسد حاجة العساكر، خاصة بعد خروج العثمانيين من تهامة، والفاقة الاقتصادية التي كان يعاني منها الجميع[5]، ويبدو أن العلاقة كانت وطيدة بين المؤرخ والحسن، فيذكر مؤرخنا أنه كان يملك حصاناً عبَّر عنه بقوله: « فإنه عندنا من

---

(١)الجرموزي: النص ق٢٥٤أ،٢٥٥ب.

(٢) نفسه، ق٢٠٢ب.

(٣) نفسه: ق٢٧٥أ، ق٥٠أ.

(٤) نفسه، ق٣٢٧ب، ٣٢٩ب، ٣٣٤أ.

(٥) نفسه، ق٢٠١أ،٢٧٥أ.

كرام الخيل ونجائبها»، لكن يبدو أن الحسن أراد شراء هذا الحصان من المؤرخ لكي يهديه لملك الهند، لكن المؤرخ أهدى ذلك الحصان للحسن بن القاسم، واشترط عليه بأن لايهديه لملك الهند حرصاً منه على عدم التفريط في هذا الحصان[1]، ومما يؤكد العلاقة الحميمة بينهما.

وبعد وفاة الحسن بن القاسم واستلام أخيه الحسين أعمال وشؤون المناطق الوسطى والجنوبية، تكرر الأمر بالنسبة للمؤرخ فقد كان قريباً من السلطة، وذكر أن الحسين بن القاسم كتب له عهداً وولاية بإدارة وصاب وعتمة وكل بلاد آنس.

وقد حاول المؤرخ الاعتذار من تحمل هذا، لكن مع إصرار الحسين على قراره، تحمل مؤرخنا هذا المنصب وقَبِلَ أن يدير الشؤون الخاصة بهذه المناطق[2]، وبعد وفاة الحسين بن القاسم يذكر مؤرخنا أنه استمر على ولاية عُتمة ووصاب، وتم إسناد ولاية ضوران آنس لإسماعيل بن القاسم[3].

حرص المؤرخ الجرموزي أن يذكر أسباب جمع وتدوين هذه الأحداث التاريخية في هذه السيرة، فقد ذكر في الورقة الأولى من سيرة الإمام المؤيد محمد بن القاسم قائلاً:«فإني كنت سمعت كثيراً من أخبار مولانا أمير المؤمنين المنصور بالله القاسم بن محمد، من أصحابه الفضلاء والقادة النبلاء، وكانت ظاهرة عند الملأ، معروفة عند العقلاء، فما زال الموت يأخذ ودائعه، ويذيق الأول فالأول، فنظرت فيما كنت أعرفه منهم، بما كأني شاهده معهم، وإذا النسيان أخذ أكثره، وقد مضى من المعارف ما كان أظهره، وكنت لا أعد حفظي في جنب حفظهم شيئاً ولا أتكلم في محضرهم، وإن كنت فيهم حياءً لحقارتي، ولجلالهم وقصوري عن محلهم، فأردت أن أحفظ ما بقي من أخبارهم على سبيل الجملة لئلا تذهب بالجملة، ورضيت بالقليل أحفظه لعقبي مما أكتبه بقصور أدبي، لئلا يذهب الكثير مع القليل، ويخفى ما كان إليه من السبيل، والله تعالى أقصده فيما كتبت، وثوابه أطلب فيما حصلت، وجعلته توقيعاً

---

(١)الجرموزي: النص ،ق٢١٩أ، ٢٤٤أ، ٢٧٣أ،٢٧٦أ.

(٢) نفسه، ق٢٩٨ب،٢٩٩أ.

(٣) نفسه، ق٣٢٦ب.

لسرد الجمليات لقصور الباع عما يفعله أهل هذه الصناعات ليقتدي بهم المقتدي، ويهتدي إلى آثارهم المهتدي[1]». رأينا من خلال ذلك العرض، غرض ودواعي قيام المؤرخ الجرموزي بجمع وتدوين أحداث هذه السيرة مع إيراد الدلائل والمبررات المختلفة.

وبما أن الجرموزي كان قريباً من الأحداث، وكان يستقي معلوماته من مصادرها الأصلية، إلى جانب أنه كان من أتباع المذهب الزيدي وأحد المسئولين القريبين من حكام تلك الفترة، ويعد من مؤرخي السير البارزين، وبحسب كتاباته ومنهجه التاريخي، فقد كان من البحاثة المدققين الذين يجرون وراء الأخبار لجمعها وروايتها، مع ذكر من أخذ منهم، أي مع إسناد رواياته إلى أصولها[2].

٢. كيف تم اختيار الموضوع:

عندما قمت بالتدريس في قسم التاريخ بعد حصولي على درجة الماجستير، كلفت من القسم بتدريس مادة تاريخ اليمن الحديث ومادة موضوع خاص من تاريخ اليمن الحديث، وكانت الكتب المقررة لهاتين المادتين: كتاب (الفتح العثماني الأول لليمن)، للأستاذ الدكتور سيد مصطفى سالم، وكتاب (المؤرخون اليمنيون في العهد العثماني الأول) لنفس الأستاذ، وخلال تلك السنوات التي قضيتها في تدريس هذه المادة تعمقت في وقائع أحداث تاريخ اليمن الحديث، وأصبحت هذه الأحداث التاريخية تمثل بالنسبة لي أحداثاً حيَّة أتمثل بها كل أسبوع عندما ألقيها على مسامع طلابي أثناء تلك المحاضرات، وقد أحببت السيرة التاريخية لآل شرف الدين، وأعجبت ببطولات المطهر، وزاد إعجابي أيضاً بسنان باشا ومحاولاته الحثيثة لفرض السيطرة العثمانية في اليمن.

وكنت أتمعن عند قراءة وشرح تلك الأحداث، وزاد إعجابي بهذه المادة عندما بدأت أشرح مراحل ثورة الإمام القاسم، وتدرج مراحل ثورته وأهدافها، والتمعن في سلبيات وإيجابيات تلك الفترة، وصولاً إلى قيام إمامة المؤيد محمد بن القاسم، وكيف تمكن من السير

---

(١) الجرموزي: النص،ق١ب.

(٢) د/ سيد مصطفى سالم: المؤرخون اليمنيون، ص٧٤.

على خطى والده الإمام القاسم، واستطاع أن يحقق الحلم والهدف الذي سعى إليه، وهو التخلص من الحكم العثماني لليمن، وعوامل نجاح المؤيد محمد أيما نجاح في ثورته تلك ضد العثمانيين حتى انتهى إليه المطاف ببناء دولة قاسمية مستقلة، وقد كنت أقف ملياً عند بعض المواقف والتحليلات التاريخية التي كان لأستاذي الدكتور سيد مصطفى سالم الفضل الأول في كيفية عرضه لهذا التاريخ وتحليله وكسب القارئ ليزيد إعجاباً بمراحل هذا التاريخ اليمني، وزاد من تعمقي في دراسة هذه المرحلة التاريخية المادة الأخرى التي كلفت بتدريسها وهي مادة موضوع خاص من تاريخ اليمن، فقد كان لها أثر كبير في قراءاتي الواسعة لمؤرخي تاريخ اليمن الحديث، ويبدو أن الحظ قد حالفني، ففي أثناء زيارتي لدار المخطوطات فوجئت بوجود مخطوطة الجوهرة المنيرة على مكتب الأستاذ عبد الملك المقحفي، فأطلعني مشكوراً عليها وأبديت إعجابي، وفي نفس الوقت تعجبي من المصادفة العجيبة تلك في حصولي على مخطوطة تاريخية تجسد فيها جزء من مراحل تاريخ اليمن الحديث وهي الفترة الأخيرة من الحكم العثماني، وفترة بناء الدولة المستقلة بزعامة المؤيد محمد بن القاسم، فقمت بتصوير هذه المخطوطة لكي تكون هي النواة الأولى في بحثي.

وبعد البحث والتقصي، أفادني أيضاً الأستاذ عبد السلام الوجيه بوجود نسخة أخرى لديه قام بتصويرها من المكتبة الشرقية التابعة لوزارة الأوقاف، فقدمها لي وقمت بتصويرها، وهذه هي النسخة الثانية من نفس المخطوطة.

وأثناء البحث في فهارس دار المخطوطات التابع للمكتبة الغربية لجامع صنعاء الكبير، عثرت على نسخة ثالثة تقبع بين أدراجها فسارعت بتصويرها أيضاً. وبهذا يكون قد اكتمل لدي ثلاث نسخ من نفس مخطوطة الجوهرة المنيرة في سيرة المؤيد محمد بن القاسم، واكتفيت بوجود الثلاث نسخ.

٣. كيف تم اختيار النسخة الأم:

من خلال المفاضلة بين النسخ الثلاث التي بحوزتي تبين لي التالي:

النسخة الأولى وهي نسخة دار المخطوطات، بدون رقم، ويبدو أنها لم تدخل في الفهرسة الرسمية للدار، وعدد أوراقها ٣٤٨ ورقة، ومتوسط عدد أسطرها ٢٤ سطراً ومرقمة بترقيم الجهة المحفوظة بها، وهي دار المخطوطات بصنعاء، والمخطوطة ورقها قديم وفي حالة جيدة مجلدة تجليداً سميكاً، ويمتد من الغلاف الأول لسان مثلث سميك ليلتف حول المخطوطة إكمالاً لحفظها على نحو ما كانت عليه طريقة التغليف القديم، وبعد المقارنة بينها وبين الأخريات تبين لي أن هذه النسخة هي أقدم النسخ المنقولة، بحيث يمكن اعتبارها المخطوطة الأم، وسأطلق عليها النسخة (أ).

أما سبب اعتبارها أقدم النسخ لوجود ملحوظة في آخر ورقة من المخطوطة، مضمونها يدل على أن هذه النسخة تم نسخها وإهداؤها من المؤلف شخصياً لإحدى شخصيات آل القاسم، وهو محمد بن الحسن بن القاسم، فقد ذكر المؤرخ في آخر ورقةالتالي:

«كان الفراغ من نسخها في يوم الأربعاء سابع شهر ذي القعدة عام ١٠٦٥هـ»[1]. ثم يليها هذه الملحوظة: « هذا الكتاب برسم خزانة مولانا وبركتنا السيد الإمام وبركة الخاص والعام عز الإسلام والمسلمين، وسيف الله على المعتدين محمد بن الحسن بن أمير المؤمنين المنصور بالله رب العالمين. حفظ (كلمة ليست واضحة) وحوش مهجته، نذراً عليه محرراً، وملكاً له مقرراً من مالكه أفقر الورى وأحقر الفقراء مطهر بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن محمد بن المنتصر اليوسفي الهادوي لطف الله به.(كلمة غير واضحة) وأجزت له حفظه رواية عني من باب رواية، عن الأصاغر، وقد جاء عن خيرة الباري وسراجه المنير وبدر (كلمتان غير واضحتين) الداري وأعجل عليَّ حفظه لله تعالى بالقبول والدعوة. (كلمة غير واضحة) فيَّ كما هو المأمل، وصلى الله على محمد وآله وسلم. المطهر اليوسفي في شهر محرم عام ١٠٦٦هـ/ أكتوبر ١٦٥٥م».

ومن خلال استعراضنا لأوراق هذه النسخة اتضح من الوهلة الأولى أنها أقرب النسخ إلى الأم. ففي بعض أوراقها كان الناسخ يشير إلى بعض الأحداث بقوله: (صح من الأم)، إلى

---

(١) موافق سبتمبر ١٦٥٤م.

جانب أن هذه النسخة كاملة وغير مبتورة، بالرغم من أن الناسخ لم يكتب اسمه، ونـرجح أن الناسخ هو المؤرخ نفسه.

٤. وصف المخطوطة (أ):

نتطرق إلى الوصف الشكلي والموضوعي للمخطوطـة أو النـسخة (أ)، والتـي تُعـد أقـدم وأقرب النسخ إلى زمن المؤرخ، ونبدأ بوصف ورقـة العنـوان وهـي الورقـة الأولى مـن هـذه النسخة.

كتب الناسخ عنوان الكتاب على شكل مثلث، تدرج اسم الـسيرة وصـاحبها في العنـوان حتى آخر كلمة في طرف المثلث، وهي كلمة آمين، وجاء العنوان كالتالي: « الجوهرة المنـيرة في جمل عيون السيرة في أخبار مولانا وإمامنا الإمام بـن الإمـام أمـير المـؤمنين وسـيد المـسلمين الصادع بالحق المبين، المؤيد بالله رب العالمين محمد بن أمير المؤمنين المنصور بالله القاسـم بـن محمد بن علي صلوات الله وسلامه عليه وعلى آبائه الأكرمين.

جمعها الفقير إلى الله مطهر بن محمد بن المنتصر الهادي الجرموزي عفـا الله عنـه وغفـر لـه ولوالديه آمين». وأعلى مثلث العنوان كتُـب: « وقـف تعـيَّن وضـعه بمكتبـة جـامع صـنعاء الكبير». وفي نفس الورقة كُتبت العديد من التمليكات والوقفيات، ففي الجانب الأيـسر مـن العنوان كُتب التالي:

«هذا من وقف محمد بن الحسن، وقد تعين بقـاه في الخزانـة الجامعـة للكتـب بمحـروس جامع صنعاء وبأمر أمير المؤمنين مولانا المتوكل على الله، أيده الله تعالى. حـرر بـشهر رجـب سنة ١٢٣٣هـ»[1]، والتوقيع غير واضح، وأسفل هذه الملاحظـة كتـب: «مـن كتـب مولانـا العلامة الجامع لشرائط الإمامة أبي يحيى عز الإسلام والمسلمين محمـد بـن الحـسن بـن أمـير المؤمنين القاسم بن محمد بن علي رحمه الله وأعاد من بركاته، وهو موقوف على ورثتـه كـسائر كتبه عليه السلام، وكتب الفقير إلى الله سبحانه، محمد بن زيد بن محمد بن الحسن لطـف الله به».

---

(١) الموافق مايو ١٨١٧م.

وفي أسفل هذه الورقة في الجانب الأيمن كُتب أيضاً: «هـذه هذبـة [هكـذا وردت] لـديَّ عارية من الكتب الموقوفة على صالحي [هكذا وردت] يحيـى بـن مولانـا العلامـة محمـد بـن الحسن بن القاسم بن محمد سلام الله عليهم ورضوانه، وهي من طيب كتب المعرفة بيد ورثة الوالد العلامة محمد بن علي بن المرتضى، يعلم ذلك بتاريخـه شـهر ربيـع سـنة ١٢٨٦هـ[(١)]، وحسبي الله ونعم الوكيل، وكتب (التوقيع لم يتضح لنا).

أما في منتصف الورقة في الجانب الأيمن فقد كُتب »للسيد عبد الله بن عـلي الـوزير رحمـه الله« ثم واصل كتابة هذه الأبيات الشعرية:

مـــــن رام مـــــثلي في التـــــصوف

فهـــــــو عـــــــدم لامحالـــــــة

مـــــــاذا عـــــــساه يقـــــــول في

عبـــــداً[.....][(٢)] إلى الجلالـــــة

مـــــن رام مـــــثلي في التـــــصوف

فهـــــــو عـــــــدم لامحالـــــــة

وقد كتبت بعض ملاحظات في أسفل الورقة جهة اليسار وشطبت شطباً تاماً تعمداً.

ثم ننتقل إلى الوصف الشكلي للورقة الأخيرة مـن المخطوطـة وشرح التعليقـات الـواردة فيها، وكانت أهم التعليقات الواردة فيها، ملاحظة المـؤرخ الجرمـوزي نفـسه وإهـداءه لهـذا الكتاب لمحمد بن الحسن بن القاسم، كما سبق عرضه، وجعله برسم خزانتـه بعـد سـنة مـن فراغه من كتابة هذا الكتاب أي في سنة ١٠٦٦هـ/ ١٦٥٥م، وفي أسفل الورقة كتب التعليق التالي: » الحمد وحده، طالع هذه السيرة الفقير إلى الله، فلا رأيت مثلها في السِّيَر المتقدمـة ولا

---

(١) ١٢٨٦هـ الموافق ١٨٦٩م.

(٢) كلمة غير واضحة.

في المتأخرة، فنسأل الله أن يحشرنا في زمرة أهل البيت، وأن يجعلنا من أشياعهم بحق محمد وآله ولاحول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم». وبجانب هذا التعليق كُتبت ملاحظة بالجانب الأيسر من الورقة كُتب فيها: «طالع هذه الحسين بن الحسن (الكلمات لم تتضح من التصوير) لله رب العالمين. أحيا الله بهم الدين (الكلمات غير واضحة) المرسلين، ومدَّه (كلمة غير واضحة).

وهناك تعليقات أخرى في منتصف الجانب الأيمن من الورقة وردت كالتالي: «الحمد لله تم لي مطالعة هذا السفر في مواقف آخرها في منتصف شعبان من شهور سنة ١١٢٤هـ[1]. كتبه عبد الله بن علي الوزير عفا الله عنه»، ثم يواصل كتابة تعليق آخر أسفل من الأول وهو: «بلغ مرة أخرى في سلخ رجب من شهور سنة ١١٣٦هـ[2]. ببير العزب».

أما إذا انتقلنا إلى الوصف الداخلي لمضمون النسخة (أ)، فقد كُتبت هذه النسخة بخط نسخي واضح إلى حدٍ ما إلا من بعض الكلمات غير الواضحة.

أهمل الناسخ تنقيط بعض الكلمات بحسب ما تعارف عليه كُتَّاب تلك الفترات التاريخية، لكنه حرص على وضع الإشارات الدالة على حرف الدال والطاء والسين وهي النقطة تحت هذه الحروف لكي يتم التفريق بينها وبين الحروف المنقوطة، وقد اهتم الناسخ بوضع عناوين جانبية وكبيرة للأحداث والوقائع والأسماء البارزة، وكتبت بخط كبير وواضح، وكثيراً ما سقطت بعض الكلمات والأسماء، وأحياناً عدد من الأسطر فيتداركها الناسخ ويسجلها في الحاشية بعد أن يكون وقد وضع الإشارة المتعارف عليها آنذاك وهي هذه (✔).

ونلاحظ أن هناك تدخلاً وإقحام بعض المعلومات في الحاشية وبخط مغاير لخط الناسخ وفي زمن متأخر، وقد تم تسجيل اسم صاحب الحاشية وتاريخ كتابتها، فعندما جاء ذكر حادثة أسر أشخاص من آل الوزير، وتم سجنهم في سجن قلعة القاهرة، فيضيف صاحب الحاشية، ويشرح الطريقة التي تم فيها خروج أحد آل الوزير من سجنه في قلعة القاهرة. وفي

---

(١) الموافق: ١٧١٢م.

(٢) نفسه: ١٧٢٣م.

آخرها يضع اسمه وهو عبد الله بن علي بن محمد بن عبد الله الوزير[1].

وقد تكررت مثل هذه التدخلات والإقحامات في أوراق عديدة من هذه المخطوطة[2].

تخللت هذه النسخة بعض الأوراق البيضاء لكتابة قصيدة للشاعر بدر الدين بن محمد بن علي بن شمس الدين، فسجل البيت الأول من القصيدة، ويبدو أنه لم يجد بقية القصيدة، فترك الأوراق بيضاء[3]، ولاحظنا إقحام بعض أوراق لقصيدة قائلها شرف الدين زيد بن علي بن الحسين المسوري، وقد أضيفت ما بين الأوراق ٧٤ب – ٧٥أ، وليست من سياق المخطوطة ولا تسلسلها الرقمي، فقمت بترقيمها على النحو التالي (٧٤ج،٧٤د،٧٤هـ،٧٤ز).

٥- وصف المخطوطة (ب):

سوف أقوم بوصف المخطوطة الثانية التي أطلقت عليها (ب)، وهي المخطوطة أو النسخة الثانية التي اعتمدت عليها أثناء المقارنة مع النسخة (أ). وتحمل هذه النسخة (ب) رقم (٢١٣٣)، وهي ضمن محفوظات المكتبة الشرقية التابعة لوزارة الأوقاف وتحتوي الورقة الأولى من المخطوطة على عنوان المخطوطة.

وقد كتب الناسخ العنوان بشكل هندسي وعلى شكل مثلثين متعامدين يفصل ما بينهما مستطيلان، أحدهما في أعلى أحد المثلثين، والثاني في وسط المثلثين. كتب في المستطيل الأول: «الجوهرة المنيرة في جمل عيون السيرة».

وفي وسط المثلث الأول« في أخبار مولانا وإمامنا الإمام بن الإمام أمير المؤمنين ويد المسلمين الصادع بالحق المبين، المؤيد بالله رب العالمين محمد بن أمير المؤمنين المنصور بالله القاسم بن محمد بن علي صلوات الله عليه وعلى آبائه الأكرمين. جمعها الفقير إلى الله المطهر بن محمد بن المنتصر»، ثم ينتقل إلى المستطيل الثاني، وبخط نسخي كبير ويكتب«الهادوي الجرموزي عفا الله عنه» وينتقل إلى المثلث الثاني، وبخط رقعة كبير« وغفر

---

(١) الجرموزي: النص، ق١٩٦أ.

(٢) نفسه، ق٥١ب، ١٠٣ب،١٢٢ب،١٦٣أ،ق٤٥أ.

(٣) نفسه، ق٢٠٩ب، ٢١٠أ.

له ولوالديه وتقبل منه آمين اللهم آمين».

وقد كتبت على جوانب ورقة العنوان كثير من التعليقات والمطالعات المختلفة لم أتمكن من قراءتها نتيجة لردائة التصوير وصعوبة الحصول على النسخة الأصلية من المكتبة الشرقية.

أما الورقة الثانية من جهة يمين المخطوطة فقد رسم الناسخ زخارف هندسية على شكل قبة جامع، ثم البسملة، وكتابة السطور الأولى من هذه المخطوطة.

وقام الناسخ بكتابة هذه السيرة بخط نسخي جميل وواضح في أغلب أوراق المخطوطة، ووضع لكل ورقة تسطيراً جانبياً في اليمين واليسار وأعلى الورقة وأسفلها وكتب العناوين كبيرة وواضحة وبخط نسخي ثقيل وجميل.

وقد يكتب أحياناً عناوين صغيرة وجانبية في الحواشي، للاستدلال على موضوع معين أو شخصية هامة.

ومن خلال المقارنة بين النسختين أ، ب، لم نجد أي اختلاف بين النسختين إلا في بعض الكلمات أو الأسماء أو زيادة في بعض أبيات شعرية، وأحياناً قد يقوم الناسخ بنقل بعض الكلمات بعلامتها أو رسمها كما وردت في النسخة (أ) دون أن يتوصل إلى قراءتها.

أما في آخر ورقة من هذه النسخة فقد كتب: « كان الفراغ من تحصيل هذا الكتاب المبارك لمضي ثلث من ليلة الخميس المبارك الخامس والعشرين من ربيع الأول من سنة ثمان وثمانين وألف[1]، برسم مولانا وابن مولانا الملك العادل ابن الملك العادل، شرف الإسلام تاج العترة الكرام الحسين بن الحسن بن أمير المؤمنين المنصور بالله القاسم بن محمد بن علي بن رسول الله صلى الله عليه وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين، ورحمة الله وبركاته» ثم بيت شعر:

«وسيلتي أحمد المختار وابنته

وشبر وشبير والإمام علي»

---

(١) الموافق مايو ١٦٧٧م.

وفي آخر الورقة رسم مستطيل كُتب بداخله« على يد الفقير إلى كرم الله وعفـوه ومغفرتـه ناصر بن عبد الله بن علي بن أحمد المعروف بالسماوي، وفقه الله تعالى لصالح الأعمال، ووقانا شر عذاب النار إنه جواد كريم رؤوف رحيم».

وصف المخطوطة الثالثة (ج)-

أما إذا تعين علينا وصف المخطوطة الثالثة، التي أطلقت عليها رقـم(جـ)، وتحمـل رقـم (٢٥١١) تاريخ وتراجم، أوراقها قديمة وفي حالة جيدة، ومغلفـة بتغليـف سـميك كـما هـو متعارف في الكتب القديمة.

ومن خلال المقارنة بين النسخة (أ) وهذه النسخة اتضح لنا أن ناسخ هذه الأخيرة قد قـام بنسخها من النسخة القديمة (أ)، إلا أن الناسخ الذي لم يذكر اسمه ولا تاريخ نـسخها، وقـد وضع بعض العناوين الجانبية وعلى الحواشي إضافة إلى العناوين التي في المتن، وتميـزت هـذه النسخة أن الناسخ قام بإدخال كل الأسطر والكلمات والأسماء الـساقطة في (أ) وأضـافها إلى المتن، وتحاشى السقط والنسيان الذي كان في النسخة (أ).

أمَّا ما يعيب النسخة (جـ) بالرغم أنها كتبت بخط نسخي جيد وواضـح في الجـزء الأول، فنجد أن الخط في الجزء الثاني يتغير وتزدحم السطور، وفي آخرها تم بترها ولم تكتمل أحداثها التاريخية مثل النسخة (أ). والناقص من النسخة (جـ) بعد مقارنتها بالنـسخة (أ) هـي (١٧) ورقة في نهايتها، وقد ازدحمت ورقة العنـوان بكتابـات وأشـعار كثـيرة بعـضها مـشطوبة ولم أستطع قراءتها أو حتى الاستدلال على بعض أبياتها نتيجة لرداءة الخط.

وقد كتبت ملاحظة في أقصى يمين ورقة العنوان يذكر فيها التالي: « الحمد لله وحده، كـان وفاة السيد العلامة فخر الإسلام المطهر بن محمـد الجرمـوزي مؤلـف هـذه في دولـة والـدنا المتوكل على الله إسماعيل عليلم (وتعني عليه السلام)، وبعد ذلك كتب كلمة«تمت مـن طبـق الحلوى للسيد عبد الله بن علي الوزير».

٦- منهج المؤرخ الجرموزي:

كان لحركة التأليف التاريخي في اليمن جذورها التاريخية، فهذه الحركة تنتسب للمدرسة الإسلامية التي التزمت المنهج العلمي التي سارت عليه الكتابات التاريخية في العصور الوسطى، فقد حرصوا في مقدمات مؤلفاتهم توضيح الغرض والدافع من التأليف، واتصفت حركة التأليف التاريخي في اليمن بالتدوين المحلي أي التوسع في تدوين وتسجيل الأحداث التاريخية المحلية، أو سيرة أئمة الفترة بشكل خاص، وتناول الأحداث المتعلقة بالفترة نفسها ولم يخرجوا إلى الأحداث الخارجية إلا نادراً إذا ما دعت الحاجة لهذا الخروج(١).

وسوف نستعرض هنا المنهج التاريخي الذي اعتمد عليه مؤرخنا الجرموزي، أثناء تدوين هذا السفر التاريخي من سيرة المؤيد محمد بن القاسم، وسنتبين أن منهجه لم يختلف عن المنهج الذي اتبعه مؤرخو العصر، فقد رسم مؤرخنا بعناية وبتفصيل منهجه وغرضه من كتابة هذه السيرة.

كان المطهر بن الجرموزي من رجال دولة القاسم، وقد عرضنا مدى قربه من السلطة الحاكمة في ذلك الوقت، وتقلده ولاية بعض المدن في المناطق الوسطى، والمهام التي تحملها وكلفه بها الإمام المؤيد محمد في ذلك الوقت.

كان المؤرخ الجرموزي شاهد عيان على الأحداث، وكثيراً ما ذكر قربه من الحدث أو مشاركته فيه، وحاول استخدام منهج الضبط والتوقيت، وتحديد وضبط السنوات، ولذلك فقد ذكر أثناء تدوين أحداث هذه السيرة استشهاده بمصدر معلوماته، ويؤكد على ذلك المصدر بقوله: « كما أخبرني شفاهاً أو مكاتبة»(٢)، أو « وأخبرني مولانا من فيه بمثل ذلك»(٣).

وإن أراد أن يدلل على مصدر استقاء أية معلومة سوف يقوم بتسجيلها فيقول: «قال

---

(١) د/ سيد مصطفى سالم: المؤرخون اليمنيون في العهد العثماني، ص١٨-١٩.

(٢) الجرموزي: النص، ق٢١١أ

(٣) نفسه، ق١٧٦ب.

القاضي أحمد بن سعد الدين المسوري[1]»، أو «فمما أخبرني بعض أصحابه الذي صاروا إلينا»[2]، ولكي يؤكد على مصدر معلوماته وأمانته العلمية، فنراه كثيراً ما يذكر مصدر تلك المعلومات فيقول: «وقال السيد العلامة أحمد بن محمد الشرفي، أو انتهى ما جاء به الشرفي[3]».

وأثناء سرد حادثة معينة فيستدرك بقوله: «فقد تقدم في سيرة والده[4]». وكثيراً ما يسجل أخبار حادثة ما بناءً على ما تصل إليه من معلومات فيذكر« أخبرنا فلان، وأخبرني بعض الخواص من أصحابه، أو ومما نقله القاضي أحمد بن سعد الدين[5]».

وعندما يذكر قصيدة أو خبراً معيناً يستدرك بقوله: «وهذه نقلها الأصحاب ولم يخبرني بصاحبها» «وأخبرني آخر أنها للفقيه الأديب وجيه الدين وهو من ملازمي مولانا الحسن والله أعلم»[6]، وفي مكان آخر يذكر« وأخبرني بعض الثقات أنه وقف على كلام لأمير المؤمنين الإمام القاسم» ثم يستطرد بقوله: «وذكر ما لا أضبطه فإن يسر الله وجدانه أثبته في هذا التوقيع[7]».

وقد حرص المؤرخ على إبراز وجهة نظره عندما يذكر بعض الحوادث فيقول: «اعلم وفقنا الله وإياك أن ذكر هذا الفصل على جهة التفصيل بما يراه شاهده، ويسمعه الغائب، تهجين لمناقب أهل البيت الطاهرين، وترك إثباته مع ظهوره يتوهم كثيرون أن ذلك دهان وميل مع الزمان وليس كذلك وإنما يعرف الحال بما نذكره من البيان والله المستعان»[8].

وقد يسهو عن ذكر حدث معين في مكانه، فيستدرك بقوله: «فائدة جليلة مما يتعلق بتاريخ

---

(١) الجرموزي: النص، ق٦٤أ، ب.

(٢) نفسه: ق١٤١أ.

(٣) نفسه: ق١٤٣ب، ٣٣٢ب.

(٤) نفسه: ق٩أ.

(٥) نفسه: ق٧أ،ق٢٤أ، ب، ٢٦١أ، ٣٣٣ب.

(٦) نفسه: ق٣٠٨ب.

(٧) نفسه: ق٣١٠ب.

(٨) نفسه، ق٢٩٢ب.

هذه السنة، وما قبلها وهي سنة اثنين وخمسين وكان محلها فيما قبلها فحصل السهو، فألحقناها لقصد حفظ هذه الموعظة[1]». أو «وكان من أمره في اليمن ما سيأتي إن شاء الله تعالى». ويذكر أيضاً« ولا بد من ذكر مصير الأمر إليه في موضعه من هذا المختصر إن شاء الله تعالى»[2].

وإذا كان المؤرخ غير متيقن من سوق بعض الأخبار وتفاصيلها فيذكر «وكانت قضايا مهيلة وحوادث طويلة وفيها مكامن (جرحى)وحروب، قتل فيها كثيرون وتفصيلات هائلة، خفي علي بعضها فأجملتها[3]». وعندما يكون غير واثق من المعلومة ومصدر الحدث التاريخي يقول: «الشك مني»[4].

ونلاحظ أن مؤرخنا عند تدوين أحداث هذه السيرة لم يلتزم بمنهج موحد، كما هو متعارف عليه بين كتاب السير في تلك الفترة، فقد انتقل بين العديد من المناهج والأساليب، فنراه تارة يتبع أسلوب تسجيل الأحداث التاريخية تحت عناوين كبيرة وبارزة مثل التسجيل لبعض الأحداث أو سيرة لشخصية ما يدور حولها الحدث، فيذكر مثلاً «ذكر ما تفضل الله به من خروج مولانا الحسن[5]». أو «ذكر نزول مولانا الحسن إلى اليمن الأسفل»[6].

واتبع كذلك منهج تسجيل الأحداث التاريخية وتدوينها على طريقة الفصول فكثيراً ما يذكر « فصل وأما دعوته الشريفة، فصل نذكر فيه ما امتدحه أهل الفضل، فصل في ذكر عيون العلماء، فصل في ذكر أسباب نقض الصلح، فصل ولنرجع إلى أخبار صنعاء، وهكذا....[7]».

---

(١)الجرموزي: النص ، ق٣٣٢ب.

(٢) نفسه: ق١٣٩ب، ١٧٧ب، ١٧٩أ.

(٣) نفسه: ق١٧٧أ.

(٤) نفسه: ق٣١٠أ.

(٥) نفسه، ق ٥٦أ.

(٦) نفسه: ق ١٩٦أ.

(٧) نفسه: ق١٠أ، ق٢٩ب، ق٣٦ب، ق٧٥أ، ق١١٥أ.

أما منهج الحوليات فقد اتبعه المؤرخ في بعض الأحيان ولم يلتزم به، لكن هذا المنهج أدى إلى تقسيم الحدث التاريخي حسب السنين، فقد يدون حدثاً ما في سنة ١٠٣٦هـ، ثم ينتقل إلى أحداث أخرى، وبعد سرد العديد من الحوادث والمواقع، فيعود ويذكر بقية أحداث سنة ١٠٣٦هـ، فيذكر مثلاً: «ورجعنا إلى تمام أخبار أسباب نقض الصلح[١]»، ويتخلل أحداث سنة ١٠٣٦هـ سرد رسائل الإمام إلى الشريف مغامس والتي كان تاريخها سنة ١٠٣٥هـ[٢]، لكنها تشكل أهمية بالغة في نظر مؤرخنا، ويستوجب عليه تدوينها في سياق هذه الأحداث.

وقد حرص مؤرخنا كذلك على كتابة أسماء الشعراء والأدباء الذين يرسلون أشعارهم في مختلف المناسبات، فيبرزها بخط كبير وواضح.

مثال: «قال الفقيه ..... وقال السيد العلامة .....»[٣]، ثم يذكر القصيدة.

وكثيراً ما عمد مؤرخنا إلى إقحام حادثة تاريخية مختلفة وقام بتدوينها لأنها من وجهة نظره لها أهمية عن سابقتها من الأحداث ولكنها لا ترتبط بحوادث هذه السنة. ومنها أن يقوم بتقديم أحداث تاريخية متأخرة على أحداث تاريخية أخرى متقدمة وهكذا.

مثال ذلك فقد بدأ بسرد حوادث سنة ١٠٢٩هـ وهي الأحداث التي وقعت بعد وفاة الإمام القاسم[٤]، ثم ما يلبث أن قطع أخبار تلك الفترة وينتقل إلى سرد أحداث ١٠٣٢هـ فقد كانت بحسب رأيه أهم مما سبقها وما يلحقها[٥]، ثم يرجع ويواصل سرد أحداث سنة ١٠٢٩هـ وأحداث سنة ١٠٣٠هـ[٦].

وأهم ما يميز منهج الجرموزي هو ميله الشديد لآل القاسم على اعتبار أنه كان أحد رجال الدولة ومن المقربين للسلطة، واتضح من خلال كتاباته التحيز الشديد للإمام المؤيد محمد

---

(١) الجرموزي: النص، ق٨٢أ.

(٢)نفسه، ق٨١أ.

(٣) نفسه: ق٦٣ب، ٦٢ب، ٦١أ، ٥٩ب.

(٤) نفسه: ق ٥٠ب.

(٥) نفسه: ق٥٢ب، ٥٣أ.

(٦) نفسه: ق٥٥ب.

وإخوته، فكان لا يذكر اسم الإمام مجرداً بل يحيطه بألقاب التعظيم والتفخيم، وكذلك بالنسبة لإخوته الحسن والحسين وأحمد أبناء الإمام القاسم، ولذا اعتبر المؤرخ الجرموزي نموذجاً للمؤرخين المنحازين إلى الجانب الإمامي ضد الطرف الآخر وهم العثمانيون.

نلاحظ أيضاً أن الجرموزي لم يكن اهتمامه منصباً على سرد سيرة الإمام المؤيد محمد بن القاسم،بل وقد اهتم كثيراً بسرد أحداث حياة وسيرة الحسن بن القاسم حتى يكاد يخال القارئ أن أغلب حوادث السيرة منصبة حول الحسن وحروبه وبعض أخبار سيرته الشخصية، وشرح مناقبه وبطولاته وكرمه وما إلى ذلك من الصفات والمناقب والتي تظهر انحيازه لشخصية الحسن دون بقية الإخوة، وبالتالي فقد أبرز دور الشخصيات التي كانت حول الحسن من قادته وأبنائه، وعندما جاء إلى ذكر تمرد أحمد بن الحسن نلاحظ أنه لا يصرح بأخطاء أحمد بن الحسن وهروبه ولا يصفه بالعاصي أو الخارج عن طاعة عمه الحسين، ويأتي على ذكره باستحياء، وليس كما ورد عند بقية مؤرخي العصر.

اهتم مؤرخنا الجرموزي في الأوراق الأولى من السيرة أن يسرد أسماء الكثير من العلماء والقضاة والفقهاء والمقربين من الإمامة القاسمية ، وبيَّن بعض حوادث أعمالهم وآثارهم العلمية، وترجمات مختلفة عن حياتهم في بداية قيام الإمام المؤيد محمد.

ونلاحظ كذلك أن المؤرخ اهتم اهتماماً كبيراً بسرد وشرح كل الرسائل التي أرسلها الإمام إلى فئات اجتماعية وسياسية مختلفة في داخل اليمن وخارجه، وسجل كل الردود التي وصلت للإمامة. ولذا فقد اعتبرنا هذه السيرة إرشيفاً وثائقياً متكاملاً لحفظ رسائل الإمام المؤيد محمد المختلفة.

ولم تغفل السيرة من وقت لآخر أن تعطينا صورة تاريخية عن الجانب الآخر، وهم العثمانيون وولاتهم في اليمن، وبعض أخبارهم وتحركاتهم واتجاهاتهم السياسية.

وقد حرص الجرموزي أن يتبع المنهج الإسلامي في الاستشهادات المختلفة التي أوردها في كتابه كمؤرخي عصره. فقد استشهد بآيات من القرآن الكريم، والأحاديث النبوية،

والأشعار والأمثال المختلفة، وبالرغم من ثقافة الجرموزي وعلمه وتقلده المناصب السياسية المختلفة، إلى جانب نظمه للشعر، إلا أنه تميز بإقحام الجمل العامية في أثناء سرد السيرة، ونراه في حوادث كثيرة كما يتكلم يكتب ويدوِّن الحدث، وبالتالي يشكل صعوبة كبيرة للقارئ في تتبع المعنى والهدف الذي يريد أن يصل إليه المؤرخ، وكثيراً ما استخدم كلمات عامية في سياق السيرة، وسوف نقوم بشرحها في الهوامش مثل: «عشَّروا، الشُرم»، وربما كانت عربية قديمة وسليمة، ولكن لم تعد مستعملة.

وقد اهتم مؤرخنا باستخدام المصطلحات اليمنية المتعارف عليها كألقاب أسماء الأعلام مثل: « العزي، والصفي، والجمالي، والفخري، والشرفي، وشمس الدين، وضياء الدين»، وسيرد توضيح مفصل في الهوامش لكثير من هذه الأسماء والمصطلحات.

ولم يغفل مؤرخنا أن يورد بعض الأخبار الخارجية التي كانت تصله أو نقلها عن مؤرخ آخر معاصر لتلك الفترة مثل زلزال تبريز(١)، حروب الشاه إسماعيل في العراق، والصراع القائم بين الأشراف في الحجاز، وأخبار الأمطار التي هطلت على البيت الحرام(٢)، وسجل أخبار الهجوم الذي قامت به بعض السفن الإنجليزية على ميناء المخا، وقيام فضلي باشا بصد ذلك الهجوم(٣)، وتناول بعض من أخبار الولاة العثمانيين في اليمن والتطرق إلى بعض أخبارهم قبل قدومهم إلى اليمن(٤).

وينقل أخبار الأمراض التي انتشرت في مصر وبلاد الشام، وهلاك كثير من الناس هناك حتى ضاقت خزائن الدولة من الأموال التي تركها هؤلاء(٥).

وقد استعرض أخبار أحد الرحالة وهو الفقيه يحيى بن أحمد ابن الفقيه المقري وتجواله في

---

(١) الجرموزي: النص، ق٣٣٢ب.

(٢) نفسه: ق٣٣٣أ، ١٦٠أ.

(٣) نفسه: ق٧٨ب.

(٤) نفسه: ق٢٧٦ب، ٢٧٧أ.

(٥) نفسه: ق٣٣٣ب.

البلاد العربية ونقل كل مشاهداته في تلك الرحلة([1]).

ومن الطريف أن يقوم مؤرخنا بنقل بعض أخبار عن المومياء وتحنيط الجثث في مصر وما يتعلق بذلك من أخبار، ثم يذكر أنه« انتهى ما تم نقله من كتاب الفقيه حفظ الله بن أحمد سهيل[(٢)]».

اعتبر الجرموزي من أبرز مؤرخي السِّيَر في عصره، رغم عرضه التاريخي الذي لا يخلو من الميل والانحياز الشديد للإمامة القاسمية، لكنه تميز بغزارة مادته وعمق نظراته وتحليلاته التاريخية، وحرصه على الدقة في الإسناد وضبط الأحداث والتوقيت، ولذا فقد اهتم بتفاصيل المعارك وتابعها متابعة دقيقة، وتقصى الأخبار والحوادث التي جرت في عهده.

٧- أهمية المخطوطة وأبرز مواضيعها:

ترجع أهمية هذه المخطوطة إلى الفترة الزمنية التي تسجل أحداثها، وهي ما يطلق عليها من قبل بعض المؤرخين بالمرحلة الخامسة من ثورة الإمامة القاسمية، وهي المرحلة التي حمل فيها المؤيد محمد بن القاسم راية الحرب ضد العثمانيين بعد أن تم اختياره ليخلف والده في الإمامة (١٠٢٩هـ/ ١٦١٩م) وتلتها المرحلة التاريخية التي تم فيها استقلال اليمن عن الحكم العثماني، ولذا فأحداث هذه المخطوطة تعبير صادق عن تلك الفترة التاريخية وهي فترة الحرب ثم الاستقلال وبناء الدولة المستقلة.

وعلى اعتبار أن مؤرخنا كان شاهد عيان ومن المقربين من الإمامة والسلطة الحاكمة، وتقلد مناصب ومهاماً سياسية وإدارية مختلفة، فقد سجل لنا كل تلك الأحداث التي عاصرها وأعطى تصوراً واضحاً وحياً لذلك العصر وتلك الأحداث.

أبرز المؤرخ السيرة الشخصية للمؤيد محمد بن القاسم وحروبه ضد العثمانيين، وفترات الهدنة أو الصلح. واهتم بكل الأحداث التاريخية المتعلقة بحصار المدن وخروج العثمانيين

---

(١)الجرموزي: النص، ق٣٣٣ب.

(٢) نفسه: ق٣٣٤أ.

منها، ونزوحهم إلى سواحل تهامة، وتم شرح كل الظروف السلبية والإيجابية التي صاحبت تلك الحروب والحصار بالنسبة للعثمانيين أو الجيش الإمامي على السواء، وقد أفرد صفحات كثيرة للشخصيات المؤثرة في سير تلك الأحداث مثل الحسن والحسين وبقية الشخصيات التي شاركت في تلك المرحلة.

وقد سجل لنا المؤرخ كل المصاعب والمشاكل التي واجهت الإمام المؤيد محمد أثناء الحرب وحصار المدن، والصعوبات التي واجهها عند جمع التموينات الغذائية والمادية للجيش الإمامي المرابط على أبواب المدن أو في سواحل وقفار تهامة، ولم يهمل المؤرخ شرح التمردات والثورات وحالات العصيان التي واجهت الإمام وأخيه الحسين في الفترة التي تلت وفاة الحسن، وكيف تمكن الإمام المؤيد محمد من حل وتدبر كل تلك المصاعب والمشاكل، وكبح طموح الطامعين والمتطلعين للنفوذ والسلطة. وأبرز المؤرخ سياسة الإمام المؤيد محمد في هذا الجانب ومدى قدرته على حل كل تلك المشاكل.

وقد تطرقت المخطوطة لمختلف المواضيع الاقتصادية والزراعية والمناخية، فقد تعرضت لمواسم الأمطار والزراعة، وحلول فترات الجفاف والقحط والفاقة الاقتصادية والمعيشية التي واجهتها أقاليم مختلفة من اليمن، وشرح اهتمام الإمامة بالموانئ والتجارة، ووضع القوانين المنظمة لهذه الشؤون، وشرح اهتمام الحسن والحسين كذلك باستصلاح الأراضي الزراعية والتوسع في زراعتها خاصة زراعة البن.

وقد اهتم الجرموزي بإبراز المآثر العمرانية التي حرص على إقامتها مختلف رجال السلطة في ذلك الحين وعلى رأسهم الإمام المؤيد والحسن والحسين أبناء الإمام القاسم، وبما أن المخطوطة كانت في مجملها سرداً للأحداث السياسية والعسكرية، إلا أنها تطرقت لبعض الأوضاع الاجتماعية المتعارف عليها في ذلك الحين، ومثل العادات القبلية والمصطلحات العامية مثل (السبار، والتنكيف، والرسم، والقاعدة)، وقد تم شرح كل هذه الكلمات في هوامش السيرة.

وكان للرسائل الكثيرة والمختلفة أهميتها التي حرص على تسجيلها المؤرخ الجرموزي في المخطوطة، وأسهمت تلك الرسائل في توضيح وجهات النظر المختلفة للإمام المؤيد محمد وللأطراف الأخرى التي حاول الإمام مراسلتها، إما لجمع الأنصار المؤيدة لدولته، أو لإقامة علاقات وطيدة تثبت سياسة دولته المستقلة.

ورأينا اجتماع وتوحيد كل الآراء على اختيار المؤيد محمد للإمامة خلفاً لوالده، إلا أن الأمر لم يخل من بعض المعارضين الذين تم شرح وجهات نظرهم وآرائهم من الإمامة ومن السياسية الإدارية المتبعة في ذلك الوقت، وتم شرح كل هذا في الفصول السابقة لهذا العرض.

ولاحظنا اهتمام المؤرخ بتسجيل وإثبات كل الأشعار والمراثي والوصايا الخاصة بالحسين بن القاسم والإمام المؤيد محمد، ثم عرض الاختلافات في وجهات النظر حول من يخلف الإمامة بعد وفاة المؤيد محمد بن القاسم، وشرح كيف تم اختيار إسماعيل بن القاسم، وإزاحة أحمد بن القاسم عن الإمامة.

وقد تأثر المؤرخ بالوجود العثماني، وأورد كثيراً من المصطلحات العثمانية مثل: الجامكية والسباهية والباشلية والبلك.

وفي الأخير ومن خلال استعراضنا لهذه السيرة من حيث موضوعاتها ومناهجها وأسلوبها، فيتضح لنا من خلال كل ذلك أن المؤرخ المطهر الجرموزي نموذجٌ بارزٌ لمؤرخي السير في عصره، رغم عرضه لتاريخه بوجهة نظر منحازة، وقد يكون لحياته العلمية والسياسية واشتغاله في كثير من المناصب الإدارية دورٌ كبيرٌ في ذلك كما اتضح من خلال سطور المخطوطة[1].

٨- منهج التحقيق:

التحقيق هو اصطلاح معاصر، أي بذل عناية خاصة بالمخطوطات حتى يمكن التثبت من استيفائها لشرائط معينة، والإحقاق أي الإثبات، فيقال: أحققت الأمر إحقاقاً إذا أحكمته

---

(١) د/ سيد مصطفى سالم: المؤرخون اليمنيون في العهد العثماني، ص٧٧.

وصححته. فالكتاب المحقق هو الذي صحح عنوانه واسم مؤلفه ونسبة الكتاب إليه، وكان متنه أقرب ما يكون إلى الصورة التي تركها مؤلفه، فالتحقيق نتاج خلقي لايقوى عليه إلا من وُهب خلتان شديدتان هما: الأمانة والصبر[1].

وبناء على ذلك فقد حاولت الالتزام بالمنهج العلمي، واتباع الخطوات الأكاديمية المتعارف عليها بين المؤرخين.

فقد حرصت عند نسخ المخطوطة على ضبط النص كما أراده مؤرخه دون تحريف أو تبديل، وقد أغفل المؤرخ وضع النقاط على كثير من الكلمات بحسب المنهج القديم في الكتابة، لكنه حرص على وضع إشارة أو نقطة تحت بعض الحروف مثل الدال لتوضيحها عن الذال مثل (تقدم، حدود). والإشارة هذه (v) فوق العين والراء والحاء والسين لتوضيحها عن الخاء والغين والزاي والشين، وتم وضع هذه الإشارة (ط) فوق الصاد لتمييزها عن الضاد.

وقد حرصت على وضع النقاط للكلمات غير المنقوطة خاصة الكلمات التي توصلت إلى معرفتها، أما الكلمات غير الواضحة فقد أثبتها كما هي مع الإشارة في الهامش إلى أنها وردت هكذا في الأصل.

ونلاحظ أن المؤرخ أو الناسخ لم يثبت الهمزات إلا نادراً وبحسب اللغة العامية اليمنية فقد عمد إلى تخفيفها ووضع بدلاً منها الياء مثل (القبايل، الرسايل، المشايخ، الذخاير)، وقد قمت بتمييز هذه الكلمات حسب الكتابة اللغوية الصحيحة، وكذلك عمدت على تهميز الكلمات التي لم تُهمَز وتم تصحيحها لغوياً مثل (الناية أي النائية، الإساة أي الإساءة، زهرى أي زهراء، القراه أي القراءة، نايطين أي نائطين، قرى أي قرأ، كسا أي كساء، نشى أي نشأ.

أما التشكيل فلم يتحر الناسخ تشكيل كل الكلمات، ولذا فقد عمدت إلى تشكيل كل الأمثال والأسماء والمعاني خاصة التي لا يتضح معناها إلا بإثبات التشكيل عليها مثل(إِبْ، العُدين).

---

(١) عبد السلام هارون: تحقيق النصوص ونشرها، ص٣٩.

وتحريت إدخال كل الملاحظات والإضافات والكلمات التي كتب بها الناسخ في الحواشي، وتم إضافتها إلى متن المخطوطة.

كان الناسخ يسجل الأحداث التاريخية دون توقف ودون اتباع علامات الترقيم الحديثة المتعارف عليها، وتسهيلاً للقارئ فقد تحريت وضع الفواصل وعلامات الاستفهام وعلامات الجمل الاعتراضية، والأقواس المختلفة عند تنصيص القرآن الكريم والأحاديث والشعر والأقوال والأمثال والأعلام، وكل الكلمات والجمل التي تتطلبها قواعد الكتابة الحديثة.

ومما اعتاده كتاب ذلك العصر هو كتابة بعض الكلمات على حسب الرسم القرآني مثل (القيامة، الصلاة، الزكاة، سبحانه)، فقد كتبها على النحو التالي (القيمة، الصلوة، الزكوة، سبحنه).

وقد حاولت الاجتهاد والبحث عن ترجمات للأعلام البارزين الذين وردوا في المخطوطة، وكان لهم مشاركات فعالة.

واتبعت الدقة في البحث فيما بين المراجع والمصادر التي بين يدي، وكذلك قمت بتوضيح أماكن المواضع والمدن والقرى والعزل والجبال وغيرها مما ورد من بين سطور المخطوطة فقد اهتممت بترجمتها من الكتب والموسوعات المعروفة.

وقد حرصت على تخريج الآيات القرآنية والأحاديث النبوية بما يتفق مع الأصل، وحرصت على تصحيح نصوص الآيات القرآنية في متن السيرة.

أما الأحاديث النبوية فقد تحريت إخراجها من كتب أمهات الحديث، اكتفيت بالإشارة إلى تلك الكتب التي وجدتها فيها، وتركت أمر التصحيح والتضعيف للمتخصصين في هذا المجال.

وورد في المخطوطة بعض الأمثال العربية كمحسنات لفظية وحاولت أن أثبت كل مثل على حدة وتصحيحه وإكماله إن كان ناقصاً.

أما الكلمات العربية القديمة غير المعروفة في التداول اللغوي العادي فقد حاولت إخـراج معانيها من المعاجم العربية المختلفة.

ومن المألوف لدى جميع المؤرخين في هذه الفترة أن يسجلوا الأحداث التاريخية بـالتواريخ الهجرية، ولذا فقـد حرصـت عـلى إثبـات مـا يقابـل كـل تـاريخ هجـري تاريخـه المـيلادي، وللاستدلال على بداية كل ورقة من المخطوطة فيما بين قوسين (ق.....).

وبهذا التوضيح والشرح لكل الأساليب والطرق المتبعة أكاديميـاً في التحقيقـات العلميـة أتمنـى أن أكون قد نلت الغاية التي من أجلها أسعى وهو خدمة العلم والنيل من الله حسن الجزاء.

نص المخطوط المحقق

الجوهرة المنيرة
في
جمل من عيون السيرة

الجزء الأول

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

[١ب] الحمد لله الذي أيد الدين بالحجج والبراهين، وجعل لحفظ ذلك من اصطفاه لحفظ ذلك[١] من النبيين والمرسلين، ثم خلفهم بالأئمة الهادين، ودل[٢] عليهم بآيات للمتوسمين، وصلى الله على محمد المبعوث بالحق المبين، والداعي إليه حتى أتاه اليقين، بعد أن لجب طرقه للسالكين، وكشف أنواره بالأدلة للمبصرين، وبالسيف القاطع لحلاقم المردة المدبرين، وعلى آله المتجردين لجهاد المتمردين، وسلم عليه وعليهم أجمعين، أما بعد:

فإني كنت سمعت كثيراً من أخبار مولانا أمير المؤمنين، وسيد المسلمين المنصور بالله: القاسم بن محمد ابن رسول الله سلام الله عليه ورحمته وبركاته من أصحابه الفضلاء والقادة النبلاء، وكانت ظاهرة عند الملأ معروفة عند العقلاء، فما زال الموت يأخذ ودائعه، ويذيق الأول فالأول فجائعه، فنظرت فيما كنت أعرفه منهم بما كأني شاهده معهم، وإذا النسيان أخذ أكثره، وقد مضى من المعارف ما كان أظهره، وكنت لا أعد حفظي في جنب حفظهم شيئاً، ولا أتكلم في محضرهم، وإن كنت فيهم حياءً لحقارتي وجلالتهم، وقصوري عن محلهم، فأردت أن أحفظ ما بقي من أخبارهم على سبيل الجملة لئلا تذهب بالجملة، ورضيت بالقليل أحفظه لعقبي، مما أكتبه بقصور أدبي، لئلا يذهب الكثير مع القليل، ويخفى ما كان إليه من السبيل، والله تعالى أقصد فيما كتبت، وثوابه أطلب فيما حصلت، وجعلته توقيعاً لسرد الجمليات لقصور الباع عما يفعله أهل هذه الصناعات، ليقتدي بهم المقتدي، ويهتدي إلى آثارهم المهتدي.

وقد تقدم ما حضرني من جمل أخباره -صلوات الله عليه-، وختمت ذكره -صلوات الله عليه- بدعوة ولده مولانا، وإمامنا، وقدوتنا، ووسيلتنا إلى ربنا الإمام الأعظم، والحجة لله في زمنه على العرب والعجم، أمير المؤمنين، وسيد المسلمين المؤيد بالله: محمد ابن أمير المؤمنين المنصور بالله: القاسم بن محمد ابن رسول الله.

---

(١) زيادة في النسخة (ب).

(٢) في النسخة (ب): ودل. وهي الأصح وقد أثبتناها.

[٢أ] وصفة قيامه ومن حضر دعوته، وأجاب واعيته من الفضلاء الأعلام والجهابذة الكرام، وتاريخ قيامه، قد ذكرنا شدة الوقت الذي توفي فيه الإمام -عليه السلام- وقوة شرة الطُغام، فإنا سمعنا عن كثير من كتابهم أن عدة جنود الظالمين في اليمن من المدائن والحصون والبنادر والبلاد ومن صار إليهم من شرار العرب سبعون ألفاً والله أعلم.

فقرر مع محمد باشا الصلح الذي كان عقده حي والده -سلام الله عليهما- وحفظ المقام وأنفذ الأحكام، وأنقذ في تلك المجاعة الأرامل والأيتام بل الخاص والعام، فإنه استقبل -عليه السلام- أعظم مما كان في عام موت أبيه -عليهما السلام- من الشدة حتى كان أهل النفقات واللائذ بشهارة المحروسة بالله من جميع الجهات ما لا يحصره قلم على جهة التحقيق، وإن كان على سبيل التقليل والتقريب يكفيك أن الوزعة(١) لإخراج المخروج بنظر الفقيه الفاضل عماد الدين: يحيى بن محمد بن حنش(٢) رحمه الله فوق خمسة أنفار مع كل واحد كيال للمخروج وأعوان، ولا يراهم أحد ينفكون نهاراً وبعض الليل عن تفقد المسلمين على طبقاتهم ممن اجتمع من الملهوفين، ولقد رأيته -سلام الله عليه- مراراً يخرج إليهم ولا يقدر أن يحفظ نفسه من تهافتهم عليه عند(٣) رؤية طلعته الكريمة إلا بأن يركب حصاناً مشهوراً بالقوة ثم يرتفع إلى عال، فيتفقد أهل الحاجات ويقرر كفايتهم من القوت والكسوة وقد يستقيم مراراً عند حاجبه، ثم يستدعي الضعفاء(٤) وأهل المتربة(٥) حتى يملأ الإيوان الكبير، ثم يحضر معهم مع كاتبه ويقف معهم كأحدهم، وقد استوثق من الباب ويسأل كل واحد عن حاجته فيقضيها فلا يقوم عن مجلسه حتى يكملوا، وهكذا كان -سلام الله عليه- حتى مضى لسبيله -صلوات الله عليه-.

---

(١) الوزعة: الأعوان يكفونهم عن التعدي والشر والفساد للسلطان مثلاً. ويزع وزعاً كفَّه فاتزع هو أي كفَّ. (ابن منظور: لسان العرب، ج١٥، ص٢٨٦).

(٢) يحيى بن محمد بن حنش: (٩٧٦-١٠٢٨هـ) الظفاري الشهاري مسكناً، طلب العلم وجد واجتهد، كان زميله القاسم بن محمد، كان من العيون في جميع الفنون، وكان مقرباً من الإمام القاسم بن محمد، توفي في شهارة وقبره بمسجد الميدان. (إبراهيم بن القاسم: الطبقات، المجلد الثالث، ص١٢٥٥، الجرموزي: النبذة المشيرة، مخطوط، ق٦١).

(٣) في (أ): عن.

(٤) في (ب): الصغار.

(٥) أهل المتربة: المساكين وأهل الفاقة، ومسكين ذو متربة أي لاصق بالتراب. (ابن منظور: لسان العرب، ج٢، ص٢٤).

ولقد رأيت في تلك الأيام عجباً كبيراً، من ذلك أنها لما كثرت العقائر من الواردين للتعزية في والده رضوان الله عليهما أمر -عليه السلام- أن يجعل حصة منها لأهل المدارس الإمامية على طبقاتهم، وقد ذكرنا في الجزء الأول قدر المكاتب[1].

[٢/ ب] في تلك المدة وأن يجعل لهم ذلك ويفرق فيهم مع الطعامات الواسعة، وأنه عيَّن عليَّ في بعضها الحضور على تفريق ذلك فعلوت مرتفعاً على المكان المشرف على ذلك، وعند جدار المطبخ اثنان من أهل القوة يعصدان في دست عظيم ويخلفهما مثلهما عند التعب، وقد وصل من عند الفقيه الفاضل عماد الدين الحمَّالون بما يقوم بأولئك من الطعام على أنواعه، فأمرت عليه حفظته في جانب ثم يدعى الناس بتوقيع القائمين عليهم ونحن في انتظار تمام أهل التواقيع وحضور الأعوان، والأبواب محفوظة فرأيت امرأة ضعيفة في رأي العين تصيح وعلت الجدار المشرف على ذلك الدست العظيم وأهله في ذلك العمل الشاق، وجزل الحطب ووهيج النار تحته، فلما عاينت العصيد فتحت فاها وأنا أنظر كأن وجهها كله فم، وتقول بصوت مرتفع: اعتقوني أطعموني أو كذا، فصحت بمن كان قريباً منها من أهل ذلك الدست أعطها أعطها وأكثرت فغرف ملء مغرفة حديد مما تقرب من ثلاثة أرطال وأعطاها ذلك وهي متعلقة بالجدار ولا يقَدر أحد من أولئك أن يصعده فقبضتها بكف كأنما هو كله بنان، وجعلتها في فيها مرة واحدة، فناديت الآخرين يعطونها لحماً وطعاماً آخر، فلم يجدوها وأرسلتُ في أثِرها فلم يرها أحد، فظننت والله أعلم أنها من الجن.

فصل

نذكر فيه بعض صفاته الشريفة وما يتعلق بها وهي: نسبه الشريف، وحليته، وتأريخ مولده، ومدة خلافته، وموضع قبره، ونشأته وعلمه، وخصائصه، وكراماته، وزهده، وورعه، وكرم أخلاقه، وسعة صدره، وحلمه، وسخاؤه، وشجاعته، ومروءته، وصبره، وحسن تأليفه الشارد، ومقابلة الصادر والوارد، وهذا مما لا يحصره فطين، ولا يحيط به قرين، وسيرته، ويسيراً مما امتدحه أهل الفضل والإجادة، وذكر مشاهير العلماء في وقته القائلين

---

(١) الجزء الأول: المقصود به كتاب (النبذة المثيرة) في سيرة الإمام القاسم لمؤرخنا الجرموزي.

بإمامته، ولنتبرك بذكر القليل من الكثير، فالنوء المطير يشير إلى الوابل الغزير، كما أن الأثر يدل على المسير، ووفاته، وموضع [٣أ] قبره.

نسبه

أما نسبه الشريف فقد تقدم في ذكر نسب والده -سلام الله على أرواحهما-، وأمه -عليه السلام- الشريفة الفاضلة الطاهرة مريم بنت ناصر بن عبد الله بن علي بن داود الغرباني الأميري، من ذرية القاسم بن علي العياني[(١)] -عليه السلام-.

حليته

وأما حليته فكان معتدل القامة ربعة، أسمر اللون، منور الوجه ممتد، واسع الجبهة، أهدب الأشفار يعلوه البهاء، معتدل اللحية طويلها إلى الكبر أقرب، عبل[(٢)] الذراعين.

مولده

وأما مولده فإنه ولد لليلتين خلتا من شهر شعبان سنة تسعين بتقديم التاء الفوقانية وتسعمائة سنة[(٣)] بتقديم التاء أيضاً في دار الإمام الناصر لدين الله الحسن بن علي بن داود المؤيدي[(٤)] -عليه السلام- في بيت عداية من جبل سيران[(٥)] كما نقل عن خط والده -عليهما السلام-.

---

(١) القاسم بن علي العياني: الإمام المنصور بالله أبو الحسن، دعا لنفسه بالإمامة سنة ٣٨٨هـ/ ٩٩٨م في بلاد خثعم من بلاد عسير بالقرب من بيشة، من كتبه كتاب الأدلة من القرآن على توحيد الله وكتاب التوحيد وكتاب التجريد وكتاب التنبيه. في آخر حياته اعتزل في عيان حتى توفي سنة ٣٩٣هـ/ ١٠٠٢م. (الأكوع: هجر العلم ومعاقله، ج٣، ص١٥١٠؛ مجد الدين المؤيدي: التحف شرح الزلف، ص٢٠٢).

(٢) عبل الذراعين: العبل الضخم أي ضخم الذراعين. (ابن منظور: لسان العرب، ج٩، ص٢٤).

(٣) سنة ٩٩٠هـ يوافق ١٥٨٢م.

(٤) الحسن بن علي بن داود المؤيدي: إمام مجتهد مجاهد، مولده ونشأته بصعدة وبلادها، أخذ عن علمائها، وقرأ عنه كثير من علماء عصره. دعا لنفسه سنة ٩٨٦هـ/ ١٥٧٨م في هجرة الأهنوم. انتشرت دعوته في المناطق الشمالية من صعدة وعاضده كثير من الأهالي لضيقهم من فساد بقية أمراء آل شرف الدين، واجتمعت مصلحة هؤلاء مع العثمانيين وحاربوا الحسن المؤيدي حتى تمكنوا من هزيمته وأسره وبعد سنة تم نفيه إلى استانبول وتوفي هناك سنة ١٠٢٤هـ/ ١٦١٥م. (د/ سيد مصطفى سالم: الفتح العثماني، ص٣٢٨؛ عبد السلام الوجيه: أعلام المؤلفين الزيدية، ص٣٣٤؛ مجد الدين المؤيدي: التحف شرح الزلف، ص٣١٨؛ يحيى بن الحسين: غاية الأماني، القسم الثاني، ص٧٥٠).

(٥) جبل سيران: من جبال الأهنوم في محافظة حجة وهما سيران الغربي والشرقي. (الويسي: اليمن الكبرى، ص١٢٣).

ومدة خلافته سيأتي ذكرها، وكذا موضع قبره -سلام الله عليه-.

نشأته

وأما نشأته فكان -عليه السلام- من صغره معروفاً بالطهارة والبُعد عن قرناء السوء وأهله، وإنما همه العلم والشغل به حتى كان كما سيأتي طرف من ذلك لا يُعرف في غير المكتب، ثم بعده في الطلب، وسمعته -سلام الله عليه- مراراً يتكلم بما يعرف منه أنه لا يعرف غير الطاعات، فمن ذلك أنه بلغه أن قوماً من وادعة[1] وجد عندهم شجرة التتن[2] التي تهالك فيها عالم من الناس فرأيته يتغيظ كثيراً ويقول: ومن أين أتى ذلك إليهم وكيف وصوله بلدهم؟! وأكثر من ذلك، ومن ذلك أن رجلاً من بلاد سخدا[3] حُمل إليه وقد قتل قريباً له فقضى بينهم بالقصاص مع استكمال شرائطه ثم قال له قائل: هؤلاء اقتتلوا وهم على الخمر وفي حال السكر فعظم عليه كثيراً وقال: ومن أين دخل عليهم هذا البلاء وكيف، ومن أعلمهم وكذا وغير ذلك كثير.

علمه

وأما علمه الغزير وتحصيله الكثير فمما يُضرب به المثل كان -عليه السلام- معروفاً بكثرة السماعات[4] والطرق والروايات، ولقد سمعت أنا وغيري في زمن والده الإمام المنصور بالله -سلام الله عليه - من كثير من العلماء أن سماعاته أكثر [٣/ ب] من والده - سلام الله

---

(١) وادعة: قبيلة كبيرة تنحدر من حاشد وتنقسم إلى ثلاثة أقسام وادعة حاشد مركز إداري من خمر في محافظة عمران، وادعة الشام شرق مدينة صعدة مركزها الإداري الصفراء، وادعة همدان في محافظة صنعاء. وقرية الوادعي في مديرية القفر محافظة إب. (المقحفي: المعجم، ج٢، ص١٨٤٤؛ الحجري: المجموع، مج٢، ص٧٦١).

(٢) التتن: تسمية محلية للتبغ وهي شجرة أمريكية الأصل، ظهرت في اليمن سنة ١٠١٣هـ/ ١٦٠٤م. وصل بها الشيخ علي المغربي من المغرب أو من الهند وكان معه شيء من بذورها فغرست في اليمن وكثرت. استعملها سنان باشا وغيره من الأمراء ويقال أن التتن أصلها كلمة تركية. (يحيى بن الحسين:بهجة الزمن، ج١، هامش ص١١٧، تحقيق الدكتورة أمة الغفور الأمير).
وقد انتشرت في عهد الإمام محمد بن القاسم وتكالب الناس عليها. لكن المؤيد وأخاه الحسن أمرا بمنع تدخين هذه الشجرة وأعلنا ذلك في الأسواق وتغريم من يقوم بذلك.

(٣) سخدا: لم أعثر لها على ترجمة في المصادر التي بين يدي.

(٤) السماعات: الاستماع إلى مشايخ العلم والقراءة عليهم، في مجمل العلوم الدينية.

عليهما- وكان العلماء يرجعون إليه ويعولون عليه.

أخبرني القاضي العلامة صفي الدين أحمد بن سعد الدين[1] أطال الله بقاه أن عدة من كبار العلماء طلبوا من مولانا الإمام المنصور بالله -سلام الله عليه- سماع (البحر الزخار)[2] في بعض الأيام، فاعتذر بما هو أهم وقال: لكن يقرءون على الولد محمد حفظه الله فقرءوه، ثم تشعبت عليهم الأنظار في بعض المسائل وكثر الخوض فيها فعرَّفوا الإمام -عليه السلام- فأقسم لا عنده غير ما رجَّحه مولانا محمد -عليه السلام- فيها، وكان المتولي للتدريس في زمن والده في الكتب الكبار وما يحتاج العلماء فيه إلى كثرة المراجعة والبسط، وأنهم يعرفون من الإمام المنصور بالله -عليه السلام- الاشتغال بالجهاد فيعولون عليه، ويفزعون في ذلك إليه، فكان إمام العلوم ومداوي الكلوم.

وأخبرني القاضي شمس الدين أحمد بن محمد السلفي[3]، رحمه الله في ابتداء دعوته -عليه السلام- بأن قال رحمه الله: الإمامة يا سيدي بتثبيت الله نعرفها في صاحبها في نشأته، هذا مولانا محمد حفظه الله تعالى نعرف أنه الإمام في صغره، ثم قال: نقف على حقيقة ما قلته ثم تناول نسخة البحر الزخار وأراني في آخرها صح لي سماع هذا الكتاب عن مولانا الإمام المهدي لدين الله محمد ابن الإمام المنصور بالله، وعلى ذهني أنه في سنة ثلاث عشرة أو في سنة اثني عشر وألف[4] في كوكبان[5]، ثم سماع آخر كذلك في كوكبان، ثم قال: نحن قاطعون في

---

(١) أحمد بن سعد الدين المسوري: هو لسان العرب في وقته وخطيبهم في مدته، له سعة في العلم، معروف بالزهد والورع. كان من المقربين للإمام القاسم بن محمد، والإمام المؤيد محمد، والإمام المتوكل إسماعيل. شاعر بليغ، وسياسي ضليع، كان المرجع لكل العلماء في عصره، كتب بيده عشرات الكتب التي لا تزال إلى اليوم بخطه وتحقيقه، جمع أسانيد كتب آل البيت. وتخرج على يديه الكثير من علماء عصره، وأخباره ومناقبه كثيرة، توفي سنة (١٠٧٦هـ/ ١٦٦٥م)، ودفن بجوار الإمام القاسم وابنه المؤيد محمد في صوح جامع شهارة. (الجرموزي: النبذة المشيرة، مخطوط، ق٦٧؛ عبد السلام الوجيه: أعلام المؤلفين الزيدية، ص١٠٨؛ عامر بن محمد: بغية المريد، ق٦٧).

(٢) البحر الزخار: الجامع لمذاهب علماء الأمصار، للإمام المهدي أحمد بن يحيى المرتضى.

(٣) أحمد بن محمد السلفي: كان عالماً فاضلاً مجاهداً من العلماء المتمكنين، توفي عام خمس وثلاثين وألف ١٠٣٥هـ/ ١٦٢٥م في جهة مسار وكانت إليه ولايتها.

(إبراهيم بن القاسم: الطبقات، المجلد الأول، ص٢٠٤؛ الجرموزي: النبذة المشيرة، ق٦٧).

(٤) ١٠١٢هـ الموافق ١٦٠٣م.

(٥) كوكبان: حصن ومعقل شهير، يطل من الشمال الشرقي على مدينة شبام يعفر، وكذا على قاع المُنقَّب الذي تمر منه طريق صنعاء إلى ثلا وحبابة وبني بشير، كما يطل كوكبان غرباً على وادي الأهجر.

(الحجري: مجموع بلدان اليمن وقبائلها، مج٢، ص٦٦٨؛ المقحفي: معجم البلدان، ج٢، ص١٣٥).

ذلك الوقت أنه المهدي المنتظر، ثم أخذ القلم وفعل عوض المهدي المؤيد بالله، وكذا سمعت من غيره. وكان حسن المراجعة، حسن البيان، قليل المُراء، سريع الجواب في خطاب السائل في باب الدين والدنيا، كثير التأمل في الأدلة وفي باب الاحتياط في الصرف والمصرف كذلك. ومما سمعت من حي سيدنا الزاهد القدوة الإمام العالم محمد بن عبد الله الغشم[1] نفع الله به، وقد قال له ولد أخيه حي القاضي العالم جمال الدين علي بن أحمد بن عبد الله الغشم[2] رحمه الله: يا عم هذا بياض أريد أن أحصل فيه الأساس[3] وذلك في آخر أيام الإمام القاسم -عليه السلام- [٤/ أ] فقال: غيره يا ولدي، فقال: إلا هو، فقال: غيره، فقال: ما أحصل إلا هو، فغضب وقال: إذا حصلته حرقته أو كما قال.

فرأيته مُنْكراً عليه وعظم علي ذلك منه رحمة الله عليه وعرف ما وقع معي فقال: لا نظن إلا خيراً الإمام القاسم -عليه السلام- مهيب جداً فلا يكاد يستوفي من راجعه البحث والطلب وهو بشر يجوز عليه الخطأ وكذا. فطابت نفسي بعض شيء مما كان، فلم أَدْرِ بعد ذلك إلا وسيدنا رحمه الله يحصله بنفسه ويحث على تحصيل شرحه. وأكثر من طلب ذلك من الإمام -عليه السلام- ومن حي السيد العلامة أحمد بن محمد الشرفي[4] رحمه الله، ولقد

---

(١) محمد بن عبد الله الغشم: فقيه وعالم قرأ على يد الإمام القاسم بن محمد وولده المؤيد محمد، وكان فاضلاً عارفاً عالماً زاهداً عابداً، التزم بأحكام الفقه ووعظه النافع. وتفقه به الخلائق وكان يرتحل إلى الفضلاء ويقرأ على الشيوخ، ويمر على العامة ويعلمهم، وله مصنف في التفسير. سكن في بني الذواد في الحيمة وتزوج فيها وبها توفي سنة ثلاث وأربعين وألف/ ١٦٣٣م.

(إبراهيم بن القاسم: طبقات الزيدية الكبرى، المجلد الثاني، ص١٠١٨، تحقيق عبد السلام الوجيه؛ الجرموزي: النبذة المشيرة، مخطوط، ق٦٧؛ الوجيه: أعلام المؤلفين الزيدية، ص٩٢٨).

(٢) أحمد بن عبد الله الغشم: عالم له مشاركات في الفقه، اشتغل بالتدريس، كان مقصوداً من طلبة العلم، توفي في صنعاء سنة ١٠٥٠هـ/ ١٦٤٠م. (الأكوع: هجر العلم ومعاقله، المجلد الثالث، ص١٦٤٦).

(٣) الأساس: كتاب الأساس في عقائد الأكياس، للإمام القاسم بن محمد.

(٤) أحمد بن محمد الشرفي (٩٧٥هـ ـ١٠٥٥هـ/ ١٥٦٧ـ١٦٤٥م): ينتهي نسبه إلى الإمام القاسم بن إبراهيم. أحد أعلام الفكر الإسلامي في عصره، عالم مجاهد محقق أصولي شاعر وأديب، كان من أعيان الإمام القاسم بن محمد وتولى له، صاحب الإمام المؤيد محمد، سكن شهارة ثم انتقل إلى معمرة وعكف على التدريس والتأليف ونشر العلم. من مؤلفاته: اللآلئ المضيئة شرح البسامة ثلاثة مجلدات، وله أي الشرفي كتاب شرح الأساس الكبير مجلدين، وشرح الأساس الصغير. وكتاب شرح الأزهار.

توفي في ٢٣ ذي القعدة سنة خمس وخمسين بعد الألف ١٦٤٥م في هجرة معمرة. (الجرموزي: النبذة المشيرة، مخطوط، ق ٤٧؛ ابن أبي الرجال: مطلع البدور، ج١، مخطوط، ق١٨٥؛ الوجيه: أعلام المؤلفين الزيدية، ص١٧١، عامر بن محمد: بغية المريد، ق١٤٢؛ الشوكاني: البدر الطالع، ج١، ص١١٩).

وصله رسالة من السيد ناصر بن محمد صبح الغرباني[1] مع قيامه كما سبق[2] فيها طول، فكتب في ظهرها كلمتين شرح الأساس واترك الناس والسلام، ولا زاد على ذلك شيئاً، فسألته رحمه الله كيف رجعت إلى الأساس؟ فقال: هذا الإمام -عليه السلام- أشبه تواضعاً بسليمان بن داود نبي الله -صلى الله عليه[3]- أنصفني في المراجعة حتى أني طلبته سماع هذا الكتاب وقلت له: إذا وجدت الحق في ترك هذا الكتاب أو شيء منه تركناه لا يُفتح، فقال:ما معناه بل نحرقه أو كما قال، فشرطت عليه حفظ الباب حتى يتم المعشر، قال: ففعل وأسأت الأدب في حقه فكان الإذن إلي في الداخل، قال: فكنت في مواضع قد تقرر عندي من كتب المعتزلة[4] قوتها لا أكاد أرجع عنها فيطيل لي المراجعة والتأمل والنظر، ولقد نقرأ في يوم كامل مسألة وفي يومين مسألة حتى[5] قال: إنه بقي هو والإمام ينظر في مسألة ثلاثة أيام فصح لي هذا الكتاب أنه قطعي أو كما قال.

مصنفاته

وأما مصنفاته فلم يفرد لها كتاب فيما أعلم، وإنما له مسائل ورسائل مجموعة في جميع فنون العلم ما لو جُمعت لصارت خزانة كاملة، وقد جمع القاضي المكين العلامة: أحمد بن

---

(١) ناصر بن محمد الغُرباني: المعروف بصَبح، أخذ عن الإمام القاسم وغيره من علماء عصره، كان عالماً محققاً. دعا لنفسه في سنة ١٠٢٩هـ، وعارض الإمام القاسم وهرب إلى الحيمة فقبض عليه وحُبس في يناع وفر إلى بني السياغ، وطارده الأتراك في منطقة الحيمة وفر منها إلى بلاد حاشد وبكيل وبقي يتردد فيها، وعند قيام الإمام المؤيد محمد عارضه أيضاً وادعى أنه المهدي المنتظر وأرسل له الإمام المؤيد من يناظره ويقيم عليه الحجة فتاب وأناب وترك الشقاق، وسكن شهارة وعمل بالتدريس فيها حتى توفي سنة ١٠٦٢هـ/ ١٦٥١م. (إبراهيم بن القاسم: الطبقات، تحقيق عبد السلام الوجيه، المجلد الثاني، ص١١٧٠، وورد ذكره وأخبار معارضته للإمام المؤيد خلال النص).

(٢) أي كما سبق ذكره في كتاب النبذة المشيرة ومعارضته للإمام القاسم.

(٣) وآله وسلم: زيادة في (ب).

(٤) المعتزلة: فرقة مذهبية نشأت في العصر الأموي وشغلت الفكر الإسلامي في عصر العباسيين. ويختلف العلماء في وقت ظهورها فبعضهم ذكر أنهم من أصحاب علي بن أبي طالب رضي الله عنه، اعتزلوا السياسة وانصرفوا إلى العقائد عندما بايع الحسن معاوية وسلم الأمر له. فاعتزلوا الحسن ومعاوية. وكان على رأسهم واصل بن عطاء كان ممن يحضر مجلس الحسن البصري العلمي. وعارض أستاذه الحسن في مسألة الكبيرة واعتزل مجلس الحسن واتخذ له مجلساً آخر في المسجد. (الإمام محمد أبو زهرة: تاريخ المذاهب الإسلامية، ص١٢٤).

(٥) في (ب): ولقد.

سعد الدين أطال الله بقاه مجلدات كبار مفردة وكثيراً مجموعة إلى غيرها مما يطول. ولقد رأيته مراراً يتناول الأحكام عند ورود الفتوى، والمجلس غاص بأهله ما يترك له في غالبها حجرة، ولا يقطع السلام ولا الكلام ويده مستمرة بذلك، فإذا كثر عليه رفع [٤ب] نظره إلى سقف المنزل ليجتمع له فكره، فكان كثير من الفضلاء يتحدثون مع ذلك سراً ويقولون: يتناولها من السقف لما يرون فيها من البسط واستيفاء المسألة وأدلتها الواضحة. وكذا رأيته يسِّود للكاتب الرسالة الطويلة بالحجج النيرة، ولا يعيد فيها نظراً فيراها بعد ذلك كأنما قد حصلها في خلوة وطول نظر.

ومما أخبرني القاضي العلامة صفي الدين وبركة المسلمين: أحمد بن سعد الدين أطال الله بقاه، قال: كنت كثيراً أقوم من مجلسه الخاص وقد مضى من الليل أكثره، ولا أجد لي من القوة إلا ما أحمل بها نفسي إلى منزلي من الاشتغال والعمل في كتب العامة والخاصة وهو معي في ذلك، فلا أرى له مثلما أجد من التعب بل يزداد صبره واجتهاده، وأترك شيئاً مما كنت أعينه فيه فأجده قد أصلحه، وأذهب من عنده، غير مرة على هذه الحالة وكتبه مرصوفة، فآتي الصبح فأجدها مفتحة مُطالعاً فيها أو في أكثرها، فما خلتها إلا كما ترى الحجارة الكثيرة عند العمار الماهر المطيق. ومما رأيت أنا من مثل ذلك أنه دعاني مرة قبل صلاة الفجر في منزله من درب الأمير وسألني بعد الصلاة عن شيء وبسط، ثم تناول شيئاً من الطعام بعد القهوة، ثم تحدث قليلاً ثم قال لي: اسكن أنام قليلاً، ثم اضطجع قليلاً إلا وهو يغط ثم انتبه وطلب قهوة ثم قال لي: إني لم أدرس. وكان قراءة الفضلاء عليه في البحر الزخار، فدرس نحو خمس ورق، وأحضر من كتب الفن المذكور اثنين وعشرين كتاباً طالع موضع المعشر[1] منها ثم علمها، ثم أمر بفتح الباب لأهل القراءة، فترى هذه القوة وبركة الأوقات الخارقة للمعتاد.

ومن ذلك أني عرضت عليه الحسابات والتقريرات والتذاكر وأهلها فكانت فوق مائة ألف وستين ألفاً، فأقسم بالله أنه أمرَّها على نظره الكريم نظر تحقيق وسؤال عن كل شيء باسمه في ساعة أو ساعتين، وأثبت شيئاً وأبدل غيره بتحقيق، وما حصَّلناها إلا بليال مع

---

(١) المعشر: أي الدرس، وقرأ معشر أي درس معين في كتاب ما (عامية).

معاونة كاتبين:

ولـــيس عـــلى الله بمـــستنكر أن يجمـــع العـــالم في واحـــد[1]

خصائصه

وأما خصائصه وكراماته الباهرة، فكان كثير الإخبار بما يقع كما تراه في عمارته [٥أ] للبيت الذي عمره لمولانا: أحمد بن الحسن[٢] أيده الله[٣] وهو في بلاد يافع[٤] وأيأس ما يُرجى من عوده. ومنها في صنعاء لم يرض أن يضع لأحد شيئاً من قانونها أو بيوتها قبل فتحها، وكان يقول من وقته وبعد الاطلاع عليها ويخبر بفتحها وفتح غيرها.

وأما في البحث عن الغائب والضالة ونحو ذلك، فكان نادرة حتى يظن كثير أن ذلك من نحو التوابع من الجن، فلا يكاد يخفاه شيء من ذلك، وربما ذلك رؤيا صادقة كما أخبرني مولانا الحسن رحمه الله تعالى، وقد سألته عن مثل ذلك لحي والده الإمام -عليه السلام- فقال: ما أظن والله أعلم إلا أنه لرؤيا يراها أو دعاء يستروح معه الإجابة، وهذا من ذلك والله أعلم، وهذا باب واسع وقد يأتي من ذلك كثيرٌ في السيرة.

كراماته

وأما كراماته، فكان مُجاب الدعوة لا يدعو غالباً بخير إلا حصل، ولا يدعو على ذي شر

---

(١) قائله: أبو نواس، ديوان أبي نواس، ص٢١٨.

(٢) أحمد بن الحسن: بن الإمام القاسم بن محمد، ولد سنة ١٠٢٩هـ/ ١٦١٥م اشتهر بالشجاعة والبراعة. أعلن العصيان والثورة مرتين في عهد عمه المؤيد محمد بن القاسم بعد وفاة والده المرة الأولى ضد عمه الحسين. ثم الثانية ضد عمه المؤيد محمد. وله سيرة وأخبار وافية في الدراسة.

وفي عهد المتوكل خاض الحروب المشهورة ووصل بالجيش إلى حضرموت ويافع، وتوجه إلى الجوف ونجح في بسط سيطرة الدولة وتوسعها وكان قائد جيوشها. وبعد وفاة المتوكل إسماعيل بويع بالإمامة وعارضه القاسم بن المؤيد محمد. توفي سنة ١٠٩٢هـ/ ١٦٨١م وقبره مشهور بالغراس. (ابن عامر: بغية المريد، مخطوط، ق٢٣٢؛ الشوكاني: البدر الطالع، الجزء الأول، ص٤٤).

(٣) في (ب): أطال الله بقاه.

(٤) يافع: قبيلة كبيرة تقع منازلها بين الضالع ولحج، وتعتبر أعلى منطقة جبلية في المناطق الجنوبية. (الحجري: المجموع، مج٢، ص٧٧٣؛ المقحفي: معجم البلدان، ج٢، ص١٨٩٤).

إلا وهلك، من ذلك: قضية شمس الدين الطلقي من جنب، فكان وصل إليه إلى حبور[1] أيام والده الإمام المنصور بالله ـ سلام الله عليهما ـ، وأحسن إليه وقربه، وأراد أن يفتح على يده بلاده، فخان[2] وصار إلى الترك أقماهم الله فدعا عليه، فما كان تمام الشهر إلا وقتلوه بالخازوق، وصفته كما تقدم في سيرة والده-سلام الله عليه- أنهم ينخرون[3] خشبة ويدخلونها من دبر الرجل حتى يخرجوها من فيه لعنهم الله. ومن ذلك قضية محمد بن إبراهيم من أهل شهارة الفيش[4]، كان من كبار الجند الإمامي وأهل النجدة، فغاضب الإمام -عليه السلام- في شيء، فأراد الإمام يؤدبه وقد تناول عصاً، فقبض على يده حتى آلمه بالقبض، فدعا عليه فجُنَّ من حينه، وبقي مدة حتى عفا عنه وشفي.

ومن ذلك أن رجلاً يسمى مسعود بن سيلان بن قاسم بن شايع من الأهنوم[5] غاضبه كذلك وأخذ سلاحه وقال: هو قرنه[6] إن خدمه وصار إليه ويريد اللحوق بالترك - لعنهم الله- فانبطح من حينه عقيب قوله وخرَّ صريعاً وأفاق بعد ذلك وتاب.

ومنها ما أخبرني الفقيه الأفضل جمال الدين: علي بن قاسم الأهنومي المعروف بابن الملك

---

(١) حبور: مدينة جبلية مشهورة جنوب شرق شهارة في ناحية ظُليمة، بها جامع أثري وطرقاتها مصلولة ومفروشة بالأحجار، وتشمل حبور عدداً من المديريات.

(الحجري: المجموع، مجلد١، ص٢٢٧؛ المقحفي: معجم البلدان، ج١، ص٤١٠).

(٢) في (ب): فخاف.

(٣) في (ب): ينجرون. وهي الأصح.

(٤) شهارة: مدينة مشهورة في بلاد الأهنوم شمال حجة وهي عاصمة الدولة القاسمية في زمن القاسم وابنه محمد. وشهارة عبارة عن مدينتين تعرف إحداهما بشهارة الأمير، والأخرى بشهارة الفيش، وكلاهما في أعلى جبل تفصل ما بينهما هاوية سحيقة، ولشهارة طرق محكمة بين الجبال ولكل طريق باب، منها باب النصر، باب النحر، وباب السرو. تعتبر شهارة من أمنع الحصون. وقد اتخذها الملك أسعد الكامل معقلاً. وفي القرن الخامس الهجري صارت معقلاً للأمير ذي الشرفين محمد بن جعفر ابن الإمام القاسم علي العياني المتوفى سنة٤٧٨هـ. وفي عهد الإمام يحيى حميد الدين تم بناء جسر حجري يربط بين المدينتين. وتعتبر شهارة من أحصن المدن التي عسر على الأتراك الاستيلاء عليها وكانت لهم محاولات عدة طوال تواجدهم في اليمن. وتعد من أكبر معاقل العلم في ذلك الحين.

(المقحفي: معجم البلدان، ج١، ص٨٨٠؛ الحجري: المجموع، المجلد الثاني، ص٤٦؛ الموسوعة اليمنية، المجلد الثاني، ص٥٥٦).

(٥) الأهنوم: سلسلة جبلية في بلاد حاشد تشكل في أعمالها اليوم وحدتان إداريتان هما مديرية المدان ومديرية شهارة. (الحجري: مجموع بلدان اليمن، مج١، ص٩٥؛ المقحفي: المعجم، ج١، ص١١٤).

(٦) قرنه: قرنُ القوم: سيدهم. (ابن منظور: لسان العرب، ج١١، ص١٣٦).

أنه أخبره الفقيه الفاضل هلال بن قاسم عم المذكور أنه أخبره **[٥/ب]** من فيه أنه وصل إلى مولانا محمد -عليه السلام- إلى حبور أيام الإمام المنصور بالله -عليه السلام- فأغاظه بكلمة، فذهب ليلحق بالترك إلى السودة[١]، فوصل إلى ما يقرب من المدائر، ودخل سقاية[٢] من سقايا الطرقات ليشرب الماء فخاض الماء، فإذا باب السقاية منسد بثعبان عظيم فاتح فاه قد ملأ الباب، قال: فأخذت الخنجر والدرقة[٣] لأدافع عن نفسي ثم عرفت عدم الطاقة لذلك، وعرفت ما كان مني إلى ابن الإمام -عليه السلام- ثم تبت عما فرط مني فيما بيني وبين الله تعالى واستغفرت، فما كان بأسرع مما انصرف عن الباب ذلك الثعبان ولم أره بعدها.

قال الفقيه علي المذكور: وسماع هذه القضية مشهور شائع في تلك النواحي انتهى وآخران ..... [٤] من الأهنوم من شهارة الفيش لحقا بالعجم فدعا عليهما فهلكا.

ومن ذلك قضية الجراد في حرب عولي كما سيأتي إن شاء الله، وأما العقوبة لمن كتمه حقاً أو منعه واجباً أو مطلباً فلا ينحصر لكثرته يعرفه القريب والبعيد، واشتهر في اليمن وانتشر من ذلك أن كل أنعام يخفيها صاحبها أو يتحيل في إسقاط زكاتها أو الإعانة[٥] منها تهلك وتنقطع حتى إذا أخفى السخل[٦][٧] هلك، وكذا زكاة النحل وغيرها، ولو نذكر ما كان من

---

(١) السودة: قرية في محافظة عمران وتقع على جبل يطل على واديي أخرف وعقمان المشهوران بزراعة البن. وهي المقصودة هنا. وهناك قرى ومناطق أخرى مشهورة بنفس التسمية وهي:

السودة: في جبل صناعة من مديرية وشحة في حجة.

السودة: من قرى عاهم في كشر محافظة حجة.

السودة: قرية في جبل ساقين غرب صعدة.

السودة: من قرى عيال عبد الله في أرحب شمال صنعاء.

السودة: قرية في ردفان.

(المقحفي: المعجم، ج١، ص٨٢٨).

(٢) سقاية: السقاية هي سبيل الماء التي توضع للشرب في الطرقات.

(٣) الدرَقَة: ما يُصد به السيف وتسمى الترس.

(٤) فراغ في (ب) أيضاً.

(٥) في (ب): الأمانة.

(٦) السخل: والسَّخْلة ولد الشاة من المعز والضّأن والجمع سخل وسخال. (ابن منظور: لسان العرب، ج٦، ص٢٠٤).

(٧) زيادة في (ب): منها.

ذلك عندنا وباطلاعنا لطال كيف في جميع البلاد، وذلك أنه -عليه السلام- يتحرى في الصرف كما يتحرى في الأخذ، فلا يضع ولا يرفع إلا بعد النظر الصحيح، وتحري الأقرب إلى رضا الرب سبحانه.

وفي هذا التوقيع من السيرة كثير تجده فيها: حفظت شيئاً وغابت عنك أشياء.

قال مولانا السيد العلامة شمس الدين: أحمد بن محمد بن صلاح الشرفي نفع الله به: ومن كراماته -عليه السلام- ما رواه الفقيه الفاضل: عبد الله بن إبراهيم بن سلامة أنه رأى في النوم عقيب وفاة الإمام المنصور بالله -عليه السلام- في اليوم الثالث منها قال: لما بلغ وفاة الإمام وقع مع الناس ما وقع من الغم والكرب وهون ذلك بقيام الإمام المؤيد بالله -عليه السلام- مقامه، فبقيت تلك الليلة مفكراً في نفسي وقلت: إن المؤيد بالله دون والده في العلم، فرأيت [٦/ أ] كأني سرت أنا وبعض الأصحاب إلى مكان، فلما وصلنا بالقرب إلى ذلك المكان، فإذا نحن[(١)] بحنش أبيض قصير يخرج من موضع ثم يدخل فيه مرة بعد مرة وهو يتنحنح مثل تنحنح الرجل، قال: فرجمته بحجر فلم تصبه، فقال: لولا حجار بلادكم لأكلتكم أحناش[(٢)] منع، فقلت: ما نسمع بمنع إلا أن يكون ينبع فقال الحنش: نعم اسم ينبع منع، وأقسم الحنش بيمين نطق بها بالجلالة فقال: والله لقد قالت بإمامة الإمام محمد الجن والإنس.

ومنها ما حكاه السيد الفاضل علم الدين قاسم بن نجم الدين أيده الله قال: وجدت في لوح أضحية مكتوباً بخط بيِّن: الإمام محمد أمير المؤمنين.

ومنها لما وقع الحرب بين آل عمار[(٣)] وسحار[(٤)]، واشتدت الفتنة بينهم وكان التعدي من آل عمار كما سنذكره من بعد إن شاء الله تعالى، ووقع مع آل عمار هزيمة كبيرة وقتل منهم

---

(١) ليست في (ب): نحن.

(٢) أحناش: جمع حنش وهو الثعبان.

(٣) آل عمَّار: من قبائل دهمة في صعدة. (الحجري: مجموع بلدان اليمن، مج٢، ص٦١١).

(٤) سِحار: من قبائل خولان في صعدة أيضاً. (الحجري: المجموع، مج٢، ص٤١٦).

جماعة، فاجتمع رأيهم على أن يصرخوا بجميع قبائل حاشد[١] وبكيل لادعائهم[٢] أنه منهم، فأرسلوا جماعة منهم لتنكيف[٣] هذه القبائل حتى وصلوا إلى بلاد بني صريم[٤]، وخارف[٥]، وسفيان[٦]، ووادعة[٧]، والعصيات[٨]، وقبائل الأهنوم، وبلاد برط[٩]، وأملح[١٠]، وغير هؤلاء[١١] حتى وصلوا إلى مشارف برط، وأسعدهم بعض هذه القبائل، واجتمع خلق كثير، فلما قربوا من صعدة ومرادهم أن يحاربوا قبائل سحار، فما زال ولد الإمام السيد الهمام شرف الإسلام يدافعهم بالكتب ويعرِّفهم أن آل سحار لا حجة عندهم، وأنه لا يرضى أن يصدر إليهم مكروه، فأسعده بعض القبائل، فلما رأى ذلك أرسل من عسكره جماعات في مواضع متفرقة مسعرين الحرب لمن قصدهم فحينئذٍ أجمع جميع القبائل، ورجعوا كل إلى بلاده، ووصل بعض مشايخهم إلى ولد الإمام، وكان من أعظم من ألَّبهم وجمعهم وأظهر الفساد والعناد رجل من آل عمار يسمى الشيخ واصل بن الشيخ، فلما وصل إلى بيته راجعاً من تنكيفه حُمَّ ليلة واحدة فأصبح ميتاً فأيقن الناس جميعاً بهذه الكرامة.

---

(١)حاشد: من بطون همدان وحاشد أخو بكيل، وأول بلاد قبائل حاشد من الجراف والرحبة وذهبان فعُشَر فعُلمان إلى حدود حاز والخشب. وحاشد تنقسم إلى أربع بطون صريمي وخارفي وعصيمي وعذري. كلها شمال صنعاء، وتشمل العديد من المدن والقرى والعزل. (الحجري: المجموع، مج٢، ص٢١٣).

(٢) ليست في (ب): كلمة: بهم، وفي (أ): كتبها الناسخ: كظن.

(٣) التنكيف: ضرب الطبول؟ لجمع القبائل إما لدعوة خير أو شر، أي إما للحرب أو للتعاون في إصلاح ماجل أو ساقية أو سايلة.

(٤) بني صريم: من قبائل حاشد. (الحجري: المجموع، مج١، ص٤٦٦).

(٥) خارف: أيضاً من قبائل حاشد. (الحجري: المجموع، مج١، ص٣٠٣).

(٦) سفيان: من قبائل بكيل، ومن بلدان سفيان خيوان وشوابة ووهران وأرحب وعيان والحرف وهي مركز ناحية سفيان. (الحجري: المجموع، مج٢، ص٤٢٤).

(٧) وادعة: من بطون حاشد وقبائلها في ثلاث جهات، وادعة حاشد في بلاد حاشد، وادعة صعدة في صعدة، وادعة عسير شمال نجران. (الحجري: المجموع، مج٢، ص٧٦١).

(٨) العصيات: قبيلة من بطون حاشد وهم جبري وفضلي وغنبي وقيصي. (الحجري: مجموع بلدان اليمن، مج١، ص٢٢٠).

(٩) برط: جبل مشهور شمال شرق صنعاء، وهو ناحية واسعة فيه قرى كثيرة ومزارع وأودية، يسكنها قبائل ذو غيلان من قبايل بكيل. (الحجري: المجموع، مج١، ص١٠٨).

(١٠) أَمْلَح: واد مشهور في بلاد شاكر في صعدة وفيه قرى ومزارع واسعة.
(الحجري: المجموع، مج١، ص٩٠).

(١١) في (ب): وغيرهم.

ومنها أن رجلاً من أهل حقل لما ذُكر عنده الإمام المؤيد بالله -عليه السلام- قال: لا أرانا الله وجهه، فأصبح اليوم الثاني مريضاً، ثم مات عقب **[٦/ب]** ثلاثة أيام أو نحوها.

ومنها أن الأتراك جروا المدافع من صنعاء إلى عمران[١] يريدون الرمي به على أصحاب الإمام -عليه السلام- في موضع قريب من عمران يسمى درب الموجمة فرموا به أربع رميات، ثم انفض في الخامسة وبطل نفعه لهم، ثم جروا مدفعاً آخر فرموا به رمية واحدة، ثم انفض من وسطه وبطل نفعه لهم ولم يقع في المجاهدين منهما ضرر.

ومنها أن رجلاً من آل عمار يسمى علي بن أحمد كان ممن منع العسكر الذين جهزهم الإمام -عليه السلام- إلى بيشة[٢] صحبة الشريف حسين بن مغامس كما سيجيء إن شاء الله، وأرجف عليهم ومحقهم وهرب فجرى بينه وبين أصحابه خصومة، فقتل وقُتل معه غيره وبعض من كان من قبيلته الذين لحقوا العسكر أصابه الله بعلة في عينيه، ثم أراد السيد أحمد بن المهدي[٣] القبض عليه فوثب من طاقة فقصم ظهره.

ومنها ما أخبر به الفقيه الفاضل العالم شمس الدين أحمد بن يحيى الآنسي[٤] عافاه الله قال كرامات عظيمة لإمام زماننا المؤيد بالله- سلام الله عليه- ينبغي أن تكتب ظهرت أيام

---

(١) عَمْرَان: مدينة مشهورة في أعلى قاع البون تبعد عن صنعاء بنحو ٥٠كيلو، وهي مدينة قديمة محاطة بسور معمور من الطين، ولها بابان شرقي وغربي وقد تم استحداثها لتكون في أعمالها الإدارية محافظة جديدة تضم تسع عشرة مديرية. منها حَرْف سُفيان، حُوث، خَمِرْ، ذي بين، رَيْدَة، جبل عيال يزيد، الأشمور، السُّودة، ظُليمة حبور، والقَفْلَة، وشهارة، وتشكل الزراعة أهم مصادر الدخل فيها نظراً لما تتميز به أراضيها من خصوبة التربة. خاصة في قاع البون، الذي يزرع الحنطة والشعير والذرة وسائر الحبوب والتين والعنب. (المقحفي: معجم البلدان، ج٢، ص١١١٨).

(٢) بيشة: في منطقة عسير، وهي منطقة غناء في وادٍ كثير الأهل، وتشمل أبها وتَبالة، وبها واد يسيل ناحية نجد شرقاً، وبيش وادي يصب في اليمن وسراة تهامة. (الحجري: المجموع، مج١، ص١٣٣؛ الويسي: اليمن الكبرى، ص١٣٥؛ في صفة بلاد اليمن عبر العصور د/ العمري، يوسف محمد عبد الله، الإرياني، ص٢٠).

(٣) أحمد بن المهدي: السيد الرئيس العالم أحمد بن المهدي، كان عالماً ناهضاً في الرئاسة سخياً مألوفاً رحيماً. وهو من أصحاب الطبقة الثانية بحسب المؤرخ الجرموزي في النبذة المشيرة، وكان من أعيان عصره، توفي عام أربع وأربعين وألف ١٦٣٤م. (الجرموزي: النبذة المشيرة، مخطوط، ق٥٥).

(٤) شمس الدين أحمد بن يحيى الآنسي: عالم محقق، تولى القضاء للإمام القاسم بن محمد وابنه المؤيد محمد. وهو من شيوخه وأجازه سنة ١٠٥٠هـ/ ١٦٤٠م، كما تولى للمتوكل إسماعيل وأحمد بن الحسن، وله كثير من التلاميذ، مجهول الولادة والوفاة. (إبراهيم بن القاسم: الطبقات، المجلد الأول، ص٢٣٨؛ الوجيه: أعلام المؤلفين، ص١٩٦).

فتنة ابن راجح:

الأولى: أنه كان لرجل من المخادعين[1] بيت عظيم فلما أراد المجاهدون أن يحرقوه بذل لبعضهم شيئاً على سلامته فأحرقوا حواليه وأحرقوا بعض ما يكون من شرافاته[2] وتركوه، فنزلت صاعقة عظيمة أحرقته وأخربته بجرثومته.

الثانية: أنه[3] كان بعض المجاهدين[4] يسبه كثيراً فقتل في الحرب فأراد بعض المجاهدين أن يقطع رأسه فوجد لسانه قد أخذته الرصاصة إلى موضع بعيد فبقي الناس يعجبون من ذلك.

الثالثة: كانت امرأة تهجو أصحاب الإمام في مسرحها بكلام مزدوج يشبه الرجز، فاتفق أنها في بعض الأيام علت فوق صخرة فانكفأت بها فطاحت ولحقتها تلك الصخرة فوجدوا رأسها مرضوخاً بين الصخرة والصفا.

ومنها أن بعض أولئك المحاربين مما يلي مكاننا أغار ودعا إلى أصحابه الذين وراءه أنهم يلحقونه بالحبال يحمل بها أبواب مسجد القاضي أحمد بن يحيى فوقعت في قفاه رصاصة وخرجت من فيه، وأخذت بعض أضراسه وأسنانه، وعاش ولم يمت من الرصاصة، وبقيت حياته التي هو فيها من الشناعة [٧/ أ] عبرة لمن رآه.

ومما نقله القاضي العلامة صفي الدين أحمد بن سعد الدين ما لفظه منقول من خط سيدنا القاضي العلامة عين العلماء الأكابر شمس الدين أحمد بن يحيى بن حابس[5] طول الله عمره ما لفظه: رفع إلي بعض أهل الخير ممن لا يلمح إليه بتصنع أنه كان إلى ليلة الإثنين ثالث شهر

---

(١) له: زيادة في (ب).

(٢) هكذا وردت، ولعل المقصود به شرفاته.

(٣) في (ب): بأنه.

(٤) في (ب): المحاربين.

(٥) أحمد بن يحيى بن حابس: الصعدي، قرأ في الشام قراءة نافعة. ورحل إلى الإمام القاسم بن محمد وتلقى منه فوائد كثيرة. قرأ على يديه العديد من الطلاب. ألف وصنف الكثير من الكتب منها (شفاء الأسقام في توضيح التكملة للأحكام) وله (المقصد الحسن والمسلسل الواضح السنن) من أجل وأهم مؤلفاته، وله التكميل على شرح ابن مفتاح للأزهار. وله شرح على الثلاثين المسألة ويسمى (الإيضاح على المصباح) المعروف بشرح ابن حابس. توفي في ربيع الأول سنة ١٠٦١هـ/ ١٦٥٠م. (إبراهيم بن القاسم: الطبقات، المجلد الأول، ص٢٣٤؛ الجرموزي: النبذة المشيرة، مخطوط، ق٦٨؛ الوجيه: أعلام المؤلفين، ص١٩٩).

شعبان سنة ستين وألف ورأى هذا الرجل الجيد رؤيا عظيمة غلبة الظن صدق ما اشتملت عليه، وأنها مندرجة من النوع الثالث من أنواع الوحي وهي هذه:

قال الرائي: رأيت هذه الليلة أني في مسجد واسع بلا سقف بجدران وفي الجدران أبواب كثيرة وإذا في المسجد رجل منفرد فسألته: ما هذا المكان؟ فقال: هذا مسجد الفضلاء يصلون فيه فقف[1] حتى يدخلوا يصلون.

قال الراوي: فوقفت وإذا بمؤذن في الجو بين السماء والأرض يؤذن بالأذان المعروف وحين فرغ من الأذان رأيت كل باب يفتح وتدخل منه جماعة عظمى قاصدين للصلاة، فتقدم إمامهم وهو رجل ضخم يزيد جرمه على من في المسجد وعلى شكل سائر الرجال المعروف بإيوان كثيرة بحيث لا يرى في الرجال مثله، فصلوا، فلما فرغوا من الصلاة خرج كل زمرة من بابها التي دخلت منه ولم يبق إلا ذلك الإمام وذلك الرجل الذي وجدته أولاً.

قال الرائي: فقدمت[2] إلى ذلك الرجل فقلت له: من هذا الإمام للجماعة؟ فقال: أوما عرفته هذا الإمام القاسم -عليه السلام-.

قال الراوي: فتقدمت إليه وسلمت عليه وسألته أن يدعو لي، فدعا لي وقال: أنت فلان بن فلان وصلت إلينا أنت وعمك فلان إلى صومل[3]، قال: وصدق -عليه السلام- فإني وصلت في صغري أنا وعمي إليه كذلك، فقال: عمك المذكور من أهل الجنة.

قال الرائي: ثم سألت الإمام -عليه السلام- عن الإمام المؤيد بالله -عليه السلام- لأسلم عليه، فكان جوابه عليَّ يا مسكين أو يا رحمة وأين محمد؟ ما بلغنا درجته وأشار بيده إلى الجو على حد ما يفعله المعظم للشيء، ثم قال القاضي أحمد بن يحيى حفظه الله: والله على ما نقول وكيل. انتهى.

ومنها ما أخبرني الفقيه الفاضل العالم [٧/ ب] محمد بن ناصر بن دغيش أطال الله بقاه

---

(١) فقف: ليست في (ب).

(٢) في (ب): فتقدمت.

(٣) صومل: هو واد مشهور غرب جبال الأهنوم، فيه أوقاف كثيرة لجامع شهارة.

عن السيد المجاهد العالم محمد بن أحمد[1] ابن أمير المؤمنين الحسن بن علي بن داود[2] أن الإمام -عليه السلام- كان مشفقاً من عود الترك أقمأهم الله إلى اليمن بعد فتح بغداد في عام ثمان وأربعين[3]، وكذا مولانا الحسن[4]، ثم مولانا الحسين[5].

قال: وكنت عنده -عليه السلام- عقيب وفاة مولانا الحسن رحمه الله فلما تودعته قال لي: سلم على الصنو الحسين وقل له من أجل السلطان مراد وما كان عليه فقد كفى الله شره ورفع عن المسلمين ضره أو كما قال.

قال: فقلت في نفسي ومن أين هذا الخبر البعيد عن الأذهان والأبدان؟ قال: وعرف ما في

---

(١) محمد بن أحمد بن الحسن بن علي بن داود المؤيدي: أمير سياسي، فقيه أديب شاعر، قرأ بمدينة صنعاء وصعدة على يد العديد من العلماء. ثم صاحب الإمام القاسم وقاد الكتائب العسكرية وأوكل إليه الإمام القاسم كثيراً من المهام والطلعات العسكرية، تولى حصار صنعاء. ثم عيّن على العدين وإمارة حيس وقادها بالعدل، ثم تزوج بابنة المؤيد محمد أسماء فأنجب منها الشاعرة الأديبة زينب الشهارية وله ابنة شاعرة أخرى هي فاطمة العدينية. كان أميراً للحج اليمني سنة ١٠٥٢هـ/ ١٦٤٢م، توفي في ذي الحجة ١٠٦٢هـ/ ١٦٥١م، ودفن في حيس. (الوجيه: أعلام المؤلفين الزيدية، ص٨٣٩؛ الشوكاني: البدر الطالع، ج١، ص١٩٣).

(٢) ليست في (ب): داود.

(٣) ١٠٤٨هـ = ١٦٣٨م.

(٤) الحسن بن الإمام القاسم: (٩٩٦-١٠٤٨هـ/ ١٥٨٧-١٦٣٨م) الابن الثاني من أولاد الإمام القاسم وقائد الجيش الإمامي في زمن أخيه الإمام المؤيد محمد. له سماع على والده، وله إجازة في كتاب (مرقاة الوصول إلى علم الأصول). قرأه في الدار الحمراء وهو الحبس الذي سجن فيه في صنعاء. وقرأ علم القراءات على يد شيوخ صنعاء، وقرأ مقدمات البحر الزخار على يد صنوه. كان جامعاً لغرائب العجائب وعجائب الغرائب وكمال الخصال. كان حسن المذاكرة ويجيد تلاوة القرآن. واسع الأخلاق. وله سيرة طويلة في طيات هذا الكتاب وقد كان الرجل الثاني بعد الإمام المؤيد محمد.

(عامر بن محمد: البغية، مخطوط، ق١٨٠-٢١٧؛ إبراهيم بن القاسم: الطبقات، المجلد الأول، ص٣٢٣؛ ابن أبي الرجال: مطلع البدور، مخطوط ج٢، ق٤٧).

(٥) الحسين بن الإمام القاسم: (٩٩٩-١٠٥٠هـ/ ١٥٩٠-١٦٤٠م) تربى في حجر أبيه الإمام وهاجر معه إلى برط، وقرأ عليه مؤلفه في النحو وأجازه. وله قراءات في مختلف العلوم الدينية والقراءات السبع، والأحاديث النبوية، والجوامع الفقهية، وعلم الأصول، وعلم الكلام، وعلوم العربية. فاق أقرانه في الدقائق الأصولية والبيانية والمنطقية والتجويد والحديث والتفسير والفقه.

خاض كثيراً من الحروب في عهد أخيه المؤيد محمد بن القاسم، وكان عوناً لأخيه المؤيد بعد وفاة الحسن. وفي متن السيرة سترد أخباره السياسية والعسكرية. له مؤلفات عديدة وشهيرة.

(ابن أبي الرجال: مطلع البدور، مخطوط ج٢، ق٨٧؛ إبراهيم بن القاسم: الطبقات، المجلد الأول، ص٣٧٠؛ الوجيه: أعلام المؤلفين، ص٣٨٨؛ عامر بن محمد: البغية، مخطوط، ق١٦٢).

نفسي فقال: يا ولدي لا توهم أني أعلم ما سيأتي أو أن لي غير الثقة بالله فما والله ذلك إلا حسن ظن في الله سبحانه وتعالى وأنه يرحم هذه البلاد التي قد طهرت من رجسهم وقد عاثوا في المسلمين في العراق فما سلطهم الله على اليمن بعدها أو كما قال، ولأجل النظير إذا ذهب نظيره، وهذا الذي راموه ما كان له إلا الله سبحانه وتعالى. والصنو الحسن رحمه الله وحيث قد ذهب فما يبقيه الله بعده، ثم فاضت عيناه عند ذكر الحسن، وهذا من حسن الثقة بالله. فما كان أياماً قلائل إلا والخبر يأتي بموت المذكور بعد تمام أخبار بغداد. انتهى.

ومنها ما سمعته ورأيته في بلد وعلان من سنحان[1] أن شيخاً من بني القطاش عرفته شخصاً واسماً أضافنا ورأيت إلى جنبه ولداً اسمه محمد وهو في حركاته يدعو للإمام فسألته فقال: لي مال ومكالف[2] ولم يكن لي ولد؛ فحملتني الشفقة واليأس من الولد أن قصدت الإمام وشكوت عليه فحملت امرأتي بهذا الولد مع وصولي من عنده وسميته محمداً وأظن أن الإمام الذي عهد إليه بتسميته.

ومنها ما أخبرني الحاج محمد بن مسعود الحاجب قبل وفاة الإمام المنصور بالله -عليه السلام- بنحو عشرة أيام فقال: رأيت شخصاً بهياً يطوي رايات الإمام القاسم -عليه السل- ويجمعها على أنه يحملها أو يختم عليها فقلت له: لِمَ فعلت وأنكرت عليه؟ فقال: هذه رايات الإمام محمد عوضها فنشر رايات كباراً أبهى من أولئك وأطول وهي حرير أحمر وأخضر.

[٨/ أ] **ومنها** ما أخبرني حي السيد الفاضل صالح بن ناصر من جبل بيش بعد وفاة الإمام القاسم أنه رأى قبل موت[3] الإمام أن نملاً كثيرة خرجت من موضع في شهارة حوالي بركة الطوف[4] وهي تنادي: المؤيد محمد المؤيد محمد.

---

(١) سنحان: منطقة جنوب صنعاء جنوبها بلاد الروس وشرقها بني بهلول وهي منطقة سهلية من أهم أوديتها وادي سيان ووادي سامك. (الويسي: اليمن الكبرى، ص٩٥؛ الحجري: المجموع، مجلد٢، ص٤٣٢).

(٢) المكالف: أفراد العائلة من النساء.

(٣) في (ب): وفاة.

(٤) بركة الطوف: بركة لتجميع مياه الأمطار في شهارة الأمير، وهناك الكثير من البرك في هذه المدينة مثل: بركة السبع، بركة النحر، بركة الأحسني، بركة الشرقي الأسفل، وبركة الشرقي الأعلى، بركة المؤيد، بركة الهادي، بركة العنكبوت، بركة الشحنة الداخلية والشحنة الخارجية، بركة بيت أبو طالب، بركة المحطة، بركة باب النصر، بركة سد جامع شهارة، بركة العليا، بركة بيت الأكوع، بركة بيت صبح. (المصدر: السيد يحيى أحمد عبد الرحمن المتوكل).

ومنها ما أخبرني سيدنا القاضي العلامة شمس الدين أحمد بن سعد الدين أطال الله بقاه أن الإمام -عليه السلام- في أيام حصار زبيد[1] مرض مرضاً شديداً، ومرض أعوانه ومات بعضهم، واشتد به الأمر وحضر وقت إرسال أرزاق عسكره -عليه السلام- الذين في حصار زبيد فجمع الذي قدر عليه، وبقي أكثر من ألف حرف[2] لم يجدها. وطلب القرضة فلم يحصل، وقام من مجلسه بين اثنين[3] من الضعف، ثم أغلق على نفسه وقد قلت له -عليه السلام-: إن فلاناً وفلاناً من أهل الهِجَر منهم الفقيه صلاح بن سهيل لهم محبة وقدرة على القرض لو كتبت إليه يبذلون وسعهم، فقال: اكتب وأرسل رسولاً معتاداً لمثل ذلك، وكان ذلك بين الظهر والعصر. وقمت من عنده -عليه السلام- على مثل ما تقدم وقد وقع معي ما شاء الله من حاجته وقلته مع المرض، فقلت: لو كنت الرسول ثم عدت عليه[4] وقد اشتدت به الحمى وعظم عليه حتى يقال: لا يكاد يعقل من شدة ذلك فناديته فتنبه وسألني فأخبرته بما رأيت من الرؤيا فقام باكياً وقال: توكل على الله ودعا بما أرجو من الله قبوله وقد دخل وقت صلاة العصر بكثير. وطلبت مركوباً فما وجد إلا بغلة ضعيفة رزوم[5] وأنا لم قد صليت فقلت لعلي: أدرك الصلاة في غيل حوالي رجح موضعاً معروفاً، فوصلته وصليت وإذا الشمس مرتفعة، ثم عزمت وبارك الله في البغلة وأقول أصل الهِجَرْ بعد صلاة العشاء

---

(١) زبيد: اسم لمدينة ووادٍ مشهور يصب في تهامة ثم إلى البحر الأحمر وهو من أخصب وديان اليمن تربة ونماءً، وأطلق اسم الوادي على المدينة وتُعرف قديماً بالحُصَيْب، ويحوطها سور من الياجور والطين محاط بالنوب والمتارس وله أربعة أبواب: باب الشبارق، وباب القرتب، وباب النخيل أو باب غليفقة، وباب سهام. وهي من المدن الأثرية الإسلامية. كانت عاصمة للدولة الزيادية، بها العديد من المساجد التي بنيت في مراحل تاريخية مختلفة وهي ٨٢مسجداً. كانت زبيد مركزاً للعلم والمعرفة بها أكثر من ٢٥مدرسة. أنجبت خيرة أبناء اليمن من الأدباء والفقهاء والمفكرين واللغويين. واشتهرت بكثرة الصناعات الحرفية وأشهرها صناعة الأقمشة . كانت في المراحل الأخيرة من الحكم العثماني مقراً للقوات العثمانية المندحرة، وتم حصارهم بداخلها من قبل الجيش الإمامي بقيادة الحسن بن القاسم حتى تم خروجهم من اليمن. (الباحثة).

(الحجري: المجموع، المجلد١، ص٣٨١؛ المقحفي: المعجم، ج١، ص٧٣٤).

(٢) الحرف: عملة نقدية متداولة حينذاك.

(٣) بين اثنين: أي استند واستعان باثنين من الرجال لشدة مرضه.

(٤) زيادة في (أ).

(٥) رزوم: ورزم البعير يرزم رزاماً ورزوماً سقط من الجوع أو المرض والهزال.

(ابن منظور: لسان العرب، ج٥، ص٢٠٥).

الأخيرة، فوصلت الهجر والشمس باقية والمسافة بعيدة، ورآني الأصحاب فاجتمعوا، ووصل الرسول الذي كان متجرداً إليهم وقت غروب الشمس، فلمته على تقصيره، وأمرت بحبسه، فأقسم بالله أنه صار عادته وجاء[1] طريقاً أقرب من طريقنا وهذه الزيادة في النهار، وقطع هذه المسافة في هذا الوقت اليسير[٨/ ب] من الخارق للعادة قطعاً، ثم قضى الغرض ويسر الله ذلك، وذكر كثيراً[2] يشبه هذه. انتهى.

زهده

[٢٢] وأما زهده فكان معروفاً بالزهادة مجبولاً عليها بحيث أنه مع سعة سلطانه وعموم صِلاتِه وإحسانه -كما يأتي إن شاء الله بعض الإشارة إلى جملها- كان يلبس قميصاً واحداً ضيق الكُم، وعمامة واحدة حواشيها القطن للجمعة، وقد ربما تخرق فيأمر برقعها. وكذا مأكله ما له قاعدة كما تقدم، وله في هذا ما يطول به الشرح، ولقد كنا نفد عليه من عند مولانا الحسن رحمهما الله تعالى، وكنا نرى ثيابنا دون الأصحاب فإذا رأيناه استحيينا من لباسنا مع لباسه فكأنما على ظهورنا الشوك.

ورعه

وأما ورعه فمما يضرب به المثل وأنه كان تصله النذور الكثيرة فيخرج ثلثها لبيت المال مستمراً، وربما أخرج النصف وربما وصرف الباقي في بعض مصارف بيت المال فكان تراه كثيراً يتأمل الحقير من المقبوض أو المعطى، ويراجع نفسه، وربما يظهر بلسانه، وربما يرجع مما هو مباح.

كرم أخلاقه

وأما كرم أخلاقه وسعة صدره وحلمه؛ فإنه يلطف بالغريب واليتيم والأرملة وأهل الحاجات حتى يخلط نفسه بهم كما سيأتي إن شاء الله بعد ذلك، ويخاطب أكثرهم بلغتهم،

---

(١) في (ب): حبا.

(٢) زيادة في (ب): من هذا.

ويعلمهم معالم الدين مستمراً حتى إذا عرف من هو من كبراء الناس جاهل الحكم وجه الخطاب إلى غيره ليسمع ذلك لئلا يأنف من التعليم، وربما أوهم الرجل بالصلاح وأن أهله وخدمه يُصلُّون آمرون بالمعروف ناهون عن المنكر لرجاء قبول التعليم. وكان يسمع من كثير منهم الأذى والبذا فيصبر عليهم ويرشدهم على قدر ما يحتمله أفهامهم من البيان، إما الأدلة العقلية والسمعية أو العرفية التي يعرفها أولئك وتحتملها طباعهم.

أخبرني القاضي شرف الدين الحسن بن علي الأكوع عافاه الله تعالى أنه سمع الإمام يقول: إنه سمع قوماً من أهل شهارة في أيام الحوزة[1] في خلافة أبيه -صلوات الله عليه- يقولون لبعضهم بعضاً: سيروا بنا إلى هذا الكذا [٩/ أ] بما لا يجوز تصديره ابن الكذا[2] حسبهم الله وقاتلهم أن يعطينا كذا وإلا[3] كان كذا.

قال: فعدت إلى موضع بعيد لا يعرفون أني سمعت ذلك ثم أرسلت لهم وأعطيتهم ما طلبوا أو كما قال.

ومن ذلك أن كل ذي حاجة صغيرة أو كبيرة يسألونه من الخواص وغيرهم فلا يقبلون منه الجواب الأول بل يحاولونه، ثم يتكلم صغيرهم وسفيههم بما لا يجوز فكثيراً ما يبتسم من ذلك أو يسكت كأنه لم يسمع.

قال بعضهم مقسماً بالله: ما أعلم قبله مثله في الحلم والمروءة. وصدق وصدق وصدق، فإنا رأينا ذلك أيامه بطولها -سلام الله عليه-.

سخاؤه

وأما سخاؤه -عليه السلام- فكان إذا عرف صحة[4] الصرف والمصرف فلا يعطي

---

(١) الحوزة: الحصار.

(٢) في (ب): زيادة كذلك.

(٣) ناقصة في (ب).

(٤) ليست في (ب).

السائل إلا ما طلب ثم يزيده على ذلك فوق ما يحتسب، ثم تراه عند العطاء يتهلل فرحاً، ثم لا تزال الزيادة حتى يتودعه المعطى، ثم يلحقه الزاد والهدية لصغاره بعد ذلك. وهذا في حكم العام فيما نعرف من حاله، وقد يمنع الحقير من أكثر الناس إذا لم يكن لذلك وجه، وسيأتي إن شاء الله تعالى أنه لو أقسم مقسم فيما يراه على الناس في أسواق اليمن ومجامعها من الكسوة أنها منه أو بسببه لم يحنث، وهذا باب واسع.

شجاعته

وأما شجاعته ورباطة جأشه فقد تقدم في سيرة والده -سلام الله عليهما- شاهد ذلك الذي لا يجحد، والتفصيل لها الذي لا يحد، ولظهورها في الأسماع وجلائها ما لا يختلف فيه أهل الاطلاع، اكتفينا بذلك عن سرد بعضها في هذا الاختصار.

صبره ومروءته

وأما الصبر والمروءة فهما غريزتاه المنسوبتان في زمنه إليه، فالصبر كما قال أمير المؤمنين -سلام الله عليه-: «الصبر صبران صبر على ما تكره، وصبر عما تحب»[1] أو كما قال، وهو -عليه السلام- فيهما ممن يضرب به المثل، فإنه يقطع ليله ونهاره في نصرة الدين والقيام بحقوق المسلمين حتى أن ما له وقت للنوم والطعام، إنما يتناول من ذلك ما لا يجد بداً منه في أي وقت، ولقد كان يأكل الطعام من غير إدام مع من حضره ويجتزي [٩/ ب] به. وكذا النوم إذا غلبه في المجلس العام والخاص ويقول القائل: نام أم لا، وقد قام لأعماله وقضى الحوائج على أنواعها وسيأتي إن شاء الله تعالى أوسع من ذلك.

وأما الصبر على فراق الأحبة فمما ظهر وانتشر فأعظم حادثة في الإسلام وفاة والده -رضوان الله عليهما[2]- في تلك الشدة التي تقدم ذكرها، وكثرة الأعداء وقربهم منه مع ضعف المواد والبلاد وكثرة أهل الاستمداد، ثم وفاة أولاده، ثم صنوه ملك الإسلام الحسن،

---

(١) من أقوال الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه في الجنة: نهج البلاغة، ص٦٣٨.

(٢) في (ب): صلوات الله عليه.

ثم مولانا الحسين، فإنه في هذه كلها لا يتحرك عن مجلسه حتى يقضي أعماله على عادتها، ويتجلد على عظم الموقع، ويشدد من عزاه ويؤنسه، ويكابد مع ذلك المشقة، وسيأتي إن شاء الله مفرقاً أوسع من ذلك.

وأما المروءة ومكارم الأخلاق فأظهر وأشهر من ذلك بتقديم حاجة أهل النفقات على كل منهم من القليل إلى الكثير، وقد مرَّ بعض ما له في ذلك من الأخبار، ولقد يشتري السمن بالألف الحرف ويفرقه، ولقد يسأل المهدي الدقيق أو المعتني فيه ولو من الزكاة فيعطي من حمله مكافأة كثيراً، ثم يأمر للمرأة التي عنت فيه بالكسوة، وهذا باب واسع -سلام الله عليه ورضوانه-.

حسن تأليفه

وأما حسن تأليفه الشارد، ومقابلته للصادر[1] والوارد فأظهر من الشمس، والصلوات الخمس مع أصحابه ومن يخالطه، ولقد يسأمون مما يرون من إحسانه إلى الأبعد فالأبعد، وأن كل طائفة تدعي ميله إليها. أما العلماء من أهل المذاهب فإنهم يأنسون إليه كثيراً، ولا يعدون خلافه لهم خلافاً لما يرون من إنصافهم ولقد يدعون أنه منهم. وأما المؤلفة فإنه يبدل وحشتهم أُنساً وبعدهم قرباً، ومن ذلك ما تقدم من إحسانه إلى الأمير صفر[2] من عظماء أمراء العجم في حروب كثيرة أعظمها بلاد صعدة، وأنه ممن شرك في دم الشهيد السعيد الحميد شقيقه مولانا علي ابن أمير المؤمنين -رضوان الله عليه- وأنه لم يجعل له موضعاً في الحبس كغيره من أمراء العجم، بل عمر له داراً في شهارة، وأمثاله [١٠/ أ] كثيرة. ومثل الأمير ناصر المحبشي وغيرهم ممن عاداه، وكذا من سائر الطبقات ما يطول وسيأتي[3]. وما كان من الحلم والصفح فله في هذا الباب علاقة وسيأتي إن شاء الله ما يمثل به في خبر فتح

---

(١) في (ب): الصادر.

(٢) الأمير صفر: أحد أمراء الأتراك، حارب الدولة القاسمية، لكنه استسلم في عهد المؤيد محمد وأحسن إليه الإمام. وقد ورد له ذكر في الفصل الثاني من الدراسة.

(٣) ليست في (ب) كلمة: سيأتي.

ذي جبلة[1] بقوله:

فكـــــم ملـــــك أسرت فلـــــم أهنـــــه

ولم ألبـــــسه مـــــسكنة بـــــأسري[2]

نسأل الله العظيم بحقه العظيم وحق نبيه الذي وصفه بالخلق العظيم أن يوفقني والمسلمين إلى طريقته القويمة، والاقتداء بسيرته الشريفة الكريمة آمين آمين. انتهى.

فصل

وأما دعوته الشريفة فإنما ضمنها كتبه إلى الخاصة والعامة لإخبارهم بوفاة والده - صلوات الله عليهما- فلم يكن لها نسخة واحدة بل نسخ كثيرة طارت في الآفاق من اليمن والشام والعراق، وأما رسائله ونصائحه ودعوته لأهل البلاد القاصية والأقطار النائية فما لو جمعت لكانت مجلدات كباراً، ونذكر منها طرفاً من ذلك دعوته إلى بلاد خراسان إلى الشاه الأعظم عباس بن إسماعيل الحسيني[3] وغيرها، وهي هذه:

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى، والحمد لله الذي لم يخل الأمة ممن يؤدي إليهم الأمانة من أهل بيت نبيه المختار، ولم يهمل العباد عمن يرفع درجات أولي العلم الذين رفع الله درجاتهم في الدنيا ودار القرار، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تقي شاهدها من النار، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله دعا إلى الله

---

(١) ذي جِبْلة: مدينة مشهورة جنوب غرب مدينة إب. أول من اختطها عبد الله بن محمد الصليحي وبها مآثر الدولة الصليحية خاصة جامع الملكة السيدة بنت أحمد، اشتهرت جبلة برقة هوائها وعذوبة مائها.

(الحجري: المجموع، مجلد١، ص٣٤؛ المقحفي: معجم البلدان، ج١، ص٢٨٥).

(٢) لم أعثر على قائل البيت.

(٣) الشاه عباس بن إسماعيل الحسيني: ولد الشاه عباس الكبير سنة ٩٧٨هـ/ ١٥٧٠م في مدينة هراة عندما كان والده والياً عليها. حكم إيران تسعة وأربعين عاماً. يُعد الشاه عباس من أعظم ملوك إيران بعد الإسلام نظراً لأعماله الكبيرة وفتوحاته الواسعة ومآثره الخيرية، توفي سنة ١٠٣٨هـ/ ١٦٢٨م.

(محمد علاء الدين منصور: تاريخ إيران بعد الإسلام، ص٦٥٧). وقد راسله الإمام المؤيد محمد كمحاولة لجمع الأنصار حوله مع وجود الحكم العثماني في اليمن.

بالحكمة والموعظة الحسنة حتى أضاء الحق وأنار، وأشهد أن علي بن أبي طالب أفضل الخلق بعد رسول الله محمد جعل الله محبته سيماء وجوه الأبرار، وبغضه وسمة خراطيم الفجار، وأشهد أن عترته سفينة نوح المنجية لركابها فلا تزال منهم حجة قائمة عن الخلق إلى انقضاء الأعمار، يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم، ولا يهنون في أمر الله، ولا يستكينون عن جهاد أعداء الله، ولا يضعفون عن تبليغ [١٠/ ب] حجة الله، ولا يتفرقون في دين الله وإن تناءت الأقطار وشسعت الديار، صلى الله على محمد وعلى آل محمد وسلم ما اقترن الحجتان(١) واختلف القمران(٢) واعتقب الليل والنهار، وأهدى الله من سلامه طيبه الكثير، ومن إكرامه صيبه الغزير، ومن جوده أحلاه وأسناه، ومن بره أتمه وأهناه، ومن رحمته أعلاها مقاماً، ومن بركاته أوفاها ذماماً لمن كانت من أفق بيت النبوة طلعته، ومن مغرس روض الوصاية نبعته، وفي خطة ذرية النبي الأمي نسبته. أخينا نسباً وصنونا حسباً الشاه الأكبر، الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر، الناشر لمناقب الآل الطاهرين التي يحق لها أن تنشر: عباس بن إسماعيل الحسيني فتح الله أبواب منه ويسره، ومنحه من فضله أسباب خيره وبره، وقسم له أوفر حظ في إنفاذ نهيه وأمره، وأعلى به درجات أولي العلم الموكلين بحفظ ذكره، ولا برح للعترة الطاهرين حساماً قاضباً يقوم بتأييد مذهبهم الشريف ونصره، فإنها لما تزل ترفع إلينا من أخبار ناديه الشريف ما يعطر المجالس، وينهى لنا عنه من الأنباء الصالحات ما تنفق على الاطلاع عليه ضنائن النفائس، فلم نبرح نرجو أن يصل الله سبحانه منا ومنه أسباب التعاون على أداء حق الله وحق رسوله، كما وصل بيننا وبينه أسباب النسبة النبوية التي أعطى الله بها نبيه غاية سؤله إذ كان إلى.....(٣) الحسنين صلوات الله وسلامه عليهما ثمرة شجرة واحدة في الفردوس، كما صرح به الحديث النبوي: منبتها وأغصان دوحة لا تفترق؛ إذ في قرارة النبوة والوصاية مغرسها ومنبتها إلى أن اتصل بنا السيد النجيب الطيب الحسيب السيد محمد بن تاج الدين الطوسي أسعده الله وأرشده، ووفقه وسدد، فشفى

---

(١) الحجتان: لعل المقصود به الحج والعمرة.

(٢) القمران: الشمس والقمر.

(٣) بياض في (أ، ب).

الأفئدة بتحقيق تلك الحقائق، وأقر الأعين وشرح الصدور، إذ أبان لنا أن اتحادنا وإياكم في جميع الطرائق، وشرح لنا من صفاتكم السامية وسماتكم الصافية كل حسن فائق، ونشر أعطاف الثناء على ما خصكم الله تعالى به من سيمة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والتعظيم لمن عظم الله شأنه من العلماء العاملين، المتمسكين بالشرع المهتدين [١١/ أ] بهدي الأئمة الصادقين من آل النبي الموعود بالمقام المحمود، المخصوص باللواء المعقود في المحشر والمنشر، والرجوع إليهم في الدين وحفظ الشريعة والفزع إليهم عند تلاطم أمواج الاختلاف إذ كانوا للنجاة سفينة وإلى الحق ذريعة، وأنكم مذ بلغ إليكم ما نحن عليه في هذه الديار اليمنية من الدعاء إلى الله وإلى سبيله، والنداء في عباد الله بتولي ما أوجب الله توليه من كتابه وعترة رسوله، وقع سرور ذلك منكم موقع ما بلغنا عنكم، وكان من فضل الله علينا وعليكم من الفتح المبين، والنصرة على أحزاب الشياطين ما لم يؤمل إلا في عوائد الله لأوليائه، وقوارع بطشه الشديدة لأعدائهم وأعدائه، فلم يتوجه الأعلام النبوية منا ومنكم جهة إلا فتحها، ولا أمَّت الجيوش العلوية[(١)] ظاهراً من الظالمين إلا ولاها أكنافها ومنحها، فكأن القلوب والحمد لله كانت متواعدة على أمر من الخير فاتفقت، وكأن الألسن -والمنة لله- كانت مترصدة لإعلان كلمة الله تعالى فما اختلفت ولا افترقت، فزاد ذلك نعمة الله وفضله علينا وعلى أهل الإسلام، وشكرنا الله إذ جعلنا أهل البيت في كل زمان ومكان ظاهرين على كل آفك ظلام، وعلمنا أن ذلك آية للحديث الصادق، عن سيد الخلائق، بوساطة وصيه الذي هو مع الحق وبه ناطق، خذوها عني عن خاتم النبيين حجة من ذي حجة قالها في حجة الوداع: «إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا من بعدي كتاب الله وعترتي أهل بيتي، إن اللطيف الخبير نبأني أنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض»[(٢)].

---

(١) ليست في (ب): العلوية.

(٢) ورد الحديث في كتاب الأمالي الخميسية: للإمام المرشد بالله يحيى بن الحسين الشجري، ج١، ص١٥٢، الحديث السابع في فضل أهل البيت، وفي كتاب تيسير المطالب في أمالي أبي طالب: للإمام يحيى بن الحسين الهاروني، ترتيب القاضي جعفر بن أحمد بن عبد السلام، تحقيق عبد الله حمود العزي، الباب الرابع عشر في الخطب والمواعظ، ص٢٦٠؛ أحمد بن حنبل: مُسند أهل البيت، ص٤؛ المناوي: فيض القدير، ج٣، ص١٤).

وصدق ذلك بعده ﷺ ما كان في ذريته[1] وخزنة علمه وحفظته من أنَّ قاعدهم لقائمهم، وقائمهم لقاعدهم كما جاء عن أكابرهم، وكما جاء من جعفر الصادق[2] - صلوت الله عليه- في أمر عمه زيد بن علي[3] وابنه يحيى[4] وابني عمه محمد وإبراهيم ابني عبد الله بن الحسن[5] صلوات الله على أرواحهم أجمعين، فإنه لم يدع نصرتهم ولا رخص في متابعتهم حتى قال الصادق ليحيى بن زيد -عليهم السلام-: قل لعمي زيد يا عم حفظك الله، يا عم نصرك الله، وكتب جعفر إلى زيد -صلوات الله عليهما- أما بعد:

فقد بلغني أنك تريد الخروج على هذه الطاغية فإن [١١/ ب] القُربة إلى الله مجانبة أهل الفساد، وإظهار الحق للعباد، فإذا عزمت على ذلك فأت مسجد السهلة في رقبة من الناس، فصل فيه ركعتين أو أربعاً تدعو فيها بدعاء آبائك، وتجتهد في دعائك إلى ربك تُعان على

---

(١) في (ب): ورثته.

(٢) جعفر الصادق (٨٠-١٤٨هـ/ ٦٩٦-٧٦٥م): هو الإمام جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب الهاشمي الحسيني المدني أبو عبد الله من أئمة آل البيت، مناقبه وفضائله كثيرة، وعلومه مشهورة بين الخاص والعام. حاول المنصور الدوانيقي قتله مراراً فحماه الله واستمر بنشر العلم، والرواة عنه كثيرون.

(الوجيه: معجم رجال الاعتبار وسلوة العارفين، ص٨٨).

(٣) زيد بن علي (٧٥-١٢٢هـ/ ٦٩٤-٧٣٩م): الإمام الشهيد زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، حليف القرآن، كان عالماً خطيباً فصيحاً، ولد في المدينة وأقام في الكوفة، أخذ العلم عن والده وأخيه الباقر. ثار على الظلم حتى سقط في الكوفة ونصب رأسه على باب دمشق، وصلب جسده في الكوفة. له الكثير من المؤلفات منها: (تفسير غريب القرآن)، و(مسند الإمام زيد). وكثير من الرسائل طبع منها الأغلب.

(الوجيه: معجم رجال الاعتبار، ص١٥٥؛ المؤيدي: التحف شرح الزلف، ص٦٣).

(٤) هو الإمام الشهيد يحيى بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب(٩٨-١٤٥هـ/ ٧١٦-٧٦٢م). أبو عبد الله ويقال أبو طالب، ثار بالكوفة مع أبيه سنة ١٢١هـ وأوصاه والده بمواصلة قتال الظالمين قبل أن يُقتل. وبعد استشهاد والده خرج من الكوفة مستتراً مع نفر من أصحابه فدخل خراسان وانتهى إلى بلخ، وقبض عليه نصر بن سيار عامل الأمويين وسجن ثم أطلقه، وظل مطارداً طوال حياته خاصة حين أظهر دعوته في الجوزجان حتى قُتل في قرية أرغويه وحمل رأسه إلى الوليد، وصلب جسده بالجوزجان سنة ١٢٥هـ، وبقي مصلوباً إلى أن ظهر أبو مسلم الخراساني فأنزل جثته وصلى عليه ودفنه.

(الوجيه: معجم رجال الاعتبار، ص٤٨٠؛ المؤيدي: التحف شرح الزلف، ص٧٦).

(٥) عبد الله بن الحسن (٧٠ـ١٤٥هـ/ ٦٨٩ـ ٧٦٢م): بن الحسن بن علي بن أبي طالب، أبو محمد، أحد عظماء آل البيت، أمه فاطمة بنت الحسين بن علي بن أبي طالب، كان شيخ بني هاشم والمقدم فيهم، عرف بالفضل والعلم والكرم، ولد في بيت فاطمة الزهراء عليها السلام وأخباره كثيرة، حبسه الدوانيقي مع إخوته سنة ١٤٤هـ في سرداب تحت الأرض، وقتل في محبسه سنة ١٤٥هـ، روى عن الإمام زيد بن علي، وعن أبيه الحسن، وأمه فاطمة، وعبد الله بن جعفر بن أبي طالب. (الوجيه: معجم رجال الاعتبار، ص٢٥٠).

أمرك، وتهدى لرشدك. وقد أخبرني أبي أن فيه حجراً أخضر من جبل مقدس فيه صورة النبيين وهو ظاهر عند خروج المهدي، وأن بنا أهل البيت إليك خاصة لأنك لا تخلف فيهم مثلك، وما من الجهاد عوض والسلام.

واشتهر أنه دفع ألف دينار إلى بعض الناس وقال: فرقه في الكوفة[1] في عيال من أصيب مع زيد -عليه السلام- وبكى لما بلغه قتل يحيى بن زيد -عليهم السلام-، واشتد وجده به، وقال: رحم الله ابن عمي وألحقه بآبائه وأجداده، وأمر بتبليغ وصية يحيى إلى محمد وإبراهيم ابني عبد الله[2] -عليهم السلام- بصحيفة أبيه -عليه السلام- وقال لهما: هذا ميراث ابن عمكما وقد خصكما به دون إخوته، ونحن مشترطون عليكما فيه شرطاً، فقال: رحمك الله قل فقولك المقبول، فقال: لا تخرجا بهذه الصحيفة من المدينة، قالا: ولم ذاك؟ قال: إن ابن عمكما خاف عليها أمراً أخافه أنا عليكما، قالا: إنما خاف عليها حين علم أنه يُقتل، فقال أبو عبد الله: وأنتما فلا تأمنا فو الله إني لأعلم أنكما ستخرجا كما خَرجَ وستقتلان كما قُتلَ، فقاما وهما يقولان: لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. ثم كان من الصادق -صلوات الله عليه- ما كان من حضوره عند النفس الزكية محمد بن عبد الله بن الحسن -عليهم السلام- لما ظهر بالمدينة مع ولديه موسى وعبد الله واستأذنه بالقعود، واعتذر إليه بعجزه من النهوض لثقل بدنه، فأذن له، فانصرف وخلف ولديه هناك، فلما نظر إليهما محمد بن عبد الله -عليه السلام- ورآهما قال لهما: الحقا بأبيكما فقد أذنت لكما، فلحقا به. فالتفت جعفر -عليه السلام- في الطريق فرآهما فقال لهما: لم انصرفتما؟ فقالا: قد أذن لنا، فقال لهما: انصرفا إليه فما كنت أبخل بنفسي وبكى عليه. فانصرفا إليه، وحضر موسى -عليه السلام- القتال أيضاً مع

---

(١) الكوفة: تعتبر إحدى أهم مدن العالم الإسلامي التي اختطها المسلمون في بداية الفتح الإسلامي في العراق. تقع على شاطئ الفرات مباشرة وتبعد عن مركز مدينة النجف الأشرف نحو ١٠كيلو متر، وقد علت مكانة الكوفة عندما اتخذها الخليفة علي بن أبي طالب حاضرة للدولة الإسلامية (سعود الخوند: الموسوعة التاريخية الجغرافية، ج١٢، ص٢٢٢).

(٢) محمد وإبراهيم ابني عبد الله: أولاً محمد بن عبد الله النفس الزكية (٩٣-١٤٥هـ/ ٧١١-٧٦٢م): أبو القاسم محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن السبط، استشهد سنة ١٤٥هـ فقد دعا إلى نفسه في نفس هذه السنة، وبايعه المعتزلة مع الزيدية وفضلاء الأئمة، له سيرة طويلة في كتاب (المؤيدي: التحف شرح الزلف، ص٧٧؛ الوجيه: معجم رجال الاعتبار، ص٣٨٨).

وإبراهيم بن عبد الله: هو أبو الحسن إبراهيم بن عبد الله بن الحسن بن الحسن السبط، ولد سنة ٩٥هـ/ ٧١٣م دعا لنفسه بعد مقتل أخيه سنة١٤٥هـ، استشهد في نفس السنة وعمره خمسون سنة أي في سنة ١٤٥هـ.)المؤيدي: التحف، ص٩٧).

الحسين بن علي صاحب فخ[1] ـ عليهما السلام ـ، ولم يزل ذلك دأب كل مقتصد من آل محمد مع كل [١٢/ أ] سابق إلى جهاد من ألحد في الدين. وعند ذلك لم تزل راية الهدى في أهل البيت -عليهم السلام- منصوبة، وأصول أعدائهم بإذن الله كلما انتصبت لها شجرة خبيثة انصرعت بإذن الله مجثوثة[2] مجبوبة[3]، فهم وأعداؤهم كما أنزل الله فيهم فيما رواه الصادق -صلوات الله عليه- ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [إبراهيم: ٢٤].

وكما روى أبوه باقر العلم[4] -صلوات الله عليهما- قال: قال علي بن أبي طالب: «إني وأبرار عترتي وطيب أرومتي أحلم صغاراً، وأعلم الناس كباراً، معنا راية الهدى من تقدمها مرق، ومن تخلف عنها محق، ومن لزمها أُلحق، إنا أهل بيت من حكم الله أخذنا، ومن قول صادق سمعنا، فإن تتبعوا آثارنا يهدكم الله، وإن تتخلفوا عنا يهلككم الله بأيدينا أو بما شاء»[5].

ولم تزل هذه السمة الطاهرة في أهل بيت محمد ﷺ تشريفاً لها من الله وكرامة ولن تزال إن شاء الله كما وعد الله ثابتة إلى يوم القيامة. فالحمد لله الذي جعلنا وإياكم من فروع حقائق

---

(١) الحسين بن علي صاحب فخ: (١٢٨ـ١٦٨هـ/ ٧٤٥ـ٧٧٤م) الإمام الشهيد أبو عبد الله الحسين بن علي بن الحسن بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب. المعروف بصاحب فخ، كان عالماً زاهداً عابداً سخياً كريماً، بايعه جماعة من أهل بيته ومن الشيعة فظهر في المدينة المنورة، وبايعه أهل الكوفة وخراسان والجيل. وخرج من مكة ومعه ثلاثمائة من أصحابه فلما وصلوا إلى فخ لقيتهم الجيوش العباسية واستشهد وهو ابن إحدى وأربعين سنة وحمل رأسه إلى الهادي العباسي. (المؤيدي: التحف، ص١٠٨؛ الوجيه: معجم رجال الاعتبار، ص١١٦).

(٢) مجثوثة: من جث والجث القطع وشجرة مُجتثَّة ليس لها أصل في الأرض.
(ابن منظور: لسان العرب، ج٢، ص١٧٦).

(٣) مجبوبة: الجب القطع، يجبه جبًّا واجتبه أي استأصله.
(ابن منظور: لسان العرب، ج٢، ص١٦١).

(٤) باقر العلم (٥٧ـ١١٤هـ/ ٦٧٦ـ٧٣٢م): الإمام الباقر محمد بن علي بن زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب، أبو جعفر، من أئمة العلم والحديث والفقه المشهورين الأعلام. سمي بالباقر لغزارة علمه، كان ناسكاً عابداً ناشراً للعلم وأخباره ومناقبه كثيرة. ولد بالمدينة وتوفي بالحميمة لكنه دفن بالمدينة. (الوجيه: معجم رجال الاعتبار، ص٣٩٤).

(٥) وردت هذه الفقرة مع اختلاف بعض ألفاظها وزيادة عليها، في باب من خطبه في آل محمد، مما جمعه الشريف الرضي للإمام علي بن أبي طالب في نهج البلاغة، شرح الشيخ محمد عبده، ص٢٢٠.

تلك الدوحة النبوية، وهدى قلوبنا وقلوبكم إلى معرفة حقائق تلك النسبة العلوية. وقد سطرنا إليكم هذا الكتاب تحدثاً بنعمة الله علينا وعليكم، وصلة إن شاء الله جامعة في أمر الله بيننا وبينكم، وشحذاً لتلك الهمم الماضية والعزائم السامية على هؤلاء الأعداء لآل محمد، الذين عطلوا دين الله وبدلوه، وقلبوا شرع الله وحولوه، وبمخالفة عترة رسول الله ﷺ فسروه وتأولوه، فمع اجتماع آل رسول الله ﷺ في الشام واليمن لا يبقى إن شاء الله لهذه الفئة الظالمة يد في بلاد الله كما نزع أيد لهم[1]، وله الحمد من مكة إلى عدن، وصارت الكلمة العليا والدعوة الصادقة لآل رسول الله، وأيد الله عترة نبيه بنصره، وفتح لهم كما فتح لجدهم ﷺ على كل عدو فرماه بجهله بحق محمد ﷺ.

وله إلى الأشراف عموماً من بني الحسن آل موسى بن عبد الله وملوك [١٢/ ب] مكة المشرفة حرسها الله تعالى:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى.

الحمد لله الذي جعلنا من زرع سيد الأوصياء، ومنحنا الانتساب إلى خير الأنبياء وخلاصة الأصفياء، وأورثنا الكتاب والحكمة، وقرننا بهما وجعلنا الولاة على هذه الأمة، إذ كنا لا نصدر ولا نورد تثبيته وهدايته إلا عنهما، واختصنا أهل البيت بالدعاء إليه سراً وجهاراً، وخلف فينا نبيه ﷺ خلافة رفع بها لدينه مناراً، وأحيا به شعاراً، وأكرمنا بالوصية المأثورة في حفظ بيت الله وحرمه، وفضلنا بها[2] على العالمين، استدامة للأمنة[3] في الأمة عن العذاب إذ وعد نبيه أن لا يعذبهم وهو فيهم، وكنا من لحمه ودمه، فمن أحق منا بالتأسي بكتاب الله، وما قصه علينا فيه مما وعظ به الأنبياء -صلوات الله عليهم- أممهم من التذكر لنعمه إذ كان نبيئنا ﷺ أرفع الأنبياء درجاً، وكنا أعظم الناس به ﷺ منة إذ رفع عنا به إصراً

---

(١) في (ب): أيديهم.

(٢) بها: زائدة.

(٣) للأمنة: الأَمَنةُ الأمن. (ابن منظور: لسان العرب، ج١، ص٢٢٣).

وأغلالاً وحرجاً، وأن نتلوا فيما بيننا ما حكاه الله في كتابه عن موسى الأمينة ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[المائدة: ٢٠].

أحمده حمداً أستديم به نعمه وأستزيدها، وأشكره شكراً أستعيد به مننه وأستفيدها، وأشهد أن لا إله الله وحده لا شريك له شهادة شهود الله على الناس شهودها، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الذي كبت[(١)] به عن الملة الإسلامية عنيدها، وقلدت له يمين الأعناق بعد الله أحرارها وعبيدها.

اللهم فصل وسلم على محمد وعلى آل محمد صلاة يغاديه ويراوحه جديدها، ويماسيه ويصابحه ميمونها وسعيدها، أما بعد:

فإن هذه ذكرى لبني أبي، ودعوة شاملة[(٢)] لمن حسبه حسبي، ونسبه نسبي من إخواننا وأبناء أبينا، وأولى الناس أن يجيبوا الله وفي الله غيرةً على شريعة جدهم رسول الله صوت منادينا من ذوي [١٣/أ] الرتب العالية، والمنازل السامية، والنفوس الأبية، والأخلاق الزاكية، والأصول الثابتة والفروع النامية، من بني حسن القاطنين بجوار بيت الله المؤتمن، جمع الله شملنا بشملهم كما جمع كلمة الإسلام بمن شرفنا شرفه من أهلنا وأهلهم، وأهدي إليهم سلاماً لا تزال أنواره تتلألأ، وإكراماً لا يبرح سرادقه يضرب عليهم شرفاً وإجلالاً ورحمة الله وبركاته الذي ترفع منهم هماً، وتبلغ آمالاً حدا عنها حادي قول الله تعالى[(٣)] في كتابه المبين: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[الذاريات:٥٥] ، وقوله تبارك وتعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾[فصلت: ٣٣].

وبعث عليها باعث الرحمة الربانية عن عز العلا بالنسب العلوية والقرابة الطينية عن عين الخبر بالمقامات المصطفوية، حين أنست القلوب من جانب طور نصرة الله لهذه العترة النبوية،

---

(١) كبت: الكَبْتُ الصرع، كبته يكبته كبتاً، والكبت صرع الشيء على وجهه.
(ابن منظور: لسان العرب، ج١٢، ص١٠).
(٢) ليست في (ب): شاملة.
(٣) في (ب): عزّوجّل.

نور نارها، واستروحت الأفئدة من أفق تصديق وعد الله أهل بيت رسوله بالاستخلاف في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم ما نطقت به من المعجزات المحمدية، صادقات آياتها وأخبارها.

وجاءنا من أعيان تلك المعالي المنيفة من الأنباء الشريفة ما صدق فراسة الأمل[1] في شموسها وأقمارها، من محبة إعلان كلمة العترة الطاهرة في حرم الله الأمين وإظهارها، والرغبة في رفع دعوة الحق في مسقط رأس سيد البشر وإبداء شعارها، والقطع ليد العدوان في ملة الإسلام من ذوي الزيغ في الدين وطمس آثارها، وإن الغيرة قد أخذتهم على دين جدهم، وهممهم قد ارتفعت إلى ما فيه إن شاء الله تعالى ارتفاع شأنهم وعلو جدهم، وأنهم عقدوا النية على مناجزة الظالمين القتال، واستمدوا بعد مدد الله منا بمن يشد إن شاء الله أزرهم، والقوة والحول بالله شديد المحال ورجونا بأن قول جدهم ﷺ: «كأني بكراديس[2] الفتن في جراثيم العرب حتى لا يقال الله، ثم يبعث الله قوماً يجتمعون كما تجتمع قزع[3] الخريف فهناك يحيي الله الحق ويميت الباطل»[4].

ورجونا أن يكون يعسوب الدين قد ضرب بذنبه، ولسان الحق المبين قد جأر إلى ربه، فأجاب الله دعوته بالإعزاز، وأتم وعده بالإنجاز[١٣/ ب]، وأظهره بعد الإخمال، وابتعثه بعد الإذلال، وكثره بعد الإقلال، باجتماع كلمة أهل بيت نبيه وسلالة بضعته ووصيه، يظهرونه في حرم الله الأمين ويقيمون به عمود التقوى وعز المسلمين، ويذل به الكافرين والفاسقين، ويحكمون فيه بكتاب الله رب العالمين، وتشبع بهم البطون الجائعة، وتكسى بهم الظهور العارية، وترد بهم الظلامات، وتنفى بهم المفاحشات، وتطفى بهم نيران الجور، وتسطع بهم أنوار العدل. لمَّا طالت أيام هذه الدولة الظالمة، وامتد الإمهال لهذه الفرقة الآثمة،

---

(١) في (ب): الأصل.

(٢) كراديس: الكُردوس الخيل العظيمة والكراديس الفرق منهم. (ابن منظور: لسان العرب، ج١٢، ص٦٣).

(٣) قزع: القزع قطع من السحاب رقاق كأنها ظل إذا مرت من تحت السحابة الكبيرة وواحداتها قزعة. (ابن منظور: لسان العرب، ج١١، ص١٥٢).

(٤) رواه الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين بن القاسم بن إبراهيم: كتاب الأحكام في الحلال والحرام، جمعه علي بن أحمد حريصة. ج الثاني، ص٤٧٠، واللفظ في أوله: «تكردس الفتن... ».

وتراكمت منهم الفتن، وحل ما ارتكبوه من تعطيل الكتاب والسنن، وانتهى بهم الأمر إلى هتك حرم الله المؤتمن وانتشرت في الناس البدع انتشاراً، وبدت الأعلام التي توجب أن ينتصر الله لدينه انتصاراً، ويبعث أنصاراً، وظهر السِفَاح وخمل[1] النكاح، وعلت الرونبضة[2] للناس، وشُرِبت الخمور، ونُكِحت الذكور، وارتُكِبت الشرور، وأُكِل الربا، وقُبِلت الرشا، وتسابق الناس في[3] ميدان الهوى، وعَسفَ السلطان، وبُهج الشيطان، وتُرِك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وصدق ما ورد عن سيد الوصيين من الأثر: «أول ما تغلبون عليه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بأيديكم ثم بألسنتكم، ثم بقلوبكم، فإذا لم ينكر القلب المنكر ويعرف المعروف نكِس فجُعل أعلاه أسفله»[4]، لذلك سلطت الأشرار وأمهلت الفجار، ووفى قَسَمَ الرسول المختار -صلى الله عليه وعلى آله الأطهار: «لتأمرنّ بالمعروف ولتنهونَّ عن المنكر أو ليسلطن الله عليكم شراركم فيسومونكم سوء العذاب ثم يدعو خياركم فلا يستجاب لهم حتى إذا بلغ الكتاب أجله كان الله هو المنتصر لنفسه، ثم يقول ما منعكم إذ رأيتموني أعصى أن تغضبوا لي»[5].

وكان معنى قوله ﷺ: «سيكون من بعدي أمراء يقولون ما لا يفعلون ويفعلون ما لا يؤمرون فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن»[6].

وفي رواية: «من جاهدهم بلسانه فهو مؤمن، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن ليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل»[7].

---

(١) خمل: الخامل الخفي الساقط لا نباهة له، وخامل الذكر والصوت خامل الذكر لا يُعرف ولا يُذكر. (ابن منظور: لسان العرب، ج٤، ص٢٢١).

(٢) هكذا وردت في المخطوطة، ولعلها: الرويبضة، والرويبضة: الحقير من الناس يتكلم في الأمور المهمة.

(٣) في (ب): إلى.

(٤) قول للإمام علي بن أبي طالب أخرجه الإمام زيد بن علي في مسنده زيد، ص٢٧٥.

(٥) أحمد بن حنبل ٥، ص٣٨٨،٣٩٠،٣٩١، أبو داود، باب الملاحم، ص١٦؛ النووي: رياض الصالحين، ص٨٩؛ المناوي: فيض القدير، ج٥، ص٢٦٠؛ سنن الترمذي، المجلد الرابع، ص٤٦٨.

(٦) العلامة أحمد بن يوسف زبارة: كتاب أنوار التمام في تتمة الاعتصام، ج٥، ص٤٥١.

(٧) لم أجده في المصادر التي بين يدي.

وقول سيد الوصيين كرم الله وجهه: **[١٤/أ]** « دعوتكم إلى الحق فتوليتم، وضربتكم بالدرة فأعييتموني، أما إنه سيليكم ولاة لا يرضون بهذا يعذبونكم بالسوط والحديد، إنه من عذَّب الناس في الدنيا عذبه الله في الآخرة».

ومن آخر: وهم حفظة الكتاب وخزنته، وحراس الدين وحماته، وقرناء المعجز وثقاته، وفيهم أنزل الله: ﴿**إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا**﴾**[الأحزاب: ٣٣]**.

وقوله عز وجل: ﴿**يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرْكَعُواْ وَٱسْجُدُواْ وَٱعْبُدُواْ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُواْ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩ ﴿٧٧﴾ وَجَٰهِدُواْ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ۚ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ۚ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعْتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ**﴾**[الحج: ٧٧-٧٨]**.

وفيهم قال جدهم ﷺ: «إن عند كل بدعة تكون من بعدي يكاد بها الإسلام ولياً من أهل بيتي موكلاً يعلن الحق وينوره ويرد كيد الكائدين فاعتبروا يا أولي الأبصار وتوكلوا على الله»(١).

وقال: «في كل خلف من أهل بيتي عدول ينفون عن هذا الدين تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين ألا إن أئمتكم وفدكم إلى الله فانظروا من توفدون في دينكم»(٢).

فحين انتهى إلينا ما تلك المقامات الشريفة عليه، وما وجهت هممهم من الانتصار لدين الله الحنيف إليه، وجهنا الولد السيد العلامة العلم شمس الدين أحمد بن محمد بن لقمان(٣) بن أحمد بن شمس الدين ابن أمير المؤمنين المهدي لدين الله أحمد بن يحيى بن

---

(١) أبو طالب يحيى بن الحسين الهاروني: تيسير المطالب في أمالي أبي طالب، ترتيب القاضي جعفر بن أحمد عبد السلام، تحقيق عبد الله حمود العزي، الباب الثامن، ص٧٨.

(٢) الحديث بلفظ: «في كل خلف من أمتي عدول من أهل بيتي... » إلى آخر اللفظ الوارد هنا. روي في لوامع الأنوار: لمجد الدين المؤيدي، الجزء الثاني، ص٥٩٧.

(٣) أحمد بن محمد بن لقمان: أحد مشاهير علماء الزيدية، عالم مجتهد مُحقق مجاهد. كان أحد أمراء الجيوش في عهد المؤيد محمد بن القاسم. =

المرتضى بن رسول الله[1] ﷺ إذ كان هذا السيد ممن جمع بين خصال الفضل من العلم الواسع، والفهم البارع، والإقدام الرائع، والثبات في مقامات الجهاد والوقائع، واخترنا معه طائفة منصورة إن شاء الله من المجاهدين الذين اختبروا في المعارك فكانوا حماتها، واختيروا لمدافعة الظالمين في مواقف الحرب فكانوا أقطابها، راجين إن شاء الله تعالى أن يكون قدومهم على تلك الحضرات الشريفة والمواقف المنيفة، زيادة في هممهم ومجدهم وعلو كلمتهم العالية التي ورثوها عن آبائهم وجدهم، وشحذاً لعزائمهم الماضية على تطهير تلك البقاع الشريفة **[١٤/ب]** عن أمر من لم يجعل الله له حظاً في الأمر من هذه الأعاجم التي وثبت على مقام سادتها، الذين أنزل الله فيهم آيات الذكر حين وسعت لهم الشبهة العرب[2] بحسدها لأهل بيت نبيها، وملكتهم رقابها إذا مهدت[3] لهم قاعدة الاغتصاب[4] بما ارتكبته في حق وليها ووصيها، وكانت قريش في ذلك أصل هذه الطامة الكبرى؛ إذ صدفوا بالأمر عن الوصي وقطعوا رحم بني الزهراء حتى قال أمير المؤمنين وسيد الوصيين علي بن أبي طالب كرم الله

وله وقائع مشهورة ضد السباهية في عسير. أخذ عن مشاهير علماء عصره وتخرج عليه الكثير من العلماء، سكن كحلان عفّار ثم شهارة وكان يُدرس بجامعها، توفي عقب موقعة نجد مخيرب، مرض وطال مرضه وحمل إلى بلاد رازح في صعدة وتوفي هناك في شهر رجب عام تسع وثلاثين وألف ١٦٢٩م.

(الجرموزي: النبذة المشيرة، مخطوط، ق٥٧؛ إبراهيم بن القاسم: الطبقات، المجلد الأول، ص١٨٣؛ عامر بن محمد: بغية المريد، مخطوط، ق١٣٩؛ ابن أبي الرجال: مطلع البدور، ج١، ق١٠٨١؛ الوجيه: أعلام المؤلفين الزيدية، ص١٨١؛ الشرفي: اللآلئ المضيئة، ج٣، ق٥٩٨).

(١) المهدي لدين الله أحمد بن يحيى بن المرتضى (٧٦٥ــ٨٤٠هـ/ ١٣٦٣ــ١٤٣٦م): ولد بذمار ونشأ على تلقي العلم، فلما ختم القرآن قرأ علم العربية في النحو والصرف والمعاني والبيان قدر سبع سنين. أحد عظماء الإسلام وأئمة العترة الكرام، عالم فقيه مجتهد مطلق علم شامخ في شتى الفنون، اشتهر بالفضل والعلم. توفي أبواه في طفولته، فاحتضنته أخته دهماء بنت يحيى وكانت أديبة وفقيهة. أثرى المكتبة الإسلامية بمؤلفاته الشهيرة الخالدة، منها (كتاب متن الأزهار) وشرحه (الغيث المدرار) فقد ألفه وهو في السجن. فيكتبه على أبوب الحبس بجص أو فحم ثم يتغيبه ويمحوه ويكتب غيره حتى أكمله في مدة حولين. وبعد هروبه من السجن إلى ثِلاَ ثم إلى صعدة إلى أن وصل به المطاف أن اعتزل في بلاد الظفير بحجة، وخلال هذه الفترة ألّف وصنف الكثير من الكتب الشهيرة مثل البحر الزخار. وكتاب الأنوار من كلام النبي المختار. وبلغ عدد مؤلفاته وتصانيفه حوالي خمسة وستون كتاباً.

(إبراهيم بن القاسم: الطبقات، المجلد الأول، ص٢٢٦؛ الوجيه: أعلام المؤلفين الزيدية، ص٢٠٦؛ د/ العمري: مصادر التراث اليمني في المتحف البريطاني، ص١٩٢).

(٢) في (ب): العرب الشبة.

(٣) في (ب): غذا أنهدت.

(٤) في (ب): الانتصاب.

وجهه في الجنة: «اللهم إني أستعديك على قريش ومن أعانهم، فإنهم قطعوا رحمي، وصغروا عظيم منزلي، وأزمعوا على منازعتي، أمر هو لي ثم قالوا: ألا إن في الحق أن تأخذه وفي الحق أن تتركه، ولله در أبي الهيثم بن التيهان[1] رضى الله عنه إذ قام خطيباً بين يدي أمير المؤمنين علي -عليه السلام- فقال: «إن حسد قريش إياك على وجهين: أما خيارهم فتمنوا أن يكونوا مثلك منافسة في الملأ وارتفاع الدرجة، وأما شرارهم فحسدوك حسداً أنغل القلوب وأحبط الأعمال، وذلك أنهم رأوا عليك نعمة قدَّمك إليها الحظ وأخرَّهم عنها الحرمان، فلم يرضوا أن يلحقوك حتى طلبوا أن يسبقوك؛ فبعدت والله عليهم الغاية وأسقط الضمان، فلما تقدمتهم بالسوابق وعجزوا عن اللحاق بلغوا منك ما رأيت، وكنت والله أحق قريش بشكر قريش؛ نصرت نبيهم حياً وقضيت عنه الحقوق ميتاً، والله ما بغيهم إلا على أنفسهم، ولا نكثوا إلا بيعة الله، يد الله فوق أيديهم، فها نحن معاشر الأنصار أيدينا وألسنتنا لك، فأيدينا على من شهد، وألسنتنا على من غاب».

نعم فلما نسيتم ظلامة آل محمدﷺ وأنتم يا سادات الأنام موجودون، ولما تستدعون تمليك أنفسكم وبلدكم الحرام علوج الأعاجم، وأنتم لحتفهم إن شاء الله تعالى معدودون، فاشعبوا[2] هذا الصدع باجتماع الكلمة فيما بينكم، وارأبوا هذا الثأي[3] بما يعود إن شاء الله بعز الدنيا والآخرة إليكم، واجمعوا أيديكم على نصرة الحق اجتماعاً لا يلحقه إن شاء الله افتراق، وألفوا قلوبكم ائتلافاً يصدع الله به أفئدة من يقول: ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنْيَا وَمَا لَهُۥ فِي ٱلْآخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ﴾ [البقرة: ٢٠٠] [١٥/أ].

وإياكم والتقاطع فيما بينكم، فإنه رفع إلينا حديث نبت عنه الأسماع، وطار إلينا حين رجونا أن لا يكون له إن شاء الله وقوع، أو كان والعياذ بالله ثم أصلحته أحلامكم وهممكم بحقيقة الاجتماع، وهو أمر حدث فيما بينكم في نفس حرم الله المحرم، وفي شهر الله شهر

---

(١) أبو الهيثم بن التيهان: لم أعثر عليه في المصادر التي بين يدي.

(٢) شَعْبُ الصدع: إصلاحه وملاءمته.

(ابن منظور: لسان العرب، ج٧، ص١٢٥).

(٣) الثأي: الخَرْمُ والفَتْق. (ابن منظور: لسان العرب، ج٢، ص٧٨).

رمضان الأعظم مال ببعضكم تداركه الله إلى جانب أولئك الذين كانوا في جدة من العجم، الذين قد قسم الله عليهم أنواع المثلات[1] والخزي والشدة حتى آل إلى إخراج عن مكة لولاتها، وإدخال لأعداء العترة المحمدية والملة الإسلامية المزلزلين لها من جميع جهاتها، فإن يكن من هذا والعياذ بالله شيء فهو من آثار مكائد حسدة أبيكم الوصي[2] بل حسدة جدكم النبي الأمي، حين رأوا ما أنتم عليه من علو الهمم، وسمو العزائم إلى ما فيه رضا الله المنعم بجميع النعم، وزادهم إلى ذلك حنقاً على الله عز وجل بما رأوه من تمكين الله عز وجل ليد أهل بيت نبيه في اليمن من مكة إلى عدن، وخافوا أن ترتفع يد الظالمين على جميع الأقطار، ويطمس الله بأهل بيت نبيه من البدع الأعلام والآثار، حسداً من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق كالذين قال الله فيهم من الأشرار: ﴿**أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ سَبِيلًا ۝ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَمَن يَلْعَنِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ نَصِيرًا ۝ أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ ٱلْمُلْكِ فَإِذًا لَّا يُؤْتُونَ ٱلنَّاسَ نَقِيرًا ۝ أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۖ فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ۝ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَمِنْهُم مَّن صَدَّ عَنْهُ ۚ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا**﴾[النساء:٥١-٥٥].

ولم يجدوا سبيلاً إلى جانبكم أن ينكى غير السعي بينكم في حرم الله بالتفريق، وارتكاب سخط الله الذي يوجب لهم الخزي في الدنيا وفي الآخرة عذاب الحريق.

وظننا فيكم وظن المسلمين، الدفاع عن حرم الإسلام في أقاصي البلدان فضلاً عن أن يقع القتل والقتال، وإيثار الظالمين وأنتم تقدرون على الدفع في حرم الرحمن، وكيف مع ذلك والعياذ بالله تقام لله فريضة، أم كيف**[١٥/ب]** تطيب عيش مؤمن والتصرف في أهل البيت النبوي، وبلدهم الحرام لذوي القلوب المريضة، نعوذ بالله من ذلك، ونستجيره من تلك المسالك، وإياكم أن تستفزكم إرجافات المرجفين، وتثبطكم عن نصرة الدين قالات

---

(١) المثلات: مَثَّل به: نكل به والمُثلة: العقوبة، والجمع مُثلات.
(ابن منظور: لسان العرب، ج١٣، ص٢٤).

(٢) أبيكم الوصي: أي الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه.

الظانين بالله ظن السوء من المنافقين، فقد أنزل الله آيات بينات، واختص بكثير منها من سكن البلد الحرام من ذوي التعويقات فقال عز وجل: ﴿وَقَالُوٓاْ إِن نَّتَّبِعِ ٱلۡهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفۡ مِنۡ أَرۡضِنَآۚ أَوَلَمۡ نُمَكِّن لَّهُمۡ حَرَمًا ءَامِنٗا يُجۡبَىٰٓ إِلَيۡهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَيۡءٖ رِّزۡقٗا مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ٥٧ وَكَمۡ أَهۡلَكۡنَا مِن قَرۡيَةِۭ بَطِرَتۡ مَعِيشَتَهَاۖ فَتِلۡكَ مَسَٰكِنُهُمۡ لَمۡ تُسۡكَن مِّنۢ بَعۡدِهِمۡ إِلَّا قَلِيلٗاۖ وَكُنَّا نَحۡنُ ٱلۡوَٰرِثِينَ﴾[القصص:٥٧-٥٨].

وقال في آية أخرى: ﴿أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّا جَعَلۡنَا حَرَمًا ءَامِنٗا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنۡ حَوۡلِهِمۡۚ أَفَبِٱلۡبَٰطِلِ يُؤۡمِنُونَ وَبِنِعۡمَةِ ٱللَّهِ يَكۡفُرُونَ ٦٧ وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوۡ كَذَّبَ بِٱلۡحَقِّ لَمَّا جَآءَهُۥٓۚ أَلَيۡسَ فِي جَهَنَّمَ مَثۡوٗى لِّلۡكَٰفِرِينَ ٦٨ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾[العنكبوت:٦٧-٦٨].

وقال عز وجل ضامناً لأهل المسجد الحرام إن آثروا الحق :﴿وَإِنۡ خِفۡتُمۡ عَيۡلَةٗ فَسَوۡفَ يُغۡنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦٓ إِن شَآءَۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٞ﴾[التوبة:٢٨].

وقال عز وجل: ﴿ٱلشَّيۡطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلۡفَقۡرَ وَيَأۡمُرُكُم بِٱلۡفَحۡشَآءِۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغۡفِرَةٗ مِّنۡهُ وَفَضۡلٗاۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ﴾[البقرة:٢٦٨].

أو يغركم ما أوتوه من متاع الدنيا العاجل، وظل عيشها الزائل، فإن الدنيا ليست مما ينال بالحيل، ولا مما يدرك فيها بغير تقوى الله أمل. وقد قص الله علينا مما أصاب القرون، وسمعنا وسمعتم بالآذان ورأينا بالعيون، من تقلبها بذوي إيثارها، وخيانتها لآمال ذوي استكثارها ما يصدق قول الله عز وجل: ﴿قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِ ٱسۡتَعِينُواْ بِٱللَّهِ وَٱصۡبِرُوٓاْۖ إِنَّ ٱلۡأَرۡضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۖ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلۡمُتَّقِينَ﴾[الأعراف:١٢٨].

وقوله عز وجل: ﴿كَمۡ تَرَكُواْ مِن جَنَّٰتٖ وَعُيُونٖ ٢٥ وَزُرُوعٖ وَمَقَامٖ كَرِيمٖ ٢٦ وَنَعۡمَةٖ كَانُواْ فِيهَا فَٰكِهِينَ ٢٧ كَذَٰلِكَۖ وَأَوۡرَثۡنَٰهَا قَوۡمًا ءَاخَرِينَ ٢٨ فَمَا بَكَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَا كَانُواْ مُنظَرِينَ﴾[الدخان:٢٥-٢٩].

وقوله عز وجل ضارباً للأمثال، ومحذراً من الاغترار بالدنيا السريعة الزوال: ﴿أَفَرَءَيۡتَ إِن

مَّتَّعْنَٰهُمْ [١٦/أ]سِنِينَ ﴿٢٠٥﴾ ثُمَّ جَآءَهُم مَّا كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ﴿٢٠٦﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يُمَتَّعُونَ﴾[الشعراء:٢٠٥-٢٠٧].

وقوله: ﴿أَفَمَن وَعَدْنَٰهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَٰقِيهِ كَمَن مَّتَّعْنَٰهُ مَتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ﴾[القصص:٦١].

وقوله: ﴿مِّن وَرَآئِهِمْ جَهَنَّمُ ۖ وَلَا يُغْنِى عَنْهُم مَّا كَسَبُوا۟ شَيْـًٔا وَلَا مَا ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠﴾ هَٰذَا هُدًى ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ﴾[الجاثية:١٠-١١].

فهذه أمثال أعداء الله هؤلاء الذين غرتهم الحياة الدنيا، وآثروها على الله وعلى دينه عدواً وبغياً، وصار أمرهم كما قال الله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ﴿٤٢﴾ فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا۟ وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾ فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ۚ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[الأنعام: ٤٢-٤٥].

هذا ونحن وأنتم على وعد من الله لا يُخلف، وقول صادق منه لا يتخلف قال عز وجل:﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ﴾[النور: ٥٥].

وقال تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ﴾[غافر:٥١].

وقال: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[الروم:٤٧].

وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾[محمد:٧]، وقال مقسماً: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟

﴿ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ﴾[الحج: ٤٠-٤١].

نعم فالسيد المذكور ومن معه قد توجهوا إليكم إن شاء الله لتحقيق الظن، وقصدوا تلك المواقف الشريفة للمقصد الحسن من بني حسن، فحققوا ذلك، وهم لكم إن شاء الله على ما تريدون ظهير، وبمعونة الله فيما يقرب إليه ويرفع درجات دينه الحنيف نصير، وإن يكن والعياذ بالله وحاشا تلك **[١٦/ب]** الهمم القاصية عن المطلوب بعيدة، أو لا رغبة لكم والمعاذ بالله وما أهله عن هذه الفضيلة التي لا تبرح بسعادتها عليكم إن شاء الله إن قبلتموها جديدة، أعنتموه ومن معه على أداء فريضة الحج الأكبر، وعادوا على سلامة الله تعالى لكمال جهاد من بقي في اليمن من ذوي الفحشاء والمنكر، والخيرة[1] إليكم، وما دعوناكم إلا إلى ما يعود في الدنيا والآخرة عليكم رفعاً للعترة النبوية عن ذلة إمرة الأعاجم، وصينة لهم عن ملابسة الظالمين وهم حتف كل ظالم، ورثاء بهم أن يلقوا جدهم محمداً ﷺ وأباهم علي بن أبي طالب – كرم الله وجهه في الجنة– وهم سيفه لكل آثم، وكنا قد أبلينا إلى الله في حقه وحق نبيه،وحق عترته، وحق حرمه، وبذلنا معذرة مكررين مع ذلك ما بعثنا إن شاء الله الدعوة لكم ولكل مسلم إلى الجهاد، مُحرضين كما أمر الله المؤمنين عليه في كل حاضر وباد، قائلين قول الله عز وجل في كتابه المنزل على ما أنزل عليه: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ ۖ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾[الرعد:١٧].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا ۖ نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوٓا۟ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّۦنَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ۖ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٌ ۖ فَأَيَّدْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا۟ ظَٰهِرِينَ﴾[الصف:١٠-١٤]. ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

---

(١) كذا في (ب)، وفي بقية النسخ: الجيرة.

وله صلوات الله عليه إلى السلطان عبد الله بن بدر الكثيري الحضرمي[1]:

بسم الله الرحمن الرحيم وبه أستعين:

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى.

﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ﴾[الحديد:١٦].

السلطان الأكرم، ذو المقام الأفخم، المتمسك من محبتنا أهل البيت بعروة وثيقة[١٧/ أ]، السالك إن شاء الله تعالى في الاتباع لهم والاقتداء بهم أحمد طريقة، المسعود إن شاء الله في جميع الأحوال، المبرور بإعانة الله في الأقوال والأفعال، فخر الدين علم الأكابر والرؤساء الأعاظم الأمجدين: عبد الله بن عمر بن بدر[2] بلَّغه الله في رضاه أقصى الآمال، وزاده من كل خير في الدين والدنيا أعظم نوال، وأتحفه بشريف السلام السني، وزليف الإكرام الهني، ورحمة الله وبركاته وبعد:

فإن كتابكم الكريم، وخطابكم الرائق الوسيم، وصل إلينا مترجماً عن المحبة التي انطوت عليها منكم القلوب، والمودة الصادقة التي لا يخالطها الغش إن شاء الله ولا يشوب، والمتمسك من مودة العترة النبوية بالحبل الذي مده علام الغيوب، فحمدنا الله عز وجل على ما منحكم من الفضائل، وأكرمكم به من معرفة حقه وحق رسوله في أهل بيته الأفاضل،

---

(١) عبد الله بن بدر الكثيري الحضرمي: أورد المؤرخ الجرموزي الاسم خطأ في أول مرة، والصحيح هو الاسم الثاني، فعبد الله بن بدر هذا لم يعاصر الإمام المؤيد وقد كانت وفاته سنة ٩٨٤هـ/ ١٥٧٦م. (الزركلي: الأعلام، ج٤، ص٧٣).

(٢) عبد الله بن عمر بن بدر الكثيري الحضرمي: تولى بعد أبيه سنة ١٠٢١هـ كان حسن الخلق والخُلق، ولي الملك فأحسن القيام به، وأظهر السطوة وقهر البادية، وهابته النفوس وأمنت البلاد. ولكنه بعد أن مكث في السلطنة نحو ثلاث سنوات تجرد من الملك وتوجه إلى التوبة والإقلاع عن الغفلة، واتخذ من العزلة والتصوف حياة بعد ذلك. فقد ساورته بعض الخواطر لأسابيع حتى جزم ذات ليلة على تنفيذها بقوة إرادة عظيمة، فأصبح متسللاً من مقر ملكه متجهاً نحو عينات بملابس درويش مستصحبا معه رجلاً يقال له معضلي، واتجه إلى الشيخ الإمام الحسين بن أبي بكر بن سالم العلوي. وحين وقف بين يديه انتحب باكياً وأخبره بأنه ترك الولاية وقدم إليه فقيراً مختلعاً. وولى الإمام الحسين في مكانه بدر بن عمر، كونه صاحب عدل وفضيلة، أما السلطان عبد الله بن عمر فأقام بعينات مدة ثم توجه إلى الحرمين الشريفين ومات بمكة سنة ١٠٤٥هـ/ ١٦٣٥م ودفن بالشبيكة.
(سعيد عوض باوزير: صفحات من التاريخ الحضرمي، ص٦٧؛ الزركلي: الأعلام، ج٤ ص١١٠).

وجعلكم إن شاء الله ممن شرح له الصدور ببشرى قوله تبارك وتعالى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلَّذِى يُبَشِّرُ ٱللَّهُ عِبَادَهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ ۗ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُۥ فِيهَا حُسْنًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾[الشورى:٢٣].

ومنَّ عليكم بركوب سفينة النجاة التي قال فيها من لا ينطق عن الهوى: «مثل أهل بيتي فيكم كسفينة نوح من ركبها نجا، ومن تخلف عنها غرق وهوى»(١).

ولقنكم أن تتلوا إن شاء الله ما علمه نبيَّه نوحاً الذي نزل عليه: ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْـَٔاخِرِينَ ﴿٧٨﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[الصافات: ٧٨-٧٩] ، ﴿فَإِذَا ٱسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلْفُلْكِ فَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى نَجَّىٰنَا مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٨﴾ وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِى مُنزَلًا مُّبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ﴾[المؤمنون:٢٨-٢٩].

ورزقكم فهم معنى الثقلين(٢) اللذين دل رسوله الصادق ﷺ عليهما بمثل قوله: «إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، إن اللطيف الخبير أخبرني أنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض فانظروا بما تخلفوني فيهما»(٣).

وأدخلكم إن شاء الله باب السلامة الشاهد لها قوله ﷺ: «ما أحبنا أهل البيت أحد فزلت به قدم إلا ثبتته قدم حتى ينجيه الله يوم القيامة»(٤).

وذكرتم عذركم في التراخي إلى هذا التاريخ عن إظهار فريضة الإجابة، والإعلان [١٧/ ب] بما يحب الله تعالى عز وجل في دياركم تلك، وعليكم من شعار الجمعة والجماعة ومعالم الدين التي أنزل بها كتابه، والإصحار(٥) بمباينة القوم الظالمين التي نهى الله

---

(١) ورد باختلاف بعض ألفاظه: «إنما مثل أهل بيتي فيكم كمثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها هلك». (الهندي: كنز العمال، ج الثاني عشر، ص٩٨؛ يحيى بن الحسين بن هارون: تيسير المطالب في أمالي أبي طالب، ص٢٠٠).

(٢) الثقلان: كتاب الله وعترة النبي صلى الله عليه وآله كما ورد في الحديث، وسماهما ثقلين إعظاماً لقدرهما وتفخيماً لشأنهما؛ لأن الأخذ بهما ثقيل والعمل بهما ثقيل. (ابن منظور: لسان العرب، ج٢، ص١١٤).

(٣) ورد الحديث بألفاظ مختلفة وقد سبق تخريجه.

(٤) يحيى بن الحسين بن القاسم بن إبراهيم: مجموع رسائل (الرسائل الأصولية)، ص٥٠٧.

(٥) الإصحار: يقال: فاصحر لعدوك وامض على بصيرتك: أي كن من أمرك على أمرٍ واضح منكشف. (ابن منظور: لسان العرب، ج٧، ص٢٩٠).

عز وجل عن الركون إليهم وحذر عليه عذابه، وقال عز وجل:﴿وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾[هود:١١٣].

وقال عز وجل: ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[البقرة:١٢٤].

وقال عز وجل حاكياً عن كليمه موسى -عليه السلام- :﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ﴾[القصص: ١٧].

وقال عز وجل: ﴿وَسَكَنتُمْ فِى مَسَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ ٱلْأَمْثَالَ﴾[إبراهيم:٤٥].

وقال عز وجل: ﴿ٱحْشُرُواْ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَأَزْوَٰجَهُمْ وَمَا كَانُواْ يَعْبُدُونَ ۝٢٢ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَٱهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْجَحِيمِ ۝٢٣ وَقِفُوهُمْ ۖ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ ۝٢٤ مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ ۝٢٥ بَلْ هُمُ ٱلْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ ۝٢٦ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ۝٢٧ قَالُوٓاْ إِنَّكُمْ كُنتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ ٱلْيَمِينِ ۝٢٨ قَالُواْ بَل لَّمْ تَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ ۝٢٩ وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ ۖ بَلْ كُنتُمْ قَوْمًا طَٰغِينَ ۝٣٠ فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَآ ۖ إِنَّا لَذَآئِقُونَ ۝٣١ فَأَغْوَيْنَٰكُمْ إِنَّا كُنَّا غَٰوِينَ ۝٣٢ فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ۝٣٣ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِٱلْمُجْرِمِينَ﴾[الصافات:٢٢-٣٤].

وقال نبيه ﷺ: «من جبى درهماً لإمام جائر كبه الله على منخره»[(١)].

وقال ﷺ: «يا كعب بن عجرة[(٢)] أعاذك الله من إمارة السفهاء. قال: وما إمارة السفهاء؟ قال: أمراء يكونون من بعدي لا يهتدون بهديي، ولا يستنون بسنتي، فمن صدقهم بكذبهم وأعانهم على ظلمهم فأولئك ليسوا مني ولست منهم ولا يردون عليَّ حوضي، ومن لم يصدقهم على كذبهم ولم يعنهم على ظلمهم فأولئك مني وأنا منهم وسيردون عليَّ حوضي، يا

---

(١) الأحكام: الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين بن إبراهيم، باب القول في معاونة الظالمين، ج٢، ص٥٣٨.

(٢) كعب بن عجرة بن أمية بن عدي البلوي: حليف أنصاري، صحابي، يكنى أبا محمد، شهد المشاهد كلها وفيه نزلت الآية الكريمة: ﴿فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ﴾[البقرة:١٩٦]. سكن الكوفة، وتوفي بالمدينة وعمره ٧٥سنة، له ٤٧حديثاً. (الزركلي: الأعلام، مجلد٥، ص٢٢٧).

كعب بن عجرة الناس غاديان فمبتاع نفسه فمعتقها أو بائعها فموبقها»[1].

وقال ﷺ: «من أعان بباطل ليبطل بباطله حقاً فقد برئ من ذمة الله وذمة رسوله».

فاعلموا رعاكم الله وثبتكم أنا لم نكرر الدعوة إليكم، ونتابع ورود الرسائل عليكم، إلا تبليغاً بحجة الله على عباده، ومعذرة إليه في الجهاد فيه حق جهاده، وفاءً له بالميثاق الذي أخذه في قوله عز وجل: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾[آل عمران:١٨٧].

وحذراً [١٨/ أ] من إثم الكتمان الذي توعد عليه الرحمن وقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَشْتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ إِلَّا ٱلنَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٤﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ وَٱلْعَذَابَ بِٱلْمَغْفِرَةِ ۚ فَمَآ أَصْبَرَهُمْ عَلَى ٱلنَّارِ﴾[البقرة: ١٧٤-١٧٥].

وقال عز وجل: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَبَيَّنُوا۟ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾[البقرة: ١٥٩-١٦٠].

وقال نبيه ﷺ: «من كتم علماً مما ينفع الله به في أمر الدين ألجمه الله يوم القيامة بلجام من نار»[2].

ثم حنواً وشفقة ومحبة ومقة[3] أن يضيع مثلكم ما افترض الله عليه من الفرض الأعظم، ويهمل ما أوجب الله عليه من الجهاد في سبيله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والأخذ على أيدي الظالمين والزم، وقد علمتم من ذلك ما لا يعلمه غيركم، وشاركتم أنتم وسلفكم

---

(١) الإمام يحيى بن الحسين بن هارون: تيسير المطالب في أمالي أبي طالب، في باب الأمراء ومن يتولى على الناس، ص٤١٢؛ موسوعة أطراف الحديث النبوي: أبو هاجر محمد السعيد، ج١١، ص٤٢٦.

(٢) الإمام المرشد بالله يحيى بن الحسين الشجري: الأمالي الخميسية، ج١، ص٤٦؛ أبو هاجر محمد: موسوعة أطراف الحديث النبوي، ج٨، ص٥١٩.

(٣) هكذا وردت في النسخة (أ)، (ب) (المقة: المحبة).

من المذاكرة للعلماء والمباحثة فيما لم يكن لسواكم، وسمعتم الله عز وجل يقول: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[البقرة: ٢١٦].

ويقول عز وجل: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ ۖ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[البقرة:١٩٣].

ويقول عز وجل: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ ۚ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣٩﴾ وَإِن تَوَلَّوْا۟ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَىٰكُمْ ۚ نِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ﴾[الأنفال : ٣٩-٤٠].

ويقول عز وجل: ﴿إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظْلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[الشورى: ٤٣].

ويقول: ﴿فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾[الحجرات: ٩] ، وأمر الله: هو الأمر بالمعروف والعمل به، والنهي عن المنكر، والبعد عنه، قال تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ[١٨/ب] وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾[النحل: ٩٠].

وقال عز وجل: ﴿قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ قُلْ أَمَرَ رَبِّى بِٱلْقِسْطِ﴾[الأعراف: ٢٨-٢٩].

وقال عز وجل: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[آل عمران: ١٠٤-١٠٥].

وقال عز وجل: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾[آل عمران: ١١٠].

وقال محذراً من الاقتداء بقوم لم يأخذوا على أيدي أهل المنكرات، ولا غضبوا على أهل

المعاصي والخطوات[1]: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ٧٨ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ﴾[المائدة: ٧٨-٧٩].

وقال نبيه ﷺ :«لتأمرن بالمعروف ولتنهن عن المنكر أو ليسلطن الله عليكم شراركم فيسومونكم سوء العذاب، ثم يدعوا خياركم فلا يستجاب لهم حتى إذا بلغ الكتاب أجله كان الله المنتصر لنفسه ثم يقول: ما منعكم إذا رأيتموني أعصى أن لا تغضبوا لي»[2].

وقال: «لا يحل لعين ترى الله يعصى فتطرف حتى تغير أو تنتقل»[3].

وقال ﷺ: «لا تمنعن أحدكم مخافة أن يتكلم بالحق إذا رآه»[4].

وقال ﷺ: «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان»[5].

وقال ﷺ: «ما من نبي بعثه الله في أمة قبلي إلا كان له من أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسنته ويقتدون بأمره، ثم إنها تخلف من بعده خلوف يقولون ما لا يفعلون ويفعلون ما لا يؤمرون، فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن ليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل»[6].

وقال ﷺ: «لما وقعت بنو إسرائيل في المعاصي نهتهم علماؤهم فلم ينتهوا فجالسوهم

---

(١) هكذا وردت في (أ)، وفي النسخة (ب): الخطيئات.

(٢) الحديث إلى لفظ: «...فلا يستجاب لهم» في تيسير المطالب في أمالي أبي طالب: الإمام أبو طالب يحيى بن الحسين الهاروني، في الباب ٢٨، ص٤٠٣، أما لفظ الحديث كما ورد في المتن فقد ورد عند أبي داود باب الملاحم، ص١٦؛ الترمذي: باب الفتن، ص٩؛ ورد لدى الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين في كتاب الأحكام، ج٢، ص٥٠٣.

(٣) روي في كتاب أنوار التمام: أحمد بن يوسف زبارة، في المجلد الخامس من كتاب الاعتصام للإمام القاسم بن محمد، ص٤٢٢.

(٤) الإمام أبو طالب يحيى بن الحسين الهاروني: تيسير المطالب، ص٤٠٣؛ أبو هاجر محمد السعيد: موسوعة أطراف الحديث النبوي، ج٧، ص٤٦٣.

(٥) رواه أحمد ومسلم عن أبي سعيد في كتاب كشف الخفاء: إسماعيل العجلوني، ج٢، ص٢٥٠.

(٦) أحمد بن حنبل في مسنده، ج١، ص٤٥٨؛ البيهقي: السنن الكبرى، ج١٠، ص٩٠.

وواكلوهم وشاربوهم فضرب الله قلوب بعضهم ببعض ولعنهم على لسان داود ... الآية ثم جلس وكان متكئاً فقال: والذي نفسي بيده حتى تأطروهم **[١٩/أ]** على الحق أطرا»[١].

وقال ﷺ: «والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقاباً ثم تدعونه فلا يستجاب لكم»[٢].

وقال ﷺ: «إنكم منصورون ومصيبون ومفتوح عليكم فمن أدرك ذلك منكم فليتق الله وليأمر بالمعروف ولينه عن المنكر، ومن كذب عليَّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار»[٣].

وقال ﷺ: «إذا عملت الخطيئة في الأرض كان من شهدها فأنكرها كمن غاب عنها ومن غاب عنها، فرضيها كان كمن شهدها»[٤].

وقال ﷺ: «إن من أعظم الجهاد كلمة العدل عند سلطان جائر»[٥].

وقال أبو بكر الصديق بعد أن حمد الله وأثنى عليه: « يا أيها الناس إنكم تقرؤن هذه الآية وتضعونها في غير موضعها: ﴿**يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡ**﴾**[المائدة: ١٠٥]** ، وإنما سمعنا رسول الله ﷺ يقول: «إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يده أوشك أن يعمهم الله تعالى بعقاب منه»[٦]، وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما من قوم يعمل فيهم بالمعاصي ثم يقدرون على أن يغيروا فلا يغيرون إلا يوشك أن يعمهم الله تعالى بعقاب»[٧].

وقال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب: « يكون في آخر الزمان قوم يقع فيهم قوم مراؤن

---

(١) أحمد بن الحسين الشجري: الأمالي الخميسية، ج٢، ص٢٣١.

(٢) سنن الترمذي: الفتن، ج٤، ص٤٦٨.

(٣) الإمام أبو طالب يحيى بن الحسين الهاروني: تيسير المطالب، ص٤١٠، وورد بلفظ مختلف في كتاب الاعتصام للإمام القاسم بن محمد بقوله أن النبي ﷺ قال: «اتقوا الحديث عني إلا ما علمتم، فمن كذب عليَّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار». المجلد الأول، ص٣٣.

(٤) رواه بلفظه في كتاب أنوار التمام تتمة الاعتصام، ج٥، ص٤٢٥.

(٥) سنن الترمذي: المجلد الرابع، ص٤٧١.

(٦) نفسه، ص٤٦٧.

(٧) يحيى بن الحسين الهاروني: تيسير المطالب في أمالي أبي طالب، ص٤١٠.

فيقرأون ويتنسكون لا يوجبون أمراً بالمعروف ولا نهياً عن المنكر، إلا إذا أمنوا الضرر يطلبون لأنفسهم الرخص والمعاذير، يتبعون زلات العلماء، وما لا يضرهم في نفس ولا مال، فلو أضرت الصلاة والصيام وسائر ما يعملون بأموالهم وأبدانهم لرفضوها، وقد رفضوا أسنم الفرائض وأشرفها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فريضة عظيمة بها تقام الفرائض، إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سبيل الأنبياء، ومنهاج الصالحين فريضة بها تقام الفرائض، وتحل المكاسب، وترد المظالم، وتعمر الأرض، وينتصف من الأعداء، فأنكروا المنكر بألسنتكم وصكوا بها جباههم ولا تخافوا في الله لومة لائم، قال: فأوحى الله عز وجل إلى نبي من أنبيائه- عليهم السلام- إني معذب من قومك مائة ألف أربعين ألفاً من شرارهم، وستين ألفاً من خيارهم، فقال: يا رب هؤلاء الأشرار فما بال الأخيار؟ قال: داهنوا **[١٩/ب]** أهل المعاصي ولم يغضبوا لغضبي، ولا فتنة ولا ظلم ولا تولي عن الحق، ولا نكر ولا بغي في الأرض على المؤمنين إلا وقد ارتكب أعظمه هؤلاء الذين ندعوا إلى جهادهم ونحرض الناس على نكايتهم وجلادهم، وننادي فيهم بالأخذ على أيديهم عن معاصي الله وأطرهم على الحق كما أمر، امتثالاً لقول الله عز وجل: ﴿**يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ۩ ۝٧٧ وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمۡ إِبۡرَٰهِيمَۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ مِن قَبۡلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيۡكُمۡ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِۚ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعۡتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوۡلَىٰكُمۡۖ فَنِعۡمَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَنِعۡمَ ٱلنَّصِيرُ**﴾[الحج: ٧٧-٧٨].

وتصديقاً لقوله ﷺ: «إن عند كل بدعة تكون بعدي يكاد بها الإيمان ولياً من أهل بيتي موكلاً يذب عنه يعلن الحق وينوره ويرد كيد الكائدين فاعتبروا يا أولي الأبصار وتوكلوا على الله»[(١)].

وأما مداجاتهم[(٢)] لمثل ما ذكرتم من الخوف على البلاد وأهلها ممن يجوب في البر ويركب

---

(١) الإمام عبد الله بن حمزة: العقد الثمين (المجموع المنصوري رقم (١)، تحقيق عبد السلام الوجيه، ص٤٢١؛ والإمام يحيى بن الحسين الهاروني: تيسير المطالب في أمالي أبي طالب، ص١٧٨.

(٢) مداجاتهم: لم أجد لها معنى في القاموس الذي بين يدي.

البحر، فإن الله عز وجل لم يأمر عباده بالجهاد ومنابذة أرباب الفساد إلا وقد ضمن لهم النصرة ووعدهم بالرزق والمعونة، وقال عز وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ﴾[محمد:٧].

وقال عز وجل: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيۡنَا نَصۡرُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾[الروم:٤٧].

وقال عز وجل: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ۝٤٠ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ﴾[الحج: ٤٠-٤١].

وقال عز وجل: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمۡرِهِۦۚ﴾[الطلاق: ٢-٣].

وقال عز وجل للمؤمنين وقد أمرهم بمنع المشركين من قرب المسجد الحرام، فخافوا انقطاع الأرزاق، وامتناع ما كان يأتيهم من الآفاق: ﴿وَإِنۡ خِفۡتُمۡ عَيۡلَةٗ فَسَوۡفَ يُغۡنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦٓ إِن شَآءَۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٞ﴾[التوبة:٢٨].

وقال عز وجل حاكياً عن الكفار الذين ظنوا بالله ظن السوء: ﴿وَقَالُوٓاْ إِن نَّتَّبِعِ ٱلۡهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفۡ مِنۡ أَرۡضِنَآۚ أَوَلَمۡ نُمَكِّن لَّهُمۡ حَرَمًا ءَامِنٗا يُجۡبَىٰٓ إِلَيۡهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَيۡءٖ رِّزۡقٗا مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ﴾[القصص: ٥٧].

ومع ذلك فإنهم وإن بذلوا الأمان على كل حال غير مأمومين، ولا بعهد ولا ميثاق وافين، فقد عرف منهم العام والخاص والداني والقاصي تربص الدوائر على المؤمنين وأنهم عند التمكن كما قال الله عز وجل: ﴿إِن يَثۡقَفُوكُمۡ يَكُونُواْ لَكُمۡ أَعۡدَآءٗ وَيَبۡسُطُوٓاْ إِلَيۡكُمۡ أَيۡدِيَهُمۡ وَأَلۡسِنَتَهُم بِٱلسُّوٓءِ وَوَدُّواْ لَوۡ تَكۡفُرُونَ ۝٢ لَن تَنفَعَكُمۡ أَرۡحَامُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡۚ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَفۡصِلُ بَيۡنَكُمۡۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ﴾[الممتحنة:٢-٣].

فكم من ولي لهم صرعوه، وناصح لهم أهلكوه، وحريص على بذل نفسه وماله في نصرتهم ومضاهرتهم قتلوه تصديقاً لقول الله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعۡضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعۡضَۢا بِمَا كَانُواْ

يَكْسِبُونَ﴾[الأنعام: ١٢٩].

وقول نبيه ﷺ: «من أعان ظالماً أغري به»[(١)].

وقوله -صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم-: «من حاول أمراً بمعصية الله وأمرت.....من اتقى»[(٢)] على أن الله عز وجل لم يجعل الخوف على نفس أو مال أو دار أو حبيب عذراً عن الجهاد، لا رخصة في موالات أهل الفساد، بل قال عز وجل في قوم فعلوا ذلك: ﴿فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَـٰرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ ۚ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِىَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ فَيُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ نَـٰدِمِينَ ﴿٥٢﴾ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَهَـٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَـٰنِهِمْ ۙ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ ۚ حَبِطَتْ أَعْمَـٰلُهُمْ فَأَصْبَحُوا۟ خَـٰسِرِينَ﴾[المائدة: ٥٢-٥٣].

وقال عز وجل: ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَـٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَـٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَـٰسِقِينَ﴾[التوبة: ٢٤].

وقال عز وجل:﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَـٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[المجادلة:٢٢].

وقال عز وجل فيما حكى عن لقمان الحكيم: ﴿يَـٰبُنَىَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ[٢٠/ب] وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾[لقمان: ١٧].

وقال نبيه -صلى الله عليه وآله وصحبه[(٣)] وسلم-: «اجعل مالك دون دمك، فإن

---

(١) ورد بلفظ آخر: «من أعان ظالماً سلطه الله عليه» في كتاب كشف الخفاء: إسماعيل العجلوني، ج١، ص٢٢٧.

(٢) بعد كلمة: وأمرت بياض، وقد ورد الحديث باختلاف في بعض الألفاظ بقوله: «ما أحد طلب أمراً بمعصية إلا كان أبعد لما رجى، وأقرب لمجيء ما تقى». رواه الحسين بن إسماعيل الجرجاني في كتاب: الاعتبار وسلوة العارفين، تحقيق عبد السلام الوجيه، ص١٢٣.

(٣) كلمة: وصحبه ليست في (ب).

تجاوزك البلاء فاجعل مالك ودمك دون دينك»[1].

ولو فُرض أن في ذلك عذراً للمعتذر، أو علة لمتعلل فلم يبق الآن والمنة لله عذر ولا علة، إذ قد تفضل الله وله المنة بنصرة أوليائه وذلة أعدائه، وتقطيع الأسباب لهم وتحقيق دائرة السوء عليهم، فلا راية لهم تنصب ولا صولة منهم تخاف، بل كما قال الله عز وجل: ﴿يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ﴾[المنافقون: ٤].

وقال تبارك وتعالى: ﴿لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِم مِّنَ اللَّهِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿١٣﴾ لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴿١٤﴾ كَمَثَلِ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[الحشر: ١٣-١٥].

فآثروا حق الله عليكم وحجته القائمة لديكم فإنه عز وجل يقول: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾[الحجرات: ١٥].

ونبيه -صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم- يقول: « من سمع واعيتنا أهل البيت فلم يجبها كبه الله على منخريه في نار جهنم»[2].

ويقول -صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم-: «من سود علينا فقد شرك في دمائنا»[3].

ويقول -صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم-: «من أمر بالمعروف ونهى عن المنكر من ذريتي فهو خليفة الله في أرضه وخليفة كتابه وخليفة رسوله ﷺ»[4].

---

(١) الإمام عبد الله بن حمزة: المجموع المنصوري في أحكام الأئمة الهادين، رقم ٢، ص٢٢٢،٢٠٥.

(٢) رواه أحمد بن يوسف زبارة: أنوار التمام، كتاب ملحق بكتاب الاعتصام للإمام القاسم بن محمد، ج٥، ص٤٠٧.

(٣) الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين: الأحكام في الحلال والحرام، ج٢، ص٥٣٨.

(٤) الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين: الأحكام في الحلال والحرام، ج٢، ص٥٠٥؛ أحمد بن يوسف زبارة: كتاب أنوار التمام، الجزء الخامس، ص٤١٦؛ الهندي: كنز العمال، المجلد الثالث، ص٧٧.

وقد أحببنا التأكيد بهذا البلاغ وإهداء النصيحة التي هي آكد حقوق بعض المسلمين على بعض كما أشار إليه ﷺ في قوله: «الدين النصحية»[1].

وقوله: «تهادوا النصائح ولا تهادوا الأطباق»[2].

وقوله: «ما أهدى المسلم ...»[3] الخبر إلى آخره.

ولا سيما في وجه هذا الشهر الكريم شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان، والذي قال فيه رسول الله ﷺ الخبر إلى آخره.

إنا لنقف معكم وفي أمركم على ما تحبون إما إخواناً وأنصاراً وهو المأمول منكم إن شاء الله تعالى ولا نقول الأخرى والعياذ بالله، وهو حسبنا وكفى[4]، [٢١/أ] ونعم الوكيل، ونعم المولى ونعم النصير ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾[يوسف: ١٠٨].

ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه[5] وسلم.

وله -عليه السلام- إلى السلطان بدر بن عمر بن بدر الكثيري[6] وهو حينئذٍ نائب أخيه،

---

(١) ورد بتتمة لفظه: «الدين النصيحة قالوا: لمن يا رسول الله؟ قال: لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم» كشف الخفاء: إسماعيل العجلوني، ج١، ص٤١٤؛ سنن الدارمي، ج٢، ص٣١١.

(٢) لم أقف عليه فيما بين يدي من المصادر.

(٣) الحديث: «ما أهدى مسلم لأخيه المسلم هدية أفضل من كلمة حكمة سمعها فانطوى عليها ثم علمه إياها، يزيده الله بها هدى، أو يرده عن ردى، وإنها لتعدل إحياء نفس، ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعاً». (مسند شمس الأخبار: القرشي، ج١، ص٢٢٣).

(٤) ناقصة في (ب).

(٥) ناقصة في (ب).

(٦) بدر بن عمر بن بدر الكثيري: السلطان بدر بن عمر بن بدر أبي طويرق. تولى السلطنة سنة ١٠٢٤هـ/ ١٦١٥م بعد أخيه عبد الله بن عمر الذي خلع نفسه واعتزل السياسة. قال عنه السيد محمد بن هاشم في كتابه (تاريخ الدولة الكثيرية): كان السلطان بدر بن عمر آية في الجود والسخاء، يحب الخير وأهله، ويكره الشر وأهله. أقام للشرع محاكم عديدة، وعني ببناء المساجد ووقف عليها الأموال الكثيرة. ولم تكد تستقر قدما السلطان بدر بن عمر في الولاية حتى عارضه ابن أخيه بدر بن عبد الله بن عمر بالأذى والمكائد. فلجأ السلطان إلى أئمة اليمن ووالاهم وأخذ يكاتبهم ويستنجد بهم، وأشيع عنه اعتناقه للمذهب الزيدي، فازدادت الهوة اتساعاً وساعد ذلك على نفور الناس منه، وقد ذكر الجرموزي أنه لما حج السلطان عبد الله بن عمر سنة ١٠٤٠هـ واستخلف أخاه بدراً. تبادل هذا مع الإمام الرسائل والمكاتبات في غيبة أخيه. =

وقد غاب في سفر الحج:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى.

السلطان الذي حسنت آثاره، وطاب خبره وأخباره، وصدقت في موالاة العترة الطاهرة دعواه، وخلص في اتباع الأئمة الهادين مسعاه، وكملت أوصافه المحمودة في مسمعه ومرآه: بدر[1] بن عمر بن بدر الكثيري زاده الله مما أولاه، وأصلح له أخراه وأولاه، وأهدى إليه من السلام أسناه، ومن الإكرام أهناه، ورحمة الله وبركاته وبعد:

فإن كتابكم الكريم بما أنتم عليه وأهل جهتكم المباركة إن شاء الله من خالص المحبة وصادق المودة، والاتباع لنا أهل البيت، والاعتزاء إلى إمام الحق، والانتساب إليه، والتعويل بعد الله في الأمور عليه، وما كان من صنوكم السلطان الأمجد فخر الدين: عبد الله بن عمر من الاشتغال بخويصة النفس والتجرد عن التكاليف، والتوجه لحج بيت الله الحرام ومشاعره العظام، بعد أن قلدكم العهدة، واختاركم لتحمل ما عنده، وقبولكم ذلك عنه إن شاء الله في صلاح العباد وعمارة البلاد، والنهي عن الفساد في الأرض، والله لا يحب الفساد، والإنفاذ للأحكام الشرعية، والحث على السُبل المرضية، والاهتداء بهدي سيد البرية، وأعانه الله على ذلك وسلوك الناس منه أحمد المسالك، وانحسام أطماع المفسدين، وانكفاف أكف المعتدين. وقفنا عليه وأحطنا بما أشرتم عليه فزادنا ثقة بما كان بلغنا عنكم من توطين النفس وقوة العزم[2] على إيثار الصدق واتباع الحق، والاعتراف بحق الإمامة التي يقول فيها -صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم-: «من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية»[3].

ويمكن القول بأن بدر بن عمر كان مخلصاً في ولائه للإمامة شديد التعلق بهم. بصرف النظر عن الظروف التي مهدت لتوطيد هذه العلاقة. وكان من أهم أسباب الخلاف بين بدر بن عمر وابن أخيه أن الأخير كان طامعاً في السلطنة ويرى في نفسه القدرة والكفاءة لتصريف شئون البلاد. وقد استغل علاقة عمه بالإمام في تنفير آل كثير وإثارة الرأي العام في حضرموت.

(سعيد بن عوض باوزير: صفحات من التاريخ الحضرمي، ص١٦٠).

(١) ناقصة في (ب).

(٢) في (ب): العزايم.

(٣) رواه أحمد بن يوسف زبارة في كتاب: أنوار التمام، ج٥، ص٤٠٩.

وعنها وبها تتأدى فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر التي يقول عز وجل فيها [٢١/ب]: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[آل عمران: ١٠].

ويقول نبيه ﷺ: «لتأمرن بالمعروف ولتنهن عن المنكر أو ليسلطن الله عليكم شراركم فيسومونكم سوء العذاب ثم يدعوا خياركم فلا يستجاب لهم حتى إذا بلغ الكتاب أجله كان الله هو المنتصر لنفسه ثم يقول: ما منعكم إذ رأيتموني أعصى أن لا تغضبوا لي»(١).

وحق القائم بها من آل رسول الله -صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم- الذي يقول في مثله عز وجل: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ۝ الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾[الحج: ٤٠-٤١].

ويقول نبيه ﷺ: «من أمر بالمعروف ونهى عن المنكر من ذريتي فهو خليفة الله في أرضه وخليفة كتابه وخليفة رسوله ﷺ»(٢).

ويقول: «من سمع واعيتنا أهل البيت فلم يجبها(٣) كبه الله على منخره في نار جهنم»(٤).

ويقول: «من سمع واعيتنا أهل البيت فلم ينصره لم يقبل الله له توبة حتى يلحقه جهنم»(٥).

ويقول: «إن عند كل بدعة تكون من بعدي يكاد بها الإيمان ولياً من أهل بيتي موكلاً يعلن الحق وينوره ويرد كيد الكائدين فاعتبروا يا أولي الأبصار وتوكلوا على الله»(٦).

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) سبق تخريج رواته.

(٣) في (ب): ينصره.

(٤) سبق تخريج رواته.

(٥) سبق تخريج رواته.

(٦) سبق تخريج رواته.

وحق أهل البيت النبوي فيما أوجب الله لهم من المودة في قوله عز وجل: ﴿قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾[الشورى:٢٣].

والمحبة التي يقول فيهاﷺ: «أحبوا الله لما يغذوكم به من نعمه، وأحبوني لحب الله، وأحبوا أهل بيتي لحبي»(١).

ويقول: «ما أحبنا أهل البيت أحد فزلت به قدم إلا ثبتته قدم حتى ينجيه الله يوم القيامة»(٢).

وحق التمسك بهم الذي يقول فيه -صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم-: «إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا من بعدي كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض وعترتي أهل بيتي وإنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض»(٣).

ويقول: «في كل خلف من أمتي عدول من أهل بيتي ينفون عن هذا الدين تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين، ألا إن أئمتكم وفدكم إلى الله فانظروا من توفدون في دينكم».

ويقول: «عليكم بأهل بيتي فإنهم لن يخرجوكم من باب هدى ولن يدخلوكم في باب [٢٢/أ] ضلالة»(٤).

ويقول: «النجوم أمان لأهل السماء وأهل بيتي أمان لأمتي من الاختلاف فإذا خالفتها قبيلة من العرب صاروا حزب إبليس»(٥).

ولن يتم ذلك إلا باتباعهم كما قال تعالى لنبيهﷺ: ﴿قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي

---

(١) رواه الإمام يحيى بن الحسين بن هارون في كتاب: تيسير المطالب، ص٤٥٤.

(٢) سبق تخريج رواته.

(٣) ورد الحديث بألفظ مختلفة: «إني تارك فيكم خليفتين» و«إني تارك فيكم ما إن تمسكتم» وقد رواه مجموعة كبيرة من رواة الحديث منهم: أحمد بن حنبل في مسنده، ج٣، ص١٧، ١٤؛ الهندي: كنز العمال، المجلد الأول، ص١٧٢.

(٤) رواه الإمام الهادي يحيى بن الحسين في كتاب: مجموع رسائل الإمام الهادي (الرسائل الأصولية)، ص٦٣، ورواه أحمد بن موسى الطبري: المنير على مذهب الهادي يحيى بن الحسين، تحقيق علي سراج الدين، ص١٧٥، ٦٧.

(٥) رواه الإمام القاسم بن محمد في كتاب: الاعتصام بحبل الله المتين، ج١، ص١٥٧.

﴿يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [آل عمران: ٣١].

ولا يتم الاتباع إلا بالدخول في جماعتهم، والإعلان بشعارهم، والاهتداء بأنوارهم، والموالاة لمن والوه من المؤمنين الذين يقول فيهم عز وجل: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٧١].

والمعاداة لمن عاداه من الظالمين الذين يقول فيهم عز وجل: ﴿وَلَا تَرْكَنُوٓا۟ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾ [هود: ١١٣].

ويقول عز وجل: ﴿وَأَنذِرِ ٱلنَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ ٱلْعَذَابُ فَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رَبَّنَآ أَخِّرْنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ ٱلرُّسُلَ ۗ أَوَلَمْ تَكُونُوٓا۟ أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ ﴿٤٤﴾ وَسَكَنتُمْ فِى مَسَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ ٱلْأَمْثَالَ﴾ [إبراهيم:٤٤-٤٥].

ويقول فيهم النبي ﷺ: «طعمة قليلة وندامة طويلة»(١).

ويقول: «إذا كان يوم القيامة نادى مناد أين الظلمة وأعوان الظلمة وأشباه الظلمة حتى من برى لهم قلماً ولاق لهم دواة فيجمعون في تابوت من حديد ثم يرمى بهم في النار»(٢).

أعاذنا الله وإياكم من ذلك، فصدقوا فيكم إن شاء الله ظننا الحسن، وظن صنوكم هذا الذي آثركم على نفسه وأولاده وائتمن، وظن من تحت أيديكم من الرعية الذين لزم حقهم، ووجب وتحتمت نصيحتهم ومعاونتهم على التمسك بأقوى سبب بإعلان شعار الإمامة والثبات عليه، والاستقامة في الجمعة والجماعة، وتدارك ما فرط لها من الإضاعة، وإعلاء كلمة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وموالاة أولياء الله ومعادات أعداء الله حسب الاستطاعة، فإن ذلك علامة الطاعة. ولا تسوفوا في ذلك فإن التسويف من المهالك، ولا تؤثروا على أمر الله عباده، ولا ترغبوا بأنفسكم **[٢٢/ب]** عن السعادة، واشكروا الله إذ

---

(١) رواه الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين في كتاب: مجموع رسائل الإمام يحيى بن الحسين، ص٦٤.

(٢) رواه أحمد بن يوسف زبارة في كتاب: أنوار التمام التابع لكتاب الاعتصام، ج٥، ص٥٥٧.

مكنكم من ذلك وهداكم إليه، ورغبكم فيه وعرفكم فضله، ودلكم عليه، وأنعم وأبقى وجعلكم ممن أوفى بعهده واتقى، وعلى ما منَّ به علينا وعليكم وعلى المسلمين من قطع دابر أهل الظلم، وفل شوكة أهل الإثم، وإراحة البلاد عنهم ونجاة العباد منهم، وحسبك قول الله عز وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ١٨ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ نَسُواْ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمۡ أَنفُسَهُمۡۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ١٩ لَا يَسۡتَوِيٓ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۚ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ﴾[الحشر: ١٨-٢٠].

ونوطوا أعمالكم لا سيما في الأمور الدينية، والأحكام الشرعية والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وتعرّف أحكامها، وكيفية إصدارهما وإيرادهما بالعلماء الذين تحملوا عن الله الأمانة، واستحفظوا كتاب الله وسنة رسوله وحراسة الديانة، وارجعوا إليهم، واعتمدوا بعد الله عليهم، وخذوا عليهم في تولي معالم الدين وشعائر المؤمنين من الجمعة والجماعة التي فيها يقول النبي ﷺ: «يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله، فإن كانوا في القراءة سواء فأعلمهم بالسنة، فإن كانوا في السنة سواء فأكبرهم سناً»(١).

فإن الله قرن شهادتهم بشهادته لنفسه وملائكته، وأخبر أنهم المختصون لخشيته، وبشَّر برفع درجاتهم في دار جنته وقال: ﴿أَفَمَن يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلۡحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّيٓ إِلَّآ أَن يُهۡدَىٰۖ فَمَا لَكُمۡ كَيۡفَ تَحۡكُمُونَ﴾[يونس: ٣٥].

وإن لم تجدوا من يقوم بذلك إلا مع إعانة من يصل من عندنا منهم نبهتم(٢) علينا إن شاء الله وأرسلنا إليكم من أهل العلم من يكون عوناً لمن هنالك وشداً إن شاء الله لأزر أولئك، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وصلى الله على محمد وآل محمد وسلم.

حرر لأربع بقين من شهر رمضان عام أربع وأربعين وألف(٣) في أقر(٤) من أعمال شهارة

---

(١) ورد في كتاب الاعتصام: للقاسم بن محمد، ج٢، ص٣١.

(٢) نبهتم: نبه النُّبه والانتباه من النوم، ونَبَّهَهُ من الغفلة فانتبه وتَنَبَّهَ. (ابن منظور: لسان العرب، ج١٤، ص٢٨).

(٣) ١٠٤٤هـ يوافق سنة ١٦٣٤م.

(٤) أقَّر: واد شرق شهارة يُعرف اليوم ببيت القابعي. (المقحفي: المعجم، ج١، ص٩٤). (هناك ترجمة أخرى لأقر في ص٣٠٨من هذا الكتاب).

حرسها الله بالتقوى آمين.

وله صلوات الله عليه إلى صاحب أمهرة[1] مما يلي أرض الهند وأقرب إلى بلاد العرب من كتاب له[٢٣/ أ]:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى، والحمد لله الذي ألزم عباده بالتواصي بالمعروف والنهي عن المنكر، وجعل ذلك نظاماً لصلاح الدنيا، وسبباً للفوز في الأخرى بالحظ من الأجر الأوفر إذ كان أساساً لإقامة معالم الشريعة المطهرة فعليهما نعتمد وبهما نقضي، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تسلك بالشاهد بها سبيله المنور، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الذي أرسله بالهدى ودين الحق وبفريضة الجهادين الأكبر والأصغر -صلى الله عليه وعلى أهل بيته الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهر، وعلى أصحابه من المهاجرين والمناصرين الذين آووا ونصروا النصر المؤزر، وبعد:

فإن كتابنا هذا إلى الشيخ الجليل، الأكرم النبيل، ذي الرئاسة والشهامة والنفاسة والفخامة: سعيد بن عمرو بن سعد المهري[2] أسعد الله أوقاته وعمر[3]، وأهدى إليه سلاماً

---

(١) أمهرة: المقصود بها المهْرَة ويقال مَهْرَة: اسم قبيلة واسم أرض تقع في شرق اليمن ممتدة على طول الأرض الموازية للبحر العربي ما بين حضرموت وعمان وتمتد إلى الداخل لتشمل جزءاً من الربع الخالي وبلاد المهرة تشكل محافظة تحمل الاسم نفسه وعاصمتها الغيضة. وتتميز محافظة المهرة بشريط ساحلي رملي وهضبة جبلية تنتهي بمناخ معتدل على نفس الشريط وصحراوي على نفس الشريط الصحراوي. وتمتلك المحافظة مقومات جغرافية وتاريخية وسياحية متميزة خاصة في مجال الثروة السمكية. وكان أهل المهرة على صلة دائمة بجزيرة سقطرى، وقد اتصلوا بسواحل شرق أفريقيا، وتتألف المهرة من أربع مديريات هي الغيضة عاصمة المحافظة وسيحوت وقشن وحوف. وفي محافظة المهرة يقع ميناء نشطون على بُعد ٦٠كيلو متراً غرب مدينة الغيضة ويقدم الخدمات لسفن صيد الأسماك واستقبال السفن التجارية. (د/ يوسف محمد عبد الله: مقال في الموسوعة اليمنية، ج٢، ص٩٢٨؛ المقحفي: معجم البلدان، ج٢، ص١٦٧٤).

(٢) سعيد بن عمرو بن سعد المهري: لم أجد له ترجمة في المصادر التي بين يدي. والمهري نسبة إلى المَهَرة وهي قبيلة كبيرة تنتمي إلى قضاعة بن حمير، وهو عند النَّسابة: مهرة بن حيدان بن عمرو بن الحان بن قضاعة بن عمرو بن مرة بن زيد بن مالك بن حمير بن سبأ، ويطلق اسم القبيلة على (محافظة المهرة) التي تقع في الزاوية الشرقية من اليمن على طول الزاوية الشرقية من اليمن، على طول الأرض الموازية للبحر العربي فيما بين حضرموت وعمان، كما تمتد في الداخل شمالاً لتشمل جزءاً من الربع الخالي. (للمزيد يمكن الرجوع إلى المقحفي: معجم البلدان، ج٢، ص١٦٧٤).

(٣) بعدها زيادة في (ب): وأصلح لذويه الأحوال الدينية والدنيوية، وشمله نعمه وغمره.

زكياً، وإكراماً هنياً بكرة وعشيا، وبعد نشر مطارف التحية عليه، وأهدي نجائب البركة والإكرام إليه، فليعلم عافاه الله تعالى أن أولى الناس بالدعاء إلى السعادة، وأحقهم بالسبق إلى ما فيه نيل الحسنى وزيادة، من منحه الله من العقل ما يبلغ به إن شاء الله من ربه غاية مراضيه، ويعتصم به مع التوفيق الإلهي موبقات معاصيه، ولما استفاض بالنقل إلينا ممن بعد علينا ما اتصفتم به من الكمال، والتحلي بشرائف الخصال، وتوسمت فيكم المسارعة إلى الخيرات، والإجابة إلى ما يكون سناماً للأعمال الصالحات، أحببنا أن نشترك نحن وأنتم في اكتساب أجر فريضة القيام بما أمر الله تعالى به ورسوله -عليه السلام- من الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر المخوف؛ لما في ذلك من الوجوب الذي لا يتقبل مع إهماله شيء من الأعمال، ولا يسلم المخل به من العقاب والنكال، ولما كان من ذلك ما يصلح أن يقوم به كل من قام به لاهتدائه إلى وجوهه ومعرفته بقبحه على مرتكبه، ومنه ما لا يصلح للقيام به إلا الأئمة جعل الشارع القيام به إليهم، ووكله إلى أنظارهم الموافقة لأنظاره ﷺ ولم يثبت ذلك **[٢٣/ب]** إلا لمن خلفه -صلى الله عليه وآله- من عترته وأولاده الذين ورثوا علمه وفقهه وأحكامه، وجعلهم سبحانه الحجة على عباده، وقرناء كتابه، وقال تعالى فيهم: ﴿**إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا**﴾ **[الأحزاب: ٣٣]**.

وجعل الله سبحانه مودتهم أجر رسول الله -صلى الله عليه وعليهم- على تبليغ رسالته حيث يقول: ﴿**قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ**﴾[الشورى:٢٣].

وقال فيهم الرسول ﷺ: «إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا من بعدي كتاب الله وعترتي أهل بيتي، إن اللطيف الخبير نبأني أنهما لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض»(١).

وقال ﷺ: «إن عند كل بدعة يكاد بها الإسلام ولياً من أهل بيتي موكلاً يعلن الحق وينور؛ فاعتبروا يا أولي الأبصار وتوكلوا على الله»(٢).

وقال ﷺ: «أهل بيتي كسفينة نوح من ركبها نجا، ومن تخلف عنها غرق وهوى»(٣).

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) سبق تخريجه.

وقال ﷺ: «فأين يتاه بكم عن علم تنوسخ من أصلاب أصحاب السفينة حتى صار في عترة نبيكم»[1].

إلى غير ذلك من الأخبار الموجبة على كل من المسلمين الراجين للقاء رب العالمين إجابة داعيهم إلى إقامة عمود العدل، وإحياء معالم الشرع والأخذ على يد الظالمين، والحيلولة بينهم وبين حرم الدين، وإلى ذلك أشار ﷺ حيث قال: «من سمع واعيتنا أهل البيت فلم يجبها كبه الله على منخريه في نار جهنم»[2].

فأما نحن فإنا والحمد الله قد اقتدينا بآبائنا الهادين، والأئمة الراشدين من العترة الطاهرين، فقمنا لله غاضبين، وفي ثوابه راغبين، وعليه متوكلين حين نبَّه فينا قوله عز وجل في كتابه المبين: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[آل عمران: ١٠٤].

وحكى عن قوم عطلوا فريضتها ونسوا شريعتها فقال تعالى: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾[المائدة: ٧٨-٧٩].

وأما أنتم فإنا لنرجوا إن شاء الله أن تقتدوا في إجابتنا بأسلافكم وأئمة مذاهبكم في إجابة القائم من أهل البيت -عليهم السلام- في أيامهم كما هو عنهم مشهور، وفي كتب المخالف [٢٤/أ] والموالف مسطور.

أما الإمام مالك بن أنس الأصبحي[3] رحمه الله تعالى، فإنه لما قام الإمام محمد بن عبد الله

---

(١) رواه العلامة مجد الدين المؤيدي: في كتاب لوامع الأنوار، ج١، ص٩٥.

(٢) سبق تخريج رواته.

(٣) الإمام مالك بن أنس الأصبحي الحميري أبو عبد الله (٩٣ــ١٧٩هـ/ ٧١١ــ٧٩٥م) إمام دار الهجرة، وأحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة وإليه تنسب المالكية، مولده ووفاته في المدينة المنورة. كان صلباً في دينه بعيداً عن الأمراء والملوك. وشي به إلى جعفر عم المنصور العباسي فضربه سياطاً انخلعت لها كتفه. ووجه إليه الخليفة العباسي ليأتيه، فقال: العلم يؤتى. وقد سأله المنصور أن يضع كتاباً للناس يحملهم على العمل به، فصنف كتاب (الموطأ) وله رسالة في (الوعظ) وكتاب في المسائل وفي الرد على القدرية، وكتاب النجوم، وتفسير غريب القرآن وأخباره كثيرة.

(الزركلي: الأعلام، المجلد الخامس، ص٢٥٧؛ الوجيه: معجم رجال الاعتبار، ص٣٦٣).

النفس الزكية -عليه السلام- في المدينة استفتاه الناس وقالوا في أعناقنا بيعة لأبي جعفر، فأفتاهم بوجوب بيعة الإمام وإقامة الجمعة والجماعة.

وأما الإمام أبو حنيفة[1] رحمه الله تعالى فإنه بايع لزيد بن علي -عليهما السلام- في أيام شبيبته، ثم أدرك إمامة الإمامين محمد وإبراهيم ابني عبد الله بن الحسن بن الحسن -عليهما السلام- فأفتى بوجوب طاعتهما وحرض الناس، وأمر كبار أصحابه بالنفير إليهما وأعان بالأموال الجليلة، وكتب إلى إبراهيم بن عبد الله: إذا أظهرك الله على آل عيسى بن موسى[2] فسر فيهم سيرة أبيك في أهل صفين[3]،ولا تسر فيهم سيرته في أهل الجمل[4] حتى كان من أمره رحمه الله أن أُشخص إلى بغداد[5]، وسُقي السم بها.

---

(١) أبو حنيفة: النعمان بن ثابت، إمام الحنفية المجتهد المحقق، أحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة، قيل: أصله من فارس، ولد ونشأ بالكوفة، طلب العلم في صباه. ثم انقطع للتدريس والإفتاء. وأراده عمر بن هبيرة أمير العراق أن يتولى القضاء فامتنع ورعاً. وولاه المنصور العباسي على القضاء ببغداد فأبى فأجبره. فامتنع أبو حنيفة عن تولي هذا المنصب فحبسه المنصور إلى أن مات، وكان قوي الحجة من أحسم الناس منطقاً. اشتهر بموالاته لزيد بن علي، وقيل أنه أي أبو حنيفة اعتذر من الخروج مع زيد بن علي وطلبه الإذن بذلك وكان يدعو إليه سراً مخافة سلطان بني أمية وكان يعين زيد بن علي باللسان والإحسان وانشغاله بتفسير العلوم وجهاد العلماء باللسان.

(الزركلي: الأعلام، المجلد التاسع، ص٤؛ الهادي بن إبراهيم الوزير: نهاية التنويه في إزهاق التمويه، ص٢٥٦).

(٢) آل عيسى بن موسى بن عبد الله أمير الجيش الذي أرسله المنصور الدوانيقي على محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فقتل محمد بن عبد الله بالمدينة المنورة والقصة مشهورة.

(الهادي بن إبراهيم الوزير: نهاية التنويه: هامش صفحة ٢٥٦).

(٣) أهل صفين: المعركة التي دارت بين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه وأصحابه من جهة، ومعاوية بن أبي سفيان وأصحابه من جهة أخرى. وعندما كادت كفة المعركة أن ترجح ناحية علي وأصحابه وتكبد معاوية وأصحابه خسائر فادحة. أعمل معاوية الحيلة الأولى وطلب التحكيم بالمصاحف، وحين نزل الجميع تحت راية التحكيم بكتاب الله. اختار الطرفان رجلين؛ فاختار أصحاب علي بن أبي طالب أبا موسى الأشعري واختار أصحاب معاوية عمرو بن العاص. وقد حُبكت الحيلة والخديعة الثانية من قبل عمرو بن العاص واستطاع أن يخدع ويمكر بأبي موسى الأشعري وخلع علي ونصب معاوية للولاية ووضع الشروط التي خططوا لها. وبنهاية هذه الحادثة غادر أبو موسى الأشعري ولم يجرؤ على مقابلة الإمام علي.

(المسعودي: مروج الذهب، المجلد الثاني، ص٣٨٤-٤١٤).

(٤) أهل الجمل: معركة الجمل التي شاركت فيها عائشة زوجة رسول الله ﷺ على ظهر جمل بدعوى المطالبة بدم عثمان بن عفان بعد مقتله من علي بن أبي طالب. لمعرفة تفاصيل هذه المعركة يمكن الرجوع إلى: المسعودي: مروج الذهب، المجلد الثاني، ص٣٦٦.

(٥) بغداد: عاصمة الجمهورية العراقية، تقع على نهر دجلة في موقع متوسط بين البصرة في الجنوب والموصل في الشمال. (أحمد عطية الله: القاموس الإسلامي، المجلد الأول، ص٣٢٩).

وأما الإمام الشافعي[1] رحمه الله فإنه كان من أتباع الإمام يحيى بن عبد الله بن الحسن بن الحسن -عليهما السلام- وهو الذي اشتهر بنصرته، وقام بدعوته، وأفتى بوجوب متابعته وولايته لأهل البيت -عليهم السلام- واتباعه لهم، ومدحهم نظماً ونثراً مما لا يخالف فيه أحد من أعيان أتباعه، حتى حكى الحافظ المؤرخ الذهبي[2] في ترجمته أنه كتب والي اليمن إلى العراق بما معناه (إن كنتم مستبقين طاعة أهل اليمن أرسلتم للشافعي فإنه صار يجتمع مع الطالبيين في الخروج)، فأرسلوا له وكبلوه في الحديد إلى العراق، وأمره أظهر من الشمس.

وأما الإمام أحمد بن حنبل[3] رحمه الله فهو إمام رواة فضائلهم، وقاموس خصائص مناقبهم، وهو الذي شهد بإسناده أن قراءته تشفي من الجنون.

وحكى الذهبي في ترجمته أنه هجم عليه بيته مرتين لطلب بعض الطالبيين أيام اختفائه. فهذا هو المعلوم من أحوال أولئك الأئمة ـ رضوان الله عليهم ـ وهم الذين عليهم اعتماد أكثر أهل الأمصار، وغلبت مذاهبهم على معظم الأقطار، فإن كنتم بأولئك مقتدين، وبهديهم

---

(١) الشافعي: الإمام الشافعي محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع القرشي المطلبي. أحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة. كان من أشعر الناس وأعرفهم بالفقه والقرآن. من تصانيفه كتاب (الأم) في الفقه سبع مجلدات، وكتاب (المسند) في الحديث وأحكام القرآن، والسنن والرسالة وغيرها كثير.

(الزركلي: الأعلام، المجلد السادس، ص٢٦).

(٢) المؤرخ الذهبي (٦٧٣ــ٧٤٨هـ/ ١٢٧٤ــ١٣٤٨م): محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، أبو عبد الله، حافظ مؤرخ، علامة محقق، تركماني الأصل من أهل ميارفارفين. مولده ووفاته في دمشق، طاف كثيراً من البلدان وكف بصره سنة ٧٤١هـ. تصانيفه كثيرة تقارب المائة أهمها: دول الإسلام، جزءان، والمشتبه في الأسماء والأنساب والكنى والألقاب، والعباب في التاريخ تاريخ الإسلام الكبير ٣مجلدات، سير أعلام النبلاء وغيرها كثير.

(الزركلي: الأعلام، المجلد السادس، ص٢٢٢).

(٣) أحمد بن حنبل (١٦٤ــ٢٤١هـ/ ٧٨٠ــ٨٥٥م): ولد ببغداد وعاش ودرس وذاع صيته منها. حفظ القرآن الكريم ودرس العربية والحديث وآثار الصحابة والتابعين وسيرة النبيﷺ وصحابته المقربين. وعندما شب اهتم بعلم الحديث الذي كان يحتاج إلى التنقل في الأمصار، والحديث جره إلى الفقه.

اشتهر الإمام أحمد بن حنبل بالتقوى والعناية بعمله، والصبر والجلد واحتمال ما يكره. وقد كانت له رحلات طويلة في البلاد العربية والإسلامية ليتلقى الحديث عمن يروي من الأحياء عنهم شفاهاً ولا يكتفي بالكتب ينقل عنها وذلك ليتثبت في الرواية. ومن مآثره المسند في الأحاديث. وهو خلاصة ما رواه من الثقات. لم يكتب أحمد بن حنبل فقهه بل كان ينهى عن كتابته، وقد نقل الفقه الحنبلي من طريق تلاميذ الإمام وأولهم ابنه صالح وابنه عبد الله بن أحمد.

(الإمام محمد أبو زهرة: تاريخ المذاهب الإسلامية، ص٤٦٨).

الحسن في عترة نبيهم مهتدين، فأنا أدعوكم أولاً إلى تقوى الله عز وجل حق تقاته[٢٤/ب] وإلى الاعتصام بحبله، وعدم التفرق في الدين الذي أشار إلى الأمر به، ونهى عن خلافه رب العالمين حيث يقول عز وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ۚ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخْتَلَفُواْ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[آل عمران: ١٠٢-١٠٥].

واعلموا أن الأمر بتقوى الله لا يكبر عن أن يُؤمر بها كبير، ولا يُصغر عن أن يأمر بها صغير، وقال سبحانه في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[التوبة: ٧١].

ثم طَهّروا أبدانكم بالزكاة وحصّنوا بها أموالكم عن التلف، واحفظوا نعم الله عليكم بالشكر والمواساة وأغيثوا المضطر، وفكوا العاني، واصفحوا عن الجاني، واتقوا مصارع البغي، وحاذروا المعاملات الفاسدة، والبيوعات المحرمة، فإنه روي عن النبي ﷺ أنه قال: «إنما هلكت الأمم بما هلكت به وتهلك هذه الأمة بالربا، ألا وإن من أربى الربا أن تربي في عرض أخيك»(١).

وإنا لنرجوا في كرم الله أن تكونوا لأملنا فيكم محققين، وعلى نصرة الشريعة كما أمركم الله معينين، وبالسلف الصالح في متابعة الأئمة مقتدين، إن شاء الله تعالى.

هذا وقد أجابنا ولله الحمد والمنة إلى هذه الدعوة الميمونة عامة المسلمين، وأعيان أهل الدين من أهل هذه المذاهب، والتزموا نصره التزام الفرض الواجب، حين رأوا الدين مُعطلاً والشرع مُبدلاً، والمنكرات ظاهرة غير مستورة، ونعمة الله مكفورة. والحمد لله ذاق

---

(١) لم أقف عليه فيما بين يدي من المصادر.

الناس الآن حلاوة العدل في البر والبحر، وأمنوا على أنفسهم وأموالهم والمنة لله في السهل والوعر، وجرت على الناس وفيهم ولهم أحكام الشريعة المطهرة في كل قطر، وعُمِّرت معالم الدين الحنيف في كل بقع، ومحا الله **[٢٥/أ]** آثار الظلم في كل خفض[(١)] بلغته الدولة الإمامية ورفع، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم.

وله -عليه السلام- من آخر دعوة إلى الجهات المتباعدة، لم أجد الكتاب كله فنقلت هذه لما فيها من الفائدة: وأنتم تعلمون رعاكم الله أنا لم نقاتل هؤلاء إلا على ما قاتل عليه علي بن أبي طالب كرم الله وجهه أولئك الذين قاتلهم، ولا سلكنا إلا سنته، ولا اهتدينا إلا بهديه، ولا اتبعنا إلا سبيله، ولا ائتممنا[(٢)] إلا به، وأعداؤنا هؤلاء لا يقتدون إلا بأعداء علي بن أبي طالب ولا سلكوا إلا سبيلهم، ولا قصدوا إلا وجهتهم، ولا نسكوا إلا منسكهم، بل المعلوم لكل عاقل أن يظهر هؤلاء بالمعاصي ربهم وهتك حرم دينهم أعظم من أولئك الذين قال فيهم علي بن أبي طالب كرم الله وجهه: «لقد ضربت أنف هذا الأمر وعينه وقلبت ظهره وبطنه فلم أر لي إلا القتال أو الكفر»[(٣)]. فإن أولئك إنما معظم معصيتهم وأكبر جرمهم بمعاداة أهل البيت والمحاربة لهم، وهؤلاء ضموا إلى ذلك كل فاحشة وفجور، وكل عمل قبيح منكور، وكشفوا من محارم الله كل مستور، واستحلوا كل ما حظره الله على رؤوس الأشهاد من الزنا واللواط وشرب الخمور، وسائر ما نهى الله عنه من الشرور، فأي مؤمن يؤمن بالله ورسوله ويرى لأهل بيت رسول الله ﷺ حقاً يدخره في الآخرة ليوم قفوله، متقاعد عن نصرة العترة -عليهم السلام- أو يكون له نسب لا[(٤)] يقطعه إليهم ومن يؤثرهم على نفسه ودينه، ويتبع منهم ما أعطاه الله تعالى من يقينه، أو يرضي نبيهم لعباد الله المؤمنين

---

(١) خفض: في أسماء الله الحسنى الخافض أي هو الذي يخفض الجبارين، والخفض ضد الرفع.

(ابن منظور: لسان العرب، ج٤، ص١٥٤).

(٢) في (ب): اقتدينا، ثم أثبت كلمة صح فوق كلمة ائتممنا.

(٣) خطبة للإمام علي بن أبي طالب عندما أشار عليه أصحابه بالاستعداد للحرب بعد إرساله جرير بن عبد الله البجلي إلى معاوية، ولم ينزل معاوية على بيعته في كتاب نهج البلاغة، شرح الإمام محمد عبده، ج١، ص١١٧.

(٤) في (ب): ويكون له سبيل يقطعه.

وإنزالهم بمن ظفروا به أليم العذاب الشديد: ﴿وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ۝ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾[البروج: ٨-٩].

فاذكروا رحمكم الله حق الله عليكم وحق رسوله، وحركوا عناصر محبة أهل بيت رسول الله بالجهاد في سبيله، وأعدوا الجواب لسؤال نبيكم، ووصيه إذا سأل كل ناصر أو خاذل عن حجته ودليله، وفقنا الله وإياكم لواضح سبيله، وثبت كلاً منا **[٢٥/ب]** على الهدى في فعله وقوله، فإنه لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وقد خصصناكم بهذه الرسالة دون الناس لما لكم منا من الإختصاص والعلاقة، والموالاة والصداقة، فقابلوا ذلك بحقه، ووفاء حق أهل بيت نبيكم عليكم وصدقه، بارك الله لكم في الأنفس والأموال والأولاد، وأصلح لكم جميع الأحوال، ختم الله لنا ولكم بصالحات الأعمال، بحق محمد ـ صلى الله عليه وعلى آله خير آل ـ، وحسبنا الله ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وصلى الله على محمد وآله وسلم.

وأما بعث الدعاة إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلى كل جيل، والحث عليه في كل قبيل فلا ينحصر خاصة وعامة، كمثل هذه في يد بعض الأشراف أهل تهامة، فربما يكون ذلك إلى الماتن[1] والألوف، وربما لمعرفة العامة محبته -عليه السلام- لذلك يقوم به من لا حظ له فيه ليشرف به عن ذويه وبلده وأقربيه:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى، والحمد لله الذي جعل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لقبول أمره ونهيه مجبرة، واصطفى له الأئمة الهادين، والدعاة المرشدين، من العترة المطهرة من السابقين السابقين، ثم من المعاضدين لهم من المقتصدين والأتقياء البررة، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة يطيب من الشاهد بها أثره، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله كلمة يُؤمن بها من قائلها محشره، فصلى الله على محمد وآل محمد وسلم تسليماً أطابه الله فأكثره، وبعد:

---

(١) هكذا وردت في المخطوطة. والصحيح (المئتين).

فإنه لما كان السيد العلامة والماجد الذي هو إن شاء الله على قدم الصدق قائم ضياء الدين: سليمان بن أبي القاسم الأهدلي الحسيني[1] أسعده الله تعالى ممن اختص بالفضائل، وورث شرف آبائه الأوائل الأفاضل، إذ هو بالتقوى متمسك، وبالعلم عامل، وكان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يضطلع بهما إلا عارف بالشريعة، كامل المروءة والصنيعة، حال من الورع الشحيح والزهد الصريح ذروته المنيعة، آمراً لنفسه بالحق قبل أن يأمر، ناهياً لها عن الباطل قبل أن يزجر، استخرنا الله [٢٦/أ] سبحانه وتعالى. وأمرنا السيد الجليل أسعده الله تعالى أن يأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر، ويُعلم معالم شريعة جده المطهر، ويرشد إلى الحق الواضح والسبيل الأنور، ويبصر الجاهل ويُقوّم المائل، ويُعدّل الشائل[2] بما علمه من كتاب الله المجيد الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد. وبلغه من سنة الرسول الأمين الذي لا ينطق عن الهوى ولا يحيف في الحق ولا يميل، صلوات الله عليه وعلى آله الطيبين، وعرفه من سيرة أئمة الهدى ومصابيح الدجى، ونجوم الاهتداء من عترة محمد المصطفى الذين هم كسفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق وهوى، فمن أعانه على ذلك في الجهات التهامية حرسها الله تعالى من الولاة والعمال والقبائل، فضلاً عن السادات الأفاضل والعلماء الأماثل. فنسأل الله أن ينظمه في سلك الذين يأمرون بالقسط من الناس، ويدخله في زمرة من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين، وآتى المال على حبه ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس. وأن يجعلنا جميعاً من الذين يتقبل عنهم أحسن ما عملوا ويتجاوز عن سيئاتهم في أصحاب الجنة وعد الصدق الذي كانوا يوعدون، وحسبنا الله ونعم الوكيل، ونعم المولى ونعم النصير، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم.

---

(١) لم أجد له ترجمة في المصادر التي بين يدي.

(٢) هكذا وردت في (أ، ب) ولم أستدل على معناها من المعاجم المختلفة.

حرر سلخ شوال الكريم من عام ثمان وثلاثين وألف[1] بشهارة حرسها الله تعالى وعمرَّها بالإيمان والتقوى.

نعم وقد ألزمنا السيد الجليل، الحسيب الأصيل، حسام الجهاد الصقيل عمر بن أبي القاسم صنو السيد المذكور أن ينوب عن صنوه في هذه المقاصد الصالحة في المجامع، ويكفيه ذلك إن غاب أو عرض مانع، فإن السيد عمر المذكور أسعده الله لكل خيرات الله جامع، بارك الله تعالى له بحق محمد وآله، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

وله -عليه السلام- دعوة إلى الشريف الكبير محسن بن حسين[٢٦/ب] بن حسن الحسني[2] وسائر بني الحسن بمكة وغيرهم من بطون الأشراف:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى.

﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّٰلِحُونَ﴾[الأنبياء:١٠٥].

وبعد:

فسلام الله الأسنى ونعيمه الأهنى، وبركاته الحسنى، وكراماته الوافية من خيري الدنيا والآخرة بكل معنى، يهدى للحضرة العليا، وغاية المجد القصيا، وزينة الحياة الدنيا، ومجتمع أفاضل الأحياء، من الصنو السيد الشريف[3] ..... المرجوة همته العلوية لكل همة، والطالعة شموس عزائمه الحسنية لجلاء كل ظلمة، والمعدة فتكاته المحسنية لكشف كل بهمة،

---

(١) شوال ١٠٣٨هـ الموافق مايو ١٦٢٨م.

(٢) الشريف محسن بن حسين بن حسن الحسني (٩٨٤-١٠٣٨هـ/ ١٥٧٦-١٦٢٩م) من آل أبي نمي الثاني، شارك عمه إدريس وفهيد في الحكم، ثم انفرد به عام ١٠٣٢هـ واستمر فيه حتى عام ١٠٣٧م. عزله ابن عمه أحمد بن عبد المطلب بمساعدة الباشا العثماني أحمد باشا، فخرج الشريف محسن من مكة وتوجه إلى اليمن. ومكث بها فترة على أمل أن يقدم له الإمام المؤيد المساعدة والعون لاسترداد الشرافة. رحل إلى صنعاء وفي أثناء الطريق توفي ودفن فيها.

(الزركلي، الأعلام، ج، ص٢٨٦؛ زيد الشافعي: الروض الزاهر، ص١٣٦) ووردت له أخبار في السيرة.

(٣) ناقص في (أ)، وفي (ب): الصنو السيد الشريف ثم بياض.

شرف الدين الشريف، وخلف السلف المنيف، وآية الدهر الغنية عن التعريف، محسن بن حسين بن حسن، أجرى الله له السعادة في أقوم سنن، وأولاه من الفضائل ما يبلغه إن شاء الله تعالى أقصى الآمال من إحياء الفرائض والسنن، وصفى موارده العذبة عن كل أسن، وأقاد له الأمور الصعبة بأذل رسن[(١)]، وأقام بعنايته إود ما رام الظالمون تضعضعه من مآثر آبائه الحسين والحسن، وجعل له أوفر نصيب من تشييد بناء نصرة النبي وآل النبي في الشام واليمن، آمين اللهم آمين.

ثم إن المرفوع إلى كريم حضرته وحضرات آل أبيه، وسامي عقوته[(٢)] وعقوات[(٣)] أهل بيته الغنية بذواتها عن التنويه، أنا وجهنا إليهم هذه المطالعة عن نعم كبرى، ومواهب تترى، ومنح غراء، وفواضل لله تعالى على أهل بيت نبيه بسرا تتبعها سرا[(٤)]، وارتفاع كلمة الآل الطاهرين من بني الزهراء، وأخذ الثأر ممن نصب لعداوتهم صدرا، بما أرغم منه أنفاً وقصم ظهرا، أو صرعه وله المنة لليدين وللفم صرعة لا يقال فيها له إن شاء الله تعالى لقائل عقرا، وفتوحات ملأت بهجتها الآفاق. بشرا، وطيبها الأرجاء عطرا، وذكرّها المساجد والمجالس شكرا، سراً وجهرا. وتفصيل ذلك أنكم علمتم ما عليه هؤلاء الأروام أقمأهم الله تعالى وأذل، وقصم عراهم وحل، من الفساد في الأرض الذي طال وحاد، وملأ الأوطان والرحال، والسهول والجبال، وعم النساء والرجال، وهدم من دين الله عز وجل كل عال، مما تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدا. ولم يزل حي والدنا أمير المؤمنين المنصور بالله القاسم بن محمد صلوات الله عليه وعلى آبائه **[أ/٢٧]** للمسلمين إلى حربهم داعياً، وفي نكايتهم ساعياً، ولدين الله وبلاده وعباده عن عبثهم حامياً، حتى لقي الله تعالى وقد صدقه أمله من ظهور الدين، وبلغه رجاه في علو كلمة الحق المبين. وكان

---

(١) رسن: الرسن الحبل، أرسان الخيل يضرب للأمر يسرع ويتتابع ويرسن يشد الدابة.
(ابن منظور: لسان العرب، ج٥، ص٢١٦).

(٢) في (ب): عقوة.

(٣) عقوات: العقوة الساحة وما حول الدار والمحلة وعقوة الدار ساحتها، ويقال نزل بعقوته، ونزلت الخيل بعقوة العدو. (ابن منظور: لسان العرب، ج٩، ص٣٣٤).

(٤) بسرا تتبعها سرا: لم أتبين معناها في القواميس التي بين يدي.

صلوات الله عليه في آخر المدة لما استقبل الناس من سني الشدة، وأعضهم الدهر من ناب حده، واستمكل الصابر من صبره جهده، رأى من المصلحة لأهل الإسلام ومقتضى الحال للخاص والعام، أن يقبل من هؤلاء الظالمين الهدنة حين طلبوها منه، وأن يجعل بينهم وبين المسلمين ذمة يصدرونها[1] عنه، فصالح صلوات الله عليه من كان في تلك الأيام نائباً عن دولتهم في صنعاء عشر سنين، سلك فيها سبل الاقتداء بجده سيد النبيين -صلى الله عليه وعلى آله الطيبين-، وكانت من قبله معقودة لجميع من شملته دعوة الحق وعنهم، ومن قبل الأروام كذلك لحاضرهم ومن يرد اليمن منهم، واختار الله وله الحمد لوالدنا -سلام الله تعالى عليه- لقاءه وهي ثابتة العقد مصونة العهد، منتظر لها غاية الأمد، ولما قمنا بأمر الله مقامه، سلكنا فيها سبيله، وقفونا فعله وقيله[2]، لما قام بالوفاء بها من كان منهم آنفاً، وكان الآخر منهم للأول في رعايتها خالفاً، امتثالاً لقول الله عز وجل: ﴿**وَأَوْفُواْ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولاً**﴾**[الإسراء: ٣٤]**.

وقوله عز وجل: ﴿**وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُواْ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلاً ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ**﴾**[النحل: ٩١]**.

ونحن في أثناء مدتها نقيم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مقام الجهاد، ونـدل عـلى الله سبحانه وتعالى بنشر العلم الشريف في الأغوار والأنجاد، ونُعلّم الدين الحنيـف كـل حـاضر وباد، وندعو إلى سبيل ربنا بالحكمة والموعظة الحسنة جميع العباد، ونعد مع ذلـك العـدة كـما أمر الله بالإعداد، ونأخذ حذرنا كما أوجب الله في كتابه الكـريم مـن أهـل العنـاد والإلحـاد، ونحكم أوامـر الـشرع الـشريف ونواهيـه لنـا وعلينـا في الإقـدام والإحجـام، وفي الأنفـس والأهلين والأموال والأولاد، وننتظر وعد الله الصادق في الكتاب الكريم في مثـل قولـه عـز وجل: ﴿**إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَـٰدُ**﴾**[غافر:٥١]**.

حتى انتهت نوبة ولايتهم في صنعاء إلى باشتهم هذا حيدر[3]، فجرينا معه في الوفاء ذلـك

---

(١) بعد هذه الكلمة كتب في الحاشية هذه الملحوظة: السقط في المقابلة لها إلى هنا.

(٢) في (ب): قبيله.

(٣) حيدر باشا: وال عثماني تسلم ولاية اليمن سنة ١٠٣٤هـ/ ١٦٢٥م في زمن الإمام المؤيد محمد بن القاسم، اشـتهر بـسوء إدارتـه وتخـبط =

المجرى، وعاملناه **[٢٧/أ]** تلك المعاملة عملاً بما هو أولى بالمؤمنين وأحرى، مع بدو[(١)] مقاتله وانكشاف عوراته مرة بعد أخرى، وهو في أثناء ذلك (سَرَّ حَسْواً في ارتغاء)[(٢)]. وكلما رأى منا الوفاء تمرد وطغى، ونكث وبغى، ومال إلى هدم ذلك البناء الوثيق وصغى، حتى سفك من خاصتنا الدم الحرام باطلاع الخاص والعام، وجنى الجنايات العظيمة في النفوس والحرث والأنعام. ونحن مع ذلك نذكره عهد الله والعهود، ونبذل في استصلاحه كل مجهود، ونستعين عليه بكبراء دولتهم وأركانها وعظمائها، المعتمد عليهم في سلطانها من قبل شهر رمضان عام خمس وثلاثين إلى أواخر شهر محرم الحرام سنة ست وثلاثين[(٣)] لا يقنع في ذلك بكتاب ولا كتابين، ولا رسول ولا رسولين، وهو لا يزداد على طول المراجعة إلا نفوراً استكباراً في الأرض ومكر السيء ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ﴾ **[فاطر: ٤٣]** حتى كان من آخر ما قال أنه لا يرتكب إلا ما يستجيزه في مذهبه، ولم نعلم نحن ولا غيرنا من العلماء لأحد من أئمة الإسلام الأربعة ولا غيرهم قولاً يباح به نكث العهود وسفك الدم وارتكاب كل محرم، حاشا تلك الأعلام الحدبة على الإسلام من نسبة ذلك إلى أدنى تلامذتهم، بل أقصر أتباعهم، ولكن من تعامى عن الصواب لم يدر أين ذهب به. وهو من أول يوم دخل فيه اليمن يسوم من تحت يده من المسلمين الخسف، ويوقع بهم كل ظلم وعسف، فلم يبق حد بلغ إليه من مضى من ظلمهم إلا تجاوزه، ولا أمرٌ من الجور كانوا عنه لعظمه إلا أمضاه وأنجزه، وهم إلينا يجأرون وبنا يستغيثون، وكلما لاذوا بنا وطلبوا المعونة في استنقاذهم منا ألجمتنا العهود والمواثيق، وسد علينا محكم العقد الأكيد كل طريق، فلما أعيا دواءه[(٤)] وسرى داؤه، وهد بأفعاله من كل عهد وعقد بناؤه، لم يبق عند الله رخصة، ولا في دين الله خلصة، في غير جهاده وقتاله، والحكم عليه بحكم الله ورسوله -صلى الله عليه وآله - والاقتداء بسيد

سياسته وساءت سيرته بين الناس في ذلك الحين. عمد على قتل محمد باشا الكخيا في المخا وأتباعه. وانصرف إلى شرب الخمر واللهو، وترك شئون الحكم في يد أتباعه، وبسبب سوء إدارته أدى إلى نقض الصلح المبرم بين الإمامة والعثمانيين وبداية قيام الحرب وحصار صنعاء في عهده.

(د/ سيد مصطفى سالم: الفتح العثماني، ص٣٩٢).

(١) بدو: يعني بها ظهور.

(٢) سرحسواً في ارتغاء: مَثَلْ: وأصله الرجل يؤتى باللبن فيظهر رغبته في شرب الرغوة فقط وهو يريد اللبن.

(٣) ١٠٣٦هـ الموافق ١٦٢٦م.

(٤) في (ب): دواءه.

الوصيين كرم الله وجهه في الجنة، فيمن فعل دون فعاله، فإنه عليه الصلاة والسلام قال: «لقد ضربت أنف هذا الأمر وعينه وقلبت ظهره وبطنه فلم أر لي إلا القتال أو الكفر» (١).

وقال كرم الله وجهه لأصحابه: «أما بعد: فإن الجهاد باب من أبواب الجنة فتحه الله لخاصة أوليائه، وهو لباس التقوى، ودرع [٢٨/أ] الله الحصينة، وجنته الوثيقة، فمن تركه رغبة عنه ألبسه الله ثوب الذل وشمله البلاء وديث بالصغار والقما، وضرب على قلبه الأسداد(٢) وأديل الحق منه بتضييع الجهاد، وسيم الخسف ومنع النصف» (٣). وقد شهد بذلك الكتاب الحميد الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد فقال عز وجل: ﴿وَإِن نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُم مِّنۢ بَعۡدِ عَهۡدِهِمۡ وَطَعَنُواْ فِي دِينِكُمۡ فَقَٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلۡكُفۡرِ إِنَّهُمۡ لَآ أَيۡمَٰنَ لَهُمۡ لَعَلَّهُمۡ يَنتَهُونَ ١٢ أَلَا تُقَٰتِلُونَ قَوۡمٗا نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ وَهَمُّواْ بِإِخۡرَاجِ ٱلرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٍۚ أَتَخۡشَوۡنَهُمۡۚ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخۡشَوۡهُ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ١٣ قَٰتِلُوهُمۡ يُعَذِّبۡهُمُ ٱللَّهُ بِأَيۡدِيكُمۡ وَيُخۡزِهِمۡ وَيَنصُرۡكُمۡ عَلَيۡهِمۡ وَيَشۡفِ صُدُورَ قَوۡمٖ مُّؤۡمِنِينَ ١٤ وَيُذۡهِبۡ غَيۡظَ قُلُوبِهِمۡۗ وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ١٥ أَمۡ حَسِبۡتُمۡ أَن تُتۡرَكُواْ وَلَمَّا يَعۡلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمۡ وَلَمۡ يَتَّخِذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَا رَسُولِهِۦ وَلَا ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَلِيجَةٗۚ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾[التوبة: ١٢-١٦].

فاعتصمنا بحول الله ووجهنا رغبتنا إلى الله وقرأنا:﴿فَإِذَا عَزَمۡتَ فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ﴾[آل عمران:٥٩].

ودعونا أولياء الله إلى جهاد أعداء الله وتلونا عليهم مما أنزل الله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ١٠ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ١١ يَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡ وَيُدۡخِلۡكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١٢ وَأُخۡرَىٰ تُحِبُّونَهَاۖ نَصۡرٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتۡحٞ قَرِيبٞۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١٣ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ لِلۡحَوَارِيِّـۧنَ مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ نَحۡنُ أَنصَارُ ٱللَّهِۖ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٞ مِّنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ

---

(١) قول للإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، وقد سبق تخريجه.

(٢) في (ب): بالاسداد، وفي (أ) كتب الكلمتان: الأسداد، وفوقها: الإسهاب صح.

(٣) كلمة للإمام علي يستنهض بها الناس ويذكر فيها فضل الجهاد نهج البلاغة، شرح الشيخ محمد عبده، ص٨٩.

وَكَفَرَت طَّآئِفَةٌۖ فَأَيَّدۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَىٰ عَدُوِّهِمۡ فَأَصۡبَحُواْ ظَٰهِرِينَ﴾[الصف:١٠-١٤].

بعد أن بعنا من الله الأنفس والأموال بثوابه الكريم، وتلونا عليها خاصة: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَۚ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقۡتُلُونَ وَيُقۡتَلُونَۖ وَعۡدًا عَلَيۡهِ حَقًّا فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ وَٱلۡقُرۡءَانِۚ وَمَنۡ أَوۡفَىٰ بِعَهۡدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِۚ فَٱسۡتَبۡشِرُواْ بِبَيۡعِكُمُ ٱلَّذِي بَايَعۡتُم بِهِۦۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾[التوبة: ١١١].

حـــــاذرت أن ألقـــــى الإلـــــه غـــــداً

لم أبـــــــل في أعدائـــــــه عـــــــذري

فـــــشريت في الـــــرحمن محتـــــسباً[٢٨/ب]

نفـــــساً لـــــدي جليلـــــة القـــــدر

أجـــــري إلى غايـــــات كـــــل عـــــلا

مـــــــثلي إلى أمثالهـــــــا يجـــــــري

فأجاب المسلمون كثرهم الله دعوة الرشاد، ونفروا خفافاً وثقالاً رغبة في الجهاد، وبذلوا لله[(١)] جدهم وجهدهم في نكاية من سعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد، وقدمنا أمامهم إخواننا وأولادنا وأخص الناس بنا فارقوا في الله الأوطان، وهجروا في مرضاته البلدان والأخدان[(٢)]، وقصدوا الظالمين إلى كل قرار ومكان، فأنعم الله علينا وعليهم وعلى الناس بقذف الر عب في قلوب أعدائهم في كل وجهة توجهوا إليها قبل الناس، فما توجهت أجناد الحق إلى قطر من الأقطار إلا انهزم عنهم أحزاب الضلال وولوا الأدبار. وتلقى أهل كل جهة أنصار الله بالطاعة والإقبال أسرع من السيل في الانحدار، واستولوا على معظم حصونهم الكبار، وكانت كما وصف الله عز وجل: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَخۡرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمۡ لِأَوَّلِ ٱلۡحَشۡرِۚ مَا ظَنَنتُمۡ أَن يَخۡرُجُواْۖ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمۡ

---

(١) في (ب): ناقصة: لله.

(٢) الأخدان: الخِدْنُ والخَدِين الصديق، وفي المحكم الصاحب المُخدَّن والجمع أخْدان وخُدَناء.
(ابن منظور: لسان العرب، ج٤، ص٤٢).

﴿حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُواْ ۖ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي ٱلْمُؤْمِنِينَ فَٱعْتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِي ٱلْأَبْصَٰرِ﴾[الحشر: ٢].

وكنا في أثناء ذلك عرضنا على صاحب كوكبان(١) الأمير علي بن شمس الدين بن الإمام شرف الدين(٢) -عليه السلام- وأولاده لرحمهم من أهل البيت أن يجيبوا دعوة الحق، ويسلكوا سبيل الصدق، ويكفوا عن المسلمين بأسهم، ويمنعوا عن المؤمنين أذاهم، فنرعى لهم الرحم، ونصون جانبهم الذي هو بمباينة الحق وأهله أمهد، وأقلناهم بعد النبذ إلى هؤلاء الظالمين نحو الشهر، وناصحناهم في السر والجهر، فأبوا إلا لزوم الضلال، وأن يكونوا ظهراً للمجرمين على من أمر الله بنصرته من الآل، وجدوا في نصر الظالمين واجتهدوا وقاموا وقعدوا، فأجرينا عليهم مثل حكمهم، وأمرنا بجهادهم لضلالهم وظلمهم، وتلونا: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ

---

(١) كوكبان: حصن ومعقل شهير، يطل من الشمال الشرقي على مدينة شبام يعفر، وكذا على قاع المُنقَّب الذي تمر منه طريق صنعاء إلى ثلا وحبابة وبني بشير، كما يطل كوكبان غرباً على وادي النعيم الغني بزروعه، ويليه وادي الأهجر المشهور الذي تسيل إليه مياه كوكبان.
ويعتبر كوكبان أحد الحصون المنيعة التي قاومت الغزو العثماني في زمن المطهر بن شرف الدين، وعلى جبل كوكبان وهو الهضبة الضخمة التي تتناثر فوقه الحصون العديدة كان لسنان باشا محاولات عديدة حتى تمكن من ارتقائه والوصول إلى قمته بعد أن بذل جهوداً مضنية وحثيثة في سبيل الاستيلاء على هذا الحصن في سنة (٩٧٧هـ/ ١٥٧٠م). حتى تم عقد الصلح المبرم بين سنان باشا والمطهر بن الإمام شرف الدين. للمزيد من التفاصيل يمكن الرجوع إلى: (د/ سيد مصطفى سالم: الفتح العثماني، ص٢٧٣، الحجري: مجموع بلدان اليمن وقبائلها، المجلد الثاني، ص٦٦٨؛ المقحفي: معجم البلدان، ج٢، ص١٣٥).

(٢) علي بن شمس الدين بن الإمام شرف الدين: ولد في سنة ٩٢٧هـ/ ١٥٢٠م، وأخذ علمه عن والده وغيره. وفاق في فنون كثيرة وهو عالم مشارك ومجتهد شارك والده في أمور الحكم فكان أميراً محنكاً. نشب نزاع وصدام بينه وبين أخيه المطهر بن الإمام شرف الدين حين أوصى الإمام شرف الدين بأن يخلفه في الإمامة وأزاح ابنه البكر المطهر ونتيجة لذلك نشبت كثير من المشاكل والصراع والتنافس بين الأخوة في ذلك الوقت. استشهد في حصن حَبَّ في بعدان مسموماً بتدبير الوالي العثماني بهرام باشا.
(د/ سيد مصطفى سالم: الفتح العثماني لليمن، ص٢٦٧؛ إبراهيم بن القاسم: الطبقات، المجلد الثاني، ص٨١٠؛ الشوكاني: البدر الطالع، الجزء الأول، ص٤٥٨؛ الوجيه: أعلام المؤلفين الزيدية، ص٧٣٠).
وعلي المذكور في المتن هو أحد أحفاد الإمام شرف الدين ولكننا عرضنا الترجمة السابقة لعلي بن الإمام شرف الدين وهو الأشهر من أبناء الإمام شرف الدين بعد المطهر.
أما علي بن شمس الدين بن شرف الدين هذا فهو حفيد الإمام شرف الدين، توفي سنة ١٠٣٧هـ/ ١٦٢٧م. وكانت وفاته وولده الأمير عبد الرب قائد الجيش مع الحسن بن القاسم في أثناء حصار تعز.
(محمد بن محمد زبارة: خلاصة المتون في أبناء اليمن الميمون، ج٤، ص١٣٥).

أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ [المجادلة: ٢٢].

ووجهنا إليهم جنود الهدى، ونظمناهم لماَّ شاقوا الله ورسوله في سلك العدا، فضرب الله عليهم كما ضرب على من أعانوهم الذلة، ورماه ورماهم بسهم القمأ(١) والقلة[٢٩/أ]. واستولت أجناد الحق على ديار الظالمين وأرضهم أجمع، لم يبق غير مأخوذ صنعاء ومأخوذ كوكبان، وجنود الهدى محيطة بكل منهما من جهاته الأربع، والمسالك بمن الله وفضله منقطعة عنهما من كل مهيع(٢)، واليأس بحول الله وقوته قد حل بأهلها عن كل أمل ومطمع، شعر:

من حارب الرب التوت بحباله

من يحارب نقمة وبوار

من جر ذيل الكبرياء أباده

ذو العزة المتكبر القهار

فدولة الظالمين ومن والاها والحمد لله محصورة، وبيد الله وبطشه وانتقامه مقهورة، ألوية الهدى في كل قطر من الأقطار منصورة، وديار اليمن إلى أقصاه إلى مغاربه وتهائمه وسائر حدوده بالعدل مغمورة، وبالحق معمورة، الحمد لله الذي صدقنا وعده، وأعز جنده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده. وقد أحببنا رفع هذه الأخبار السارة إلى تلك المعاهد الشريفة والمقاعد المنيفة لتعلموا أنه لم يبق لهؤلاء القوم علينا ولا على أحد من المسلمين عهدة، ولا في عنق مؤمن يخاف الله ويرجو اليوم الآخر عقدة. وإنا داعون إلى جهادهم كل مسلم، وآمرون بنكايتهم والبراءة منهم كل منجد ومتهم، لا سيما من شمله النسب النبوي والنجار(٣) العلوي والنصاب الفاطمي شرقاً وغرباً وبعداً وقرباً. وكيف لا والدين دين جدهم، والدولة دولة منصبهم، والدفاع عن حوزتهم ونسبهم، وهم أعظم الناس نعمة، فكيف لا يكونون في

---

(١) قمأ: ذل وصغر وصار قميئاً ذليلاً. (ابن منظور: لسان العرب، ج١١، ص٢٩٦).

(٢) مهيع: المهع الميم قبل الهاء تلَوّن الوجه من عارض فادح والمهيع فهو مَفْعل من هاع يهيع والميم ليست أصلية. (ابن منظور: لسان العرب، ج١٣، ص٢٠٨). (المهيع الطريق الواضح الواسع، وهو المقصود هنا)

(٣) النجار: النجار والنُجَّار هي الأصل والحسب. (ابن منظور: لسان العرب، ج١٤، ص٥١).

رضا ربهم المنعم عليهم أرفعهم همة،﴿يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِيَ ٱللَّهِ وَءَامِنُواْ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ۝٣١ وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِيَ ٱللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءُ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾[الأحقاف: ٣١-٣٢].

﴿يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ۝٣٨ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَٰعٌ وَإِنَّ ٱلْءَاخِرَةَ هِيَ دَارُ ٱلْقَرَارِ ۝٣٩ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[غافر: ٣٨-٤٠].

ثم لتأخذوا بنصيب من المسرة مما منح الله العترة من عظيم الفتح وجميل النصرة، وما رمى به عدوهم من البوار:﴿وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ ۙ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ﴾[الرعد: ٢٥][٢٩/ب]﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرْكَعُواْ وَٱسْجُدُواْ وَٱعْبُدُواْ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُواْ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩ ۝٧٧ وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ۚ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ۚ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعْتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ﴾[الحج: ٧٧-٧٨].

ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم أفضل الصلاة والتسليم.

فصل

نذكر فيه يسيراً مما امتدحه أهل الفضل والبلاغة من الخاصة والعامة لقصد التبرك، ولا يخلو ذلك إن شاء الله تعالى من فائدة من ذلك قول القاضي العلامة الفصيح البليغ الفاضل، الأوحد الصمصامة الحلاحل، جمال الدين[1]:علي بن الحسين المسوري[2]رحمة الله عليه:

بسعدك تنقاد الصعاب الشوارد

كما أنها تصفو لديك الموارد

وما رمت أمراً قط إلا وأسهلت

حزونته وانقاد منه المباعد

ولا غرو إذ أنت ابن أوحد ذي الورى

كمالاً وأسماهم إذا عد واحد

بنيت من العلياء داراً رفيعة

يرى دون أدناها السها والفراقد

فمن شامخ الأصل المطهر أسها

لها شرفات كلهن محامد

كمال وعلم مع جهاد وفطنة

وحزم وعزم نافذ وعوائد

---

(١) جمال الدين: ويقال الجمالي وهو لقب متعارف عليه في اليمن لكل من اسمه علي.

(٢) علي بن الحسين المسوري: رحل إلى صنعاء وقرأ بها جميع علوم الطلب في عصره. منحه الإمام القاسم بن محمد إجازة عامة في مسموعاته ومستجازاته. من تلاميذه السيد إبراهيم بن يحيى بن المهدي والقاضي أحمد بن سعد الدين المسوري. اشتهر بصفة حليف القرآن وله أشعار متداولة. توفي بمدينة صبيا من المخلاف السليماني وهو متوجه لأداء فريضة الحج سنة ١٠٣٤هـ/ ١٦٢٤م وقبر بمسجد عقيل. (الشرفي: اللآلئ، ج٣، ق٤٥٨؛ إبراهيم بن القاسم: الطبقات، ج٢، ص٧٣١؛ الوجيه: أعلام المؤلفين، ص٦٧٥).

وصـــــبر إذا الهيجـــــاء ضـــــاق مجالهـــــا

وبكتـــــت[1] الأقـــــدام فيهـــــا القماحـــــد[2]

وحلـــــم إذا مـــــا الحلـــــم زيـــــن أهلـــــه

إذا زالـــــت الـــــشم الـــــذرى فهـــــو راكـــــد

ومـــــا زلـــــت تـــــصطاد المفـــــاخر جاهـــــداً

كـــــذاك المعـــــالي للكـــــرام مـــــصائد

وتنظمهـــــا عقـــــداً لمجـــــدك فاغتـــــدى

ولـــــيس لـــــه إلا المعـــــالي معاقـــــد

وأقـــــسم لـــــولا أنـــــت لم يـــــك للهـــــدى

نـــــصير ولا للـــــدين في النـــــاس عاضـــــد

ولا للـــــــورى راع بحـــــــق ولا لمـــــــا

تَهـــــدم مـــــن دار المكـــــارم شـــــائد

تحملـــــت أعبـــــاء الإمامـــــة بعـــــدما

جـــرى مـــا جـــرى والمـــوت للخلـــق حاصـــد

وأظلمـــــت الآفـــــاق طـــــراً وزلزلـــــت

مـــن الـــدين إذ مـــات الإمـــام القواعـــد[٣٠/أ]

---

(١) بكتت: بكته ضربه بالسيف والعصا ونحوه، والتبكيت: التقريع والتعنيف.

(ابن منظور: لسان العرب، ج١، ص٤٦٩).

(٢) القماحد: مفردها القَمَحْدُوة الهنة الناشزة فوق القفا وهي بين الذؤابة والقفا منحدرة عن القفا إذا استلقى الرجل أصابت الأرض وهي على القذال. (ابن منظور: لسان العرب، ج١١، ص٢٩٨).

وقمـــت بـــأمر لـــو تحمـــل مثلـــه

الجبـــال لـــذابت مـــن ذراهـــا الجلامـــد

وأدحـــرت شـــيطان الـــضلال بـــدعوة

لهـــا ذل ذو بغـــي وأرغـــم حاســـد

وعـــز بهـــا الـــدين الحنيـــف وأطـــدت[1]

بهـــا منـــه مـــن بعـــد انهيـــارٍ معاقـــد

وأشرق نـــور الحـــق بعـــد كـــسوفه

وعـــادت ربـــوع الجـــور وهـــي فدافـــد[2]

ومـــا زلـــت يـــا ابـــن الطهـــر للـــدين نـــاصراً

تـــصول عـــلى أعدائـــه وتجاهـــد

تقـــيم علـــيهم كـــل يـــوم قيامـــة

دمـــاؤهم فيهـــا علـــيهم مجاســـد

فهـــابوك حتـــى مـــا تقـــر قلـــوبهم

وخـــافوك حتـــى نـــومهم منـــك شـــارد

إذا ذكـــروا أيامـــك البـــيض فـــيهم

تغـــشاهم ليـــل مـــن الهـــم صـــارد[3]

---

(١) وأطدت: أسست، من وطد يوطد توطيداً.

(٢) فدافد: الفدفد الأرض الغليظة ذات الحصى، وقيل: المكان الصلب، والفدفد المكان المرتفع فيه صلابة، والفدافد القفار، وهو هنا بمعنى مقفرة. (ابن منظور: لسان العرب، ج١٠، ص٢٠٣).

(٣) الصارد: النافذ أي السهم مصراد وصارد أي نافذ (صارد هنا بمعنى: بارد).
(ابن منظور: لسان العرب، ج٧، ص٣٢٠).

وإن سـمعوا ذكـر المؤيـد أبلـسوا

كـأن اسـمه فـيهم أسـود خـوارد

وسـل أثلـة[1] عنـه تخـبرك مـا ارتعـت

ثعالبـه في سـفحه والأسـاود

لقـد أخـصبت فيـه زمانـاً وطالمـا

تعاودهـا عـيش هنالـك جاهـد

لـه فيـه أصـل الفخـر إذ كـان عزمـه

بـه صـال مـن أنـصاره مـن يجالـد

وأصـبح أحـرى بالـذي قـال شـاعر

قـديم وأيـن الغيـبُ ممـا نـشاهد

نهبـت مـن الأعـمار مـا لـو حويتـه

لهيئـت الـدنيا بأنـك خالـد

كـذا شرف العليـاء أخـوه لـه بـه

مقـام بـه ذلَّ العـدو المعانـد

وكـم لأمـير المـؤمنين مـشاهد

إذا ذكـرت ضـاعت لـديها المـشاهد

وكـم نعمـة أسـدى وكـم نعمـة هـدى

وكـم فرجـت ممـا تجـود شـدائد

---

(١) غارب أثلة: منطقة قريبة من قفلة عذر وقعت فيها معركة بين العثمانيين وأصحاب الإمام القاسم بن محمد سنة ١٠٢٤هـ/ ١٦١٥م، انتصر فيها الجيش الإمامي. (عيسى بن لطف الله: روح الروح، ج٣، ق١٢؛ الجرموزي: النبذة المشيرة، ق٣٨٨).

يـــــزور فنـــــاه المعتقـــــون فـــــصادر

بـــــما يبتغـــــي عنـــــه وآخـــــر وارد

فمـــــن علمـــــه تهـــــدى إلـــــيهم فرائـــــد

ومـــــن جـــــوده تهـــــدى إلـــــيهم فوائـــــد

يـــــرى بـــــشره العـــــافي فيـــــوقن أنـــــه

بـــــما يترجـــــاه مـــــن الخـــــير عائـــــد

إذا مـــــا رأى رأيـــــاً تـــــبلج نـــــوره

وســـــد بـــــه ثغـــــر وأصـــــلح فاســـــد

جـــــرى معـــــه في حلبـــــة الفـــــضل قـــــادة

فجـــــلىَّ وأعيـــــت عـــــن مـــــداه الأماجـــــد

بجـــــدٍّ وحـــــدٍّ نـــــال مـــــا نـــــال وحـــــده

إذا عظـــــم المطلـــــوب قـــــلَّ المـــــساعد

قـــــلا لـــــذة الـــــدنيا فمـــــن يـــــره يَقُـــــلْ

أذا الملـــــك المـــــشهور أم هـــــو زاهـــــدُ[٣٠/ب]

فعدتـــــه منهـــــا كتـــــاب وصـــــارم

ودرع لهـــــا داود مـــــن قبـــــل ســـــارد

وأدهـــــم لـــــو يكـــــسو الليـــــالي لونـــــه

لمـــــا أدرك الـــــشهب المنـــــيرة راصـــــد

وذو منعـــة لـــو يملـــك الطـــير ســـبقه

لمـــا جازهـــا يومـــاً وإن جـــد صـــائد

يعيـــد[1] فبـــالإقراء للعلـــم تـــارة

وطـــوراً لـــذي الأضـــياف تثنـــى الموائـــد

وطـــوراً تـــراه للمـــساجد عـــامراً

فللـــه مـــا تبنـــى عليـــه المـــساجد

ويبـــذل والأيـــام تـــصرف نابهـــا

ويعطـــي وقـــد أودى طريـــف وتالـــد

تـــراه إذا مـــا جيتـــه مـــتهللاً

كأنـــك بالـــدنيا لـــه أنـــت قاصـــد

إذا صـــال قـــال الليـــث إني لخـــائر

وإن قـــال قـــال الـــدر إني لحاســـد

فـــضائله لا تنتهـــي وصـــفاته

بـــواهر مـــا إن يجحـــد الـــشمس جاحـــد

هنيئـــاً لنـــا أن المؤيـــد ملكنـــا

وصـــار لنـــا منـــه إلى الخـــير قائـــد

خصـــصنا بـــه فالحمـــد لله دائـــماً

عـــلى فـــضله مـــا ســـبح الله حامـــد

---

(١) في (ب): يُفيد.

فيـــا رب جنبـــه المكـــاره عـــن يـــد

وحطـــه فـــلا تـــأتي إليـــه[1] المكائـــد

بنـــصرك أيـــده بلطفـــك خـــصه

فلطفـــك يـــا ذا الطـــول للـــشر ذائـــد

وإخوتـــه يـــا رب فـــاحم حمـــاهم

فكلهـــم للحـــق كـــف وســـاعد

وهـــاك أمـــير المـــؤمنين خريـــدة

تقـــصر عـــن أدنـــى ســـناها الخرائـــد

تزيـــد عـــلى مـــر الـــدهور غـــضارة

تـــشيب العـــذارى وهـــي عـــذراء ناهـــد

وإن غـــص منهـــا حاســـد أو معانـــد

لكـــان لهـــا منهـــا عـــلى الحـــسن شـــاهد[2]

وكيـــف وفي أنـــوار مـــدحك قـــد غـــدت

تبخـــتر هـــل للبـــدر إذ تـــم ناقـــد

وجـــائزتي منـــك الـــدعاء فإنـــه

إلى الفـــوز لي يـــوم القيامـــة رائـــد

ولـــست أريـــد المـــال فالمـــال هـــين

وكـــل الـــذي فـــوق البـــسيطة نافـــد[3]

---

(١) في (ب): عليه، في (أ): أثبتها إليه بعد أن كانت عليه.

(٢) ليست في (ب).

(٣) ليست في (ب).

عـــلى أننـــي في روض جـــودك راتـــع

وبحـــــر نـــــداك الجـــــم إني لـــــوارد

عليـــك ســـلام الله مـــا افـــترَّ بـــارق

ومـــا حـــن في الـــسحب الهواطـــل راعـــد

ودم يـــــا أمـــــير المـــــؤمنين مؤيـــــداً

بـــسعدك تنقـــاد الـــصعاب الـــشوارد

ومما قاله السيد الأعلم صلاح الدين صلاح[أ/٣١] الدين صلاح بن عبد الخالق بن يحيى بن جحاف(١) هذه القصيدة يمدح مولانا المؤيد بالله -عليه السلام- في أيام إقامته في هجر الأهنوم، والسيد صلاح إذ ذاك في بلاد الشرف(٢)، فأنشدت في مجلس الإمام -عليه السلام- وهي هذه:

بأفعالـــه يـــسمو الكـــريم ويـــشرف

ويوصـــف مـــا بـــين الأنـــام ويعـــرف

---

(١) صلاح الدين بن عبد الخالق بن يحيى بن جحاف: قرأ مجموع الإمام زيد، وأمالي أبي طالب على الإمام المؤيد محمد بن القاسم. وقرأ عليه القاضي أحمد بن سعد الدين في عام ١٠٣٤هـ. جمع كثيراً من الخصال الأخلاقية والأدبية والشعرية إلى جانب ما اشتهر به في علوم الفقه خاصة في علم الفروع، وقد اشتهر بعلمه في البحر الزخار، وشرح التكملة. وقد روي عنه نوادر وأدبيات وهزليات جمة. أقام في حبور حتى توفي عام ثلاث وخمسين وألف(١٠٥٣هـ/ ١٦٤٣م).

(٢) الشرف سلسلة جبلية في الشمال الغربي من مدينة حجة تشمل المحابشة والشاهل والقفل وكحلان الشرف والمفتاح وأسلم، وهي حصون منيعة ومعدل ارتفاعها ٢٥٠٠متر عن سطح البحر. وتتخلل هذه الجبال عدد من الأودية التي تزرع فيها الفواكه والحبوب والبن. وهناك الكثير من القرى والعزل والحصون التي تحمل تسمية الشرف مثل:

أ- الشرف: حصن منيع في وصاب العالي.

ب- الشرف: حصن ومركز إداري في المخادر محافظة إب.

جـ- الشرف: حصن في جبل الضامر في قرية القحري في باجل.

د- الشرف: حصن في منطقة شرجب في الحجرية ويطل على قلعة المقاطرة.

هـ- الشرف: حصن في عتمة.

و- الشرف: بلدة ووادي في جبل الرجم في المحويت.

ز- الشرف: قرية في منطقة صباح في رداع.

(المقحفي: معجم البلدان، ج١، ص٨٦٠؛ الحجري: المجموع، المجلد الثاني، ص٤٥٠).

وقـــد يـــسعد الله امـــرأً مـــع هـــذه

بأســـلاف صـــدق في المكـــارم يوصـــف

فيجتمـــع المجـــد التليـــد وطـــارف

فـــلا الأصـــل مـــذموم ولا الفـــرع مقـــرف

ألم تـــر أن القاســـم بـــن محمـــد

بنـــى شرفـــاً يحظـــى بنيـــه ويزلـــف[1]

فلـــم يكتـــف المـــولى المؤيـــد بالـــذي

بنـــى بـــل بنـــى مجـــداً يزيـــد ويـــضعف

ألـــيس لـــه أيـــام والـــده مـــن الـ

مواقـــف مـــا لم يحكهـــا قـــط موقـــف

بهـــن اســـتعاد الـــدين رونـــق وجهـــه

وكـــان تبـــدّى وجهـــه وهـــو أكلـــف

عـــشية جـــل الخطـــب والأرض أظلمـــت

وقـــل امـــرؤٌ مـــن وصـــمة الـــذل يـــأنف

وأرعـــشت الأيـــدي فلـــم يغـــن صـــارم

ولم يبـــد قـــط الـــسمهري[2] المنيـــف

وقـــد شـــمل النـــاس الـــبلاء فلاحـــقٌ

بـــأرض ومـــستدن لمـــا يتخـــوف

---

(١) يزلف: الزَّلف والزَّلْفة والزُّلْفى القربة والدرجة والمنزلة.

(ابن منظور: لسان العرب، ج٦، ص٦٩).

(٢) السَّمْهري: الرمح الصليب العود، يقال وتر سمهري شديد، واسمهر الشوك يبس وصلب.

(ابن منظور: لسان العرب، ج٦، ص٣٧٧).

ومـــــدت إلى الله الأكـــــفَّ عواتـــــقٌ

لطمـــــن خـــــدوداً والمـــــدامع ذرَّفُ

هنالـــــك رد الله في الـــــدين روحـــــه

بـــــه وتلافـــــاه وقـــــد كـــــاد يتلـــــف

وأرســـى بـــه الـــدنيا ومـــا فـــوق ظهرهـــا

وكـــادت بمـــن فيهـــا تميـــد وترجـــف

إلى غـــير هـــذا مـــن مواقفـــه التـــي

لهـــا الـــدين أضـــحى شـــمله يتـــألف

وقـــام بـــأمر المـــسلمين فأحـــسن الـــ

ـــــخلافة إذ لا مثلـــــه قـــــط يخلـــــف

فتابعـــــه ممـــــن يـــــشار إلـــــيهم

بحـــار[1] إذا اســـتنزفتها لـــيس تنـــزف

نحـــارير لـــو شـــاءوا وقـــد شـــاء بعـــضهم

لقـــد ألفـــوا في كـــل فـــن وصـــنفوا

فـــما فاتنـــا مـــن قاســـم غـــير وجهـــه

ولمـــــا يفتنـــــا نائـــــل وتعطـــــف

ورفـــــق وبـــــر وانطـــــلاق ورحمـــــة

وبـــــشر وتقريـــــب لنـــــا وتلطـــــف

وعلـــم وإنـــصاف وحلـــم عـــلى أذى

قمـــيص تجـــلى عنـــده الحلـــم أحنـــف

---

(١) في (ب): بحور.

ثـــمال اليتـــامى والمـــساكين لم يـــزل

أبـــاً لهـــم يحنـــو علـــيهم ويـــرؤف[٣١ب]

لهـــم قـــصرات غُلَّـــظٌ مـــن صـــنيعه

إلـــيهم وشـــعر في الـــرؤوس مرهـــف

مجالـــــسه عـــــان يفـــــاد وعـــــالم

يفيـــد وســـيف في القـــراب ومـــصحف

ونهمتـــــه اســـــتنباط حكـــــم دليلـــــه

ضرورة عقـــــل أو قيـــــاس مؤلـــــف

أو الـــسمع لا التقليـــد فهـــو كمـــن هـــو

بـــأرفع نيـــق[1] بـــين قطريـــه يقـــذف

ومـــــا زال للعـــــافي غياثـــــاً وملجئـــــاً

ومتجعـــــاً يـــــورى[2] إليـــــه ويؤلـــــف

أمـــولاي يـــا مـــن وصـــفه فـــات قـــدرتي

وقـــــصر عنـــــه ذو النظـــــام المفـــــوف

أهنيـــك بالعيـــد الأغـــر الـــذي لـــه

خـــصائص لا تحـــصى بهـــا أنـــت أعـــرف

وفيـــت كـــما وفى الخليـــل بهـــا لمـــن

بـــراك فأنـــت الخاشـــع المتحنـــف

---

(١) نيق: النيق أرفع موضع في الجبل، والنيق الطويل من الجبال. (ابن منظور: لسان العرب، ج١٤، ص٣٤٩).

(٢) هكذا وردت، ولعلها: يؤوى.

وأحييـــت معلومـــات شـــهرك بالـــذي

يـــــسن ومعدوداتـــــه لا تكلـــــف

وصـــليت قربـــت النـــسائك خاضـــعاً

لمـــولاك ســـيما التقـــى والتقـــشف

فـــشاركت إذ وفيـــت للعيـــد حقـــه

رجـــالاً أهلـــوا محـــرمين وعرفـــوا

يبـــاهي بهـــم رب الـــسماء طوائـــف الـــ

ـــملائك بعـــد العـــصر ســـاعة وقفـــوا

لهـــم دعـــوات لا تـــرد وزنـــة[1]

مـــذكرة بالنحـــل حـــين ترفـــرف

ســـألت الـــشديد الأيـــد والملـــك الـــذي

لـــه قطعـــوا عـــرض الفـــلاة وأوجفـــوا

بمـــن فـــيهم مـــن صـــالح أو بـــما دعـــوا

ومـــا مـــسحوا الأركـــان تلـــك فطوفـــوا

يهنيـــك مـــا أولاك يبقيـــك ســـالماً

إليـــك خطـــوب الـــدهر لا تتطـــرف

---

(١) ليست في (ب).

ويحميـــك مـــا هـــب النـــسيم وغـــردت

أصـــيلاً حمامـــات عـــلى الأيـــك هتَّـــف[1]

وإني وأصـــــحابي مـــــع بعـــــد هـــــذه

ســـــيجمعنا ذاك الجنـــــاب المـــــشرف

[٣٢/أ]يميـــزه الـــذوق الـــسليم وحـــسنه

يـــدق عـــلى ذهـــن الغبـــي ويلطـــف

وكـــم ناقـــد للـــشعر مبلـــغ علمـــه

هـــو الـــوزن واللفـــظ الكبـــير المرصـــف

ولم يـــدر مـــا المغـــزى البليـــغ لجهلـــه

ولا المقـــصد الغـــث الركيـــك المزيـــف

ومـــا الـــسر إلا في معـــان مـــصونة

علـــيهن ســـتر لم يزحزحـــه مغـــدف

---

(١) هذه الأبيات ناقصة في الأصل وتم إثباتها من (ب) ق ٢٧ب

وإني وأصـحاباً معـي بعـد هـذه	سـيجمعنا ذاك الجنـاب المـشرف
نـوافي إليـه بعـد لأي لأننـا	درَايـا عقيـب الـواردات نخلـف
وننـشدك البيتـين لا نـاظرين في	عوامـل علـم النحـو كيـف تـصرف
ولكـن كـما قـد جـاء أخـوة يوسـف	إليـه فأنـت اليـوم لا شـك يوسـف
إليـك أمـير المـؤمنين رَمَـت بنـا	خطـوب المنـا والهوجـل المتعـسف
وعـض زمانـا بـابن مـروان لم يـدع	مـن المـال إلا مـسبحتا أو محلـف
وهـاك نظامـاً زانـه وصـفك الـذي	يكـرم شـعراً حـازه ويـشرف

ومثـــــل أمـــــير المـــــؤمنين مميـــــز

مطـــل عـــلى تلـــك المقاصـــد مـــشرف

فتعـــــرف للعلـــــق النفـــــيس فـــــضيلة

بهـــا يُـــزدرى القـــول الطويـــل الملفلـــف

فـــدونك يـــا مـــولاي مـــا هـــو خالـــد

ومـــا دونـــه فـــانٍ مـــن المـــال متلـــف

يـــسير مـــسير البـــدر والبـــدر قـــاصر

ويتلفـــه محـــرور عـــنٍّ وصفـــصف[1]

ويُـــسطر بـــالأقلام في كـــل دفـــتر

بـــه يتحـــف الـــسمار لـــيلاً ويطـــرف

مقـــال امـــرئٍ مـــا قـــال في غـــير قاســـم

ونجليـــه مـــدحاً والأمـــور تكـــشَّفُ

ومـــا قلـــت في ســـلطان جـــورٍ قـــصيدة

أبـــى الله ينهـــاني التقـــى والتعفـــف

وقـد صـان وجهـي الله عـن قـصد غـيرهم

إذا ســـأل الـــسؤال يومـــاً وألحفـــوا

وقال السيد العلامة محمد بن عبد الله الحوثي[2] والإمام -عليه السلام- عند قدومه إلى

---

(١) صفصف: أرض صفصف ملساء مستوية، والصفصف الذي لا نبات فيه. وفي التنزيل: ﴿فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا﴾[طه:١٠٦].
(ابن منظور: لسان العرب، ج٧، ص٣٦٤).

(٢) محمد بن عبد الله الحوثي: لم أجد له ترجمة في المصادر التي بين يدي.

حوث[1] ثم إلى الظاهر[2]:

قـــدمت قـــدوم الغيـــث للبلـــد المحـــل

أو الليـــث مرهـــوب الـــشذا باســـط العـــدل

أو الـــشمس قـــد عـــم الأقـــاليم نورهـــا

تجـــلى ديـــاجير الظـــلام ولا تجـــلي

أو القمـــر النـــوار في بـــرج ســـعده

أو الغيـــث ثجـــاج[3] الحيـــا دائـــم الهطـــل

أو البحـــر يمـــلي راحتـــي كـــل غـــائص

لآلـــئ للعـــافين والطالـــب البـــذل

أو الـــروض عادتـــه الغـــوادي خلائفـــاً

عـــلى غـــير شـــبه في الملـــوك ولا مثـــل

تخـــيَّرك الخـــلاق ســـيفاً لعـــترة

عـــلى كـــل عـــين للعـــدى مـــاضي النـــصل

---

(١) حوث: هجرة عامرة في العصيمات إحدى بطون قبيلة حاشد الأربع، وتقع في منتصف الطريق بين صعدة شمالاً وصنعاء جنوباً، وهي من أقدم الهجر وأشهرها، واستمرت قروناً طويلة مزدهرة بالعلم والعلماء. ويطلق عليها الهجرة.

(الأكوع: هجر العلم، ج١، ص٤٩٠؛ المقحفي: معجم البلدان، ج١، ص٥٢٧).

(٢) الظَّاهِر: هناك الكثير من المراكز والقرى التي تحمل نفس التسمية وهي:

الظاهر: مديرية بالطرف الغربي من محافظة صعدة.

الظاهر: مركز إداري من مديرية خمر، محافظة عمران. وهو المقصود.

الظاهر: في محافظة المحويت في مركز الخبت.

الظاهر: في مديرية وصاب العالي، محافظة ذمار.

الظاهر: جبل في شمال غرب أبين.

(المقحفي: المعجم، ج١، ص٩٧١؛ الحجري: المجموع، ج٢، ص٥٦٣).

(٣) ثجاج: ماء ثجوج وثَجّاج ماء مصبوب. وفي التنزيل: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا﴾[النبأ:١٤]، وثجيج الماء؛ صوت انصبابه.

(ابن منظور: لسان العرب، ج٢، ص٨٥).

وســهماً صــليب العــود مــن خــير نبعــة

بــرى الله منهــا للعــدى أســهم النبــل

ودوحــة فخــر قــد تــدلت فروعهــا

وكانــت عــلى الإســلام مغدقــة الظــل

كــشفتم بنــي المنــصور كــل عظيمــة

عــن الــسنة البيــضاء مــن سـيد الرسـل[٣٢/ب]

فأقلامنــا بالمــدح تــرقم فــضلكم

وألــسنتا تتلــو وأوصــافكم تمــلي

أبــى الله للملــك العتيــد خلائقــاً

ســوى قاســم ثــم ابنــه معــدن الفــضل

همــا عمَّــرا بيــت النبــوة مفخــراً

وفــأي بــه مــن حــر شــمس إلى ظــل

إمامــان كالشمــسين في كبــد الــسماء

ونــوران في داجــي الظلامــة يــستجلي

فبالقاســم المنــصور يرفــع حظنــا

ومــن بعــد بــالمولى المؤيــد يــستعلي

هنيئــاً لكــم يــا آل قاســم أنكــم

ســلكتم ســبيل الحــق واضــحة الــسبل

وأوضــحتموها بــالبراهين فاغتــدت

مبينــة البرهــان بــالنص والنــصل

وأرخـــــصتم الأسرى بكـــــل وقيعـــــة

وضـــــوعفتم بـــــالأجر في كثـــــرة القتـــــل

وحليـــتم عنـــق المعـــالي وقـــد مـــضت

عـــلى عطـــل الأعنـــاق مـــن قـــدم الأزل

وأنـــــزلتم أهـــــل المكـــــارم والعـــــلى

ضـــيوفاً وأوفـــاداً عـــلى أكـــرم النـــزل

وكنـــتم لربـــات الحجـــول[1] مـــن العـــلى

بعـــولاً وكانـــت قبـــل ذاك بـــلا بعـــل

وزفـــت إلـــيكم كـــالعروس زفافهـــا الـــ

ـــكريم فمـــن أهـــل تـــزف إلى أهـــل

وصـــنتم عـــن العـــذل الملـــيم مـــسامعاً

أبـــى الله أن يـــصغي الجـــواد إلى عـــذل

نـــشرتم جناحـــاً مـــن شـــهارة رادمـــاً

تحـــوم لإحـــراز المثوبـــة والخُـــصْل

يطـــير بجـــو مـــا لـــه أمـــد يـــرى

ولا غايـــة تفـــضي بـــبعض إلى كـــل

وطهـــرتم مـــن رجـــسها كـــل بلـــدة

وألحقـــتم صـــدق المقالـــة بالفعـــل

---

(١) الحجول: الحَجْل والحِجْل أي الخلخال والجمع أحْجال وحُجُول.

(ابن منظور: لسان العرب، ج٣، ص٦٥).

وجلـــتم مجـــالاً في النجـــود وفي الربـــا

عـــلى الـــسنة البيـــضاء مـــن ســـيد الرســـل

ولم تتركـــــوا للمفـــــسدين مـــــصانعاً

فـــصلتم مـــصال المـــازني عـــلى الـــذهل

بقيـــتم بقـــاء الـــدهر تبنـــون مـــا بنـــى

ويـــأوي بكـــم ذو الارتيـــاع إلى ظـــل

ســـلام عـــلى الـــداعي المؤيـــد مـــا رمـــى

بـــسهل إلى حَـــزن وحـــزن إلى ســـهل

ولا زال منـــــصور اللـــــواء مؤيـــــداً

عـــلى كـــل ذي غـــيٍّ كبـــير وذي جهـــل

وقال السيد المذكور رحمه الله:

صـــدور المعـــالي زادهـــا ذو العـــلى شرحـــا

ونيـــل المعـــالي عنـــده قـــارن النجحـــا

فـــشبب بـــذكراه وأوصـــاف مدحـــه

ودع رامـــة والغـــور والـــشعب والـــسفحا[٣٣/أ]

وهـات عـلى التـضمين مـن قـول مـن مـضى

وأودع عـــلى الـــنظم التهـــاني والمـــدحا

هنيئـــاً لـــك العيـــد الـــذي أنـــت عيـــده

فإنـــك أنـــت العيـــد للفطـــر والأضـــحى

وعيـــدي عنـــدي نـــور غرتـــك الـــذي

أعـــاد لـــدين الحـــق ليـــل الـــدجى صـــبحا

وحـــضرتك العليـــا التـــي رفعـــت لنـــا

بنيرهـــا الأضـــواء مـــن ظلمـــة جنحـــا

بـــل العلـــم والـــدين الحنيـــف تأســـسا

فأمـــسى عـــلى الـــنهج القـــويم كـــما أضـــحى

لـــك الله مـــولى كلـــما هـــز ســـيفه

لنـــصرة ديـــن المـــصطفى أسرع[1] الرمحـــا

وقـــائم حـــق أشرقـــت شـــمس عدلـــه

تشعـــشع نـــوراً فاشـــياً طبـــق الأنحـــا

وقطبـــاً لأقطـــار الفخـــار قواطبـــاً

عليـــــه لتأسيـــــساته دارت الأرحـــــا

وســـطراً عـــلى عنـــوان دولـــة أحمـــد

عـــلى صـــحف العليـــاء قـــط فـــلا تمحـــى

علينـــا لأيـــام المؤيـــد منـــه نعمـــة[2]

أدالـــت لنـــا ذا العـــالم العـــادل الـــسمحا

ومـــدت علينـــا ثـــوب شـــيمته التـــي

بهـــا عـــن مـــساوي حالنـــا طـــوت الكـــشحا

---

(١) أشرع: في (ب).(هي الصحيحة)

(٢) هكذا وردت.

وخولنـــا الفـــضل الـــذي هـــو أهلـــه

وأعـــرض عـــما قـــد جـــرى بيننـــا صـــفحا

وأبـــدى لنـــا شـــمس المعـــادل في الـــورى

فلـــم يألنـــا في كـــل حالاتـــه نـــصحا

وســـاق لنـــا تلـــك الفتـــوح التـــي تلـــت

عـــلى كـــل فـــتح ســـورة النـــصر والفتحـــا

وقـــام بـــأمر لم يقـــم فيـــه غـــيره

فـــأمن مـــن درب الهـــدى للـــورى سرحـــا

فللـــــه هـــــذا محربـــــاً ومـــــسالماً

فـــأوفى بعهـــد العقـــد أو عاقـــداً صـــلحا

عـــلى مجـــده المرفـــوع أثنـــت منـــاطقي

وقامـــت عـــلى عليـــاه باللغـــة الفـــصحى

وكـــان ســـقام الـــنظم مـــدحي لغـــيره

فلـــما أتـــى في مـــدح مفخـــره صـــحا

وفي بحـــر إطرائـــي عـــلى مجـــده الأ

ثيـــل قـــوافيَ فيهـــا الـــدر قـــد سـبَّحت ســـبحا

وخيـــل لـــه ترعـــى عـــراض صـــحائفي

ســـنابكها في صـــخرة قـــدحت قـــدحا

وإني قـــــد تـــــاجرت ربي بمدحـــــه

فكـــان ثـــوابي والنـــوال لي الربحـــا

وعـــارض هطـــل الجـــود كـــف محمـــد

عـــلى كـــل مستـــصف لـــه المـــدح قـــد ســـحا

ونفـــــس لـــــه كعبيـــــة حاتميـــــة

أرتنـــا النـــدى منـــه وغيبـــت الـــشحا

فقبحـــاً لـــذي نظـــم تطيـــق امتداحـــه

ولم يـــوف مـــدحاً في مفـــاخره قبحـــا[٣٣/ب]

أهنيـــك عيـــد الفطـــر يـــا خـــير مـــن مـــشى

ومـــن فـــاز مـــن بـــين الـــورى بـــالتقى قـــدحا

وفي حبـــه صرحـــت فكـــري لوصـــفه

فـــلا تظمـــأ الأفكـــار فيهـــا ولا تـــضحا

مؤيـــد ديـــن الله حـــزت عـــلى الـــورى

وخلفـــت في مـــسعاك ذا الغفـــر والنطحـــا

فهنيـــت ذا العيـــد الـــذي مـــر آنفـــاً

وعـــما قريـــب بعـــده يتبـــع الأضـــحى

وقال فيه -عليه السلام- وقد ناهز هذا السيد المائة السنة وكف بصره:

لـــــواء عظـــــيم للإمامـــــة يُعقـــــد

ومـــــن ذا بـــــه مـــــن آل أحمـــــد يُقـــــصدُ

ومـــــن ذا بـــــه يطـــــوى وينـــــشر ذكـــــره

ويحيـــــى ويـــــولي نـــــشره المتجـــــدد

فقـــالوا لنـــا هـــذا اللـــواء الـــذي نـــرى

عليـــه مـــن الإقبـــال والنـــصر أســـعد

بـــه خـــص ذو الفخـــر القـــديم ومـــن عـــلا

عـــلى المـــشتري وهـــو الإمـــام المؤبـــد

إمـــام لـــه في المجـــد والفخـــر مظهـــر

ومـــصدر عـــز في الكـــمال ومـــورد

إمـــام عليـــه حـــق أن ينـــشر اللـــواء

ويـــدنو لـــه العـــز المقـــيم المؤيـــد

ويخـــدم خـــدام الـــسعود ركابـــه

وتلـــك لـــه في كـــل مـــا رام أعبـــد

إذا لم يكـــن لي في الإمـــام قـــصائد

فـــلا تـــم لي في كـــل مـــا رمـــت مقـــصد

فـــإن لم تُغـــن في عـــلاه مـــدائحي

فـــلا كـــان لي الـــنظم المجيـــد المنـــضد

وإن أنـــا لم أكـــرم يراعـــي بمدحـــه

حروفـــاً عـــلى صـــدر البـــديع تمـــدد

وإن لم أكـــن في ذاك كـــابن نباتـــة

فقـــد شـــاقه الـــنظم المليـــك المؤيـــد

فـــلا ســـاعدتني فكـــرتي لنظامـــه

ولا لـــذ لي منـــه الـــشراب المـــبرد

شربـــت حـــمَيَّا وصـــفه فأنـــا الـــذي

بأوصـــافه في كـــل حـــين أعربـــد

وعمـــت ببحـــر مـــن مكارمـــه التـــي

عليهـــا قـــصيد المـــادحين تقـــصد

وأمـــا وقـــد مـــدت عليـــه ســـجوفها

وكـــان لـــه مـــن قـــدرة الله مـــسعد

فحـــتم علينـــا أن نقـــول وواجـــب

علينـــا عليـــه ذو البلاغـــة يـــسرد

نظمـــتَ بـــلاد الله صـــبيا ومكـــة

إلى عـــدن فيهـــا زبيـــد وسردد

ومـــا نظـــم تلـــك الأرض إلا لمـــن لـــه

وقـــائع منهـــا أكـــدر الحـــق أســـود[٣٤/أ]

تحـــاذره أســـد الـــشَّرا إن مـــضى بهـــا

ويـــصدع منهـــا صـــخرها وهـــي جلمـــد

يخـــاف القطـــا إن مـــا ســـطا ســـطواته

بهـــا وقلـــوب ينفطـــرن وأكبـــد

وكانـــت جبـــالاً مانعـــات عطاؤهـــا

ونيرانـــه عنـــد الخـــلاف توقـــد

فأضـــحت بـــه في الطـــوع قاعـــاً مصفـــصفاً

وبالقيـــد مـــن إذعانهـــا تتقيـــد

وســـلطانه صـــارت وكانـــت قبـــائلاً

عـــلى أهلهـــا شـــيطانهم يـــتردد

فلـــما رماهـــا بالمؤيـــد ربهـــا

بليـــث ومـــن فيـــه القـــصائد تنـــشد

بليـث الـشَّرا[1] نجـم الـسرا[2] مـن لـسيفه

رؤوس الأعـــادي في الوقـــائع أغمـــد

بـــصاعقه مـــن آل أحمـــد عزمـــه

لـــه ســـحب بالمـــشرفية ترعـــد

وإن نـــصبت هيجـــاء حـــرب بوادهـــا

فلـــيس لهـــا إلا الإمـــام محمـــد

وأول مـــن يـــصلى بجـــذوة نارهـــا

وفيهـــا لهيـــب بالظبـــاء[3] توقـــد

لـــه مـــشهد في كـــل يـــوم كريهـــة

وشـــاهدها الخطـــي والله يـــشهد

لقـــد ســـل ســـيفاً ذا الإمـــام مجـــرداً

ولله ســـــيف ســـــله ومهنـــــد

---

(١) الشرا: ركب شريا أي فرساً خياراً فائقاً (الشرى اسم منطقة تكثر فيها الأسود وإليها تنسب أسود الشرى).

(ابن منظور: لسان العرب، ج٧، ص١٠٤).

(٢) السرا: السَّرْوُ: المروءة والشرف السرو سخاء في مروة. وسَرَا يَسْرو سَرْواً.

(ابن منظور: لسان العرب، ج٦، ص٢٤٩).

(٣) الظبا: الظبة: حد السيف والسنان والنصل والخنجر وما أشبه ذلك. وجمعها الظّبى أي ظُبة السيف. (ابن منظور: لسان العرب، ج٨، ص٢٤٨).

فــلا زلــت تطــوي الأرض شرقــاً ومغربــاً

وســــــعدك فــــــيما بينهــــــا يــــــتردد

كحلــت عيــون الأرض بــالبيض والقنــا

ومـــــا كحلهـــــا إلا غبـــــار وإثمـــــد[1]

وللسيد الأديب عيسى بن لطف الله[2][3]:

العبـــــد وافى بالمقاصـــــد عـــــن يـــــد

وبعـــــز ملـــــك للإمـــــام الأوحـــــد

المالـــــك المتفـــــضل الـــــبر الـــــذي

أضـــــحت مودتـــــه نجـــــاة المهتـــــدي

مـــــن أبـــــرز الله النبـــــي محمـــــداً

في ذاتـــــــه فكأنـــــــه لم يفقـــــــد

---

(١) إثمد: يقال للرجل يجعل الليل إثمداً أي يسهر فيجعل سواد الليل لعينيه كالإثمد لأنه يسير الليل كله في طلب المعالي.
(ابن منظور: لسان العرب، ج٢، ص١٢٥). والإثمد هو الكحل.

(٢) عيسى بن لطف الله: بن المطهر بن الإمام شرف الدين اليماني الكوكباني. كان سيداً فاضلاً نجيباً عالماً تقياً له باع في علم النحو والمعاني والمنطق والبيان والتفسير وأصول الفقه وأصول الدين وكان على دراية بعلم النجوم وحركات الأفلاك وفي علم الطب يجيد الشعر وينظمه. له مصنف تاريخي سماه «روح الروح فيما حدث بعد المائة التاسعة من الفتن والفتوح». واختص به الوالي محمد باشا، وصنف النفحة اليمنية في الدولة المحمدية.
وله قصيدة كتبها للإمام القاسم بن محمد يتنصل فيها عما ينسب إليه من تفضيله للدولة التركية على الدولة القاسمية. ومطلعها:
ما شاقني سجع الحمامة سحراً ولا برق الغمامة
توفي سنة ١٠٤٨هـ/ ١٦٣٨م في عهد الإمام محمد بن القاسم.
(عامر بن محمد: بغية المريد، مخطوط، ق٨٦؛ حفيد عيسى بن لطف الله: روح الروح، مخطوط، ج٣، ق٢٤؛ الشوكاني: البدر الطالع، الجزء الثاني، ص٥١٦؛ مطلع البدور: ابن أبي الرجال، مخطوط، ج٣، ق٢٢١؛ يحيى بن الحسين: بهجة الزمن، ج١، ص١٤٣، تحقيق أمة الغفور الأمير).

(٣) زيادة في (ب): بن مطهر بن الإمام شرف الدين.

وبـــه أقـــام الـــدين ديـــن المـــصطفى

فـــسمت قواعـــده ســـمو الفرقـــد

قـــد طهـــر القطـــر الـــيماني ســـيفه

وغـــدا لأربـــاب الجحـــود بمرصـــد

فاســـأل زبيـــد ومـــا عنـــى آفاقهـــا

مـــن بـــأس جـــيش كالخـــضم المزبـــد

أقـــسم بطلعتـــه ونـــور جبينـــه

وبفخـــره المتـــضاعف المتعـــدد

مـــا في بنـــي الـــسبطين طـــراً مثلـــه

فهـــو المجاهـــد للعـــدو المعتـــدي[٣٤/ب]

نـــادى بقـــادات لآل مطهـــر

ســـلفت وللحـــسن الإمـــام الأمجـــد

فغـــدت صـــوارمه تنـــوش عداتـــه

نـــوش النـــسور طـــريح قـــاع فدفـــد

والـــدهر قـــد نـــادى جهـــاراً مفـــصحاً

بمقالـــة تـــصمي قلـــوب الحـــسد

إن الإمامـــة والخلافـــة والعـــلا

لمحمـــد بـــن القاســـم بـــن محمـــد

فأعـــــده في الأعيـــــاد يـــــا ذا الكبريـــــا

وأقـــــم بـــــه يـــــا رب ملـــــة أحمـــــد

وامـــــنن عـــــلي إلى ربـــــاه بعـــــودة

محمـــــودة حتـــــى أفـــــوز بمقـــــصد

وعليـــه صلـــى الله طـــول الـــدهر مـــا

ســـجدت جبـــاه للـــصلاة بمـــسجد

وهذه قصيدة قالها غفير وهو رجل معروف، كان من خواص السيد عامر بن علي[1] قدس الله روحه، ثم ارتد إلى الأتراك وظهرت منه نفثات في الإمام القاسم عليه السلام ــ وتعذر على الإمام ـ عليه السلام ـ إهراق دمه بعد أن بالغ فلم يظفر به لملاذه بالأتراك[2]، ثم رجع إلى الإمام المؤيد ـ عليه السلام ـ وذكرنا قصيدته[3]؛ لأنها تضمنت ذكر كثير من الوقائع في الترك وهي هذه:

بـــــدأت نظـــــامي بالإمـــــام المؤيـــــد

وكـــــررت قـــــولي بالمقـــــام المحمـــــدي

وأرســـــلته بـــــالزهر والزهـــــر أســـــطراً

عـــلى وجـــه طـــرس مـــن لجـــين وعـــسجد

---

(١) السيد عامر بن علي: هو عم الإمام القاسم بن محمد، كان شجاعاً فاتكاً، حسن الشمائل كثير الفضائل، أقبل في سني شيبته على الانكباب على العلوم وقرأ جميع علوم الطلب في عصره. عاصر الإمام القاسم وقاد الجيوش وشارك في الحروب وبذل الأموال وقد أسره الأتراك وتم سلخه ودفنه في سنة ١٠٠٨هـ/ ١٥٩٩م في بني صريم من خمر.

(الجرموزي: النبذة المشيرة، ق٤٥-١٨٣؛ عامر بن محمد: البغية، ق٣١-٦٣).

(٢) زيادة في (ب): الظلمة.

(٣) زيادة في (ب): أحببنا نقلها.

يقـــــول إذا ضـــــاع المقـــــال فإنـــــه

يـــضوع بعـــرف العنـــبر الرطـــب في اليـــد

خـــــدمت أمـــــير المـــــؤمنين بحبـــــه

كقطـــر النـــدى في قلـــب كـــل موحـــد

وأخـــــبره أني خرجـــــت بـــــصبيتي

إلى حلـــــــة فيحـــــــا وصرح ممـــــــرد

لـــدى البحـــر مولانـــا الحـــسين[1] الـــذي بـــه

جهابـــــذة الإســـــلام تحمـــــي وتهتـــــدي

منيـــف اللـــوا صـــافي الـــولا شرف المـــلا

وأزكـــــى الملـــــوك الهاشـــــمية عـــــن يـــــد

حكـــى المـــلأ الأعـــلى بلطـــف وشـــيمة

ورجـــح أهـــل الأرض في كـــل مـــشهد

سروري حبـــــوري وقفـــــة في مقامـــــه

ورؤيتـــــه أنـــــسي وقـــــدسي ومقـــــصدي

أفـــاض عـــلي الفـــضل مـــن كـــل وجهـــة

فقـــام بـــه جـــاهي وأثـــرت بـــه يـــدي[٣٥/أ]

وعـــزه المـــولى الـــصفي الـــذي صـــفت

بـــــه طيبـــــات الحامـــــدين لأحمـــــد

---

(١) الحسين بن القاسم: وقد وردت له ترجمة وسيرة في الدراسة.

فهـــا أنـــا في عـــز وجـــاه ونعمـــة

ينيـــف عـــلى قـــرن المجـــرة فرقـــدي

ومـــا يزيـــد العـــز والنـــصر والهـــدى

نظـــام القـــوافي والثنـــا في محمـــد

مؤيـــد ديـــن الله خـــير خليفـــة

يعيـــد الأمـــور الـــصالحات ويبتـــدي

فـــصيح بليـــغ مـــاهر مـــتكلم

أحاديثـــه تـــروى فـــيروى بهـــا الـــصدي

فرائـــدها كـــاللؤلؤ الرطـــب أصـــبحت

كعقـــد عـــلى جيـــد الوجـــود منـــضد

حـــوى مـــا حـــوى المنـــصور[1] وازداد بـــسطة

إلى حلـــب القـــص ومـــصر وصرحـــد

وفي الـــيمن الفـــتح المبـــين بيمنـــه

تـــأتَّى بـــسعد لا بجنـــد مجنـــد

فـــأول فـــتح يـــوم عـــصمان والعـــدى

بـــلا عاصـــم مـــن رمحـــه والمهنـــد

---

(١) الإمام المنصور القاسم بن محمد ولد في ١٢ صفر ٩٦٧هـ/ ١٣ نوفمبر ١٥٥٩م. دعا لنفسه بالإمامة في صفر سنة ١٠٠٦هـ/ سبتمبر ١٥٩٧م، حارب الأتراك وكانت له أربع مراحل في ثورته تلك حتى وفاته في ١٢ ربيع الأول سنة ١٠٢٩هـ/ ١٦ نوفمبر ١٦٢٠م. وله سيرة مفصلة سجلها المؤرخ الجرموزي تسمى النبذة المشيرة.

ويــوم عجيــب[1] فيــه طاشــت ومزقــت

وطاحــت كــماة الــروم في كــل مرصــد

وفي الحيمــــة[2] الغنــــاء يــــا رب وقعــــة

مــن القــد قــدت كــل درع مــصرد[3]

وفي مفحــق[4] أخــرى وفي ســلف ريمــة[5]

طيــور الــسما حامــت عــلى كــل ملحــد

وســهمان كــم مــن وقعــة يــوم متنــة[6]

تــروح عــلى مــر الزمــان وتغتــدي

وفــتح ثــلا[7] في ســاعة قرنــت بهــا

بــــروج أمــــير المــــؤمنين بأســــعد

---

(١) يوم عجيب: هي معركة في نقيل عجيب بالقرب من خمر بقيادة أحمد بن عواض في عهد الإمام القاسم بن محمد وفي السنة الأولى من قيامه. (الجرموزي: النبذة المشيرة، مخطوط، ق١٠٨).

(٢) الحيمة: هما الحيمة الداخلية والحيمة الخارجية ناحيتان من بلاد حراز، غرب مدينة صنعاء وضمن محافظة صنعاء. (الحجري: المجموع، المجلد الأول، ص٣٠٢).

(٣) مصرد: صرد والصرد البرد وقيل شدته صَرِدَ من قوم صردى. والصرد مكان مرتفع من الجبال وهو أبردها. والمصراد القوي على البرد. (ابن منظور: لسان العرب، ج٧، ص٣١٨).

(٤) مفحق: بلد وحصن في ناحية الحيمة الخارجية في حراز.

(الحجري: المجموع، المجلد الثاني، ص٧١٥).

(٥) سلف ريمة: هي ريمة الأشابط إقليم واسع وجبلي، يقع جنوب غرب صنعاء. وتشمل جبل الجبي والسلفية والجعفرية وكُسمة وبلاد الطعام، وريمة الأشابط من أشهر جبال اليمن خصباً وغزارة وهي متصلة ببلاد وصاب وجبال بُرع. والمقصود هنا بسلف ريمة أي في قرية السلفية.

(المقحفي: معجم البلدان، ج١، ص٧٢٣؛ الحجري: المجموع، مجلد١، ص٣٧٧).

(٦) متنة: قرية في حقل سهمان في ناحية بلاد البستان أي على الطريق في خط صنعاء الحديدة، وهي مركز تجاري وإداري لقبائل بني مطر. (المقحفي: المعجم، ج٢، ص١٣٩٧).

(٧) ثِلاَ: أو ثُلا: مدينة وحصن شمال غرب صنعاء بمسافة ٤٥ كيلو، بها مساجد عامرة بالعلماء وتنساب إليها ينابيع المياه العذبة. وهي أطيب هواء وماء وتربة. ويحتضن مدينة ثلا من جهة الغرب حصنها الشاهق ويبلغ ارتفاعه حوالي ٣٠٠٠متر عن سطح البحر، ويشتهر بمناعته وعلوه، واتخذه المطهر بن الإمام شرف الدين حصناً من هجمات العثمانيين. (المقحفي: المعجم، ج١، ص٢٥٨).

وفي مـــدع[1] قـــوم بيـــوم تـــسوروا

إلى قنـــة الحـــصن المنيـــع المـــشيد

وكـــم في بنـــي الخيـــاط[2] يـــوم لعـــامر[3]

أتـــى ســـيفه المـــاضي عـــلى كـــل مفـــسد

ويـــوم بغـــاش[4] في ســـنان[5] بـــه الـــدما

جـــرت بـــين أمطـــار كمـــور وسردد[6]

ودارت عـــلى أســـناف[7] دائـــرة الـــردى

عـــلى مغـــور مـــن قـــوم صـــنعاء ومنجـــد

فداســـتهم الأبطـــال فيهـــا فلـــم تـــدع

بتلـــك المبـــاني غـــير جمـــع مبـــدد

---

(١) مُدَعْ: حصن وقرية في جبل المصانع بالجهة الغربية الشمالية من مدينة ثلا.
(المقحفي: المعجم، ج٢، ص١٤٦٤).

(٢) بني الخياط: مركز إداري في مديرية الطويلة في محافظة المحويت. (المقحفي: المعجم، ج١، ص٥٨٩).

(٣) عامر: المقصود به عامر بن علي عم الإمام القاسم وأحد قادته وقد سبق ترجمته.

(٤) بُغاش: اسم معركة من معارك الإمام المؤيد محمد.

(٥) سنان باشا: قائد الحملة العثمانية الثانية إلى اليمن ١٥٦٩م، وكان قد سبق له قيادة الحملات العثمانية في عهد المطهر بن الإمام شرف الدين.

(٦) مور وسردد: من الأودية المائية الدائمة فسردد في الطريق من الحديدة إلى صنعاء في شمال باجل في قضاء الزيدية. ووادي مور شمال غرب حجة ويفصل بين حجة وجبال الشرفين. وهي من الأودية المائية الدائمة التي يعتمد عليها المزارعون طوال السنة، وتفيض هذه الوديان في موسم الأمطار الغزيرة. (الويسي: اليمن الكبرى، ص١٢٢،١١٢).

(٧) أسناف: السناف الحبل الذي يشد حقب البعير إلى تصديره وهو الحزام وقيل اسنفوا أمرهم أي أحكموه. (ابن منظور: لسان العرب، ج٦، ص٣٩٢). وأسناف معناها هنا اسم منطقة في اليمن.

ويــوم بنجــد الــسلف مــن أرض يــافع[1]

رواجفـــــــه كالعـــــــارض المـــــــتردد

وطرمـــوش والـــصديق صـــار إلى الـــردى

بـــأرض يـــريم[2] بالحـــسام المجـــرد

وفي القَوْعَـــةِ[3] انثالـــت وبـــادت قرومهـــا

بـــضرب يقـــص النحـــر مـــن كـــل جلمـــد

وفي صـــعدة[4] يـــوم الحـــضابر أحـــصدت

بـــه كـــل يـــوم مـــن مـــسود وســـيد

وأودت برســـــــــتام المنيـــــــــة أولاً

بأقوامـــــه الكـــــبرى ووفـــــت بأحمـــــد

[٣٥ب] وفي هجـــــر الأهنـــــوم في أمـــــرائهم

مـــــضوا بـــــين مقتـــــول بهـــــا ومـــــصفد

---

(١) يافع: قبيلة مشهورة بين الضالع ولحج في منطقة سرو حمير وهي منطقة جبلية صخرية صلبة وتعتبر من أعلى المناطق في المحافظات الجنوبية والشرقية. ويافع هي اتحاد قبائل كثيرة حين كانت مقسمة إلى سلطنتين قديماً وهي سلطنة العفيفي وسلطنة بني هدهده. وكل فرع يحتوي على مجموعة من القبائل وعدد من البيوتات والعشائر. (المقحفي: المعجم، ج٢، ص١٨٩٤).

(٢) يريم: مدينة في قاع الحقل ما بين ذمار وإب وهي مدينة مشهورة تقع ما بين جبلين يوجد بها كثير من المعالم الأثرية. وأشهر مدنها يريم والقفر والسد. (الويسي: اليمن الكبرى، ص٦٥؛ المقحفي: المعجم، ج٢، ص١٩٠٦؛ الحجري: المجموع، ج٢، ص٧٧٩).

(٣) القوعة: لعلها القويعة، وهي قرية في الجانب اليماني من مديرية الشاهل في محافظة حجة.

(المقحفي: المعجم، ج ، ص١٣٠٦).

(٤) صعدة: مدينة تاريخية تقع جنوب شرق قاع الصحن، ويحيط بمدينة صعدة سور منيع قديم ورائع ذو أربعة أبواب وهي باب السلام، باب اليمن، باب نجران، وباب المنصورة. وفي صعدة مساجد أثرية قديمة أكبرها مسجد الإمام الهادي يحيى بن الحسين. وتتكون محافظة صعدة من خمسة أقسام همدان صعدة ومركزها كتاف، وسحار وخولان بن عامر وجُماعه ورازح.

(المقحفي: المعجم، ج١، ص٩٠٧؛ الحجري: المجموع، ج٢، ص٤٦٧؛ الويسي: اليمن الكبرى، ص١٢٧).

حـــسابهم في الـــضبط يـــصعب ضـــبطه

ولكنهـــــا مـــــن معجـــــزات محمـــــد

وفي الفـــائش[1] الـــترك بـــادوا ومزقـــوا

وطاشـــــوا كـــــأفراد النظـــــام المـــــشرد

إلى ظفـــــر فيـــــه الجنـــــود تظفـــــرت

بفـــــتح وتمكـــــين وســـــعد مجـــــدد

ونحـــو ذراع الكلـــب[2] كـــم حـــشد العـــدى

فأضـــــحوا وأمـــــسوا في مقـــــيم ومقعـــــد

وطاشـــــوا عـــــلى أوجـــــاههم بعـــــد مـــــدة

إلى أقـــــرب مـــــن كـــــل حـــــي وأبعـــــد

وأروامهـــــــم والـــــــتركمان بريمـــــــة

لرعـــــي الـــــسها بـــــاتوا بطـــــرف مـــــسهد

زبـــــارطهم والخيـــــل في الليـــــل فرقـــــت

وبعثـــــرت الأقـــــوام مـــــن كـــــل مرقـــــد

وعـــــن كوكبـــــان كوكـــــب الـــــروم آفـــــل

وعنوانـــــــه قـــــــد لاح في يـــــــوم أنـــــــود

---

(١) الفائش: بطن من همدان حول مدينة خمر في حاشد وهناك حصن الفائش في حاشد بالقرب من غُربان.

(المقحفي: المعجم، ج٢، ص١١٩٩).

(٢) ذراع الكلب: في بلاد الحداء.

(المقحفي: المعجم، ج١، ص٦٤٦).

إلى صـــفر [1] أعطـــى ثـــلا يـــوم ثالـــث

وراح برايـــــــــات ورأي مـــــــــسدد

وعـــــن عمـــــران ذادت القـــــوم قومـــــه

فمـــــن عـــــزه طـــــال النـــــداء بالتـــــشهد

إلى أرض همـــــــدان [2] إلى أرض حـــــــدة [3]

إلى موضـــع الـــروض [4] الأريـــض الممهـــد

---

(١) الأمير صفر: أحد القادة العثمانيين الذي حارب الإمام القاسم بن محمد، وفي عهد الإمام المؤيد استسلم وانضم لمعسكر الإمامة. وقد سبق ذكر بعض أخباره في الدراسة السابقة لهذه السيرة.

(٢) همدان: أشهر قبائل اليمن. وقد خصص الهمداني الجزء العاشر من الإكليل لأنساب همدان، ويتردد ذكر همدان في النقوش المسندية ابتداء من مطلع القرن الأول للميلاد، وبنو همدان في تلك الفترة –فترة ملوك سبأ وذي ريدان– هم أحد البيوت القيلية الحاكمة في المرتفعات الشمالية لليمن، وقد كانوا أقيالاً أي أمراء للشعب أي حاشد. أما شعب بكيل فكانوا يؤلفون منها ربع ذي عمران ربع ذي ريدة، وربع هجر شبام (كوكبان). ولعبت قبائل همدان أي شعوب سبأ وذي ريدان من خلال القرون الأولى للميلاد، من القرن الثاني للميلاد أصبحت التحالفات بين الأسر القيلية هي السمة المميزة للتطور السياسي والاجتماعي في مناطق الهضبة اليمنية. واليوم تقع أراضي القبائل الهمدانية (حاشد وبكيل، في المنطقة الممتدة من شمال صنعاء حتى صعدة وما بين الجوف شرقاً وتهامة غرباً. وهمدان صنعاء تتكون من جشم ووادعة وبنو مكرم. ومن قراها حاز الحقه وخلقه وطوضان وجربان الجايف والعرة وبيت نعم ومدام الخطاب وضروان إلى جانب مدينة حاز الأثربة وفيها يقع وادي ضهر ووادي ضلع.

(د/ علي محمد الصليحي: مقال في الموسوعة اليمنية، ج٢، ص٩٨٤؛ الحجري: المجموع، مجلد٢، ص٧٥٩).

(٣) حَدَّة: قرية تبعد عن صنعاء بحوالي ٥كم إلى الجنوب الغربي كانت إحدى منتزهات صنعاء الأكثر شهرة وكان بها غيل يسمى غيل حُميس وماجل (بركة ماء كبيرة) يملأ بماء الغيل ثم يوزع على الأشجار والمزارع. تقع القرية على أكمة واسعة تتصاعد على جوانبها المدرجات المزروعة بأشجار اللوز والبرقوق بالإضافة إلى مزارع الحبوب الواقعة في القاع، كانت حدة عامرة بالأشجار المثمرة، وغيلها جاري طوال السنة. وكان بها طاحون كبير للغلال يعمل بقوة الدفع ولا يزال أثره قائماً لكن الغيل كاد ينضب تماماً وجف ماؤه في أوقات كثيرة من السنة وجفت الأشجار التي في حدة. وقد أصبحت حدة وقيعانها ضمن أحياء صنعاء الحديثة وطغى عليها العمران ولم يبق من حدة المثمرة ذات الأشجار المعمرة إلا القليل جداً في أقصى زاوية الجبل من قرية حدة.

ويحمل اسم حدة عدد من القرى والعزل منها حدة في عزلة وادي الحارم بني قيس، وعزلة في عود بناحية النادرة قضاء يريم، وحدة غليس من قرى جبل حجاج في السدة، وحدة قرية في جبل صبر المطل على تعز.

(أحمد قائد بركات: الموسوعة اليمنية، ج١، ص٣٥٤؛ الحجري: المجموع، مج١، ص٢٥١).

(٤) الروض: المقصود بها الروضة خارج صنعاء شمالاً، وإحدى منتزهاتها سابقاً وأصبحت الآن جزءاً من صنعاء لامتداد العمران إليها. وقد سبق ترجمتها.

أقـــاموا عـــلى صـــنعا فـــأخلوا ربوعهـــا

وحلـــــوا حماهـــــا بالحطـــــاط المؤبـــــد

منيـــع الحمـــى مـــروي الظـــما قمـــر الـــسما

بعليـــــاه يحمـــــي كـــــل حـــــي وفدفـــــد

ويـــــستنزل الأمـــــلاك في فلـــــك الـــــسما

بـــــسعد وجـــــد لم يـــــزل في تجـــــدد

لإنـــــسان عـــــين الـــــدهر تـــــرب نعالـــــه

إذا عمـــــشت صـــــفَّى قـــــذاها كإثمـــــد

وتهتـــــال أنـــــوار الهـــــدى مـــــن جبينـــــه

عـــــلى قـــــاطن في كـــــل ســـــهل ومـــــصعد

أفـــــاض علينـــــا الله مـــــن بركاتـــــه

وفيّ العطايـــــا والنـــــصيب المزيـــــد

بعثـــــت إليـــــه مـــــن بـــــديع فرائـــــدي

بكـــــل نظـــــام مطلـــــق ومقيـــــد

رجـــــاء لفـــــضل مـــــن نـــــوال ودعـــــوة

عـــــلى ســـــابق العهـــــد القـــــديم المؤكـــــد

وأطلبـــــه الإقبـــــال والبـــــشر والرضـــــا

وأســـــأله الإعـــــراض عـــــن قـــــول حـــــسّد

فكـــم بعـــث المـــولى إلى واصـــل عطـــا[1]

وأعطـــى الكـــسائي[2] تحفـــة للمـــبرد

وســـاق الحريـــري[3] للمعـــريَ[4] إذ بـــه

تجيـــد المعـــاني في القـــوافي ويحتـــدي

وبالـــذهبيِّ[5] المتقـــى جـــاد كفـــه

لـــسهل فـــأثرى واســـتفاد بأحمـــد

رعـــى الله مولانـــا الـــذي كـــل مـــؤمن

بـــه يهتـــدي في الـــصالحات ويقتـــدي

إمـــام البرايـــا خـــير مـــن مـــلأ الملـــا

بعلـــم وبرهـــان وفـــضل وســـؤدد

وفـــاتح صـــنعا والـــبلاد بأسرهـــا

بجمـــع كثيـــف مـــن مثنـــى ومفـــرد

---

(١) واصل بن عطاء: (٨٠-١٣١هـ/ ٧٠٠-٧٤٨م) الغزال أبو حذيفة من موالي بني ضبة أو بني مخزوم رأس المعتزلة ومن أئمة البلغاء والمتكلمين، سمي أصحابه بالمعتزلة لاعتزاله حلقة درس الحسن البصري. وهو الذي نشر مذهب الاعتزال في الآفاق. وكان ممن بايع لمحمد بن عبد الله بن الحسن على أهل الجور. له تصانيف منها (أصناف المرجئة) و(المنزلة بين المنزلتين) و(معاني القرآن) و(طبقات أهل العلم والجهل) و(السبيل إلى معرفة الحق) و(التوبة).
(الزركلي: الأعلام، المجلد الثامن، ص١٠٨).

(٢) الكسائي (....-١٨٩هـ/ ....-٨٠٥م): علي بن حمزة بن عبد الله الأسدي بالولاء الكوفي، أبو الحسن. إمام اللغة والنحو والقراءة من أهل الكوفة تعلم بها وتنقل في البادية وسكن بغداد وتوفي بالري عن سبعين عاماً، وهو مؤدب الرشيد العباسي وابنه الأمين. كان أثيراً عند الخليفة حتى أخرج من طبقة المؤدبين إلى طبقة الجلساء والمؤانسين. له تصانيف منها (معاني القرآن) و(المصادر) و(الحروف) و(القراءات) و(النوادر) و(مختصر في النحو) و(المتشابه في القرآن) و(ما يلحق فيه العوام).
(الزركلي: الأعلام، المجلد الرابع، ص٢٨٣).

(٣) الحريري (٤٤٦-٥١٦هـ/ ١٠٥٤-١١٢٢م): القاسم بن علي بن محمد بن عثمان، أبو محمد الحريري البصري. الأديب الكبير صاحب (المقامات الحريرية) سماه (مقامات أبي زيد السروجي). كان دميم الصورة، غزير العلم، مولده بالبصرة ووفاته. من تصانيفه (درة الغواص في أوهام الخواص) و(ملحة الإعراب) و(صدور زمان الفتور، وفتور زمان الصدور) في التاريخ. وتوشيح البيان نقل عنه الغزالي، وله ديوان شعر و(ديوان رسائل). (الزركلي: الأعلام، المجلد الخامس، ص١٧٧).

(٤) المعري: أبو العلاء المعري (٣٦٣-٤٤٩هـ/ ٩٧٣-١٠٥٧م) هو أحمد بن عبد الله بن سليمان التنوخي المعري: شاعر فيلسوف. ولد ومات في معرة النعمان. كان نحيف الجسم، أصيب بالجدري صغيراً فعمي في السنة الرابعة من عمره. وقال الشعر وهو ابن إحدى عشر سنة. أما شعره وهو ديوان حكمته وفلسفته فقد قسم إلى ثلاثة أقسام (لزوم ما لا يلزم ويعرف باللزوميات. وسقط الزند، وضوء السقط. وكتبه كثيرة وعديدة أهمها (رسالة الغفران). (الزركلي: الأعلام، المجلد الأول، ص١٥٧).

(٥) الذهبي: (٦٧٣-٧٤٨هـ/ ١٢٧٤-١٣٤٨م) سبق ترجمته.

إلى مكـــةَ ســـارت سرايـــاه في الفـــلا

بـــرب كمـــي في الحديـــد مـــزرد

ســيجمع أرض العجـــم والعـــرب كلهـــا

بإعـــدام أعـــدائي وإرغـــام حـــسد

ويخطـــب في مـــصر وبغـــداد والحـــسا[1]

ومـــا فوقهـــا أو دونهـــا للمؤيـــد

ويـــضحى لـــسان الحـــال يجـــري مثالـــه

عـــلى كـــل مُـــنْش في الـــبلاد ومنـــشد

بتلـــك وهـــذا فانْـــهِ يومـــك كلـــه

وعنهـــا فـــسل لا تـــسأل النـــاس عـــن غـــد

[ســتبدي لـــك الأيـــام مـــا كنـــت جـــاهلاً

ويأتيـــك بالأخبـــار مـــن لم تـــزود][2]

تـــرى العـــرب العربـــا والعجـــم التـــي

نـــأى قطرهـــا الممتـــد في ســـيره المـــدي

تظـــل حيـــارى حـــول ســـدة ملكـــه

وكـــم أصـــدروا مـــن بابـــه بعـــد مـــورد

---

(١) الحسا: هي الإحساء: المنطقة الشرقية من المملكة العربية السعودية بين الكويت وقطر قاعدتها الدمام. ومن مدنها الهفوف، القطيف، الخُبر، المبرز، الظهران، رأس تنورة، جُبيل. وبها واحات مشهورة وتمور وفواكه إلى جانب حقول النفط المختلفة. (المنجد في الأعلام، ص٢٨، الطبعة التاسعة عشر ١٩٩٢).

(٢) هذا البيت للشاعر طرفة بن العبد: كتاب الأغاني أبو الفرج الأصفهاني، ج٢، ص١٦٦.

تـــــراهم كـــــأفواج الحجـــــيج إذا أتـــــوا

بـــــــشوق وإخـــــــلاص وود مؤكـــــــد

فـــما القـــوم إلا بـــين ســـاع وطـــائف

وبـــين ركـــوع في المقـــام وســـجد

يـــذوقون أخبـــار المؤيـــد في النهـــى

ألـــذ وأشـــهى مـــن شراب مقنـــد

ويبـــدو عـــلى جيـــد الوجـــود نظامهـــا

كـــأقراط تـــبر في ســـموط زبرجـــد

مزايـــاه كـــالروض الأريـــض الـــذي زهـــا

عـــلى زهـــره منثـــور طـــل مـــسدد

علـــيم بـــأسرار الغيـــوب بـــما جـــرى

مـــن الإرث مـــن سر الحبيـــب المحمـــدي

ومـــن حيـــدر[1] والآل مـــن خلفـــائهم

وكـــــــل ولي مـــــــنهم متزهـــــــد

---

(١) حيدر: أو حيدرة هو من الألقاب التي سمي بها الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه في الجنة. وقد ذكر أن أم علي فاطمة بنت أسد لما ولدته سمته أسداً فلما قدم أبو طالب كره ذلك وسمّاه علياً. وحيدرة من أسماء الأسد وقد ارتجز علي ببيت من الشعر بقوله:

أنا الذي سمتني أمي حيدره كليث غابات شديد قسوره

(شرف الدين الحسين بن بدر الدين: كتاب ينابيع النصيحة في العقائد الصحيحة، ص٣٢٥).

عليـــه ســـلام الله مـــا هـــتن[1] الحيـــا

عـــلى كـــل ســـفح مـــن زرود وثهمـــد

ومهـــما كـــسا روض الرصـــيني ســـندس

وزان محيـــــــاه بخـــــــد مـــــــورد

وكلـــــل تيجـــــان العـــــلا بـــــشذوره

وطابـــت بـــه الأخبـــار في كـــل مـــسند

ورود الـــشريف المالـــك الملـــك الـــذي

أنـــاف بفـــرع طـــاب في خـــير محتـــد

غيـــاث الـــورى ســـامي الـــذرى خـــير محـــسن

بإحـــسانه أربـــى عـــلى كـــل أمجـــد

مليـــك مقامـــات الخليـــل ومـــا حـــوى

حماهـــا وأحفـــى مـــن ولي ومرشـــد

تمكـــن في أرض الحجـــازين ملكـــه

وصـــال بنـــصل شـــاهر غـــير مغمـــد

لـــيهن أمـــير المـــؤمنين قدومـــه

إليـــه بـــآلاء غَـــوادٍ وعُـــوَّد

---

(١) هتن: هَتَنت السماء تَهْتِن هتناً وهُتوناً وهِتناناً وتهاتنت: صَبَّتْ، وقيل: هو من المطر فوق الهطل. وقيل: الهتان المطر الضعيف الدائم ومطر هتون هطول.

(ابن منظور: لسان العرب، ج١٥، ص٢٧).

ولا زال نـــور الوصـــل والفـــضل والهنـــا

يزورونـــه مـــن غـــير قـــصد وموعـــد

ومـــن فـــضل مولانـــا الإمـــام الـــذي غـــدا

يـــضاهي حميـــد المعجـــزات كأحمـــد

بـــشهر ربيـــع جـــاءه رجـــب الـــذي

فـــــضائله لا تنقـــــضي بالتعـــــدد

ولا في ملـــوك الـــروم والفـــرس شـــبهه

ولا مثلـــــه في بأســـــه والتجلـــــد

وفي رجـــب قـــد جـــاءه صـــفر فـــما

أسر وأســـــنى وجهـــــه بـــــالتودد

هزبـــر اللقـــا إن صـــال في حومـــة الـــوغى

عـــلى كـــل جـــرداء الأديـــم وأمـــرد

حمـــــى الله مولانـــــا الإمـــــام وزاده

هنـــــاءً بإقبـــــال البريـــــة عـــــن يـــــد

ولا زال في عـــــز ونـــــصر ورفعـــــة

يعـــــم البرايـــــا بـــــالنعيم المـــــسرمد

مـــدى الـــدهر مـــا غنـــت مطوقـــة اللـــوى

وثنـــت عـــلى غـــصن مـــن البـــان أملـــد

وأزكـــــى صـــــلاة الله ثـــــم ســـــلامه

عـــلى مـــن زكـــى في منـــشئ بعـــد مولـــد

محمـــــــد المختـــــــار والآل إنهـــــــم

بهـــم نهتـــدي في الـــصالحات ونقتـــدي

فصـل

في ذكر عيون العلماء في وقته -صلوات الله عليه- القائلين بإمامته وهم طبقتان كما تقدم في سيرة والده-عليه السلام-:

الطبقة الأولى:

الأولى الذين عاصروه من أصحاب أبيه ومن في طبقتهم، وقد تقدم ذكرهم ونسبهم وبعض من شريف خلالهم في سيرة والده الإمام المنصور بالله[1] -عليه السلام-، وإعادة ذكرهم هنا لشهادتهم بإمامته واستنادهم إلى ولايته.

الطبقة الثانية:

والطبقة الثانية الذين فقهوا في زمانه، وانتشر فضلهم وعلمهم في أوانه من أهل البيت- عليهم السلام- وشيعتهم رضي الله عنهم.

منهم: أخوه الأكبر[2]، وشقيقه الأفخر[3]، الملك العادل المظفر، صاحب العلم الأوفر، والجهاد الأشهر، سيف الإسلام وشرفه الهمام، الحسن بن أمير المؤمنين المنصور بالله عليه وعلى آبائه أفضل السلام وقد تقدم**[٣٧/أ]**.

ومنهم مولانا السيد الإمام العلامة المجتهد الفهامة، جامع فضيلتي العلم والجهاد مع المنصب الذي يطاول السبع الشداد، شرف الدين الحسين بن أمير المؤمنين المنصور بالله القاسم بن محمد- صلوات الله عليه- معروف علمه، ظاهر اجتهاده، معتمد مصنفاته؛

---

(١) وتسمى النبذة المشيرة في جمل من عيون السيرة لمؤرخنا الجرموزي.

(٢) ليست في (ب):

(٣) ليست في (ب):

ومناقبه أكثر من أن تُعد، وفي سيرة أبيه وأخيه- صلوات الله عليهما- إشارة إلى جمهورها وقد تقدم.

ومنهم السيد الإمام العلامة البحر[1]، تاج العلماء والصدر شيخ العترة أمير الدين ابن عبد الله بن نهشل بن مطهر بن أحمد بن عبد الله بن عز الدين بن محمد بن إبراهيم ابن الإمام المظلل بالغمام[2]، وقد تقدم رحمة الله عليه.

ومنهم السيد العلامة الزاهد، الفاضل العابد، شيبة الحمد، وعالي المجد، صلاح الدين صالح بن عبد الله الغرباني[3] رحمه الله، وقد تقدم في أصحاب أبيه.

ومنهم السيد العلامة الفاضل، كثير الفواضل والفضائل، عز الدين محمد بن علي بن عبد الله بن عشيش الحسيني الحوثي[4] وقد تقدم[5].

ومنهم السيد الجليل المجاهد النبيل العلامة فخر الدين عبد الله بن محمد المحرابي[6] وقد تقدم أيضاً.

---

(١) ليست في (ب)، وجاءت ترجمته متأخرة بعد الغرباني.

(٢) أمير الدين ابن عبد الله بن نهشل: من علماء عصر الإمام القاسم وولده الإمام المؤيد محمد، كان من أشهر علماء عصره قرأ جُل علوم عصره على يد السيد العلامة أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إبراهيم الوزير وأجازه إجازة عامة. عاصر الإمام القاسم بن محمد وبايعه ولازمه في أوقات كثيرة عمل بالتدريس في حوث. وقد أخذ عنه جُل علماء عصره. توفي بعد وفاة الإمام القاسم بأشهر أي سنة ١٠٢٩هـ/ ١٦١٩م وقبل قيام الإمام القاسم كان قد عاصر وساند وحارب مع الإمام الحسن بن علي المؤيدي في ظفير حجة. (الجرموزي: النبذة المشيرة، ق٤٤؛ إبراهيم بن القاسم: طبقات الزيدية، ج١، ص٢٥٧؛ زبارة: جامع المتون، ص١٠٨).

(٣) صلاح الدين صالح بن عبد الله الغرباني. لم أجد له ترجمة فيما بين المصادر التي بين يدي.

(٤) محمد بن علي بن عبد الله بن عشيش الحوثي: توفي بهجرة حوث في صفر ١٠٣٢هـ/ ديسمبر١٦٢٢م، من نسل الإمام يحيى بن حمزة، عُرف بالفضل والعلم والزهد.
(زبارة: خلاصة المتون، ص١٠٦).

(٥) ليس في (أ): ومنهم السيد العلامة المتأخر جمال الدين علي بن إبراهيم الحيداني، القاسمي وقد تقدم.

(٦) فخر الدين عبد الله بن محمد المحرابي: فخر الدين هو لقب تعارف عليه اليمنيون لكل من كان اسمه عبد الله فيقال أيضاً الفخري.
أما عبد الله بن محمد المحرابي: فقد صنفه الجرموزي من أهل الطبقة الأولى أي من عيون علماء عصر الإمام القاسم بن محمد. جاهد مع الإمام القاسم. واشتهر بفنون العلم المختلفة. وكان ممن قُبض عليه مع أولاد الإمام القاسم وبقية السادة الأعلام. توفي في قرية المحراب. (الجرموزي: النبذة المشيرة، ق٤٩).

ومنهم السيد العلامة الحبر الفاضل الصدر شيخ آل الرسول، وحجة أهل العقول أحمد بن محمد بن صلاح الشرفي القاسمي[1]، وقد تقدم.

ومنهم السيد العالم الفاضل شرف الدين[2] الحسن بن محمد المحرابي[3] وقد تقدم.

ومنهم السيد العالم الكبير وجيه الدين المهدي بن إبراهيم بن المهدي الجحافي القاسمي[4]، وقد تقدم.

ومنهم السيد الكامل الأديب العلامة المصقع الفهامة صلاح بن عبد الخالق الجحافي القاسمي[5]، وقد تقدم.

ومنهم السيد العلامة الكامل الصمصامة شرف الدين الحسين بن علي بن إبراهيم بن المهدي الجحافي القاسمي[6]، وقد تقدم.

ومنهم السيد العلامة الخطيب الفاضل عز الدين[7] محمد بن علي الحوثي الحسيني الظفيري[8]، وقد تقدم.

---

(١) سبق ترجمته وهو صاحب اللآلئ المضيئة وشارح الأساس.

(٢) شرف الدين: لقب يمني متعارف عليه في اليمن، ويطلق على كل من كان اسمه الحسن والحسين فيقال (الشرفي).

(٣) الحسن بن محمد المحرابي: ولي القضاء في عهد الإمام القاسم بن محمد في قرية المحراب.
(الجرموزي: النبذة المشيرة، ق٤٩).

(٤) المهدي بن إبراهيم بن المهدي الجحافي: قرأ في الأصول على يد أبيه وفي كوكبان قرأ على السيد الحسن بن شرف الدين الحمزي. وهو شيخ الإمام المؤيد محمد بن القاسم وأسر معه في كوكبان سنة ١٠١١هـ/ ١٦٠٢م وعندما خرج من الأسر تولى القضاء مدة. وتوفي في حبور سنة ١٠٣٤هـ/ ١٦٢٤م. (إبراهيم بن القاسم: الطبقات، ج٢، ص١١٤٨).

(٥) صلاح بن عبد الخالق الجحافي القاسمي: سبق ترجمته.

(٦) الحسين بن علي بن إبراهيم بن المهدي الجحافي القاسمي: كان من فضلاء العلماء، يرجع إليه الجميع في علوم العربية والفقه والأصولين. قرأ على الإمام المؤيد محمد في مجموع الإمام زيد بن علي وأمالي أبي طالب. اشتهر ببلاغة القول والانسجام في الخطاب كان حريصاً على الكسب الحلال فقد تربى في منزل الإمام الحسن بن علي المؤيد لصلة القرابة والمصاهرة. أولاه الإمام المؤيد ثقته وكان يستدعيه في كثير من الأوقات ليأخذ بمشورته. وولاه ولاية حجة وقد حمدت سيرته هناك. توفي في سنة ١٠٥٤هـ/ ١٦٤٤م ببلدة حبور.
(الجرموزي: النبذة المشيرة، ق٥٠؛ ابن أبي الرجال: مطلع البدور، ج٢، ق٨٤؛ ابن عامر: بغية المريد، ق١٠١؛ إبراهيم بن القاسم: الطبقات، ج الأول، ص٣٦٤).

(٧) عز الدين: لكل من كان اسمه محمد ويقال أيضاً (العزي).

(٨) محمد بن علي الحوثي الحسيني الظفيري: لم أجد له ترجمة في المصادر التي بين يدي.

ومنهم السيد العالم الفاضل شرف الدين الحسن بن محمد الحوثي الحسيني[1]، وقد تقدم.

ومنهم السيد العلامة حسام الدين ناصر بن محمد بن يحيى **[٣٧/ب]** -المعروف بصبح- الغرباني القاسمي[2]، وكان منه ما كان، ثم تاب وأناب وترك الشقاق وجنح إلى الوفاق.

ومنهم السيد العالم الزاهد الورع العابد المحتاط المتقشف، عز الدين محمد بن الحسن بن شرف الدين الحمزي الكحلاني[3]، وقد تقدم.

ومنهم السيد الفاضل الطاهر، فخر الدين عبد الله بن أحمد بن إبراهيم القاسمي الشرفي[4] رحمه الله، وقد تقدم.

ومنهم السيد الفاضل العلامة، أحمد بن محمد بن صلاح اليحيوي، القطابري[5]، وقد تقدم.

ومنهم السيد الكامل الرئيس العالم الكبير، صفي الدين[6] أحمد بن المهدي المؤيدي[7]،

---

(١) لم أجد له ترجمة في المصادر التي بين يدي.

(٢) سبق ترجمته.

(٣) محمد بن الحسن بن شرف الدين الحمزي الكحلاني: كان أحد أعيان الإمام المؤيد محمد وكاتباً من كتابه. فاضلاً جواداً متلافاً. مهتماً بالشئون الدينية، كان يقصده الناس للرقي بآيات من القرآن. كان له يد وباع قوي في علم الفقه وهو من مشايخ أحمد بن سعد الدين المسوري اشتهر بتدوينه لنسب بيوتات آل البيت. توفي سنة ١٠٦٣هـ/ ١٦٥٢م، وقبر في مشهد الإمام ذي الشرفين.

(ابن أبي الرجال: مطلع البدور، ج٤، ق١٣٧؛ إبراهيم بن القاسم: الطبقات، ج٢، ص٩٥٢).

(٤) عبد الله بن أحمد بن إبراهيم: قرأ على الإمام القاسم بن محمد في كتاب الأساس وأجازه في جميع مروياته، وقرأ شرح الأساس على مؤلفه أحمد بن محمد الشرفي وسمع عليه الأحكام للهادي وروى عنه عبد الحفيظ بن المهلا. توفي في شهارة سنة ١٠٦٢هـ/ ١٦٥٢م، وقبر في مقبرة الأمير ذي الشرفين، وهو مؤلف المصابيح الساطعة الأنوار في تفسير آل البيت.

(الجرموزي: النبذة المشيرة، ق٥٥؛ إبراهيم بن القاسم، المجلد الأول، ص٥٨٣).

(٥) أحمد بن محمد بن صلاح اليحيوي القطابري: كان عالماً مجاهداً من أصحاب الإمام القاسم بن محمد ومن المقربين. إماماً في العربية محققاً. له مرثية في الإمام القاسم وتهنئة بقيام المؤيد محمد. وقد ولاه المؤيد بعض جهات آنس. ثم استقر ببلاده حتى قيام المتوكل إسماعيل. توفي في عام ١٠٦٩هـ/ ١٦٥٨ في وادي قراض. (ابن أبي الرجال: مطلع البدور، ج١، ق١٧٣).

(٦) صفي الدين: أو الصفي إحدى الألقاب اليمنية المتداولة لكل من كان اسمه أحمد.

(٧) أحمد بن المهدي المؤيدي: ذكره المؤرخ الجرموزي في النبذة المشيرة وكان من أصحاب الطبقة الثانية في عصر الإمام القاسم ويُعد من المقربين =

وقد تقدم.

ومنهم السيد العلامة الفاضل المجاهد، أحمد بن محمد بن لقمان[1]، وقد تقدم.

ومنهم السيد العلامة المجاهد، الصمصامة شمس الدين أحمد بن علي بن الحسن الشامي[2] أطال الله عمره، وقد تقدم.

ومنهم السيد العلامة الفاضل محمد بن صالح بن عبد الله الغرباني[3] رحمه الله، وقد تقدم.

ومنهم السيد الجليل العالم النبيل شرف الدين الحسين بن محمد المحرابي وقد تقدم.

ومنهم السيد الفاضل العالم العامل علم الدين[4] القاسم بن نجم الدين[5] وقد تقدم، توفي سادس عشر شهر الحجة الحرام عام أربع وستين وألف[6] في بلده من جبل ذري.

ومنهم السيد الفاضل العالم المجاهد عبد الله بن محمد بن صلاح الشرفي[7] وقد تقدم.

من الإمام القاسم ومن وجهاء عصره كان عالماً ناهضاً في الرياسة سخياً مألوفاً حليماً. توفي في سنة ١٠٤٤هـ/ ١٦٣٤م.
(الجرموزي: النبذة المشيرة، ق٥٥).

(١) سبق ترجمته.

(٢) أحمد بن علي الشامي: المجاهد الصمصامة المتبحر في جميع الفنون والعلوم. شارك في الحروب في عهد الإمام القاسم، أسند إليه المؤيد محمد منصب الإفتاء والتدريس في صنعاء. وكان يقصده الطلاب من المدن المختلفة. (الجرموزي: النبذة المشيرة، ق ٥٦).

(٣) محمد بن صالح بن عبد الله الغرباني: بدر الدين المحقق الفرضي والنحوي، قرأ كل علوم عصره. وله تلاميذ كثير منهم الحسين بن القاسم بن المؤيد وصنوه الحسن بن القاسم بن المؤيد والحسين بن الحسن بن القاسم. وكان من بقية العلماء في شهارة كان والده من المقربين للإمام القاسم وابنه الحسين بن القاسم. توفي بشهارة سنة ١١٣٧هـ/ ١٧٢٤م.
(إبراهيم بن القاسم: الطبقات، ج٢، ص٩٨٨؛ الشوكاني: ملحق البدر الطالع، ج٢، ص٢٠١).

(٤) عَلَم الدين: لقب لكل من كان اسمه قاسم ويقال العلم.

(٥) القاسم بن نجم الدين، عالم، مجتهد، أصولي، من علماء القرن الحادي عشر الهجري المعاصرين للإمام المؤيد من جبل ذري، توفي سنة ١٠٦٤هـ.)الوجيه: أعلام المؤلفين، ص٧٨٣).

(٦) ١٠٦٤هـ الموافق ١٦٥٣م.
جبل ذري: هو أحد ثلاثة جبال يطلق عليها بلاد الأهنوم هما جبلا سيران الشرقي والغربي وفيما بين ذري وسيران يقوم جبل شهارة. وفي جبل ذري تنتشر زراعة البن وبه الكثير من القرى والعزل. (المقحفي: المعجم، ج١، ص٦٤٧).

(٧) عبد الله بن محمد الشرفي: من أعيان الإمام القاسم ومن المقربين، وصفه الجرموزي بقوله: كان من عباد الله الصالحين وأهل الورع =

ومنهم السيد الجامع للرئاستين، ومدرك الفضيلتين العلم النافع، والجهد الرافع، والورع الشحيح المانع، ومصابرة الجلاد، علي بن الحسن بن شرف الدين الحمزي الكحلاني[(١)]، توفي رحمه الله في شهر ....[(٢)] عام أربع وثلاثين[(٣)] وقبره في السرار[(٤)] من شهارة المحروسة بالله.

ومنهم السيد العلامة الصدر المنيف الذكر والقدر، صارم الدين ونبراس علم الأئمة الهادين، داود بن الهادي بن أحمد بن المهدي بن أمير المؤمنين الهادي إلى الحق عز الدين بن الحسن[(٥)] -عليهم السلام-، كان له مع العلم الكثير جلالة عند العامة والخاصة وأبهة ورئاسة في العلم كاملة، وله مصنفات، **[٣٨/أ]** وقد تقدم.

ومنهم وإن تأخر عن المشايعة كما تقدم، فهو ممن قال بالإمامة، والتزم أحكام الزعامة، السيد العلامة، مفتي الفرق، ولسان أهل الحق، العالم الكبير، والخضم الشهير، عز الدين محمد بن عز الدين بن محمد بن عز الدين بن صلاح بن الحسن بن الإمام الهادي إلى الحق علي بن المؤيد[(٦)]، وقد تقدم.

الشحيح مع العلم النافذ والجهاد الصادق توفي عام ١٠٤٠هـ/ ١٦٣٠م. (الجرموزي: النبذة المشيرة، ق٥٥).

(١) لم أجد له ترجمة في المصادر التي بين يدي.

(٢) بياض في (أ)، (ب).

(٣) ١٠٣٤هـ = ١٦٢٤م..

(٤) السرار: مقبرة واسعة تتوسط شهارة بها قبور عدد كبير من العلماء. قيل أن بها أكثر من أربعمائة عالم مجتهد. وقد أهملت وخربت أسوارها وتكسرت شواهد قبورها.

(إبراهيم بن القاسم: هامش كتاب الطبقات، المجلد الأول، ص٤٦٧، تحقيق الأستاذ عبد السلام الوجيه)..

(٥) داود بن الهادي بن أحمد بن المهدي بن أمير المؤمنين الهادي إلى الحق عز الدين بن الحسن. ولد سنة ٩٨٠هـ/ ١٥٧٢م من أهل البيت وعلمائهم لا يتصدر أحد في مجلس هو فيه لكمال علمه وفضله. كان حليفاً للقرآن. لا يزال يتلوه وهو يمضي في جامع الهادي وكان إمام العربية وغيرها له شرح على الأساس للإمام القاسم بن محمد. وهو أستاذ القاضي أحمد بن علي أبو الرجال والقاضي أحمد بن يحيى حابس والقاضي أحمد بن سعد الدين المسوري. توفي سنة ١٠٣٥هـ/ ١٦٢٥م.

(ابن أبي الرجال: مطلع البدور، ج٢، ق١٢٣-١٢٦؛ الشوكاني: البدر الطالع، ج١، ص٢٤٦، أعلام المؤلفين الزيدية ص٤٢١).

(٦) عز الدين محمد بن محمد بن صلاح: هو السيد المفتي كان فقيهاً محققاً تولى القضاء للعثمانيين في صعدة، ثم أخرجه العثمانيون من صعدة إلى صنعاء قسراً وحبس فترة ثم أخرج وسكن صنعاء حتى توفي.

(إبراهيم بن القاسم: الطبقات، ج٢، ق٦٧٨).

وأما الطبقة الثانية: الذي انتشر علمهم في أيامه، وظهر فضلهم ونبلهم في التزام أحكامه، منهم: إمامنا ومولانا وقدوتنا، وحجة وقتنا الإمام الحجة الواضح المحجة أمير المؤمنين وسيد المسلمين الصادع بالحق المبين، المتوكل على الله إسماعيل بن أمير المؤمنين[1]- صلوات الله عليه- وصفاته -عليه السلام- استكمال لباس الخلافة النبوية وشرائطها الشرعية، فهل هو إلا خيرة الله للأمة المرتضى وصارمها المنتضى أطال الله تعميره وتولى عونه وتدبيره.

ومنهم أخوه وشقيقه[2] مولانا وبركتنا السيد العلامة الفاضل المجاهد المناضل صفي الدين أحمد[3] بن أمير المؤمنين أطال الله بقاه، له في الرئاسة ونظمها حظ وافر، ومن مكارم الأخلاق والشهامة سهم قامر، ولاه والده قدس الله روحه الشرفين[4]، ثم صعدة[5] وبلادها، فقام فيها مقاماً يضرب به المثل في نظم الأمور وإحكامها، وفي الجهاد والنهضة وملازمة العلم من الصغر إلى الكبر معروف بذلك، ومن مآثره عمائر المساجد والمرافق وهي معروفة أشهرها ذكراً وأعظمها نفعاً وأعلاها قدراً الجامع المقدس الذي ابتناه في روضة صنعاء[6] اتفق من يعرف أرض اليمن أنه ما رأى مثله فيها، وقال بعضهم: ولا في غير

---

(١) إسماعيل بن القاسم: الإمام الثاني من أولاد الإمام القاسم تولى بعد وفاة الإمام المؤيد محمد بن القاسم وله سيرة مفصلة لمؤرخنا الجرموزي تسمى (تحفة الأسماع والأبصار بما في السيرة المتوكلية من غرائب الأخبار من سنة ١٠١٩-١٠٨٧هـ تحقيق ودراسة الأستاذ عبد الحكيم الهجري.

ويبدو أن مؤرخنا الجرموزي قد سجل هذه السيرة أي سيرة المؤيد محمد بن القاسم في زمن الإمام المتوكل إسماعيل بن القاسم.

(٢) شقيقه: الشقيق الأخ من نفس الأم.

(٣) أحمد بن القاسم: ورد له سيرة وأخبار عن حياته ودوره ومشاركته في بناء الدولة القاسمية في الدراسة التي سبقت هذه السيرة. ولد أحمد بن القاسم في سنة ١٠٠٧هـ/ ١٥٩٨م وتولى العديد من المهام الإدارية والسياسية في الشرفين وصعدة في زمن والده وفي عهد أخيه المؤيد محمد وتسلم ولاية صعدة بعد وفاة المؤيد وله أعمال ومآثر عمرانية منها الجامع في الروضة. توفي سنة ١٠٧٦هـ/ ١٦٦٥م.

(ورد له سيرة مفصلة من أدوار حياته في طيات سيرة المؤيد محمد بن القاسم. (إبراهيم بن القاسم: الطبقات، ج١، ص١٧٨).

(٤) الشرفين: قبائل الشرفين في حجة وهم بنو كعب وهي فرع من حجور حاشد.

(المقحفي: المعجم، ج١، ص٤٢٥).

(٥) سبق ترجمتها.

(٦) روضة صنعاء: مُتنزّه صنعاء في موسم الأعناب تقع شمالها على بُعد ٩كم. كانت قرية صغيرة تعرف بـ(المَنْظَر) حتى اختطها مدينة وسكنها السلطان حاتم بن أحمد اليامي (ت٥٥٦هـ/ ١١٧٣م) وسميت بروضة حاتم. وقد اشتهرت الروضة بحدائق العنب الذي لا يفوقه غيره، واتخذ منها كثير من مشاهير صنعاء وأعيانها مقراً وسكناً، واقتنى عدد من الموسرين بيوتاً يخرجون فيها لخريف العنب في موسم الصيف. وفي الروضة نحو عشرين مسجداً يحتل جامعها الكبير الذي بناه أحمد بن الإمام القاسم بن محمد =

اليمن، ووقف له الأوقاف الواسعة وصفته -[.....][1] [وهو معمور بالعلم، ومنهم أولاده -صلوات الله][2] عليه- منهم **[٣٨/ب]** السيد الفاضل العلامة جمال الإسلام، وبدر الظلام علي بن أمير المؤمنين[3]، علمه معروف، وحلمه موصوف، كاملاً ورعاً، ولاه والده- سلام الله عليه- جهات حيدر باشا، وخرج معه من صنعاء فساس أمورهم بتمامها، وتحمل مؤنهم بكمالها، وله في ذلك أخبار حسنة. ثم ولاه -عليه السلام- أمر صنعاء فعمر ربوعها، واطلع على دقائق أمورها، مع حلم وأناة وصبر وورع، له فيها إلى رقم هذه النبذة فوق عشرين عاماً لم يعمر حجراً على حجر ولم يفترش غير ما وجده من فراش الباشا حيدر[4] ويجعل بينه وبينه حائل، إما شملة[5] أو لباد[6]، له في فنون العلم اليد الطولى مشغوف به من

(ت١٠٦٦هـ/ ١٦٥٦م) مركزها. وكان أحمد هذا يعرف بـ)أبي طالب) وإليه تنسب ذرية (بيت أبي طالب) الساكنين بها إلى اليوم. وكان منهم علماء وأدباء. وفي العصر الحديث بُني بها حمام مشهور وكان يمر بها ويسقي أعنابها غيل مستمر استخرجه أحمد بن الحسن (ت١٠٩٢هـ/ ١٦٨١م) وقد نضب في مطلع الستينات. وأخبار الروضة كثيرة في التاريخ والأدب وقد وصفها الأدباء وتغنى بطيب هوائها وحدائق أعنابها الشعراء. وقد اتسعت الآن المدينة وهي مركز مديرية بني الحارث ومتصلة بصنعاء من جهة الشمال.

(د/ حسين العمري: مقال في الموسوعة اليمنية، ج١، ص٤٨٤) وقد امتد العمران الآن من صنعاء شمالاً وأصبحت الروضة ضاحية من ضواحيها.

(١) بياض في الأصل في (أ)، (ب).

(٢) ما بين المعكوفين ليست في (ب).

(٣) علي بن أمير المؤمنين (١٠١٣-١٠٧٨هـ/ ١٦٠٤-١٦٦٧م): المقصود به علي بن الإمام المؤيد محمد بن القاسم تلقى علومه على يد والده الإمام المؤيد محمد وعلى يد القاضي عامر الذماري وفي صنعاء قرأ على القاضي عبد الهادي الحسوسة. وقد أسند إليه والده الإمام مصاحبة حيدر باشا عند خروجه من صنعاء. ثم عينه على إدارة ولاية صنعاء، وفي الدراسة السابقة لهذه السيرة تفاصيل ذلك. وقد اشتهر بأخباره الحسنة عند ولاية صنعاء فقد ساس أمورها وشئونها وتحمل مؤونتها وعمر ربوع صنعاء. توفي عن خمس وستين سنة.

(الطبقات: إبراهيم، ج٢، ص٧٩٨).

(٤) حيدر باشا: تسلم حيدر باشا ولاية اليمن في أوائل سنة (١٠٣٤هـ/ ١٦٢٤م). وقد ازداد أمر العثمانيين سوءاً في عهده وتخبطت سياسته. وساءت سيرته بين الأهالي وبين الجنود العثمانيين أنفسهم. ونتيجة لذلك فقد تم في عهده نقض الصلح وبدأت الحرب بين الجانب اليمني والعثماني وفي الدراسة تفاصيل هذه المرحلة التاريخية حتى تم خروجه من صنعاء.

(د/ سيد مصطفى سالم: الفتح العثماني، ص٣٩٢).

(٥) شملة: الشملة الكساء دون القطيفة والشملة عند العرب المئزر من صوف فإذا ألفق لفقين فهي مشملة يشتمل بها الرجل إذا نام بالليل والشِمال جمع شملة وهو الكساء أو المئزر.

(ابن منظور: لسان العرب، ج٧، ص٢٠٢)

(٦) لباد: اللِّبْدَ من البُسط وهو معروف. =

صغره إلى كبره.

ومنهم أخوه السيد العلامة الفاضل عماد الدين[1] يحيى بن أمير المؤمنين[2]، كان خدين العلم، ووحيد الفهم، صاحب مجد ورئاسة، ومكارم ونفاسة، ينسب إليه علم الأدب، ومن كل فن ضرب فيه بأعلى سبب، وعمره دون العشرين، ولاه والده – صلوات الله عليه– الجيوش الشامية[3] فساسها أحسن سياسة، وانتشر صيته ومرض في أبي عريش[4]، وطال مرضه ثم حمل إلى اللجب[5] وبقي أياماً وتوفي يوم الأحد رابع شهر جمادى الأولى من سنة أربعين وألف[6].

ومنهم ولده السيد العلامة الرئيس الصمصامة شرف الدين الحسين بن أمير[7] المؤمنين أطال الله بقاه اختص بملازمة أبيه، أخذ عنه علماً جماً في جميع الفنون، فهو ينفق منه للمتعلمين، وهو وصي والده في خاصته، وله في السخاء والنهضة أخبار حسنة.

ومنهم مولانا السيد الإمام العلامة الصمصام، عز الإسلام، وقمر العترة الكرام، محمد بن الحسن[8] بن أمير المؤمنين المنصور بالله، نشأ على الطهارة والفضل والعلم الجزل

(ابن منظور: لسان العرب، ج١٢، ص٢٢٢).

(١) عماد الدين: لقب يطلق لكل من يحمل اسم يحيى ويقال العماد.

(٢) يحيى بن أمير المؤمنين: المقصود به يحيى بن الإمام المؤيد محمد بن القاسم. أسند إليه الإمام المؤيد العديد من المهام العسكرية في تهامة وفي عسير وقد أمره الإمام بمطاردة العساكر العثمانيين في أبي عريش. وهناك ألم به المرض وحُمل على رؤوس الرجال. حتى توفاه الله سنة ١٠٤٠هـ/ ١٦٣٠م ودفن في اللجب.

(الشرفي: اللآلئ المضيئة، ج٣، ص٦٠٩؛ يحيى بن الحسين: غاية الأماني، القسم الثاني، ص٨٣٣).

(٣) الجيوش الشامية: كل ما كان شمالاً يطلق عليه شاماً وكل ما يتجه جنوباً يقال له عدني.

والمقصود بالجيوش الشامية أي الجيوش المتجهة ناحية الشمال أو القادمة من الشمال.

(٤) أبي عريش: مدينة قريبة من جيزان وتقع إلى الغرب من مدينة صبيا. (ابن الوزير: طبق الحلوى، هامش ص١٢٢).

(٥) اللجب: منطقة في تهامة ولم أتبين مكانها بالتحديد.

(٦) ١٠٤٠هـ الموافق ديسمبر ١٦٣٠م.

(٧) الحسين بن المؤيد محمد بن القاسم: سبق ترجمته.

(٨) محمد بن الحسن بن القاسم: عالم مجتهد فاضل أمير سياسي نشأ على طلب العلم، وقرأ على يد مشاهير عصره. عاصر عمه الإمام المؤيد محمد بن القاسم وتولى بعض المناصب السياسية والقيادية وأسند إليه المتوكل إسماعيل بعض المهام القيادية لعدة مناطق في اليمن. كان يحبذ التنقل بين مناطق اليمن وأقاليمها خاصة بين ذمار وآنس وصنعاء. توفي في الروضة بدرب السلاطين أثناء زيارة للمتوكل إسماعيل. سنة ١٠٧٩هـ/ ١٦٦٨م. وقد وردت له أخبار في أثناء السيرة التي سجلها المؤرخ الجرموزي. وخاصة أخباره بعد وفاة =

والكدح فيه، والاشتغال به حتى بلغ رتبة الاجتهاد، نشر دعوة عقيب وفاة عمه أمير المؤمنين -صلوات الله عليه- إلى الرضا من آل محمد ﷺ، فلم يسمع عن أحد من علماء الزمان الاعتراض فيها بنقص العلم أو بُعد الفهم، كان أطال الله بقاه، خليفة أبيه وعمه في صعدة وبلادها وصلحت به الأمور، وانتظم بحميد سعيه الجمهور، وله أخبار **[٣٩/أ]** تطول، قام بعد وفاة أبيه بأعباء الرئاسة فأحكم السياسة مع الصبر الباهر، ثم قام بدعوة عمه إمامنا ومولانا وخليفة عصرنا أمير المؤمنين المتوكل على الله وشد أزرها، وقام أتم قيام بنصرها، بالأدلة الصادعة والقواضب القاطعة.

ومنهم السيد الكامل والملك الفاضل العادل، خدين العلم وقرين الفهم، عز الدين محمد بن الحسين[(١)] بن أمير المؤمنين المنصور بالله -عليه السلام- [له شرح حوالي خمسمائة آية][(٢)] هو في العلم بحر زاخر، وفي الفهم والبلاغة نجم زاهر، أمتع الله بحياته.

ومنهم أخوه العالم الزاهد المتبتل العابد عماد الدين، وزين العابدين في الآخرين، يحيى بن الحسين[(٣)] بن أمير المؤمنين أطال الله بقاه، ممن يضرب به المثل في العبادة والإكباب على العلم

والده الحسن بن القاسم. (إبراهيم بن القاسم: الطبقات، ج٢، ص٩٤٤؛ ابن أبي الرجال: مطلع البدور، ج٤، ق١٣٣؛ الوجيه: الأعلام، ص٨٨٧).

(١) محمد بن الحسين: بن القاسم بن محمد، عالم مفسر محدث حافظ أمير سياسي وقائد عسكري قرأ على مشاهير عصره، اشتغل بشرح آيات الأحكام التي جمعها السيد المحدث محمد بن إبراهيم الوزير واهتم بدراسة النحو والصرف والمعاني والأصول والفروع والمنطق. وكان يملك مكتبة كبيرة تحوي الكثير من الكتب ووفد إليه طلاب العلم وشيوخها. كان من قادة وأمراء دولة المتوكل إسماعيل وأسند إليه كثير من المهام العسكرية الناجحة. سكن صنعاء في زمن الإمام المؤيد محمد وبعد وفاته انتقل إلى ضوران آنس وأصبح من المقربين من الإمام المتوكل. توفي في سنة ١٠٦٧هـ/ ١٦٥٦م.
(ابن أبي الرجال: مطلع البدور، ج٤، ق١٥٣؛ الوجيه: الأعلام، ص٨٩٤).

(٢) ليست في (ب).

(٣) يحيى بن الحسين: بن القاسم بن محمد. نشأ وترعرع في أسرة تميزت باهتمامها بالعلم بداية بالإمام القاسم بن محمد صاحب كتاب الأساس والاعتصام وغيره كثير. إلى والده الحسين بن القاسم صاحب كتاب غاية السؤل في علم الأصول. وقد ترك بيت العلم والحكم هذا أثراً واضحاً في حياة يحيى بن الحسين، فقد كان ملازماً لوالده معظم أوقاته منذ الصغر. وكان لشيوخه الذين تلقى علومه على أيديهم الأثر الأكبر في حياته العلمية. وحرص يحيى بن الحسين على نيل العديد من الإجازات العلمية في مختلف علوم الطلب في عصره من علماء عصره في اليمن ومن العالم الإسلامي. وقد كان للعصر الذي عاشه يحيى بن الحسين أثره فتغير وتبدلت الأحداث السياسية التي كانت في بعض جوانبها محل نقد من قبل مؤرخنا خاصة عصر المتوكل إسماعيل، وكان لها الأثر البالغ في تمتع يحيى بن الحسين بفكر مستقل خاص به جعله يبتعد عن السياسة ويهتم بالجانب الفكري والعلمي، وانعكس ذلك على تدوينه لتأريخ =

والزهادة، أكثر أوقاته لا يصل إليه أحد فإنما هو دائب في العلم والعمل، أمتع الله بحياته.

ومنهم السيد الجليل العالم النبيل ذو الشرف الأصيل صفي الدين أحمد بن الحسن[1].

ومنهم السيد الجليل المجاهد العلامة فخر الدين وأبو المساكين عبد الله بن عامر بن علي بن عم[2] الإمام -عليه السلام-، كان رحمه الله عالماً متفنناً على طريقة قدماء العترة- عليهم السلام- كثير الرواية عنهم مشغوف بها كثير الصدقة والبر سيما لضعفاء الأشراف، وله مؤلفات نافعة وأشعار كثيرة، توفي في شهر رجب سنة ستين وألف[3]، وقبره في حوث مشهور، وله أولاد علماء قد حصلوا من العلم كثيراً وهم الآن في الطلب.

ومنهم ولد أخيه السيد الفاضل الطاهر التقي السخي العلامة صارم الدين إبراهيم بن أحمد بن عامر بن علي[4]، له في فنون العلم اليد الطولى والرتبة العليا، قرأ على خاله أمير

بهجة الزمن. ففيه وصف كامل للحياة العلمية والثقافية إلى جانب السياسية في اليمن. وكان للعامل المادي وتحسنه أثره في نمو حياة يحيى بن الحسين وتفرغه للتأليف والتصنيف.

كان يحيى بن الحسين يُعد من المؤرخين الموسوعيين في ذلك الوقت خاصة وقد ألّف ودوّن وصنّف في مختلف العلوم. وقد أعطى يحيى بن الحسين جل وقته للعلم وتفرغ له واكتفى بالعائد المادي الذي كان يعود عليه من خلال جباية جزية اليهود في صنعاء وقد لزم هذه الوظيفة حتى وفاته. وقد بلغت مصنفات وكتب يحيى بن الحسين نحو ثمانين كتاباً في مختلف العلوم وكان أشهرها كتاب بهجة الزمن المتكون من ثلاثة أجزاء- وقد توفي يحيى بن الحسين سنة ١١٠٠هـ/ ١٦٨٨م- وكتاب أنباء الزمن وذيله.

(يحيى بن الحسين: بهجة الزمن، الجزء الأول، ص٢-٢٧، دراسة وتحقيق الأستاذة الباحثة أمة الغفور الأمير وهي رسالة ماجستير غير منشورة، قسم التاريخ جامعة صنعاء). إبراهيم بن القاسم: الطبقات، ج٣، ص١٢٢٠، وهناك الكثير من المؤرخين الذي ترجموا ليحيى بن الحسين.

(١) أحمد بن الحسن: سبق ترجمته.

(٢) عبد الله بن عامر بن علي ابن عم الإمام القاسم: قرأ الفقه على يد المؤيد محمد في سماع الأحكام وأجازه لسائر علوم الطلب. كان ذكياً فصيحاً يجيد الشعر واشتهر بجودة خطه ويجيد الرماية وركوب الخيل. له كتاب سماه التصريح بالمذهب الصحيح، ووالده السيد عامر الذي استشهد في زمن الإمام القاسم. تنقل في حياته ما بين شهارة وحوث وعذر ومات بهجرة حوث وقبر هناك سنة ١٠٦١هـ/ ١٦٥٠م.

(يحيى بن الحسين: المستطاب، ق٥٣٧؛ إبراهيم بن القاسم: الطبقات، المجلد الثاني، ص٦١٣؛ ابن عامر: بغية المريد: ص٩٩؛ ابن أبي الرجال: مطلع البدور، ج٣، ق٣٥).

(٣) اختلف المؤرخان يحيى بن الحسين، وإبراهيم بن القاسم حول تاريخ الوفاة فقد ذكرا بأن تاريخ وفاته كانت ١٠٦١هـ. والله أعلم.

(٤) إبراهيم بن أحمد بن عامر بن علي: كان من أعيان زمنه علماً وحلماً وزهادة وكرماً يقل نظيره. هو ابن أخت الإمام المؤيد محمد وكان يخصه بمزيد من التكريم والتعظيم. أسند إليه الإمام إدارة شئون الحيمة وآنس. ورد ذكره في سياق السيرة. اشتهر بحيازته للكثير من الكتب. وكان من أعيان رجال عصره ومن المقربين للإمام المؤيد محمد. توفي في شهارة سنة ١٠٥٦هـ/ ١٦٤٦م. =

المؤمنين -صلوات الله عليه- ولازمه، وكان له عنده المنزلة العظيمة، وله مع ذلك السخاء الذي فاق أهل زمانه لا يعول على الدنيا ولا يطلبها، كثير الصمت كثير الصدقة، مألوف للمساكين سيما الأشراف، وله أولاد فضلاء بنحو طريقته بلغهم الله **[٣٩/ب]** عالي منزلته.

توفي سابع عشر من شهر رجب عام ست وخمسين وألف وقبره إلى جنب أبيه رحمة الله عليهما في صرح قبة جده الإمام المنصور بالله ـ صلوات الله عليه ـ[(١)].

ومنهم السيد العلامة المدره، الفهامة، الفاضل الكامل، عماد الدين يحيى بن أحمد بن محمد بن صلاح القاسمي الشرفي[(٢)]، من عيون العترة علماً وعملاً وورعاً وزهداً وفضلاً، يبلغ درجة الإجتهاد مع ما له من الذكاء والفطنة ومعرفة أمور الناس أطال الله بقاه، أخذ عن

(ابن أبي الرجال: مطلع البدور، ج١، ق١٥؛ ابن عامر: بغية المريد، ق٦٤، إبراهيم بن القاسم: الطبقات، ج١، ص٦٢؛ الأكوع: هجر العلم، ج٢، ص١٠٦٦).

(١) ومنهم السيد العلامة الأوحد الفهامة الجليل الفاضل النبيل جمال الدين علي بن الحسن بن شمس الدين بن الحسن بن عز الدين بن المهدي الجحافي القاسمي، كان من السادة الأخيار النجباء العلماء الأبرار، الأدباء البلغاء الفصحاء، ومن أهل الكمال ومحاسن الخلال، نشأ ببلدة حبور، وقرأ على أعمامه وأسلافه، وتفقه وقرأ الأصول والنحو والصرف، والمعاني والبيان، وكان من أهل الرأي والرجحان، ومن أهل العقل الوافر والمروءة، وطلبه مولانا الإمام المنصور بالله القاسم بن محمد عليه السلام، وقرأ عليه وكان في بيته؛ لأن زوجة الإمام القاسم عليه السلام أم ولده مولانا أمير المؤمنين المتوكل على الله إسماعيل بن أمير المؤمنين عليه السلام عمة السيد المذكور، أخت أبيه، ولما مرض الإمام عليه السلام واشتد به المرض طلبه مولانا أمير المؤمنين المؤيد بالله سلام الله عليه يضع علامة مولانا المنصور بالله سلام الله عليه على الكتب وعلى التذاكر التي للناس حتى لا يشيع خبر المرض، واشتداده، وكان هذا السيد من الأمانة والديانة بمحل كبير، ولما توفي مولانا الإمام القاسم عليه السلام عادت بركاته، وشرع السادة والعلماء يخوضون في تصوير الكتاب إلى الباشا بغير أن يذكروا أنهم قد عقدوا بيعة الإمام، بل مجرد تقرير الصلح، فكان هو المشير على العلماء منهم القاضي عامر بن محمد الذماري رحمه الله، وهو كبير الناس، وقال: لمن تنتظرون؟ ما فيكم أحد أحسن من الحاضرين، فاجتمعوا وعيَّنوا مولانا المؤيد عليه السلام، بعد كلام قد ذكره، ولما تمت البيعة كان هذا السيد مؤازراً لمولانا الإمام المؤيد عليه السلام، والمتولي لكثير من أعماله، وقبض النذور والزكاة ونحوها، حتى اختار الله له الوفاة في شهر رمضان من سنة تسع وعشرين وألف، وصلى عليه مولانا الإمام المؤيد والسادة العلماء في الديوان الكبير، ديوان الإمام القاسم عليه السلام بسعدان، ودفن في السَّرار رحمة الله عليه - تمت. (٣٤ب)، (ترجمة هذا السيد ألحقه بعض السادة بني جحاف في الحاشية في الأم فأثبته مسطراً) والباحثة ترى أن يتم إضافة هذه الفقرة إلى الهامش؛ لأنها ليست من متن المؤرخ في المخطوطة (أ).

(٢) عماد الدين يحيى بن أحمد بن محمد بن صلاح القاسمي الشرفي: نشأ على طلب العلم فدرس على يد أبيه وعلى يد الإمام المؤيد محمد بن القاسم، وأجازه إجازة عامة القاضي ناصر بن عبد الحفيظ المهلا في جميع القراءات والفنون. اشتهر بالذكاء والفطنة والورع والتقشف. رحل إلى مكة للقراءة ونهل من علمائها الكثير. لا يفتر لسانه عن ذكر الله والتدريس والتأليف والصلاة. رحل في آخر حياته إلى القويعة من مخاليف الشرف الأعلى فدرس بها حتى وفاته ١٠٨٩هـ/ ١٦٧٨م. له رسائل وجوابات إلى المتوكل إسماعيل. (إبراهيم بن القاسم: الطبقات، ج١، ص١٢٠٠؛ الوجيه: أعلام المؤلفين، ص١٠٩٢؛ الأكوع: هجر العلم، ج٣، ص١٧٧٠).

والده -رضوان الله عليه- وعن الإمام -عليه السلام- وغيرهما.

ومنهم السيد العلامة الكامل ذو الهمة العلية والشيم النبوية عز الدين محمد بن الهادي بن جحاف القاسمي[١]، له في العلوم كلها اليد الطولى والمنزلة العظمى، أخذ عن كثير من العلماء منهم السيد العلامة صارم الدين داود بن الهادي المؤيدي[٢] رحمه الله.

ومنهم السيد الفاضل العالم العامل عز الدين محمد بن الحسين بن محمد المحرابي[٣] أطال الله بقاه، أخذ عن كثير من العلماء منهم أبوه وعمه وغيرهم وتروى عنه زهادة واحتياط أطال الله بقاه.

ومنهم السيد الجليل العالم النبيل جمال الدين علي بن يحيى بن عبد الله .....[٤] الهادوي، أصل بلده مدوم[٥] من بلاد الشرف، وسكن المدان[٦] من هنوم[٧]، أطال الله بقاه، إليه ولاية غربي عذر[٨] والتدريس.

---

(١) محمد بن الهادي بن جحاف القاسمي: ينتهي نسبه إلى الأمير ذي الشرفين. تلقى علومه على يد أحمد بن محمد لقمان في كتابه الكافل وشرحه. وقرأ على يد أحمد بن محمد الشرفي. وأخذ عنه القاضي أحمد بن صالح أبو الرجال. (إبراهيم بن القاسم: الطبقات، المجلد الثاني، ص١٠٩٢).

(٢) سبق ترجمته.

(٣) محمد بن الحسين بن محمد المحرابي: كان متعبداً زاهداً فاضلاً صالحاً مطلعاً على جُل العلوم بالقراءة والمطالعة. ذكر ابن أبي الرجال أنه لم يخرج من بلده محراب إلا لزيارة شهارة. ويذكر يحيى بن الحسين أنه كان حاكم الشرع في بلاد عذر. كان يميل إلى مذهب الشافعية. توفي في المحراب سنة ١٠٦٥هـ/ ١٦٥٤م.

(ابن أبي الرجال: مطلع البدور، ج٤، ق١٥١؛ يحيى بن الحسين: البهجة، ج١، ص٣٣٢؛ الأكوع: هجر العلم، ج٤، ص١٩٥٠).

(٤) بياض في (أ)، (ب).

(٥) مَدْوَم: جبل في بلاد حجور به كحلان الشرف في محافظة حجة. يضم مجموعة من القرى منها: الطور الأسفل، قلعة بني عوض، بيت حاتم، بيت العميس، قفل مدوم، الظهار، بيت الغفاري، الحَرْشاء، الكَدَمَة.

وَمَدْوَم: بلدة في خمس الوسط بمديرية آنس محافظة ذمار.

(المقحفي: المعجم، ج٢، ص١٤٦٨).

(٦) المدان: مدينة فوق جبل الأهنوم شمال مدينة حجة بالقرب من شهارة.

(المقحفي: المعجم، ج٢، ص١٤٥٩؛ الحجري: المجموع، مج٢، ص٦٩٧).

(٧) هنوم: أي الأهنوم.

(٨) عُذر: قبيلة كبيرة من حاشد يقطنون شمال مدينة عمران، ومدينة القفلة هي مركز عذر وسوقها. وتعرف «بعِذر شعب» لتمييزها عن «عذر مطره» تنتمي إلى قبائل بكيل. (المقحفي: المعجم، ج٢، ص١٠٣٣).

ومنهم من سادة الشام السيد العالم المجاهد المصابر المرابط، ذو الجهاد الأكبر محمد بن أحمد بن الإمام الأعظم أمير المؤمنين الحسن بن علي بن داود المؤيدي[(١)].

كان عالماً كاملاً رئيساً ناهضاً فارساً مقداماً، جمع كثيراً من فنون العلم مع الرياسة الحسنة، [وله أيضاً شرح على الكافية مع الرياسة الحسنة والسياسة الصالحة][(٢)]، وله مصنفات نافعة في فنون مختلفة، توفي رحمه الله في أواخر شهر الحجة الحرام عام اثنين وستين وألف في بندر المخا[(٣)] المعروف، وكان إليه ولايته مع بلاد العدين[(٤)]، ومخلاف جعفر، وحُمل إلى مدينة حيس[(٥)] بوصية منه، وكانت ولايتها إليه أيضاً ودفن هنالك، وعلى قبره مشهد مزور مشهور.

ومنهم السيد العلامة المجتهد الكامل الجامع للرياستين صلاح الدين [٤٠/أ] صلاح بن أحمد بن المهدي [.....][(٦)] المؤيدي اليحيوي[(٧)(٨)].

---

(١) محمد بن أحمد بن الحسن بن علي بن داود المؤيدي: (١٠٠٩-١٠٦٢هـ/ ١٦٠٠-١٦٥١م) وقد سبق ترجمته..

(٢) ما بين المعكوفين ليست في (ب).

(٣) بندر المخاء: أو المخا بدون همزة في آخرها. وهي من الموانئ الشهيرة على البحر الأحمر التابعة للواء تعز، اشتهرت بتصدير البن اليمني وتعرضت لكثير من النكبات الاقتصادية والعسكرية نتيجة لتنافس التجارة العالمية إليها ومنها.
(الويسي: اليمن الكبرى، ص٤٧؛ المقحفي: المعجم، ج٢، ص١٤٤٥؛ د/ حسين العمري، يوسف محمد عبد الله: في صفة بلاد اليمن، ص١٥٦).

(٤) العدين سلسلة جبلية مترامية الأطراف في الجهة الشمالية الغربية من إب تشمل ثلاث مديريات: العدين، حزم العدين، المذيخرة، والفرع. وتشمل العديد من القرى والعزل والجبال والوديان الخصبة. ومدينة العدين مركز القضاء غرب إب وهي مدينة جميلة تطل على أودية البن الغنية في منطقة العدين.
(الويسي: اليمن الكبرى، ص٦٣؛ المقحفي: المعجم، ج٢، ص١٠٢٩؛ الحجري: المجموع، ج٢، ص٥٩٠).

(٥) حَيْس: مدينة مشهورة جنوب زبيد تُعد من أقدم المدن التهامية، اهتم بها الرسوليون خاصة المظفر الرسولي الذي أنشأ بها عدة مَبرَّات على رأسها الجامع الكبير سنة ٦٨٢هـ. والذي ما يزال قائماً إلى يومنا هذا. وترجع أهمية حيس أنها احتضنت العديد من العلماء والفقهاء المشهورين منهم الولي المصلح عمر بن محمد الخامري. وفي مدينة حيس تصنع الأواني الخزفية البراقة وتسمى الحياسي.
(المقحفي: المعجم، ج١، ص٥٤٦).

(٦) بياض في (أ)، (ب).

(٧) السيد صلاح الدين صلاح بن أحمد بن المهدي المؤيدي (١٠١٠-١٠٤٤هـ/ ١٦٠١-١٦٣٤م): كان علامة مجتهداً إماماً في كل فن فارساً شجاعاً كريماً كاتباً فصيحاً شاعراً. منحه الإمام المؤيد ولاية عامة. وقد شارك مع جيش الإمام المؤيد عند حصار صنعاء، وافتتح أبي عريش. له جملة من المصنفات منها (شرح شواهد النحو) (شرح العيني لشواهد التلخيص) وشرح (الهداية) وله ديوان شعر. حصل على إجازات علمية من علماء عصره في داخل اليمن ومن علماء مكة المكرمة. (إبراهيم بن القاسم: الطبقات، ج١،ص٥١٥؛ الوجيه: الأعلام، ص٤٩٧).

(٨) ليست في (ب).

كان عالماً متبحراً عاملاً، سمعت من بعض علماء آل المؤيد بلوغه درجة الاجتهاد حتى قال: إنه يلحق بجده الإمام الأعظم الهادي إلى الحق عز الدين بن الحسن، وكان سخياً متواضعاً مجاهداً، له مصنفات عديدة مشهورة في جميع الفنون، توفي رحمه الله لعشر بقيت من شهر الحجة عام أربع وأربعين وألف[1].

ومنهم السيد العلامة الفاضل المجاهد أحمد بن محمد بن أحمد بن عز الدين المؤيدي[2]، كان تلو ابن عمه السيد صلاح المذكور في العلم والعمل والسخاء والفراسة، توفي يوم الإثنين عاشر جمادى الآخرة عام أربعين وألف.

ومنهم السيد العلامة البليغ شرف الدين الحسن بن أحمد بن محمد بن الجلال اليحيوي[3]، له في فنون العلم اليد الطولى وله مجموعات تحتوي على علوم واسعة ويروى عن كثير بلوغه درجة الإجتهاد، أخذ عن كثير من العيون منهم: مولانا شرف الدين الحسين بن أمير المؤمنين، المنصور بالله -عليه السلام- وغيره وبعد فتح صنعاء لقي عالمها الكبير ومفتي الفرق الشهير محمد بن عز الدين بن محمد بن عز الدين بن صلاح بن الحسن بن الإمام الهادي علي بن المؤيد رحمه الله، وأخذ عنه علماً كثيراً، وتزوج ابنته، وسكن

---

(١) ١٠٤٤هـ/ ١٦٣٤م.

(٢) أحمد بن محمد بن أحمد بن عز الدين المؤيدي: كان من العلماء الأخيار أهل الهمة في تحصيل العلم والرئاسة. كان ورعاً لا يأكل إلا من الحلال الطيب، توفي بصعدة سنة ١٠٤٠هـ/ ١٦٣٠م.
(ابن أبي الرجال: مطلع البدور، مخطوط، ج١، ق١٧١).

(٣) الحسن بن أحمد بن محمد بن الجلال اليحيوي (١٠١٣-١٠٨٤هـ/ ١٦٠٤-١٦٧٣م): عالم ومجتهد كبير منطقي أصولي متحرر.
ولد بهجرة رغافة بالقرب من صعدة وبها نشأ وأخذ علومه عن كبار علماء صعدة وشهارة وعلماء صنعاء. اشتهر بالمجادلات والاختلافات الفقهية والفكرية مع علماء عصره. له من الكتب والتصانيف الفكرية الكثير أهمها (ضوء النهار شرح الأزهار) وله شرح على (الفصول اللؤلؤية) لصارم الدين الوزير. و(عصام المحصلين عن مزالق الموصلين) وشرح (مختصر المنتهى) وشرح (التهذيب). وشرح على مقدمة البحر سماه (تلقيح الأفهام لصحيح الكلام على تكملة الأحكام). اشتهر بحلاوة العبارة ورشاقة المقالة. وله شرح على (حاشية شرح القلائد) للإمام المهدي. وقد اشتهر منه رسالته (براءة الذمة في نصيحة الأئمة) التي اعترض بها على معاصره الإمام المتوكل إسماعيل بن القاسم (١٠٨٧هـ/ ١٦٧٦م) في حربه مع قبائل يافع والمشرق. ومع ذلك فقد كان المتوكل إسماعيل يجله ويحترمه. سكن في الجراف حيث توفي وقبر هنالك.
(إبراهيم بن القاسم: الطبقات، ج١، ص٢٨٧؛ د/ حسين العمري: مصادر التراث اليمني، ص٢٧٤؛ د/ العمري، الجرافي: المجتهد الحسن الجلال (حياته وآثاره، ص٢١-٤١، ٨٥-٨٧)؛ الوجيه: الأعلام، ص٢٩٩).

في صنعاء، ويغلب عليه اختيار الجراف[1] وطناً.

ومنهم السيد العلامة الفاضل الطاهر الكامل عز الدين بن دريب بن مطهر الموسوي الحسيني التهامي[2]، له في فنون العلم اليد الطولى والمحل الأسما، قرأ كثيراً على الإمام -عليه السلام- وعلى غيره من كبار العلماء، واختص بملازمة حي السيد العلامة أحمد بن محمد بن لقمان، واستقر في نواحي كوكبان وبلد الطويلة[3]، وله فيها أولاد نجباء فضلاء، أطال الله بقاه.

ومنهم السيد العلامة الفاضل الحاكم العادل جمال الدين علي بن الحسن بن محمد بن الحسن النعمي التهامي[4]، عالماً عاملاً، ولاه الإمام -عليه السلام- القضاء في صبيا[5]

---

(١) الجراف: قرية شمال مدينة صنعاء صارت اليوم مع التوسع العمراني جزءاً من صنعاء. ومما يذكر عن تاريخها أنه سكنها في القرن العاشر الهجري الإمام شرف الدين. كما أقام فيها العلامة المجتهد الحسن بن أحمد الجلال. (المقحفي: المعجم، ج١، ص٣٠٨).

(٢) عز الدين بن دريب بن مطهر الموسوي الحسيني التهامي: عالم فقيه أصولي من بلاد الحمالة خارج صبيا. رحل إلى صعدة وتلقى علومه على يد شيوخها. ولازم العلامة أحمد لقمان مؤلف (الكافل) وصحب أحمد بن الحسن إلى حضرموت. ثم استقر بمدينة الطويلة ناحية كوكبان. ومن أشهر مشايخه الإمام المؤيد محمد بن القاسم. توفي في الطويلة سنة ١٠٧٥هـ/ ١٦٦٤م.

من مؤلفاته:

- شرح الثلاثين مسألة في أصول الدين.
- الإيضاح في أصول الدين.
- النصائح والموقضات المنبهة على ما يختص النساء من الواجبات.

(عامر بن محمد: بغية المريد، ق٦٦؛ الطبقات: إبراهيم بن القاسم، ج٢، ص٦٧٣؛ الوجيه: أعلام المؤلفين، ص٦٤٦).

(٣) الطويلة: مدينة تقع على سفح جبل القرانع غرب مدينة شبام كوكبان في محافظة المحويت. وهي مدينة أثرية تحيط بها الحصون من الجانب الشرقي والشمالي منها الحصن الكبير وحصن شمسان وحصن القرانع، وحجر السعيد. ومن معالمها الأثرية المسجد الكبير. وتتبع الطويلة عدد من القرى أهمها بنو الخياط، وجبل لاعة، وبنو الحجاج، وبنو الذولاني. وهي منطقة سياحية. (المقحفي: المعجم، ج١، ص٩٦٥؛ الحجري: مجموع بلدان اليمن، مج٢، ص٥٥٩).

(٤) علي بن الحسن بن محمد بن الحسن النعمي التهامي: مولده سنة ٩٨٤هـ/ ١٥٧٦م. أخذ عن علماء عصره. كان عالماً فاضلاً شاعراً. ولي القضاء بجهة صبيا من تهامة وله مؤلفات ورسائل عديدة وشهيرة. رزق بالحضوة في البنين حتى أعقب اثني عشر ولداً ذكراً كلهم أدباء وعلماء وشعراء. كان صاحب الترجمة يأتي على أكثر الكشاف غيباً. تولى القضاء للمؤيد محمد بن القاسم وأخيه المتوكل إسماعيل بمدينة صبيا وأعمالها حتى توفي سنة ١٠٦٧هـ/ ١٦٥٦م.

(الشوكاني: البدر الطالع (الملحق)، الجزء الثاني، ص١٦٢).

(٥) صبيا: في إقليم عسير وهي مدينة شمال جيزان. وهي مدينة عامرة تقع على وادي ضمد. وقد اتخذها الإدريسي عاصمة له.

(الويسي: اليمن الكبرى، ص١٣٥؛ د/ العمري، يوسف محمد عبد الله: في صفة بلاد اليمن عبر العصور، ص٥٦).

ومخلافها، ويروى عنه قوة ونهضة في القضاء أطال الله بقاه.

ومنهم السيد الماجد العالم[1] الكامل صارم الدين إبراهيم بن الهادي النعمي **[٤٠/ب]** التهامي الصبياني[2]، وكان هذا السيد إبراهيم من العلماء، ولي القضاء في جهة صبيا وجهاتها قبل أن يلي السيد جمال الدين علي بن الحسن، وكانت وفاته في شهارة المحروسة بالله، كان وصل إلى الإمام ـ عليه السلام ـ في شأنه حديث مما يتعلق بإصلاح ذات البين فيما بين الأشراف الخواجيين والأشراف الحوازمة[3]، كانت وفاته لعشر خلت من صفر عام أربعين وألف[4].

ومنهم السيد الماجد الأفضل الأعلم عماد الدين يحيى بن أحمد بن محمد بن المنتصر

---

(١) ليست في (ب).

(٢) إبراهيم بن الهادي النعمي: التهامي الصبياني. كان قدم إلى مقر الإمام في شهارة ومعه الشريف مطاعن بن حسين الخواجي وطلبوا من الإمام المؤيد محمد أن يقوم بإصلاح ما أشكل من المنازعات بين الأشراف الخواجيين والأشراف الحوازمة أهل صلهبة. وكان السيد إبراهيم النعمي هو المتولي لمنصب القضاء في جهة صبيا. وكان من المقربين للإمام المؤيد. توفي سنة ١٠٥٠هـ.)الشرفي: اللآلئ المضيئة، ج٣، ق٦٠٤، ق٦٥٣).

(٣) الأشراف الخواجيين والأشراف الحوازمة: هم الأشراف السليمانيون الساكنون وادي صبيا بالمخلاف السليماني. فأول من اختط مدينة صبيا هو الأمير دريب بن مهارش الخواجي سنة ٩٥٨هـ في وادي صبيا. وأول من تولى الرئاسة الشريف عيسى بن حسين بن أبي القاسم بن أحمد الملقب بالخواجي المتوفى سنة ٩٥١هـ. فأسرة الخواجية تعتبر الأسرة الخامسة بعد الأمراء بني ذروة. والخواجيون من الأشراف السليمانيين لأنهم ينسبون إلى الشريف غانم بن محمد غانم بن حازم بن المعافا.

أما عشيرة الحوازمة فينسبون إلى يحيى صاحب الديلم ابن عبد الله الكامل (المحض) ابن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب، وهؤلاء موطنهم بوادي صبيا. وقرية صلهبة الغربية هي جزء من مدينة صبيا الشرقية.

(زين رشيد علي الشافعي: الروض الزاهر، ص٣٢٩،٢٩٦،٢٩٣).

(٤) ١٠٤٠هـ الموافق ١٦٣٠م.

القاسمي[1]، وكان هذا السيد عالماً كبيراً، ولي القضاء في الظفير[2]، وكانت وفاته يوم الخميس خامس وعشرين من شهر محرم الحرام سنة تسع وثلاثين وألف[3].

ومنهم السيد الفاضل العالم التقي جمال الدين علي بن الحسين بن علي العابد القاسمي الشرفي[4].

قال السيد العلامة أحمد بن محمد الشرفي نفع الله به: وكان هذا السيد من الفضلاء الأخيار، والعلماء الأبرار، وله مآثر حسنة، وهو الذي نقل جده السيد العالم العابد الزاهد علي بن إبراهيم من عرقة عفار[5]، وكان مقبوراً بها في المشهد الذي فيه السيد داود بن .....[6] فنقله إلى بلدته المسماه القويعة من بلاد الشاهري، وبنى عليه فيه قبة عظيمة واعتنى لها بحقوق وابتنى إلى جنبها مسجداً جامعاً بإعانة القبائل له في ذلك، توفي ثامن وعشرين من ربيع الأول سنة ست وأربعين وألف[7].

---

(١) يحيى بن أحمد بن محمد بن المنصر القاسمي: كان حاكماً بالظفير، توفي في محرم سنة ١٠٣٩هـ/ أغسطس ١٦٢٩م. (زبارة: خلاصة المتون، ص١٤١).

(٢) الظَّفير: بلدة ومركز إداري في مبين محافظة حجة. من قراها الجميمة بيت أبو عريج، بيت مخارش، بيت عراصم، الناصرة. وهي من الهجر العلمية القديمة التي كان يقصدها الطلبة لتلقي العلوم الدينية المختلفة خاصة في القرن العاشر الهجري. فقد استوطنها الإمام المهدي أحمد بن يحيى المرتضى مؤلف البحر الزخار.

(٣) شهر محرم ١٠٣٩هـ/ أغسطس ١٦٢٩م.

(٤) علي بن الحسين بن علي العابد القاسمي الشرفي: كان من الفضلاء الأخيار، وهو الذي نقل قبر جده الزاهد علي بن إبراهيم من عفار إلى بلده القويعة من الشاهل، وبنى عليه قبة وبنى حولها مسجداً جامعاً. توفي السيد علي بن الحسين في ربيع الأول سنة ١٠٤٦هـ/ أغسطس١٦٣٦م.

(زبارة: خلاصة المتون، ص١٥٩).

(٥) عرقة عَفَّار: جبل ومركز إداري في محافظة حجة كان يُعرف بجبل موتك وهي إحدى سلاسل جبال كحلان. وتطل هذه الجبال على الوديان والمدرجات الزراعية الخصبة.

(الحجري: المجموع، مج٢، ص٦٠٦؛ الويسي: اليمن الكبرى، ص١٢٢؛ المقحفي: المعجم، ج٢، ص١٠٨٦).

(٦) بياض في (أ)،(ب).

(٧) ١٠٤٦هـ = ١٦٣٦م.

ومنهم السيد العلامة الفاضل المتفنن شرف الدين الحسن بن علي بن صلاح العبالي[1]، والده السيد الجليل المقدم الذكر في سيرة الإمام المنصور بالله القاسم بن محمد -صلوات الله عليه-، كان عالماً عاملاً، توفي .....[2] سنة خمس وخمسين[3] وألف بمحروس ظفير حجة، وله عقب فضلاء أمهم الشريفة الفاضلة الطاهرة جمانة ابنة أمير المؤمنين المنصور بالله.

ومنهم صنوه السيد العلامة الفاضل المجاهد الحسين بن علي بن صلاح[4]، من أهل الفضل والعلم والورع، أطال الله بقاه، سكن الظفير أيضاً وشهارة المحروسة بالله، قرأ على الإمام -عليه السلام-، وعلى والده المنصور بالله وغيرهما أطال الله بقاه، وزوجه الإمام ابنته.

ومنهم من ساداة الشام السيد الجليل الفاضل العالم المجاهد **[٤١/أ]** شمس الدين أحمد بن الهادي بن هارون بن الحسن الهادوي[5]، له في العلم حظ وافر، وفي الجهاد والورع

---

(١) الحسن بن علي العبالي: والده علي بن صلاح. كان من العلماء الأخيار المحققين الأنوار. درس على الشيخ لطف الله الغياث في علوم العربية وأصول الفقه والمنطق. وأدرك آخر حياته الإمام المؤيد محمد. وقد أيد إمامة المؤيد. مات بظفير حجة سنة ١٠٥٥هـ.
(يحيى بن الحسين: المستطاب، مخطوط، ق٥٢٩؛ زبارة: جامع المتون، ص٢٦٦).

(٢) بياض في (أ)، (ب).

(٣) ١٠٥٥هـ = ١٦٤٥م

(٤) الحسين بن علي بن صلاح بن محمد العبالي: قرأ جُل علوم عصره على يد من اشتهر من العلماء في ذلك العصر منهم الإمام القاسم بن محمد. ومن تلامذته الحسين بن المؤيد وأحمد بن المؤيد ويحيى بن الحسين والقاسم بن المؤيد وغيرهم. كان يُعد من وجوه أهل البيت، واشتهر بحفظه لمذهب أهل البيت. وكان عالماً فاضلاً ورعاً سكن الظفير وشهارة. ونزل إلى المناطق الوسطى مصاحباً للحسن بن القاسم في حروبه هناك. له شرح على الحاجبية. وشرح على الأزهار. وكتاب الإيضاح ذكر فيه طبقات الزيدية على سبعة وعشرين طبقة. توفي في الظفير في سنة ١٠٨٠هـ/ ١٦٦٩م وقبر فيها.
(الطبقات: إبراهيم بن القاسم، ج١، ص٣٦٦؛ الوجيه: الأعلام، ص٣٨١؛ ابن أبي الرجال: مطلع البدور، ج٢، ق٣٩).
وقد ترجم المؤرخ يحيى بن الحسين للمذكور في سنة وفاته في كتابه بهجة الزمن وأورد ترجمة مخالفة لما جاءت عند صاحب الطبقات وكلاهما من نفس الأسرة أي المؤرخان.
ذكر يحيى بن الحسين بقوله: »وفي صفر مات السيد العارف الحسين بن علي العبالي الحرجي القاسمي. أصل المذكور ووالده وأهله من سادات الحرجة (وهي قرية في جُماعة شمال صعدة). وهو قاسمي ثم سكن والدهم بالعُبال (قرية عامرة في الضاحية الشمالية من حصن مبين) من بلاد حجة، كان هذا السيد جارودياً متحاملاً على الصحابة فيه غلو واحتراق، ويطعن فيهم ويجرح في حقهم له مصنف على (كافية ابن الحاجب) حاشية وتعليق على الأزهار ينقل فيه من (البحر) ويأتي فيه باختيارات وأشياء خارقة للإجماع. وكان المذكور يطعن في كتب المعتزلة، ويخطئهم ويضللهم ويطعن أيضاً في من تبعهم من الأئمة، كالإمام يحيى بن حمزة والمؤيد بالله والإمام المهدي فلا قوة إلا بالله. وكان المذكور ينكر وجود الدجال آخر الزمان وغيرها ...« (يحيى بن الحسين: بهجة الزمن، ج١، ص٥١٥).

(٥) لم أجد له ترجمة في المصادر التي بين يدي.

والإحتياط أثر ظاهر، كثيراً ما يتأمر في الجهاد، وله الأثر فيه أطال الله بقاه.

ومنهم السيد العلامة المجاهد المهدي بن الهادي اليوسفي الهادوي[1]، سكن النوعة[2] من بلاد خولان، عالماً مجاهداً[3]، له فيه أثر ونفع ظاهر، أطال الله بقاه.

ومنهم السيد الزاهد العالم الفاضل العامل محمد بن أحمد بن عز الدين ..... يعرف بابن الشاه[4]، كان فاضلاً، ناسكاً، ورعاً، زاهداً، توفي.....[5]

ومنهم السيد الفاضل العالم الطاهر جمال الدين علي بن المنتصر.....[6] الهادوي، فقيهاً عارفاً مدرساً أطال الله بقاه.

ومنهم السيد الزاهد العالم الفاضل محمد بن علي .....[7] اليوسفي الهادوي، سكن فوط[8] من بلاد خولان، له ورع ونسك وتقشف، ثم خولط وتصور تصورات باطلة منها:

---

(١) لم أجد له ترجمة في المصادر التي بين يدي.

(٢) النُّوعَة: في بلاد خولان وهو جبل شمال ساقين بصعدة وفيه العديد من القرى منها زمع، جوعان، العر، قرى الشلل، الخطيم، قلة الحمزي. وهناك قرية النوعة في مديرية ظليمة حبور محافظة عمران.

(المقحفي: المعجم، ج٢، ص١٧٧٦؛ الحجري: المجموع، مج٢، ص٧٤٤).

(٣) زيادة في (أ).

(٤) في (ب): لا يوجد بياض، ووردت كلمة يعرف بابن العنز، بدلاً من: ابن الشاه. وهو الأصح.

(٥) توجد حاشية في (ب ق٣٦) (يذكر فيها: هذه النسخة الحقها القاضي أحمد بن صالح بن أبي الرجال في الحاشية في الأم، فأثبته مسطراً لأجل الفائدة)، والفقرة الزائدة هي: كان هذا السيد محمد بن أحمد بن عز الدين وحيد زمانه، وفريد أوانه في العبادة، وكان يغيب من أهله وجيرانه، ويأنس بالوحوش في الخلوة متعبداً سايحاً، وكان من أكمل الناس عقلاً، ولا يتكلم إلاّ جواباً، ومأكله دائماً من وجه طيب، وله في الفكر مقام عجيب استخلص بفكره صناعة المرآة -المسماة بالناظور- التي يدرك بها البعيد، فأدرك بها من صعدة إلى ربيع، وشرح قصيدة الإمام عز الدين في النجوم، ويقال: أن البياض من صنعته، والمداد صنعته، والكلاب تألفه، ولو أستقصيت حاله رحمه الله لضاق الرحب، غير أني أقول وهو مفقود النظير، سمي بابن العنز بالعين المهملة بعدها نون بعدها زاي؛ لأن أمه ماتت وهو يرضع فعطف أبيه عنزاً وكان من عجيب أمرها أنها تجري في الظهيرة من المراعي إلى عنده وتنبطح له حتى يقضي غرضه، ثم تعود لمرعاها، والله أعلم.

(٦) بياض في (أ)، (ب).

(٧) بياض في (أ)، (ب).

(٨) فَوْط: قاع منبسط ووادٍ عظيم لقبائل خولان ابن عامر في محافظة صعدة، جنوب ساقين.
(المقحفي: المعجم، ج٢، ص١٢٢٨).

سوء الظن في الناس، وأنه المهدي المنتظر، وينهض بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لاعتقاده أن ذلك فريضة الله عليه، وأنه لم يقم به غيره، فحصل بسببه مفاسد كثيرة، وما ذلك إلا لاختلال في عقله بحيث أنه لا يتحرز ممن خالفه بل من أراد أخذه كان قريباً، وهو باق شفاه الله وأقاله، فإنه فاضل تقي محتاط بما لا يعلم له في أبناء جنسه نظير كما سمعت من كثير ممن يعرفه.

ومنهم السيد العلامة الكامل الفهامة صارم الدين، وسليل الأئمة الهادين، إبراهيم بن محمد بن أحمد بن عز الدين المؤيدي[1]، عالماً متفنناً[2]، دعا عقيب وفاة الإمام -عليه السلام-، وله أخبار فيها طول نأتي إن شاء الله تعالى بما أمكن منها، ولما دعا إلى نفسه استجاب له كثير من الناس، ولم يسمع عن أحد من علمائنا وصمه بنقص العلم ولا غيره إلا ما سيأتي إن شاء الله من الترجيح الموجب لتأخره، ثم عاد بعد ذلك وبايع مولانا الإمام الأعظم والخليفة الأكرم، أمير المؤمنين وسيد المسلمين، من أظهر الله حجته على المخالفين، وجمع عليه قلوب المؤمنين، وألقى عليه محبة في قلوب المسلمين، إسماعيل بن أمير المؤمنين - صلوات الله عليه-، وهذا السيد **[٤١/ب]** المذكور باق في صعدة المحروسة بالله مقصوداً للعلم ومفيداً.

ومنهم السيد الجليل العالم الفاضل جمال الدين علي بن عبد الله.....[3] الرغافي، كان فاضلاً عالماً، ولي القضاء في بلاد السلمي من بلاد المعافر[4]، والأمر بالمعروف والنهي عن

---

(١) إبراهيم بن محمد بن أحمد بن عز الدين المؤيدي: المعروف «بابن حورية الصعدي» وهو إمام مجتهد حافظ شاعر أديب. ولد ونشأ في بلاد صعدة، وبرع في جميع العلوم، وادعى الإمامة معارضاً للمتوكل إسماعيل إثر وفاة الإمام المؤيد محمد بن القاسم. وقد أجابته بعض بلاد صعدة، ثم تنحى عنها للمتوكل إسماعيل وعاش للعلم يُدرِّس ويؤلف وله الكثير من المؤلفات والتصانيف، كان محمد بن صالح ابن أبي الرجال من أشهر تلامذته. وقد توفي في فللة سنة ١٠٨٣هـ/ ١٦٧٢م.

(إبراهيم بن القاسم: الطبقات، ج١، ص٧٣؛ الوجيه: أعلام المؤلفين، ص٦١؛ حسام الدين محسن أبو طالب: تاريخ اليمن (عصر الاستقلال)، ص١٣٠).

(٢) في (ب): متقناً.

(٣) لا يوجد بياض في (ب).

(٤) بلاد المَعَافر: قبيلة مشهورة من كهلان ويمثلون الجزء الأكبر من القبائل الساكنة في المنطقة المعروفة باسم الحجرية جنوب مدينة تعز. (المقحفي: المعجم، ج٢، ص١٥٦٨).

المنكـر، وكـان حريـصاً عليهما،تـوفي عـام أربعـين وألـف[1] في شـهر ..... وقـبره .....[2].

ومنهم السيد الجليل العالم المفيد شرف الـدين الحسين بـن محمـد بـن عـلي الحـوثي ثـم الظفيري الحسيني، له معرفة تامة في جميع الفنون معدود في العلماء العيون أطال الله بقاه.

ومنهم السيد الفاضل العالم العامل شرف الدين الحسين بن صلاح بن عبد الـرحيم بـن الباقر بن نهشل من أولاد المطهر بن يحيى[3]، فقيهـاً عالمـاً مفيـداً مدرسـاً في جـامع شـهارة المحروسة بالله.

ومـنهم الـسيد العلامـة الفاضـل الـورع الكامـل صـارم الـدين إبـراهيم بـن يحيى .....[4] الجحافي القاسمي، فقيهاً عالماً ورعاً مدرساً مفيداً، وإليه القضاء في بلاد ظليمة[5] ونواحيها، وقد تقدم ذكره أطال الله بقـاه. وولـده الـسيد الفاضـل العـالم الكامـل ضياء الدين إسماعيل بن إبراهيم وهو تلو أبيه في الكمال ومحامد الخلال أطال الله بقاءهما.

ومنهم السيد الجليل العالم الفاضل الورع الكامل جمال الدين علي بن يحيى بـن عـلي بـن إبراهيم بن المهدي الجحافي، مدرساً في حبور، وفيه مع ذلك تشدد في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ومنهم السيد الفاصل العالم جمال الدين زين العابدين محمد بن المهـدي بـن إبـراهيم بـن المهدي الجحافي القاسمي، سمعت حي الإمام -عليه السلام- يذكر ثبات معرفته ويصفه بها، توفي عام ثلاث وخمسين وألف[6].

---

(١) ١٠٤٠هـ = ١٦٣٠م.

(٢) بياض في (أ)، (ب).

(٣) الحسين بن صلاح بن عبد الرحيم بن الباقر بن نهشل: كان عالماً فاضلاً مدرساً بجامع شهارة مفيداً حسن الهيئة متواضعاً. تلقى علومه من الإمام المتوكل إسماعيل والحسن بن علي العبالي ويحيى بن محمد حنش وغيرهم. توفي سنة ١٠٩٣هـ/ ١٦٨٣م.

(٤) ابن المهدي بن إبراهيم بن المهدي. زيادة في النسخة (ب) وبياض في النسخة (أ).

(٥) ظُلَيمَة: جبل واسع في حاشد ومركزها حبور، محافظة عمران.

(المقحفي: المعجم، ج١، ص٩٧٨؛ الحجري: مجموع بلدان اليمن، مج٢، ص٥٦٨).

(٦) ١٠٥٣هـ= ١٦٤٣م.

ومنهم السيد الجليل ذو الشرف الأصيل العلامة عز الدين محمد بن إبراهيم بن المفضل بن علي بن أمير المؤمنين يحيى شرف الدين[1] -عليه السلام-، عالماً عاملاً مدرساً مفيداً، له اليد الطولى في كثير من العلوم سيما علم العربية،مقيماً بمحروس كوكبان، عمره الله بالتقوى.

ومنهم السيد الجليل العالم النبيل ذو الشرف الأصيل صفي الدين أحمد بن الحسن بن أحمد[2] بن حميد الدين بن المطهر بن أمير المؤمنين[3]، عارفاً كاملاً أيده الله.

ومنهم السيد الأجل العالم المبجل ناصر بن داود بن صلاح بن عبد الله بن داود الضاعني، من ذرية موسى بن عبد الله بن الحسن بن الحسن[٤٢/أ] بن علي بن أبي طالب، توفي في شهر القعدة عام خمسين وألف[4].

ومنهم السيد الشهير ذو العلم الغزيز، النحوي، الأصولي اللغوي، جامع الفضائل الشريفة، والفواضل المنيفة، عز الدين بن علي الهادوي العبالي[5]، أطال الله عمره.

ومنهم السيد الكبير والأمير المعظم الشهير، ذو العلم الأوفر، والورع الأشهر هاشم بن

---

(١) محمد بن إبراهيم بن المفضل بن علي بن الإمام شرف الدين: حفيد الجيل الخامس للإمام شرف الدين، كان عالماً فاضلاً كثير الصمت، قليل الإنتاج عظيم التواضع قليل المباهاة وحب الظهور. أرخ لسيرة جده الإمام شرف الدين وسماها (السلوك الذهبية) وله (نظم الورقات) في أصول الفقه للجويني. اتفق معاصروه على تعظيمه والخضوع لعلمه والاعتراف بتفرده والإقرار له بالجمع بين علم العقل والنقل من طلابه العلامة صالح بن مهدي المقبلي. وعندما توفي سنة ١٠٨٥هـ/ ١٦٧٤م رثاه الشعراء محمد بن الحسن الحيمي والشيخ إبراهيم الهندي والقاضي أحمد بن صالح أبو الرجال وغيرهم كثير.

(إبراهيم بن القاسم: الطبقات، ج٢، ص٩٠٣؛ الشوكاني: البدر الطالع، ج٢، ص٩٥؛ د/ العمري: مصادر التراث اليمني، ص٩٤).

(٢) أحمد بن الحسن بن أحمد بن حميد الدين بن المطهر: بن الإمام شرف الدين. شاعر أديب اشتهر بالتقوى والصلاح والخير والزهد، كان له معرفة بالأوقات، محافظ على قوانين العلم. له كتاب (ترويح المشوق في تلويح البروق) له شعر جيد. توفي سنة ١٠٨٠هـ.

(الزركلي: الأعلام، المجلد الأول، ص١١٢؛ الوجيه: أعلام المؤلفين الزيدية، ص٨٨؛ الشوكاني: البدر الطالع، ج١، ص٤٥).

(٣) عادت بركاته: زيادة في (ب).

(٤) ١٠٥٠هـ= ١٦٤٠م.

(٥) عز الدين بن علي بن صلاح العبالي: اليمني الصنعاني قرأ في علم الأصول على يد الحسين بن القاسم وهو شيخه في علوم العربية. كان متضلعاً في العلوم لا سيما العربية. معتدل العقيدة. مائلاً إلى كلام أهل السنة من غير اتباع هوى بل هو شيعي منصف عارف بحق الصحابة سكن صنعاء وعمل بالتدريس حتى توفي سنة ١٠٨٨هـ/ ١٦٧٧م.

(الشوكاني: البدر الطالع، ملحق ج٢، ص١٤٧).

حازم بن راجح بن أبي نمي الحسني المكي[1]، كان عالماً كبيراً وأميراً شهيراً مجاهداً فارساً شجاعاً بطلاً، له المقامات المحمودة والمآثر المشهودة، ولي تهامة جميعها بعد فتح زبيد وقبلها، ومع ذلك كثير الورود على الإمام -عليه السلام- للقراءة عليه ويقيم كثيراً، وزوجه الإمام -عليه السلام- ابنته رحمه الله، وتوفي في شهر جمادى الأولى أو ربيع الآخر عام خمس وخمسين وألف[2]، وقبره في زبيد من باب الحداد، مزور مشهور.

وأما عيون الشيعة الأخيار والعلماء الأقمار الأبرار الذين قاموا بدعوته واستندوا إلى إمامته وهم طبقتان كما تقدم:

الأولى:

منهم القاضي العلامة المحقق المتقن المجاهد المعاضد عامر بن محمد الصباحي الذماري[3]، اشتهار فقهه ظاهر، ومعروف بالتدقيق لمسائله مع كمال المحامد، كان جليساً للإمام الأعظم الناصر لدين الله الحسن بن علي[4] ثم لمولانا الإمام المنصور بالله ثم لمولانا

---

(١) هاشم بن حازم بن راجح بن أبي نمي الحسني المكي: من أهالي عسير وقد وردت له سيرة طويلة في المخطوطة وأخبار مشاركاته في الحروب التي خاضها الجيش الإمامي بقيادة الحسن بن القاسم في تهامة، وبعد خروج العثمانيين من اليمن عيَّنه الإمام على ولاية مدينة زبيد كانت له سيرة حسنة بين الناس. اشتهر بالورع والزهد، وعند وفاته أوصى بجميع خيله لبيت المال. كان كثير الشك في الطهارة والوضوء. لكنه كان يرخص للعبيد والخدم بالفساد ولا ينصف الشاكي منهم.

(يحيى بن الحسين: بهجة الزمن، ج الأول، ص٢٤٢، تحقيق أمة الغفور الأمير).

(٢) ١٠٥٥هـ = ١٦٤٥م.

(٣) عامر بن محمد الصباحي الذماري: فقيه وطاهر اشتهر بالتدقيق كان جليساً للإمام الحسن بن علي بن داود المؤيدي والإمام القاسم بن محمد والإمام المؤيد محمد بن القاسم. وصفه معاصروه بالكمال والفضل، قرأ وحفظ كتاب التذكرة الفاخرة لمدة أربعين سنة. رحل في أول زمانه إلى ذمار والتقى بجميع علمائها وعكف على العلم وطلبه. كان من مؤيدي الدولة القاسمية. ثم انتقل إلى وادي عاشر من بني سحام وبنى فيه داراً، قصده جميع العلماء. كان يرى عدم جواز الصلاة في جامع البكيرية. توفي سنة ١٠٤٧هـ/ ١٦٣٧م.

(الجرموزي: النبذة المشيرة، مخطوط، ق٥٣).

(٤) الحسن بن علي بن داود المؤيدي: أحد أئمة اليمن مجتهد مجاهد ولد ونشأ بصعدة. قرأ كل علوم الطلب السائدة في عصره. وعنه أخذ أكابر علماء عصره كالإمام القاسم بن محمد.

برز في كل فن وصار يضرب به المثل بمحفوظاته ومسموعاته. حليف العبادة والورع والزهد والانقطاع إلى العلم. اشتهر بحسن الخلق وصواب الرأي وثبوت القلب والتواضع والأدب.

دعا لنفسه سنة ٩٨٦هـ/ ١٥٧٨م في قرية الهجر بالأهنوم. وبايعه جميع علماء عصره وبث دعاته في الآفاق. ونفذت دعوته وأوامره ونواهيه إلى جميع نواحي اليمن. واستولى على كثير من حصون اليمن. لكن الأتراك حاربوه حتى تمكنوا من أسره. وحبسوه في صنعاء =

المؤيد بالله -سلام الله عليهم- وقد تقدم.

ومنهم القاضي العلم العلامة البر التقي حسام الدين، سعيد بن صلاح الهبل الخولاني[1] وقد تقدم.

ومنهم القاضي العلامة شرف الدين الحسن بن سعيد بن جابر العيزري الأهنومي[2] وقد تقدم.

ومنهم الأخوان العالمان الكاملان جمال الدين، ومجد الدين، علي وسعد الدين ابنا الحسين المسوري رحمهما الله تعالى، وقد تقدم ذكرهما.

ومنهم القاضي الأفضل العلامة صلاح الدين صلاح بن محمد الفلكي الذماري[3].

ثم أرسلوه إلى إستانبول سنة ٩٩٤هـ/ ١٥٨٥م. ويذكر صاحب الطبقات: وحصل له من القرب والمحبة من السلطان محمد وولده أحمد ما لا يوصف ووصل إليه علماء تلك الجهة فراجعوه في مجمل العلوم ووجدوا عنده من العلم ما ليس في ظنهم. ومن مؤلفاته كتاب (أسنى العقائد في أشرف المطالب وأزلف المقاصد) وله الكثير من الفتاوى والرسائل الفقهية.

(إبراهيم بن القاسم: الطبقات، ج١، ص٣١١؛ الوجيه: أعلام المؤلفين، ص٣٣٤).

(١) القاضي العلامة سعيد بن صلاح الهبل: شيخ المتأخرين، كان من الفقهاء المحققين والعلماء المبرزين. قرأ على الفاضل أحمد بن معوضة الحربي، وأوصى القاضي الحربي بنيه بالقراءة على القاضي سعيد. ومن تلامذته المتوكل على الله إسماعيل وأولاده. والسيد عز الدين دريب ومحمد بن الحسن وإبراهيم بن المهدي وغيرهم.

كانت سجاياه نبوية وأخلاقه علوية وكان له كثير من الأتباع في صعدة وتهامة. كان محققاً علامة يملي دروسه غيباً ولا يحتاج إلى كتاب كأنما يغرف من بحر ولا يفتح كتاباً، وفيه زهد حفي وورع شحيح. وقد وفد إلى الإمام في بلاد الأهنوم. وتنقل في البلاد للعلم والجهاد وسكن صعدة ثم عاد إلى شهارة. توفي في شهارة سنة ١٠٣٧هـ/ ١٦٢٧م ودفن بالسرار من شهارة.

(ابن أبي الرجال: مطلع البدور، ج٢، ق١٤٨؛ إبراهيم بن القاسم: الطبقات، المجلد الأول، ص٤٦٦؛ ملحق البدر الطالع، ج٢، ص٩٦).

(٢) الحسن بن سعيد بن جابر العيزري الأهنومي: القاضي المكين والصدر العلامة الحبر، عالماً في جميع الفنون مع الورع الشحيح ولي القضاء للإمام المنصور القاسم والإمام المؤيد محمد في بلاد الأهنوم. كان حميد الرأي. كان محققاً في علوم العربية والأصولين والفقه والفرائض. من تلامذته أحمد بن سعد الدين المسوري. شهد وعاصر الحروب في عهد المؤيد محمد. كان له فيه اليد البيضاء، وإمام الفتوحات. ثم عيّن متولياً للقضاء في صعدة في زمن أحمد بن القاسم حتى توفي سنة ١٠٣٨هـ/ ١٦٢٨م.

(الجرموزي: النبذة المشيرة، ق٦٢؛ ابن أبي الرجال: مطلع البدور، ج٢، ق٢٢؛ الشرفي: اللآلئ، ج٣، ق٥٧٢).

(٣) صلاح الدين صلاح بن محمد الفلكي الذماري: نسبة إلى قرية فلكة في ذمار، ويلقب بالفرائضي نسبة إلى علم الفرائض نسبة لتبحر جده فيه. كان محققاً منقطع القرين ممن لا يزاحم في الفضائل. كان فهّامة إلى الغاية وله شعر فائق ويُعد من أهل الصبر على الدرس والتدريس. توفي في ذمار سنة ١٠٤٠هـ/ ١٦٣٠م. =

ومنهم القاضي العالم العلامة وجيه الدين **[٤٢/ب]** عبد الهادي بن أحمد الثلائي -المعروف بالحسوسة[(١)]- وقد تقدم.

ومنهم القاضي المجاهد علي بن أحمد بن أبي الرجال[(٢)]، وقد تقدم.

ومنهم القاضي العالم الفاضل محمد بن سليمان بن .....[(٣)] صاحب هجرة الروس[(٤)] من جبل هنوم.

قال السيد أحمد نفع الله به: وكان هذا القاضي بقية العلماء من أهل الروس، ومات بالهجر، وقبره فيه وعمره نحو سبعين سنة، ولعله من الطبقة الأولى، وذكرناه هنا بقصد حفظه.

ومنهم القاضي العلامة جمال الدين علي بن محمد الجملولي[(٥)]، ومنهم القاضي الفاضل

ابن أبي الرجال: مطلع البدور، ج٢، ق٢١٨؛ إبراهيم بن القاسم: الطبقات، المجلد الأول، ص٥٢٧؛ زبارة: ملحق البدر الطالع للشوكاني، ج٢، ص١٠٨).

(١) عبد الهادي بن أحمد الثلائي المعروف بالحسوسة: كان له اليد الطولى في علم الكلام وأصول المعتزلة. أخذ عنه العديد من علماء عصره كالقاضي إبراهيم بن يحيى السحولي وغيره من علماء صنعاء. اشتهر بالورع والزهد، شارك في عهد الإمام القاسم بن محمد في الحرب التي خاضها ضد العثمانيين. واعتقله الأتراك في حصن ثلا. ثم خرج من الحصن. وتولى القضاء بصنعاء في زمن الإمام المؤيد محمد. وكان فارقاً فيصلاً في الحكومات لا تأخذه في الحق لومة لائم. الكل عنده في الحق سواء. توفي سنة ١٠٤٨هـ/ ١٦٣٨م في بيته بمدينة ثلا. (يحيى بن الحسين: المستطاب، مخطوط، ق٥١٨).

(٢) علي بن أحمد بن أبي الرجال: كان فقيهاً محققاً في فروع الفقه شغوفاً بالجهاد. قرأ المستصفى للغزالي وكان يحفظ شرح الأزهار غيباً.

من مشايخه علي بن إبراهيم الحيداني والحربي والشكايذي والتهامي. وقرأ على علي بن القاسم السنحاني. له ديوان شعر. وكتب بيده حواشي وتقريرات ومذاكرات حسنة.

كان حاكماً بوصاب وملازمة الأمير سنبل اشتهر بالفتوى السريعة مع صحتها وحسن الفصل في القضايا. ونقل من علماء الشافعية كثيراً شارك مع الإمامة في الحرب ضد العثمانيين. وتوفي سنة ١٠٥١هـ/ ١٦٤١م في وصاب وقبر في الدن. ومن مؤلفاته شرح على الأزهار -ديوان شعر- وتحصيلات في الغصوب والرهن.

(الجرموزي: النبذة المشيرة، ق٦١؛ ابن أبي الرجال: مطلع البدور، ج٣، ق٨٧؛ الوجيه: أعلام المؤلفين الزيدية، ص٦٥٣).

(٣) لا يوجد بياض في (ب).

(٤) هجرة الروس: هجرة عامرة شمال المدان في الأهنوم محافظة حجة.

(الأكوع: هجر العلم، ج٢، ص٩٠١، المقحفي: المعجم، ج١، ص٧٠٩).

(٥) علي بن محمد الجملولي: عالم أديب متدين، كان حافظاً لكل طريقة تجري مع الناس على طبقاتهم، وكلامه يجري مجرى الأمثال. كان القاضي حفظ الله سهيل كثير الرواية عنه. أقام بحصن كوكبان وعمل بالقضاء والتدريس فيها. توفي سنة ١٠٤٣هـ/ ١٦٣٣م.

(إبراهيم بن القاسم: الطبقات، ج الثاني، ص٧٩٢؛ ابن أبي الرجال: مطلع البدور، ج٣، ص٨٧٤).

العلامة صارم الدين، إبراهيم بن حثيث العُلبي الذماري[1].

ومنهم الفقيه الفاضل العلامة عماد الدين، يحيى بن محمد السحولي[2].

ومنهم القاضي العلامة الحبر الفهامة المعتمد الصدر عماد الدين، يحيى بن أحمد بن حابس الدواري.

ومنهم الفقيه الفاضل الطاهر شهاب الدين، أحمد بن موسى سهيل[3]، وقد تقدم.

ومنهم القاضي العلامة الغرة في العلماء الأبرار والعلَامَة، أحمد بن سعد الدين المسوري، أطال الله بقاه وقد تقدم، والقاضي الأديب العالم الأريب رضي الدين، زيد بن علي بن الحسين المسوري[4]، كان رحمه الله من صغره معروفاً بالبلاغة والعلم الكثيروالفهم الغزير، كان ملازماً للجهاد مع مولانا الحسن رحمه الله يلي رسائله وكتابته وخطابته، وكان خليفة أبيه رحمه الله في محبة أهل البيت.

توفي يوم الإثنين رابع وعشرين من شهر جمادى الأولى من عام أربعين وألف في مدينة

---

(١) إبراهيم بن حثيث الذماري من قرية ذي العُليب من مخاليف جهران بلاد آنس. أخذ عنه القاضي يحيى بن محمد السحولي. ومن تلامذته المتوكل إسماعيل بن القاسم ومحمد بن صلاح الفلكي. كان فقيهاً مذاكراً حجة في الفروع وإماماً في الفقه مناظراً مفيداً. توفي سنة ١٠٤١هـ/ ١٦٣١م.

(ابن أبي الرجال: مطلع البدور، مخطوط، ج١، ق٣٠؛ إبراهيم بن القاسم: الطبقات، ج١، ص٦٨؛ زبارة: البدر الطالع (الملحق)، ج٢، ص٤؛ الشرفي: اللآلئ، ج٣، ص٦٢٠).

(٢) يحيى بن محمد السحولي: الشجري الذماري، قرأ على يد مشايخ عصره. أنفق عمره في الدرس والتدريس وكل عمل نفيس وبنوه كانوا سبعة أعلام. توفي سنة ١٠٤٥هـ/ ١٦٣٥م، وقبره بصنعاء بالقرب من قبة الرماح وقد عُمّر نحو مائة وعشر سنين.

(الجرموزي: النبذة المشيرة، ق٦٥؛ إبراهيم بن القاسم: الطبقات، ج٣، ص١٢٦٠).

(٣) أحمد بن موسى بن مقبل بن علي بن سهيل العدناني النزاري ثم الصعدي، حج عام ثمانين وتسعمائة، وكان له محبة لأهل البيت، والسعي لقضاء حوائجهم، فكان يخرج إلى قراهم البعيدة ليتفقد أحوالهم. كان ممن بايع الإمام الحسن بن علي وشايعه وناصره، وجمع له من أهل صعدة أموالاً جزيلة، ولما دعا الإمام القاسم بن محمد جعل للمذكور ولاية عامة. (الجرموزي: النبذة المشيرة، ق٦٩).

(٤) زيد بن علي بن الحسين المسوري: عالم محقق في الفقه شاعر مفلق وكاتب جيد. كان ملازماً للحسن بن القاسم منذ خرج من صعدة للجهاد وكان يعتمد عليه في المكاتبات وإنشاء الرسائل والخطب. توفي سنة ١٠٤٠هـ/ ١٦٣٠م.

(الشرفي: اللآلئ، ج٣، ق٦٠٨؛ الأكوع: هجر العلم، المجلد٢، ص٨٧٠).

إب[1]، ودفن في رباط المعاين[2] إلى جنب الشيخ الفاضل الغيثي[3].

ومنهم القاضي الأفضل العلامة صلاح الدين، صلاح بن علي الوشاح الحاكم الآنسي وقد تقدم.

ومنهم القاضي العلامة المجاهد الصابر، أحمد بن محمد السلفي من بلاد المصانع[4]، له مع العلم الواسع مواقف في الجهاد مشهورة، وملاحم في الجلاد مأثورة، وقد تقدم ذكر ولايته لمسار[5] وما إليه، وله في تلك الجهات أخبار منها ما أخبرني رحمه الله شفاهاً في أواخر عام خمسة وثلاثين وألف[6] في شهارة [٤٣/أ] المحروسة بالله، وقد روى عنه خبر طار في الأسماع

---

(١) إبْ: مدينة كبيرة وعاصمة المحافظة. تقع على رأس ربوة في السفح الغربي لجبل رَيْمان من بعدان على بعد ١٥٨كم جنوب صنعاء. وترتفع عن سطح البحر بنحو (٢٠٠٠)متر وكان لموقعها وخصوبة أرضها وكثرة الأمطار التي تسقط عليها أثره في أن تكون من أجمل المناطق في اليمن، ويطلق عليها اللواء الأخضر. ومن نواحيها العدين وذي سفال. وتكثر فيها الغيول والجداول والعيون، حيث تكثر زراعة المحاصيل الزراعية من الحبوب والبن والفواكه. وفي المدينة عدد من المساجد. وبها الحمام المشهور. وكان بها مدارس للعلم، واشتهرت بعدد من العلماء والفقهاء والأدباء والشعراء على مختلف الحقب التاريخية.

(د/ العمري: الموسوعة اليمنية، ج١، ص٢٨).

(٢) رباط المعاين: ويطلق عليها رباط الغيثي. وتقع في الضاحية الغربية لمدينة إب على مسافة ميل ونصف منها، وقد أوشك عمران مدينة إب أن يتصل به، والمعاين هو جمع مَعْين وهو نبع ماء جار من تحت كهف.

(الأكوع: الهجر، المجلد الثاني، ص٨٦٨).

(٣) الشيخ الغيثي: جمال الدين محمد بن علي بن بشر بن مطرف الهمداني من أعلام القرن الثامن الهجري، كان فقيهاً عارفاً. اشتهر بالصلاح وميله إلى التصوف. وكان قد تتلمذ على شيخ المتصوفين في عصره أبي الغيث كما هي العادة عند الصوفية فأطلق عليه الغيثي وعلى الرباط الذي أقامه في قرية المعاية.

الأكوع: الهجر، المجلد الثاني، ص٨٦٨).

(٤) المصانع: جبل ومركز إداري من مديرية ثلا محافظة عمران وبها عدد من القرى الأثرية مثل بيت عُلمان، هجرة بني الحراسي، بني المروحي، والزافن، وورف، ومدع.

والمصانع: منطقة من جبل حجر في المحابشة.

والمصانع: جبل ومركز إداري من مديرية عتمة محافظة ذمار. واصطلاح كلمة المصانع تعني الحصن العالي والجبل.

(المقحفي: المعجم، ج٢، ص١٥٤٤؛ الحجري: المجموع، مج٢، ص٧٠٩).

(٥) مَسَار: جبل عال شامخ من جبال مديرية مناخة في حراز، ويُعد من أعلى جبال حراز ومن معاقلها الحصينة وقمته واسعة فسيحة تشمل مزارع وقرى وحصون.

(المقحفي: المعجم، ج٢، ص١٥٠٨؛ الحجري: المجموع، مج٢، ص٧٠٧).

(٦) ١٠٣٥هـ = ١٦٢٥م.

وتحدث به في الوهاد والبقاع من حادث معه فقلت له تفضل حدثنا بحقيقة ما قال الناس عنك، فقال: كان لي راتب من القرآن الكريم لا أنقص من ورده، فإذا لم يسع في البيت الصبح وأنا في رأس حصن مسار في قصره المعروف، وقد طلعت الشمس فأخرج إلى مقصورة في حكم الخارج عن القصر متصلة بشاهق الحيد[1]، فأتم ذلك وأنتقل بعد الفراغ، فكان إلى بعض غداة تلك الأيام واستقام أمامي صورة إنسانية في طول هذا الدار المعصور وهي النوبة[2] التي على باب سعدان[3] في شهارة المحروسة بالله وعرضها أيضاً، وعليه شعر كثير مثل شعر القردة الكبار وأن خصيته ومذاكيره على شبه حق البغال الكبار والحمير غير أنها تشبه الآدمي ولكنها أكبر من حق الحمار والبغل بكثير، وله هامة كبيرة وعينان كبار كل واحدة منهما مثل هذه الدواة، واحتمل دواة غسانية بين يديه لها أربع أدوي كل واحدة بمداد السواد والخضرة والصفرة ثم مواضع للغرّا والتربة قريبة من ثلاثة أرطال فسد ما بيني و بين الشاهق والدار، والمصحف بيني وبينه مفتوح وطفق ينظر إلي وأنظر إليه وفهمت أنه يحب أن أبدأه بالحديث وأنا أنظر إليه لعله الذي يبتديني ليكون الجواب أقطع لما يريد، وبقي زماناً على ذلك يحملق عينيه ثم تلاشى إلى العدم. فهذه التي اتفقت لي وما زاد الناس فيها فمما لا يجوز لهم روايته عني أو كما قال.

توفي كما تقدم في آخر عام خمس وثلاثين أو غرة ست والله أعلم.

---

(١) الحَيْد: ما شخص من نواحي الشيء، وحيد الجبل شاخص يخرج منه فيتقدم كأنه جناح وجبل ذو حيود وأحياد إذا كانت له حروف ناتئة في أعراضه لا في أعاليه.

(ابن منظور: لسان العرب، ج٣، ص٤١٢).

(٢) النوبة: جمعها نُوَب وهي بناء أسطواني يشبه البرج ويبنى من الحجر أو الزابور. وعندها يكون لها قاعدة من الحجر بارتفاع متر ونصف أو مترين من سطح الأرض. ونوب الزابور هي اكثر شيوعاً في البلاد.

وتستخدم النوب بيوتاً للسكن. والنوبة برج للحراسة بنفس الشكل الأسطواني وقد تكون بجانب مزرعة أو جزء من سور المرفق. أو تبنى عند أبعاد معلومة ضمن سور المدينة وعلى جانبي بوابتها. كما تبنى النوب عند مسافات محددة على طول الطرقات بين المدن للدفاع عنها وقت المعارك وللحراسة. وتشير المصادر التاريخية أن النوبة بناء معروف في العصور القديمة قبل الإسلام. كما تدل عليه الخرائب للقصور الأثرية، وكانت مبنية من الحجر المنجور.

(أحمد قائد بركات: الموسوعة اليمنية، ج٢، ص٩٧٣).

(٣) سعدان: بيت كبير كان مقراً للحكومة العثمانية في شهارة. وهو من البيوت العامرة حتى الآن.

ومنهم القاضي العالم الزاهد التقي العابد أبو المساكين، وخالصة شيعة أهل البيت الطاهرين، وسلمان الآخرين، محمد بن علي بن صلاح الحضراني الآنسي، وقد تقدم.

[ومنهم القاضي المكين ذو العلم الرصين، الأصولي المحقق، والمحدث المدقق شمس الدين أحمد بن صالح العنسي (١) أطال الله عمره وقد تقدم](٢)، وحكى من يعرف حال هذا القاضي رحمه الله ومحافظته على الطاعات أنه عرض عليه الغداء وغسل يده له فأبطأ عليه فصلى ركعتين وهو في انتظاره فقيل له، فقال بلغة بلده: يقال أسبط من ثمرتك شريم(٣) -يعني لا يفوت من غير فائدة عليه هذا الوقت اليسير-(٤).

ومنهم القاضي العالم الفاضل الورع التقي الكامل، عبد الله بن محمد بن المعافا اللاحجي الآنسي (٥) وقد تقدم.

ومنهم القاضي الفقيه المحقق عز الدين **[٤٣/ب]** محمد بن صلاح السلامي الآنسي (٦).

---

(١) أحمد بن صالح العنسي البرطي اليمني العياني: قاضي وعلامة وأصولي. قرأ علم الأصول على يد القاضي عبد الهادي الحسوسة وقرأ على الشيخ لطف الله الغياث في مؤلفه (المناهل الصافية شرح الشافية) في الصرف. كان من رجال الحسين بن القاسم ومن المقربين إليه. ومن تلامذته صالح العنسي وأحمد بن صالح بن أبي الرجال وأحمد علي العنسي. كان عالماً متكلماً أصولياً عابداً زاهداً من أجل العلماء وأخيارهم. انقطع في آخر عمره للعبادة واشتغل بجليل الكلام ودقيقه وسكن في بير العزب غرب صنعاء. حتى توفي سنة ١٠٦٩هـ/ ١٦٥٨م.

(الجرموزي: النبذة المشيرة، ق٧٠؛ إبراهيم بن القاسم، الطبقات، المجلد الأول، ص١٤٧).

(٢) ما بين المعكوفين متقدم في (ب).

(٣) إسبط من ثمرتك شريم: مثل يمني. اسبط من السُّبَاطة وهي في الأصل كومة أنقاض البناء. ولكنها هنا تعني الاقتناء. والشريم المنجل. يضرب في الحق على اقتناء ما يدوم نفعه وتستمر فائدته.

(الأكوع: الأمثال اليمانية، الجزء الأول، ص١٦٣).

(٤) في (ب): بعد كلمة: لا يفوت عليه: هذا الوقت اليسير من غير فائدة.

(٥) عبد الله بن محمد بن المعافا اللاحجي الآنسي: كان من أهل الدرس والتحقيق والإتقان. قام مع الإمام القاسم بن محمد وعاضده وقد صنفه مؤرخنا الجرموزي من أكابر الشيعة وعيونها وأطلق عليه من الأشراف الشاهدون لدعوته والملبون والقائمون بنصرته. توفي في جمادى الآخرة سنة ١٠٥٤هـ/ أغسطس١٦٤٤م.

(الجرموزي: النبذة المشيرة، مخطوط، ق٦٤).

(٦) محمد بن صلاح السلامي الآنسي: كان أكثر قراءاته على يد القاضي إبراهيم بن حثيث. من تلامذته الحسين بن القاسم. كان فقيهاً حاذقاً ماهراً في الفقه وبرع في علم الكلام. اشتهر بالزهد ولبس الخشن من الملابس. وقد كان أول من بايع المتوكل إسماعيل بعد وفاة المؤيد محمد. توفي في ذمار سنة ١٠٦٣هـ/ ١٦٥٣م.

(إبراهيم بن القاسم، الطبقات، ج الثاني، ص٩٩٢).

كان عالماً محققاً مدرساً مفيداً، من مشايخه القاضي العلامة صارم الدين إبراهيم بن حثيث الذماري العلبي المشهور وغيره، توفي في عام ثلاث وستين وألف، وكان والده القاضي صلاح من أهل الفضل الشهير والعلم الغزير والعمل.

يروى أن بعض خولان العالية[1] ممن يخالط المغارب ترافع إليه هو وآخر من بلاده في قضية، ولم يعرفها لهم فحكم لأحدهما في موضع هو عندهم ثمين حكماً مشروطاً، فاستظهر للمحكوم له بحكم القاضي ولم يراع الشرط، وبلغ القاضي فطلع إلى بلاد خولان ولا يعرفها قبل، ووعظ ذلك الشقي وأمره أن يخرج الحكم وينظر في الشرط فلم يقدر عليه، وضعف خصمه لقل ماله وعشيرته، فدخل القاضي السوق وأمر منادياً، فاجتمع إليه القبائل وعرفهم الواقع لينصروه فلم يحصل منهم بل تعارضوا حتى غلب على ذلك الضعيف، فعاد بلاده وباع أحسن ماله بقيمة ذلك للخولاني حتى أرضاه، وله أخبار غير ذلك وهو من الطبقة الأولى.

وللقاضي محمد بن صلاح أولاد فضلاء أهل فائدة أشهرهم عبد الله بن محمد، فقيهاً عالماً محققاً يلي القضاء في بلاد حقل يريم، وكذا يلي أعمالها، وفي بلاد آنس[2]، غير من ذكرنا اكتفينا بذكر من سنح من مشاهيرهم للتبرك. ومن مغارب ذمار منهم القاضي العلامة الفقيه المحقق

---

(١) خولان العالية: من نواحي صنعاء شرقاً بين صنعاء ومارب. ويقال لها خولان الطيال نسبة إلى جبال الطيال. وهي إحدى القبائل الحميرية وتقع منازلها في شرقي مدينة صنعاء ومن فروعها بنو سحام، السهمان، اليمانيتان، قروى، بنو شداد، بنو ضبيان، بنو جبر، الأعروس، بنو جهم.

(الحجري: مجموع بلدان اليمن، مج١، ص٣١٥؛ المقحفي: المعجم، ج١، ص٥٨٧).

(٢) آنِسْ: إقليم واسع شمال غرب مدينة ذمار تشمل مديرية ضوران ومديرية جبل الشرق ويدخل في إطارها عدد غير قليل من المراكز الإدارية أهمها بني حاتم بني فضل بني قشيب، بني أسعد، بني سلامة، بني الشيعي، جبل إسحاق، كهال، بني سويد، جبل الجاهلي، جبل هداء، حمير وغيرها.

كانت آنس قديماً تعرف باسم مخلاف الهان. وتشتهر بوجود المزارع والعيون الجارية. وفي آنس أشهر حمامات اليمن الطبيعية وهو (حمام علي) ومياهه المعدنية الساخنة يقصده الناس للاستشفاء.

من أهم المعالم الأثرية في المنطقة هي جبل ضوران أو حصن الدامغ وحصن أشيع، وجبل الهان ويحتوي معدن العقيق اليماني. وحصن هداد وحصن الذَّرْوع في بني قشيب.

(المقحفي: المعجم، ج الأول، ص٩)

عماد الدين يحيى بن محمد بن علي بن معوضة بن علي الشبيبي الحودي المقراي وهو من الأولى، فقيهاً مدرساً عالماً، وله في الجهاد نصيب وافر، ولي القضاء في بلاده ثم في ذمار المحروسة بالله، وفيه خشوع مع حدة مفرطة، وترجيح[1] أطال الله بقاه.

ومنهم القاضي الفاضل العلامة المجاهد وجيه الدين، عبد الرحمن بن المنتصر العشبي[2]، ومنهم القاضي العالم الصبور، الأسد الهصور، شمس الدين، أحمد بن عامر بن محمد الذماري[3] رحمه الله.

كان من عيون العلماء وله نهضة في الرئاسة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، صادق العزيمة، واسع المروءة من فتيان الشيعة، توفي رحمه الله في [٤٤/أ] رجب من سنة خمس وأربعين في عاشر من بلاد بني سحام[4]، وصلى عليه والده رحمه الله، وحصل معه أمر عظيم لكبر سنه ولأنه لم يبق له من الأولاد غيره، ولأحمد المذكور أولاد فضلاء هم الآن في الطلب[5]، ولهم همة عالية أنالهم الله أقصاها، وأورثهم علم سلفهم وخلوص شيعهم.

ومنهم القاضي العالم المجاهد شمس الدين أحمد بن علي بن أحمد بن أبي الرجال[6].

---

(١) في (ب) ويرجع، أي نفسها، والصواب ما أثبتته الباحثة.

(٢) عبد الرحمن بن المنتصر العشبي: كان فقيهاً عارفاً شارك في الحرب ضد العثمانيين. كان يُعد من أضراب العلامة سعيد الهبل. فصيحاً له قصيدة مشهورة. توفي في الشرف.

(ابن أبي الرجال: مطلع البدور، ج٣، ص١٤).

(٣) أحمد عامر بن محمد الذماري: كان مشاركاً في الحروب التي كانت حول مدينة زبيد عند حصار العثمانيين. فرحل إلى بلاده خولان. ووالده ساكن فيه فمرض أياماً ومات ووقع لوالده أمر عظم أثر وفاته لأنه لم يتبق لديه غيره. توفي في رجب سنة ١٠٤٥هـ/ ديسمبر١٦٣٥م.

(الشرفي: اللآلئ، ج٣، ص٦٤٧).

(٤) بني سحام: قرية في خولان العالية شرق مدينة صنعاء.

ووادي سحام مشهور بزراعة العنب وأنواع الفواكه.

(المقحفي: المعجم، ج١، ص٧٧٣؛ الحجري: المجموع، مج٢، ص٤١٦).

(٥) أي في طلب العلم.

(٦) أحمد بن علي بن أبي الرجال: عالم مجتهد شاعر وأديب صاحب الإمام القاسم في وادعة. ونسخ له كثيراً من الكتب بخطه الجميل. وأخذ عنه. ثم رحل إلى صعدة لتلقي العلم على يد علمائها. ثم انتقل إلى شهارة وقرأ على العلامة أحمد لقمان صاحب الكافل. كان =

كان من أهل العلم والفهم والبلاغة والصبر محبباً في الناس مألوفاً، توفي رحمه الله في ثاني شهر ربيع الآخر عام أربعين وألف في محروس صنعاء بعد أن مرض وطال مرضه من بعد أيام نجد مخيرب[1] إلى التاريخ المذكور، وكان هو القاضي والملازم لمحطة الأمير سنبل[2]، وله في الجهاد واستصلاح أهل الجهل والفساد، ما يعسر وصفه، وله من الصبر وسعة الصدر ما يقل مثله.

ومنهم القاضي العلامة الحبر المفيد الصدر شمس الدين، أحمد بن سعيد بن صلاح الهبل[3]، كان عالماً متبحراً يومئ إليه بالإجتهاد ويرجع إليه في الإنتقاد.

توفي رحمه الله في شهر جمادى الأولى عام ستين وألف، وقد تقدم وأخواه العالمان الفاضلان علي والمهدي وقد تقدم ذكرهما.

ومنهم أخوهم الرابع العلامة المحقق الفهامة الفقيه المدقق عبد القادر بن سعيد الهبل[4]، أطال الله عمره مقيماً في صعدة المحروسة بالله إماماً في العلم، ولهم أولاد وإخوة كثيرون علماء فضلاء يسكنون صعدة وصنعاء، اقتصرنا على ذكر مشاهيرهم.

ملازماً للأمير سنبل في حروب تهامة وقد ولاه الإمام المؤيد القضاء في حيس وموزع. ولم يترك تهامة إلا بعد أن ألم به مرض في بطنه. ودخل صنعاء للعلاج فما لبث إلا قليلاً وتوفي سنة ١٠٤٠هـ/ ١٦٣٠م.

(ابن أبي الرجال: مطلع البدور، ج١، ق١٥؛ يحيى بن الحسين: المستطاب، مخطوط، ق٥١٤؛ الوجيه: أعلام المؤلفين، ص١٤٤).

(١) أيام نجد مخيرب: هي معركة عسكرية قامت بين الجيش الإمامي في زمن الإمام المؤيد محمد وبين العثمانيين بالقرب من زبيد في عهد الوالي قانصوه باشا سنة ١٠٣٩هـ/ ١٦٢٩م. وسيرد في نص السيرة أخبار هذه المعركة.

(٢) الأمير سنبل: أحد القادة الأتراك الذي انضموا إلى معسكر الإمام المؤيد محمد بن القاسم وقد وردت له سيرة وأحداث تفصيلية في نص الدراسة من هذه الرسالة.

(٣) أحمد بن سعيد بن صلاح الهبل: كان عالماً خيراً مفيداً صدراً متبحراً يومى إليه بالاجتهاد. قرأ على والده وقرأ على السيد محمد بن عز الدين المفتي في البحر الزخار. وقرأ الهداية في الفقه لإبراهيم الوزير، وقد أخذ عنه مجموعة كبيرة من العلماء والمشيخ. توفي في صنعاء سنة ١٠٦١هـ/ ١٦٥٠م، وقبره بجوار مسجد الأبهر.

(الجرموزي: النبذة المشيرة، ق٥٩؛ إبراهيم بن القاسم: الطبقات، المجلد الأول، ص١٣١).

(٤) عبد القادر بن سعيد الهبل: محقق علامة فهّامة مفتي صعدة. قرأ كل علوم الطلب في عصره منها كتاب الشفاء للأمير الحسين. ومنح إجازة على قراءته للبحر الزخار. وله قراءات على يد الإمام المؤيد محمد بن القاسم. ومن تلامذته محمد بن الحسن وأحمد بن صالح عبد القادر ويحيى بن مشحم وغيره من أبناء الزمن.

(إبراهيم بن القاسم: الطبقات، ج الأول، ص٥٧٢).

ومنهم القاضي الفاضل العالم الكامل شمس الدين أحمد بن يحيى بن محمد بن حنش الظفاري[1]، فقيهاً عالماً متفنناً، ورعاً مجاهداً، كان ملازماً لمولانا الحسن رحمه الله في أسفاره، وكاتب سره ويلي القضاء، توفي في ظفار في شهر.....[2] من عام ست وخمسين بعد الألف[3].

ومنهم القاضي الفاضل العلامة العامل الصالح المتبتل، محمد بن صالح بن عبد الله بن حنش، عالماً فاضلاً زاهداً ورعاً، إليه القضاء والتدريس في المشهد المقدس بذيبين[4] أطال الله عمره.

ومنهم الأخوان الفقيهان المجاهدان **[٤٤/ب]** العالمان محمد بن علي بن صالح بن سليمان الأكوع، وشرف الدين الحسن بن علي بن صالح، لهما في العلم يد غير قاصرة، وفي الجهاد مقامات غير منحصرة، ولهم مع ذلك السخاء وكمال المروءة والأبوة فإن والدهم سيدنا علي بن صالح[5] رحمه الله من صلحاء الأمة وفضلائها، معروف بالبر والسخاء، وصدق الحديث وطهارة القلب، وحسن الولاء لأئمة الحق، لازم الإمام الناصر لدين الله أمير المؤمنين الحسن بن علي -سلام الله عليه- بجهد وصبر، وكان ممن خدمه في بعض أيام أسره أيضاً ثم مولانا الإمام المنصور بالله ـ عليه السلام ـ لازمه كثيراً واختص به وعمر حتى رأى الطبقة الرابعة من ولد ولده، وتوفي رحمه الله وهم فوق مائة ذكر[6]، وكان يُقصد للزيارة،

---

(١) أحمد بن يحيى بن محمد حنش الظفاري: لم أجد له ترجمة في المصادر التي بين يدي.

(٢) بياض في (أ)، (ب).

(٣) ١٠٥٦هـ = ١٦٤٦م.

(٤) ذِبِيْن: مدينة شرق خمر شمال ريدة تقع بين هضبتين كبيرتين وتطبق عليها الجبال من مختلف الجوانب منها جبل ظفر، تشتهر بالعنب الجُبرى. وتشمل سفيان، مرهبة، بني جبر.

(الحجري: المجموع، مج١، ص٣٥١؛ المقحفي: المعجم، ج١، ص٦٥٧).

(٥) علي بن صالح بن سليمان بن أحمد الأكوع: عالم فاضل آزر الإمام الحسن بن داود المؤيدي وحارب معه العثمانيين. وأصيب برصاصة في معركة القدوم بالأهنوم. ثم صحب الإمام القاسم بن محمد حتى وفاته ثم بقي مع الإمام المؤيد محمد. توفي بشهارة ١٠٥٣هـ/ ١٦٤٣م وكانت ولادته في هجرة الملاحة في تاريخ غير معروف. (الأكوع: هجر العلم، المجلد الرابع، ص٢١١٥).

(٦) فوق مائة ذكر: المقصود به أولاده وأحفاده من الرجال.

توفي سنة.....[1] ودفن في مسجد ذي الشرفين[2] مما يلي قبر السيد العلامة الحسن بن شرف الدين نفع الله بهم.

وأما ولده محمد فتوفي يوم السبت في سلخ ذي القعدة عام ثمان وأربعين وألف[3] في موضع من تهامة يسمى عتود من أعمال الشقيق[4] وهو مثاغر[5] هناك، وقبره في المحل المذكور مشهور مع عدة من أصحابه، والحسن في الحياة أطال الله بقاه، وله في كل أوان ازدياد، ولهم ولأخيهم حي الفقيه المجاهد السابق الصابر عز الدين بن علي أولاد علماء فضلاء وفيهم رئاسة، اكتفينا بذكر مشاهيرهم.

ومنهم الأخوان العالمان الكبيران والقمران النيران علي بن محمد بن يحيى بن سلامة[6]، عالماً مجتهداً له مصنفات، والحسن بن محمد وهو كذلك مع العلم الشهير والورع والزهادة، وقد تقدم ذكرهما.

ومنهم القاضي الفاضل الورع الكامل الذكي الفطن الحلاحل صارم الدين إبراهيم بن يحيى السحولي[7] رحمه الله، له شرح على مصباح العلوم، وحاشية على الأزهار، وقد تقدم.

---

(١) بياض في (أ)، (ب).

(٢) ذي الشرفين: المقصود به الأمير ذي الشرفين محمد بن جعفر بن القاسم بن علي العياني المتوفى بشهارة سنة ٤٧٨هـ/ ١٠٨٥م. ومسجد ذي الشرفين يقع جنوب شرق جامع مدينة شهارة وقد آل إلى الخراب.

(٣) ذو القعدة ١٠٤٨هـ ـ مارس ١٦٣٨م.

(٤) عتود من أعمال الشقيق: لم أجد لها ترجمة لكن الواضح من السياق أنها في تهامة حيث كان الجيش الإمامي يحاصر العثمانيين هناك.

(٥) مثاغر: الثغر ما يلي دار الحرب، والثغر موضع المخافة من فروج البلدان. يقال فلما مر الأجل قفل أهل ذلك الثغر. والمقصود بها هنا أنه كان مشاركاً في ذلك الحصار وتلك الحرب.
(ابن منظور: لسان العرب، ج٢، ص١٠٣).

(٦) علي بن يحيى سلامة: عالم محقق أصولي، أخذ عن الإمام القاسم والإمام المؤيد محمد وغيرهما، وقرأ كل علوم الطلب السائدة في عصره. وحصل على الإجازات في مختلف العلوم. عمل مع الإمام المؤيد محمد وكان من الملازمين لابنه علي بن المؤيد عمل حاكماً وكاتباً لديه، وله مصنفات في الفقه وأصول العربية. مات في منزله بالقرب من مسجد صلاح الدين بصنعاء في شهر رمضان سنة ١٠٩٠هـ/ اكتوبر ١٦٧٩م. (إبراهيم بن القاسم، الطبقات، ج الثاني، ص٧٨٥؛ الوجيه: أعلام المؤلفين الزيدية، ص٧١٩).

(٧) إبراهيم بن يحيى السحولي: الصنعاني، عالم فقيه مجتهد شاعر. تولى القضاء بصنعاء في آخر عهد المؤيد مولده بذمار وبها نشأ ثم اتجه إلى صنعاء وقرأ على يد مشايخها، فبرع في جميع الفنون. كان شاعراً مجيداً حرص في أشعاره على تحريض الناس ضد العثمانيين. ولكنه =

ومنهم القاضي العلامة الزاهد الواعظ التقي عز الدين محمد بن عبد الله الغشم الآنسي[1]، وقد تقدم.

ومنهم الفقيه الفاضل المجاهد العلامة عماد الدين يحيى بن صلاح الثلائي[2]، وقد تقدم.

ومنهم الشيخ الجليل العلامة شمس الدين أحمد [٤٥/أ] بن قاسم الخولاني[3] وقد تقدم، ومنهم الشيخ الكبير العالم الشهير جمال الدين لطف الله[4] بن محمد بن الغياث الظفيري الحجي[5] وقد تقدم.

أحرقها مخافة أن تقع في أيديهم. عمل بالتدريس والفتيا والقضاء. ألّف كتاب شرح مصباح العلوم وحاشية على الأزهار وله كتاب الطراز المذهب في إسناد المذهب. واستمر إماماً للجامع الكبير بصنعاء حتى وفاته في جمادى الأولى سنة ١٠٦٠هـ.

(الشوكاني: البدر الطالع، ج٢، ص٩٧؛ الوجيه: أعلام المؤلفين الزيدية، ص٧٥؛ يحيى بن الحسين: المستطاب، ص٥٣١).

(١) محمد بن عبد الله الغشم الآنسي: وقد صنفه الجرموزي من العيون الذين فقهوا في أيامه، وظهر فضله ونبله مع التزامه بالأحكام هو الفقيه الزاهد الحبر الورع العابد، قدوة العارفين اشتهر بفضله وورعه الشحيح ووعظه النافع لعامة الناس، وله أخبار حسنة ومصنفات لا سيما في التفسير. توفي في حيمة بني الذواد من بلاد لاعة في رجب عام ١٠٤٣هـ/ يناير١٦٣٤م.

(الجرموزي: النبذة المشيرة، ق٦٧؛ إبراهيم بن القاسم، الطبقات، المجلد الثاني، ص١٠١٨؛ الوجيه: أعلام المؤلفين، ص٩٢٨).

(٢) يحيى بن صلاح الثلائي: الفقيه الفاضل العالم المجاهد الصابر العابد الورع. كان من أهل الفضل والجهاد والصبر ومكارم الأخلاق. توفي في شهر رمضان عام ١٠٤٨هـ/ يناير١٦٣٩م، وقد صنفه الجرموزي في الطبقات الأولى ومن عيون أكابر الشيعة القائمون بنصرة الأئمة.

(الجرموزي: النبذة المشيرة، ق٦٥).

(٣) أحمد بن قاسم الخولاني: الشيخ الجليل والعالم النبيل من بلاد بني جبر، عالماً مجاهداً، أخذ عن عيون العلماء في عصره. كان خطه حسن. تولى القضاء في رداع في زمن المؤيد محمد بن القاسم. توفي ودفن برداع في محرم سنة ١٠٦٠هـ/ يناير ١٦٥٠م.

(الجرموزي: النبذة المشيرة، ق٦٥؛ ابن أبي الرجال: مطلع البدور، ج الأول، ق١٦٧).

(٤) يوجد هنا ملاحظة في الحاشية تم إضافتها لاحقاً بخط مغاير، وليست من الناسخ أو المؤرخ وهي كالتالي: (له حاشية على الشرح الصغير على التلخيص والإيجاز في علم الإعجاز، وعند رقم هذه الأحرف لسيدي العلامة وفد من محمد بن الحسين (غير واضحة من الأصل) على الحازة، بلغه الله ما يرفد بحق محمد وآله، حرر في شهر محرم سنة تسعمائة وألف، وكتب الفقير إلى الله سبحانه محمد بن زيد بن محمد وفقه الله.

ثم حاشية أخرى تكملة لها (منّ الله بتمام هذا الشرح على يد من مؤلفه مولانا العلامة المحقق أبا محمد بن زيد بن محمد بن الحسن المنصور بالله، وهو من محاسن مصنفات اليمن، وقد قرأ عليه وعلى من قرأ عليه، وله عليه حاشية معروفة معلقة في الهامش، وله رد على الشيخ إبراهيم الكردي، حال من الحمام على التمام، وله غير ذلك من الرسائل والمسائل المحققة وأرجوزته المقنعة في الفنون على أنواعها، وما مات إلا وقد تقدم في الفنون وقرأ عليه أجلها مصنفاً كالكشاف، وشرح نجم الدين، وشرح القاضي العضد على المختصر، وغيرها من سائر الفنون، ومع ملك له في مكملات النضح الإنساني من التقوى والكرم ومكارم الأخلاق، طهارة النشأة، ومحبة الخير، وكراهة الشّر، ورفض الدنيا، ما يليق بشريف منصبه الهاشمي قدس الله روحه في الجنة، ونفع بسره. كتبه الفقير عبد الله بن علي بن محمد بن عبد الإله بن الوزير عفى الله عنه في العصر الوسطى من شهر رجب ١١٣٤هـ).

(٥) لطف الله بن محمد بن الغياث الظفيري الحجي: شيخ عالم سماعاته باليمن مشهورة، له كثير من التلاميذ. رحل إلى الطائف ليقرأ =

ومنهم الفقيه العالم الفصيح البليغ المتكلم عين الأدباء فخر الدين، المطهر بن علي بن محمد النعمان الضمدي التهامي [1] عارفاً بليغاً سيما في علم الأدب وله فيه بل وفي غيره مصنفات معتمدة.

ومنهم الفقيه المحقق الفروعي المدقق بهاء الدين أبو القاسم البيشي التهامي، فقيهاً عرافاً محققاً مدرساً، لازم الإمام -عليه السلام-، وأخذ عنه ثم مولانا الحسين رحمه الله وغيره من العلماء، وأخذ عنه عيون أيضاً ولي القضاء في محروس زبيد بعد فتحها، أطال الله بقاه.

ويسمع من علمائها وعاد إلى اليمن ١٠٢٢هـ. أطلق عليه معاصروه شيخ الشيوخ، وأستاذ الرسوخ. كان مستكملاً لأنواع الفضائل حلياً غاية في العلم جمع كل العلوم الإنسانية والحكمية وحققها. من كتبه المشهورة:

(المناهل الصافية شرح الشافية).

(شرح على الكافية).

(الإيجاز في علمي المعاني والبيان).

(الحاشية المفيدة على شرح التلخيص الصغير).

(شرح على الفصول اللؤلؤية).

(شرح على خطبة الأساس).

اشتهر بعلمه وتمكنه في علم الطب. وله تمكن في علم الجبر والزيجات وغيرها. وكان كابن حزم في الفرائض والحساب. أقام بمكة خمسة وعشرين سنة، فاختلط بالفضلاء والعلماء. يقال عنه بأنه أعف خلق الله في عصره، وله أجوبة ومسائل محققة. توفي في رجب سنة ١٠٣٥هـ/ ١٦٢٥م في ظفير حجة.

(ابن أبي الرجال: مطلع البدور، مخطوط، ج٤، ص١٤؛ يحيى بن الحسين: المستطاب، ق٥٣٠؛ إبراهيم بن القاسم، الطبقات، ج٢، ص٨٨١).

(١) المطهر بن علي بن محمد النعمان الضمدي التهامي: وقد اختلف في كتاب الهجر مع مؤرخنا في الاسم الرابع فذكر بأنه المطهر بن علي بن محمد بن علي بن حسن بن إبراهيم الضمدي والأرجح أنه نفسه. عالم محقق في الفقه لغوي مفسر نحوي طبيب وشاعر. مال إلى قراءة كتب السنة كما قرأ كتب ابن تيمية وتلميذه ابن القيم. ومن شعره قصيدة جامعة لأسماء القرآن المجيد. مولده كما جاء عند بروكلمان سنة ١٠٠٤هـ/ ١٥٩٥م وفاته بضمد في رمضان سنة ١٠٤٨هـ/ يناير ١٦٣٨م.

من كتبه:

- جلاء الوهوم مختصر ضياء الحلوم لمحمد بن نشوان في اللغة.
- الروض على الأزهار ولب الأفكار.
- الفرات المنير في تفسير الكتاب المنير.
- كتاب في الطب.
- المنقح شرح الموشح على كافية ابن الحاجب.
- النفحات المسكية في الأفعال الثلاثية.

(الأكوع: هجر العلم، ج٣، ص١٢٢٠).

الطبقة الثانية:

منهم القاضي الفاضل العلامة الكامل صلاح الدين، صلاح بن نهشل الذنوبي الحجي[(١)]، عالماً كبيراً متفنناً، ولي القضاء في شهارة المحروسة بالله بعد القاضي عامر بن محمد، وإليه كثير من أمور المسلمين.

قال بعض علمائنا: وقد ذكر سعة علم القاضي المذكور في ذلك المجلس فذكر بعضهم سعة علم القاضي العلامة وجيه الدين عبد الهادي بن أحمد الثلائي رحمه الله في علم الكلام، فقال القاضي صلاح: أناف على ذلك ثم قال: وهو في الفقه الفقيه المحقق، وأما علم النحو وما يتعلق به فإنما هو سيبويه زمانه أو كما قال، وكتبت هذه الأحرف وهو في الحياة وقد عرض له ألم من قبل السكتة حتى ذهل[(٢)]، شفاه الله وأقاله وأطال تعميره.

ومنهم القاضي العارف الفقيه المحقق فخر الدين عبد الله بن يحيى بن حنش ولاه الإمام -عليه السلام- القضاء في بلاد مسور المنتاب[(٣)] بجهات لاعة فعظم نفعه واستنصف به المظلوم، وقد يحتاجه الإمام -عليه السلام- إلى غير تلك الجهة لعارض القضايا المهمات.

ومنهم الفقيه الفاضل العالم التقي حفظ الله بن أحمد بن سهيل، فقيهاً عالماً ورعاً ذكياً، ولي القضاء في هجر الأهنوم وما إليه وله مع سعة العلم والفهم الورع الشحيح بحيث لم يتناول شيئاً من بيت المال، أطال الله بقاه**[٤٥/ب]**.

ومنهم الفقيه الفاضل العالم الصالح صلاح الدين صالح بن مسعود الحاجب الشظبي، قرأ كثيراً في الفقه وحقق فيه، أخذ عن عدة من العلماء منهم: الإمام -عليه السلام-،

---

(١) صلاح الدين صلاح بن نهشل الذنوبي: قرأ على يد علماء عصره في علم الكلام والعربية والفقه. وله تلاميذ عدة. كان نحوياً عارفاً متفنناً عالماً بالعربية، كان يناظر به القاضي السحولي. حليفاً للصلاة والذكر والتلاوة. توفي بجهة الأهنوم في زمن المتوكل إسماعيل بن القاسم.
(إبراهيم بن القاسم، الطبقات، المجلد الأول، ص٥٢٩).

(٢) حتى ذهل: لعله أصابه شيء من الذهول وعدم الإدراك.

(٣) مسور المنتاب: ناحية في محافظة حجة ويطلق عليه مسور المنتاب لسكون آل المنتاب فيه. ومسور واد مشهور في خولان العالية. ومسور عزلة في ريمة.
(الحجري: المجموع، مج٢، ص٧٠٨؛ المقحفي: المعجم، ج٢، ص١٥٢٤).

والقاضي عامر وغيرهما وفيه، ديانة حسنة يعرف بها، فيقال له الدَّين، انقطع إلى العلم، وعكف عليه وأهله على حالهم في خدمة الباب.

ومنهم الفقيه العلامة الأديب وجيه الدين عبد الحميد بن أحمد بن يحيى بن عمرو بن المعافا[1]، عالماً أديباً.

ومنهم القاضي العلامة الفاضل الحاكم العادل المرضي صارم الدين إبراهيم بن الحسن العيزري[2] من العلماء الأبرار الصالحين الأخيار، وله مع كمال علمه الورع الشحيح والصبر على أمور المسلمين وسلامة الصدر ولو ذكرنا تفصيل ذلك لطال، من ذلك أن بعض أهل شهارة المحروسة بالله أوصى بحجة الإسلام وعين لذلك موضعاً في محروس شهارة أيضاً ولم يحصل من الوارث تنفيذ الوصية فأنفذها القاضي وباعه وجهز الحاج وقبض المشتري المال وتصرف فيه في محضر الورثة وعلمهم وعجزهم عن التسليم وقضى الأمر، وانفصل زيد من عمرو، ثم بعد أيام حك في صدر أشقاهم وسوسة شيطانية أن القاضي يبيع عنهم وهم في الحياة، وكان القاضي إذ ذاك في حضرة مولانا الإمام الأعظم المتوكل على الله رب العالمين أيده الله على حاله المعروف لا وقت له يخصه إلا ما لا بد منه، فإنما هو مستغرق الذات والحواس لإصلاح الناس، فهبط هذا الشقي من شهارة المحروسة بالله إلى أقر[3]، وقيل: إنه سئل في الطريق أين تريد؟ فقال: أقتل القاضي الذي باع مالي وكأني امرأة، فضحك السامع

---

(١) عبد الحميد بن أحمد بن يحيى بن عمرو بن المعافا: كان عالماً أديباً أريباً محققاً لا سيما في العربية. له شرح على الملحة. وحواش وأجوبة مفيدة في النحو وشرح الهداية والأزهار في الفقه، له خط حسن ونظم جيد توفي في السودة في نيف وخمسين وألف.

(ابن أبي الرجال: مطلع البدور، ج٣، ق٨؛ الشوكاني: البدر الطالع، ج٢، ص١١٤؛ زبارة: جامع المتون، ص٢٧٩).

(٢) إبراهيم بن الحسن العيزري: النوفي (بطن من همدان) نسبة إلى هجرة العيازرة بجبل الأهنوم، عالم فقيه تقي تولى القضاء والكتابة للإمام المتوكل إسماعيل بن القاسم، وصاحبه في سفره وحضره. توفي في صنعاء ١٠٧١هـ/ ١٦٦١م وقبر في مقبرة خزيمة.

(ابن أبي الرجال: مطلع البدور، ج١، ق٣٠؛ زبارة: ملحق البدر الطالع، ٢، ص٥؛ الوجيه: أعلام المؤلفين، ص٤٨).

(٣) أقِر: وادي أقر في شرق شهارة يُعرف اليوم ببيت القابعي. فيه مشهد داود بن الهادي شارح كتاب الأساس. وأقر ودرب الأمير اسمان يطلقان على مسمى واحد وهو القابعي. وهي قرية كبيرة من جبل سيران الشرقي أسفل جبل الأهنوم، جنوب شرق شهارة بها جامع كبير مهدم. كانت تصل إليه المياه من (عين المقل) القريبة من باب النحر باب مدينة شهارة عبر تعرجات في الصخور منحوتة لتوصيل المياه من منطقة إلى أخرى.

(عبد السلام الوجيه: هامش كتاب الطبقات لإبراهيم بن القاسم: المجلد الأول، ص٣٢٣).

استبعاداً وظن أن ذلك من المجون ومما لا يقدر أن يكون، فوافق ذلك اليوم قدوم مولانا السيد العلامة صفي الدين أحمد بن الحسن ابن أمير المؤمنين أطال الله بقاه والناس في لقاه فوافق ذلك الشقي القاضي يريد الإمام أو خرج من عند ذلك -عليه السلام- ولا في المكان غيره، فوثب عليه بطعنات وحضر من دافع عنه بإعانة الله مع أنه يعني القاضي غير محترس، فأراد بعض من أغار البطش بذلك الشقي فدافع عنه القاضي ثم أبرأه بعد، وقال كما قال أمير المؤمنين كرم الله وجهه وصلوات الله عليه في ابن ملجم -لعنه الله- وهذه أختها[1] الصغرى وأُحتمل القاضي إلى منزله وهَمَّ الإمام -عليه السلام- **[٤٦/أ]** فيما بلغ بقتل عدو الله من باب من أتى الفساد في الأرض، فلا زال القاضي يدافع عنه حتى أرسله الإمام بعض الحبوس ولم يلبث أن أهلكه الله، وكان لهذه القضية أمر عظيم وموقع جسيم.

ومنهم القاضي العلامة التقي الفاضل عز الدين محمد بن علي بن محمد الجملولي وقد تقدم ذكر والده وهذا تلوه في خصاله، وفيه برارة ومكارم أخلاق وعلم غزير وفهم كثير، بعثه الإمام -عليه السلام- إلى مواضع منها كوكبان، ولي القضاء فيه، ثم مكة المشرفة بعثه في الشهر الأول من شهر وفاته -سلام الله عليه- باستدعاء الشريف الكامل والملك العادل زيد بن محسن[2] أطال الله بقاه، فإنه استدعى من الإمام -عليه السلام-، عالماً كاملاً من الزيدية يكتفي به عمن سواه من غيرهم، فاختاره الإمام -عليه السلام- لذلك وأهله لما هنالك، ثم في أيام مولانا أمير المؤمنين المتوكل على الله أيده الله ولي كثيراً من القضاء والفتيا منها في بندر المخا[3] المحروس بالله.

ومنهم الفقيه العلامة صلاح الدين صالح بن عبد الرحمن الكندحي الحيمي من بلاد

---

(١) في (ب): اجتهاد.

(٢) زيد بن محسن: من أشراف الحجاز ومتولي مكة وأغوارها وأنجادها حتى القنفذة وحلي بني يعقوب تولى الإمارة سنة ١٠٤١هـ/ ١٦٠٧م بعد عم أبيه عبد الله بن الحسن. توالت في أيامه عدة فتن خاصة في إقليم نجد. وقد حاول قمعها بالشدة. مدحه بعض شعراء عصره. توفي سنة ١٠٧٧هـ/ ١٦٦٦م. (إبراهيم محمد الصبحي: بلاد الحجاز في القرن السابع عشر، ص٣٥؛ يحيى بن الحسين: بهجة الزمن، ج١، ص٤٤٥؛ أبو طالب: تاريخ اليمن، ص٢٤).

(٣) بندر المخا: ميناء ومدينة مشهورة على البحر الأحمر، غرب مدينة تعز ترجع شهرتها لأنها من أهم موانئ تصدير البن. (المقحفي: المعجم، ج٢، ص١٤٤٥؛ الحجري: المجموع، مج٢، ص٦٩٤).

الحجادب ومحل يعرف بدار كندح، فقيهاً عارفاً في جميع الفنون مما أخبرني مولانا أمير المؤمنين -عليه السلام- وقد ذكره وقال: ترى هذا الفقيه صالح قرأ من العلم ما قرأناه أو كما قال.

توفي في قرية القابل[1] من أعمال صنعاء، وكان إليه القضاء فيها وآباؤه معروفون بالعلم والتقوى.

ومنهم القاضي العلامة المفيد الصمصامة برهان الدين المهدي بن عبد الهادي بن أحمد الثلائي[2]، عالماً كبيراً محققاً يلحق بوالده المعروف، وله مع ذلك سعة صدر وقوة على القضاء والفصل، فإنه في ذلك تلو أبيه معروف بالبر للطلبة والإيثار لهم وكذا إخوته علماء فضلاء أطال الله بقاهم.

منهم القاضي الفاضل العالم العامل جمال الدين علي بن عبد الهادي، معروفاً بالعلم الكثير والتحقيق الشهير ممن يضرب به في ذلك المثل.

ومن فقهاء شهارة المحروسة بالله الفقيه العلامة المحقق عز الدين محمد بن ناصر بن دغيش الغشمي[3]، فقيهاً عارفاً محققاً **[٤٦/ب]** فروعياً، قرأ على القاضيين العالمين عامر بن محمد الذماري، وسعيد بن صالح الهبل، هو الآن من عيون أهل العلم.

ومنهم القاضي العالم المحقق المفيد المهدي بن جابر بن نصَّار العفاري[4]، عالماً فقيهاً، إليه

---

(١) قرية القابل: من قرى بني الحارث أسفل وادي ضهر بالقرب من صنعاء.
(الحجري: مجموع بلدان اليمن، مج٢، ص٦٤١).

(٢) المهدي بن عبد الهادي بن أحمد الثلائي: المعروف بالحسوسة قرأ على والده وتلامذته جم غفير من العلماء من أبناء عصره منهم القاسم بن الإمام إسماعيل. توفي سنة ١١٠٠هـ/ ١٦٨٨م.
(إبراهيم بن القاسم، الطبقات، ج٢، ص١١٥٤).

(٣) محمد بن ناصر بن دغيش الغشمي: كان فقيهاً عارفاً محققاً فروعياً. قرأ البحر الزخار ومن أساتذته سعيد بن صلاح الهبل والإمام المؤيد. وأخذ عنه مجموعة من علماء عصره. وكان أحد رواة أخبار شيخه القاضي عامر. (إبراهيم بن القاسم، الطبقات، ج٢، ص١٠٨٤)

(٤) المهدي بن جابر بن نَصَّار العفاري: بلداً والحجي مسكناً، قرأ في الفقه شرح الأزهار والبيان، وغيرها من كتب الفقه. أخذ عنه مشايخ تلك الجهات. فقد كان عالماً محققاً جيداً تولى القضاء بالظفير وحجة واستمر بها مدرساً وحاكماً حتى توفي سنة ١١٠٢هـ/ ١٦٩٠م. وقبره خارج مبين في صرح القبة المعروفة بقبة الحمزي.
(إبراهيم بن القاسم، الطبقات، ج٢، ص١١٥١).

القضاء والتدريس في شهارة المحروسة بالله نظير القاضي العلامة صلاح بن نهشل الذنوبي المقدم الذكر.

ومنهم الفقيه العالم المحقق شمس الدين أحمد بن جابر بن شرف الدين العيزري الأهنومي[1]، فقيهاً مدرساً.

ومنهم الأخوان[2] العالمان الفاضلان فخر الدين عبد الله بن أحمد الحربي وبدر الدين محمد بن أحمد الحربي الصنعانيان، كانا من أهل الورع والزهادة والتعليم والإفادة، ماتا في عام عشر بعد الألف، رحمهما الله تعالى.

ومنهم القاضي الأفضل الأعلم الأعمل صلاح الدين صالح بن أحمد، من المحابشة[3] من الشرف الأسفل.

قال السيد أحمد نفع الله به: كان هذا القاضي بقية العلماء في تلك الجهة، وكان إليه قضاؤها، وكان ورعاً فاضلاً، توفي في شهر رمضان عام تسع وأربعين وألف[4].

ومنهم الفقيه الفاضل العالم الكامل ناصر بن جابر الأسدي الشرفي.

قال السيد أحمد نفع الله به: كان من العلماء الأخيار، توفي في غرة القعدة عام خمس وخمسين وألف[5].

---

(١) أحمد بن جابر بن شرف الدين العيزري: الأهنومي، كان متنسكاً يتشبه بالصوفية ويخدم نفسه من السوق بالحاجات. ويخرج بطعام في جرابه ويطوف في الطرقات يطعم من تبعه من الغرباء والكلاب.
انتقل إلى صنعاء وتوفي فيها سنة ١٠٩١هـ/ ١٦٨٠م. (الأكوع: الهجر، ج٣، ص١٤٩٥).

(٢) في (ب) زيادة: العلمان.

(٣) المحابشة: مدينة وجبل شمال مدينة حجة تقع بين حجة وكحلان الشرف وهي مديرية من مديريات حجة وتضم العديد من المراكز وهي مناطق جبلية تحيط بها عدد من الوديان وتشتهر بزراعة البن الفاخر والموز والأرز.
(المقحفي: المعجم، ج٢، ص١٤١٣).

(٤) رمضان ١٠٤٩هـ = ديسمبر ١٦٣٩م.

(٥) ذي القعدة ١٠٥٥هـ = ديسمبر ١٦٤٥م.

ومنهم سيدنا العلامة الفاضل المجاهد المناضل وجيه الدين عبد القادر بن علي بن يحيى المحيرسي [1] من بلاد جبل تيس [2]، عالماً كبيراً عاملاً شهيراً زاهداً ورعاً بلغ في العلم مبلغاً عظيماً في جميع فنونه، وله نشأة طاهرة، وفي الجهاد أثر إليه القضاء آخراً في بلاد جبل تيس وبلاد كوكبان والحيمة وحراز [3]، وإن كان ثم قضاة فإنما هم في حكم النائبين عنه لقبول قضاءه عند العامة والخاصة. ووالده هو الشهيد العابد العالم المجاهد الواعظ: علي بن يحيى المحيرسي المشهور في أصحاب سيدنا القاضي العلامة نجم الدين يوسف بن علي الحماطي [4] نفع الله بهم، ويروى للقاضي عبد القادر أطال الله بقاه فضائل كثيرة وزوار من الجن، ومما شاع وذاع وظهر، واشتهر قضية الحريق في المحطة الحسنية المنصورة بالله في أيام حصار زبيد كما سيأتي، فحرقت المحطة كلها، والقاضي المذكور مريض لم يقدر الهرب، فأحرقت المحطة خلفه وبين يديه وقريبه، ولم تجاوز النار عشته وما يتعلق بها ورأينا ذلك آية عرفها من حضر **[٤٧/أ]** المخيم المنصور بالله، أطال الله بقاه.

---

(١) عبد القادر بن علي المحيرسي: الحيمي اليماني صاحب الحاشية على شرح الأزهار وهي حاشية نفيسة. أخذ علمه عن جميع علماء عصره مثل السيد محمد بن عز الدين المفتي. كان ممن شارك في حرب العثمانيين في عهد المؤيد محمد بن القاسم قوالاً بالحق كثير الصدقات مات سنة ١٠٧٧هـ/ ١٦٦٦م.

(الجرموزي: النبذة المشيرة، ق٥٩؛ ابن أبي الرجال: مطلع البدور، ج٣، ص١١٦).

(٢) جبل تيس: جبل مشهور في المحويت يقال له جبل بني حبش، وتقع في سفحه الغربي مدينة المحويت، كما يقال له جبل نضار. (المقحفي: المعجم، ج١، ص٢٤٧).

(٣) حراز: سبعة جبال يجمعها اسم حراز وهي مناخة، صعفان، مسار، لهاب، مجيح، شبام، هوزن. أطلق عليها الهمداني حراز المستحرزة أي المنيعة والحصينة وهي جبال شاهقة هائلة صعبة المرتقى يعلوها عدد من القمم الناطحة للسحب. وفي جبال حراز تكثر أشجار البن التي تُعد من أجود أنواع البن اليمني.

(المقحفي: المعجم، ج١، ص٤٤١؛ الحجري: المجموع، مج١، ص٢٥٢).

(٤) يوسف بن علي الحماطي: نسبة إلى بطن من الحنايف وبلاد الحجرة يسمون بني حماطة. عالم فاضل أخذ العلم عن قاسم العلوي، وعلي بن قاسم السنحاني. عاضد الإمام الحسن بن داود المؤيدي وبقي مبايناً للأتراك حتى ظهور الإمام القاسم فناصره ووصل إلى ذمار وطاف البلاد وأخذ عن شيوخ زبيد، ثم قصد مكة وتلقى كثير من علوم مشايخها. ثم عاد إلى اليمن وفي هجرة فللة حرص على التعليم والإرشاد. وله رسائل وكتاب في الزهد (إلهام الأكياس إلى الجام أعضاء الرأس). ثم أسر في عهد العثمانيين أثناء ثورة الإمام القاسم. واستشهد مسموماً في الحبس سنة ١٠٠٧هـ/ ١٥٩٨م وقبر في مقبرة خزيمة. وله أخبار في سيرة الإمام القاسم بن محمد. (الجرموزي: النبذة المشيرة، ق٥٨؛ إبراهيم بن القاسم، الطبقات، ج٣، ص١٢٧٤؛ الوجيه: أعلام المؤلفين، ص١١٧٧).

ومنهم صنوه في العلم والفضل والسؤدد والنبل، وقرينه في القراءة والتجرد لها في مواضع كثيرة القاضي العلامة: صلاح الدين صالح بن محمد الحافلي من أعمال جبل تيس أيضاً، كان عالماً عاملاً له الصبر العظيم على التدريس، مشهور الإفادة أخذ عن القاضي العلامة عامر بن محمد وغيره من العيون، ولازم كثيراً الإمام المنصور بالله -عليه السلام- وأخذ عنه كثيراً، ولي القضاء آخراً في بلاد المحويت[1] وجهاتها، وله نهضة فيه وحزم في إعلان الحق، ولما توفي في عام.....[2]، وكان القاضي عبد القادر في جهات الحيمة أمره الإمام -عليه السلام- بالتوسط على الجهات كما تقدم.

ومنهم القاضي العلم المعدود في أهل الفضل والكرم جمال الدين علي بن إبراهيم المجربي، ولعله من الطبقة الأولى، ولي القضاء في ساقين[3]، وجهة خولان، توفي في نيف وخمسين وألف.

ومنهم القاضي العلامة المحقق البليغ المدقق عز الدين محمد بن أحمد بن محمد السلفي من بلاد المصانع، كان تلو أبيه في العلم، ويعرف بالفطنة والذكاء، وتولى كثيراً من الأعمال بعد والده رحمة الله عليه، وكثرت أمواله حتى سئمها، وفرق كثيراً منها في أنواع القرب، وتوفي عام اثنين وخمسين وألف[4].

ومنهم القاضي الفاضل الزاهد التقي العالم المرضي جمال الدين علي بن أحمد بن عبد الله الغشم الآنسي من بيت معروف بالزهد والفضل والاحتياط والوعظ، كان تلو عمه ووالده في الفضل، وكان عمه يحبه كثيراً ويختص بملازمته، وابتلي رحمه الله بألم في رجله، وكان بسببه

---

(١) المحويت: مدينة شمال غرب صنعاء. تقع على قمة جبل يشرف على عدد من الوديان والمدرجات الزراعية الجميلة. واسم المحويت يطلق على المحافظة وتشمل شبام، كوكبان، الطويلة، الرجم، الخبت، ملحان، حفاش، بني سعد. (الحجري: المجموع، مج٢، ص٦٩١؛ المقحفي: معجم البلدان، ج٢، ص١٤٤٠).

(٢) بياض في (أ)، (ب)، في (ب): أضاف كلمة: بعد الألف.

(٣) ساقين: بلدة صغيرة غرب مدينة صعدة بمسافة ٣٠كيلو. وهي مركز قبيلة خولان بن عمرو، كان بها السد المعروف بسد الخانق الذي يسقي وادي العبديين المشهور بأعنابه وفواكهه.

(المقحفي: المعجم، ج١، ص٧٦١؛ الحجري: المجموع، مج١، ص٤١٠).

(٤) ١٠٥٢هـ = ١٦٤٢م.

وفاته رحمة الله عليه، وهو مع ذلك وشدته لا ينفك من التدريس والإفادة، فكان مثابة للطالبين وقد تقدم ذكر أبيه وعمه، نفع الله بهم، توفي في .....[1] وقبره مشهور في بلدة قرف[2] من بلاد بني قشيب.

ومنهم القاضي العلامة الصدر الفهامة الحاكم المتفنن شمس الدين أحمد بن يحيى بن إبراهيم بن صلاح الآنسي، من هجرة مسطح[3] من بلاد بني قشيب، بلدة أهلها معروفون بالفضل والعلم والزهادة، وهي متصلة ببلد الغشم، كان والده القاضي العلامة الزاهد العابد يحيى بن إبراهيم من الطبقة الأولى ممن يستدفع به البلاء، ويستدر به المطر، وله فضائل وعبادة يضرب بها المثل في بلادهم، توفي .....[4] وقبره مشهور مزور، عليه قبة عمرَّها ولده أطال الله بقاه **[٤٧/ب]** وعلى السيد العالم الفاضل الشهير عماد الدين يحيى بن قاسم بن يوسف بن المرتضى بن المفضل بن منصور بن المفضل بن الحجاج وهو عبد الله في رواية، وهي أظهرها بن علي بن يحيى بن القاسم بن يوسف بن يحيى بن الناصر بن الهادي ـ عليهم السلام ـ، وكان القاضي أوصى ولده بأن يقبره إلى جنب السيد عماد الدين.

قال القاضي أطال الله بقاه: ولما احتفرنا قبر الوالد انفتح إلى قبر السيد رحمه الله كوة، ففاح لنا منها رائحة المسك الذي لا نعرفه في الدنيا، فأعدنا ما انهدم، وقد رأيت ساقه صحيحاً. ووالده إبراهيم بن صلاح من أهل الزهادة والفضل وخلوص المحبة لأهل البيت والإهتمام بحوائج ضعفائهم، ووالده القاضي صلاح من الزهاد الكبار، والعلماء الأبرار، كثير الإنفاق والتواضع، من عجيب ما يروى عنه[5] أنه يركب إذا احتاج المسير دابة من غير إكاف[6]

---

(١) بياض في (أ)، (ب).

(٢) بلدة قرف: قرية في جبل الشرق في آنس محافظة ذمار.
(المقحفي: معجم البلدان، ج٢، ص١٢٦٥).

(٣) هجرة مسطح: في بلاد قشيب، شمال جبل الشرق في آنس، محافظة ذمار. كانت معقلاً يقصدها طلبة العلم. (المقحفي: المعجم، ج٢، ص١٥١٤).

(٤) بياض في (أ)، (ب).

(٥) عنه: زيادة في (أ).

(٦) إكاف: الإكافُ والأُكاف من المراكب: شبَّ الرحال، وأكف الدابة: وضع عليها الإكاف كأوكفها أي شد عليها الإكاف.
(ابن منظور: لسان العرب، ج١، ص١٧٠).

والسجادة بين يديه، فإذا وجد موضعاً موافقاً تنفل فيه وإذا عرض النوم ارتبط دابته ونام في أي موضع ويقول: نعمة أرسلها الله لعبده يبادر بتلقيها.

ويروى أن بعضهم وجده في موضع على تلك الحالة مهتماً في طريق بخلاف العادة فقال: أين تريد يا سيدنا وأكثر عليه، فتبسم إليه وقال: لي ابنة بلغت التكليف في هذه الليلة وعهدي بفلان من الفضلاء كفؤاً لها، فأريد أخبره هل يتزوجها أو كما قال.

وله ولآبائه أخبار حسنة فهذا القاضي شمس الدين خلف سلف أخيار، عالم من العلماء الكبار، وله في القضاء والصبر اعتبار وأي اعتبار، يقصده مع بلاد آنس غيرها من بلاد الحجرة[1] وعانز وحراز وريمة وغيرها، وله أولاد وقرابة فضلاء أهل علم وإفادة، أطال الله بقاه.

ومنهم القاضي العالم الورع العامل جمال الدين علي بن يحيى الشبيبي، إليه القضاء في مغارب ذمار[2]، وفيه أناة وحلم مع الصبر والورع مفيداً في التدريس، أطال الله بقاه.

---

(١) بلاد الحجُرَة: قاع فسيح في الحيمة الخارجية غرب جبل حضور، يشمل عدة قرى ومزارع ممتدة من سفح جبال مخلاف مذيور شرقاً وتنتهي غرباً بجبلي حراز وعانز.

(المقحفي: معجم البلدان، ج١، ص٤٢١؛ الحجري: المجموع، ج١، ص٢٣٢).

(٢) ذَمَارْ: مدينة تقع جنوب صنعاء على بُعد ١٠٠ كيلو متر وهي مركز محافظة ذمار كان لموقع المدينة المتوسط بين العاصمة ومدن الجنوب في سهل زراعي منبسط أثر هام في حياتها التجارية والسياسية. كانت أحد مراكز العلم والثقافة العربية والإسلامية في اليمن ويُعد جامعها من أقدم المساجد الإسلامية. وكان للمدينة قبل الإسلام دور تاريخي فقد ورد ذكرها كثيراً في النقوش اليمنية القديمة (هجرن/ ذمر) أي المدينة ذمار. وينسب إليها نفر من أهل العلم منهم أبو هشام عبد الملك بن عبد الرحمن الذماري القارئ. وذكر الهمداني في صفة جزيرة العرب أن ذمار قرية جامعة بها زروع وآبار قريبة ينال ماؤها باليد ويسكنها بطون من حمير وأنفار من الأبناء. وبها بعض قبائل عنس. وأن ذمار مخلاف نفيس كثير الخير، عتيق الخيل كثير الأعناب والمزارع به بينون وهكر وغيرهما من القصور القديمة، وفيه جبل إسبيل. وفي مخلاف ذمار جبل اللَّسي وهو جبل بركاني معروف على بعد عشرين كم شرق المدينة. ومدينة المواهب عاصمة محمد بن أحمد بن الحسن بن القاسم صاحب المواهب وتبعد عن مدينة ذمار حوالي عشر كيلو مترات من ناحية الشرق.

ومن مآثرها: قلعة هرّان، ومدرستها المشهورة مدرسة الإمام شرف الدين (القرن العاشر الهجري) وهي من أنفس مدارس ذمار وحولها منازل كثير لسكنى المهاجرين والوافدين لطلب العلم وأغلب تدريس العلم يكون في المدرسة الشمسية. وبها الكثير من المساجد المشهورة. وتنقسم المدينة إلى ثلاثة مخلاف الحوطة والجراجيش والمحل. ويقع السوق في وسط المدينة وحولها سماسر ينزل إليها المسافرون أما اليوم فقد اختلطت هذه الأحياء وأقيمت أحياء أخرى وامتد العمران في كل اتجاه. وأكثر مزارع ذمار البر والشعير والذرة والقضب.

وتشمل محافظة ذمار الوحدات الإدارية التالية: الحداء، عنس، جهران، ضوران، جبل الشرق، مغرب عنس، عتمة، وصاب العالي، وصاب السافل.

(د/ العمري: الموسوعة اليمنية، ج١، ص٤٧٢؛ المقحفي: المعجم، ج١، ص٦٤٩).

ومنهم القاضي العلامة الكامل عز الدين وعين الشيعة المحققين محمد بن صلاح الفلكي الذماري[1] المذحجي[2]، فقيهاً عارفاً فاضلاً إنما هو في ذمار وبلادها وبلاد المذحجية، فريد الدهر، وآية العصر، إليه التدريس والفتيا والقضاء والخطابة، وله من التحقيق لمذهب الهادوية ما يضرب به المثل، فإنما هو على طرف لسانه مع حدة فيه ويرجح سريعاً مع الرفق بالطلبة والبر له والتقريب بما لا يعرف مثله في زماننا، أطال الله بقاه.

ومنهم ابن عمه القاضي العلامة [٤٨/أ] الفاضل عماد الدين يحيى بن علي بن محمد بن صلاح الفلكي، فقيهاً محققاً في الفقه اليحيوي إليه القضاء في مدينة إب وذي جبلة، وله مع العلم زيادة الحلم وكمال المروءة وحسن الفضل في القضايا الواردة أطال الله بقاه.

ومنهم القاضي العالم الحاكم المرضي في المسلمين شرف الملة[3] والدين الحسين بن يحيى بن محمد السحولي الحاكم في صنعاء المحروسة بالله، عالماً محققاً متقناً[4] تلو أخيه القاضي صارم الدين نفع الله في العلم والكمال، أطال الله تعميره.

ومنهم ولد أخيه العلامة الزاهد البليغ الفاضل العابد، حليف القرآن وحيد الزمان محمد بن إبراهيم بن يحيى[5] عالماً كبيراً زاهداً عابداً كثير الخلوات، وله في ذلك أخبار حسنة،

---

(١) محمد بن صلاح الفلكي الذماري المذحجي: نسبة إلى فلكة قرية من قرى ذمار. هو القاضي العلامة عين الشيعة المحققين كان فقيهاً عارفاً فاضلاً. مفتي فرائضي رفيق بالطلبة مع بعض حدة في طباعه. كان ملماً بعلم الفرائض والحساب والجبر والمقابلة. تولى القضاء مدة طويلة محمود الأثر صادحاً بالحق. توفي سنة ١٠٧٤هـ/ ١٦٦٣م. (ابن أبي الرجال: مطلع البدور، ج٤، ق١٦٩؛ إبراهيم بن القاسم، الطبقات، ج٢، ص٩٩٠).

(٢) المذحجي: نسبة إلى مذحج وهو حلف واسع للقبائل اليمنية ذات الطابع البدوي وشبه البدوي ويضم إلى مذحج كلاً من: الحارث بن كعب ومراد وسعد العشيرة وحكم وجعفي وزيد الله والحدأ وعنس وجَنْب وقائفة وأود وطيء، وصداء ورهاء والنخع والأشاعر. وفي النقوش المسندية تذكر مذحج كقوة سياسية موازية لقوة كندة. وبتحالفها قامت مملكة كندة ومذحج في نجد وعاصمتها مدينة الفاو. وكانت خاضعة لملوك سبأ ثم ملوك سبأ وذي ريدان. (مطهر علي الإرياني: الموسوعة اليمنية، ج٢، ص٨٥٠).

(٣) الملة: ليست في (ب).

(٤) في (ب): متفنناً.

(٥) محمد بن إبراهيم بن يحيى بن محمد بن صلاح الشجري السحولي ثم الصنعاني: أحد العلماء المبرزين والأدباء المجيدين أخذ العلم عن والده وغيره. وأخذ عنه جماعة من أكابر العلماء. كان خطيباً بجامع صنعاء ثم صار خطيباً برداع في آخر مدته ولاه المهدي صاحب المواهب الخطابة بالخضراء التي اختطها. وكان مبرزاً في العلوم والأدب وله شعر منسجم جيد. توفي سنة ١١٠٩هـ/ ١٦٩٧م.
(الشوكاني: البدر الطالع، ج الثاني، ص٩٦).

أطال الله بقاه.

ومنهم الفقيه الحافظ الأديب الواعظ البليغ المقول الذي عليه في كل فن المعول، الأصولي النحوي اللغوي، واحد عصره وفريد دهره عبد الرحمن بن محمد الحيمي، سكن صنعاء، فظهر علمه وأدبه وحلمه، أطال الله بقاه.

ومنهم القاضي العالم الكامل الحسن بن أحمد بن صالح اليوسفي الحيمي[1] من أهل العلم الكثير والتحصيل الكبير، وله مع ذلك علو همة وكمال في محاوره الكبرى، وهو سفير مولالنا الأعظم المتوكل على الله أيده الله إلى ملك الحبشة الأعظم، وله فيها أخبار طويلة.

ومن فقهاء صعدة المحروسة بالله القاضي العلامة الحبر الفهامة المعتمد الصدر شرف الدين الحسن بن يحيى بن أحمد بن حابس الدواري[2]، عالماً متبحراً تلو أخيه عالم الزمان في الكمال وسعة العلم وجودة الفهم، وله مع ذلك حسن التصرف في أموره، قوي الحركة في تدبيره، ذو مال من أطيب المكاسب لا يتناول شيئاً من بيت المال ولا غيره، ويلبس الفاخر ويركب الفَارِه[3]، ويصل الرحم كثير الصدقة أطال الله بقاه ولي القضاء في صعدة

---

(١) الحسن بن أحمد بن صالح اليوسفي الحيمي: كان من المقربين من الإمام المؤيد محمد بن القاسم وكان سفيراً للإمام المؤيد إلى ابن أخيه أحمد بن الحسن إلى يافع لكي يصلح من شأنه ويرجع لطاعة الإمام. وكذلك أرسله الإمام المتوكل إسماعيل إلى حضرموت حين وقع الاختلاف بين السلاطين آل كثير. وقام بسفارة للمتوكل إسماعيل إلى الحبشة سنة(١٠٥٧هـ/ ١٦٤٧م) ومكث بها ثلاث سنوات وكتب هذه الرحلة في كتاب (رحلة الحبشة).

ترجم له يحيى بن الحسين ترجمة طويلة وذكر هذه الرحلة (رحلة الحبشة) في كتابه بهجة الزمن. وهناك كتاب للرحلة يسمى (حديقة النظر وبهجة الفكر في عجائب السفر) وصف فيها الحيمي رحلته إلى الحبشة وصفاً دقيقاً مُمْعِماً بالتفاصيل الدقيقة والطريفة والأخبار المفيدة. كان الحيمي من أكابر العلماء وأفاضل الأدباء وأسندت إليه المهام العظيمة واشتغل بالدرس والتدريس. وهو عالم مبرز في الفقه. مشارك في الحديث وعلوم العربية. توفي سنة ١٠٧١هـ/ ١٦٦٠م.

(إبراهيم بن القاسم، الطبقات، ج١، ص٢٩١؛ يحيى بن الحسين: بهجة الزمن، ج١، هامش ص٢٦١،٢١٤، تحقيق الزميلة أمة الغفور الأمير؛ الشوكاني: البدر الطالع، ج الأول، ص١٨٩؛ د/ العمري: المؤرخون اليمنيون، ص٥١).

(٢) الحسن بن يحيى بن أحمد بن حابس الدواري: أخذ عن السيد محمد بن عز الدين المفتي جامع الأصول لابن الأثير. وقرأ على القاضي أحمد بن صالح بن أبي الرجال في العربية والسيد صالح السراجي كان عالماً محققاً متفنناً ظريف المحاضرة والمجالسة، تولى القضاء بمدينة صعدة ثم رحل إلى صنعاء بعد أن تزوج منها وكان صاحب تجارة يشرف عليها بنفسه. توفي سنة ١٠٧٩هـ.)إبراهيم بن القاسم، الطبقات، ج الأول، ص٣٥١؛ الشوكاني: البدر الطالع، ج الثاني، ص٧٨).

(٣) الفارة: ويقال دابة فارهة أي نشيطة حادة قوية. (ابن منظور: لسان العرب، ج١٠، ص٢٥٣).

المحروسة بالله بعد شدة نفار عنه.

ومنهم الفقيه الفاضل العالم الكامل صارم الدين إبراهيم بن محمد.....[1] المتميز الصعدي[2]، وقد تقدم.

ومنهم الفقيه العلامة المجتهد المحقق صديق بن ناصر السوادي أصله مولى من بلاد الجوف[3] انقطع إلى العلم الشريف في صعدة، وقرأ على حي السيد العلامة داود بن الهادي المؤيدي رحمه الله وغيره وظهر علمه، وقرأ عليه كثير من العيون منهم مولانا عز الإسلام محمد بن الحسن بن أمير المؤمنين، أطال الله بقاه، ولي القضاء في بلاد خولان آخراً.

ومنهم القاضي الأفضل الأكمل العلامة جمال الدين علي بن قاسم العنسي البرطي[4] وأولاده العلماء الفضلاء أحمد بن علي ومحمد بن علي.

ومنهم الفاضل الفقيه الفاضل الذكي المرضي العلامة عز الدين محمد بن الهادي بن محمد[5] بن إبراهيم بن أبي الرجال[6]، كان فقيهاً عارفاً قرأ في صعدة المحروسة بالله وظهر

---

(١) بياض في (أ) فقط.

(٢) إبراهيم بن محمد المتميز الصعدي: من العلماء الفضلاء الزهاد النجباء أدرك مدة الإمام القاسم بن محمد وولده المؤيد محمد. كان مدرساً في علوم الزيدية بصعدة. (يحيى بن الحسين: المستطاب، ق٥١١).

(٣) الجوف: واد ومنطقة شمال شرق صنعاء بمسافة ١٤٥ كيلو متراً على أطراف الربع الخالي. وهي منطقة سهلية منبسطة تحيط به المرتفعات الجبلية وبالتالي فهي تستقبل كل مياه وسيول الجبال وتحبسها في جوفها لتشكل خزّانات جوفية. ولذا فمنطقة الجوف من أخصب الأراضي الزراعية. وتزرع الكثير من المنتجات الزراعية.

وتشمل محافظة الجوف عدد من المديريات منها: خَبّ، الشّعفْ، الحزم، المصلوب، الغيل، الزاهر، الخلق، الجهيدات، المطمة، المتون، وبرط العنان، وخراب المراشي، رَجُوزة.

(المقحفي: معجم البلدان، ج الأول، ص٣٧٣).

(٤) علي بن قاسم العنسي البرطي: كان من الفضلاء الأخيار له معرفة في الفقه وأصول الدين زاهداً في الدنيا. سكن برط وقد اهتدى على يديه خلق كثير من أهل تلك الجهة من المشارق. صنفه الجرموزي من أكابر عيون الشيعة في عصر الإمام القاسم بن محمد.

(الجرموزي: النبذة المشيرة، ق٦٤، مخطوط؛ يحيى بن الحسين: المستطاب، مخطوط، ق٥١٨).

(٥) في (ب) زيادة: ابن علي بن محمد بن سليمان بن أبي الرجال.

(٦) محمد بن الهادي بن محمد بن علي بن محمد بن سليمان بن أبي الرجال ولد في الخُيس من أعمال مرهبة سنة ست عشرة وألف. أخذ جُل كتب الفقه عن عمه السيد أحمد بن الهادي الديلمي، ورحل معه إلى قطابر. قرأ في الثلاثين مسألة على السيد إبراهيم بن علي الحيداني. وقرأ المناهل كان عالماً زاهداً فقيهاً محققاً. أثنى عليه الأفاضل منهم الإمام المؤيد محمد أقام بصعدة وتوفي بها. كانت أخلاقه نبوية رؤوفاً بالضعفاء، لين الجانب على الطلبة. كانة له عناية بجامع الإمام الهادي وإحياءه. توفي سنة ١٠٥٣هـ/ ١٦٤٣م.

(إبراهيم بن القاسم، الطبقات، ج٢، ص١٠٩٢).

علمه وولي القضاء في بلاد خولان، وتوفي .....[1] ثم ولي القضاء بعده الفقيه صديق كما تقدم.

ومنهم ابن عمه القاضي الفاضل العلامة شمس الدين أحمد بن صالح بن محمد بن إبرهيم بن أبي الرجال[2]، عالماً متفنناً فطناً أديباً اختص بملازمة مولانا أمير المؤمنين المتوكل على الله رب العالمين صلوات الله عليه معروف الفهم كثير الصبر وسعة الصدر أطال الله عمره.

ومن علماء[3] فقهاء الشافعية عدة من العيون قالوا بإمامته واستندوا إليها، واستجاز منهم كثيراً من الحديث، وأجازهم في كثير من مسموعاته وطرقه -سلام الله عليه ورضوانه-.

منهم الفقيه العلامة العارف المحقق جمال الدين**[٤٨/ب]** علي بن محمد مطير الحكمي[4] كان هذا الفقيه على نهاية في العلم وغاية في الفهم، إماماً مقصوداً وعلماً منصوباً محدثاً كبيراً وولداه محمد بن علي وأحمد بن علي كانا تلو أبيهما وفي أحمد بن علي زيادة فطنة، فإنه نظم كثيراً من المختصرات، ونظم الأزهار[5] في فقه الهادي -عليه السلام- ومحمد يتلوه مع وقار فيه رحمه الله.

---

(١) بياض في (أ)، (ب).

(٢) أحمد بن صالح بن محمد بن إبراهيم بن أبي الرجال: علامة مؤرخ شهير واسع الاطلاع ولد في جبل ذري بالأهنوم سنة ١٠٢٩هـ/ ١٦٣٠م. تلقى علومه عن أعيان علماء عصره، منهم الإمام إسماعيل بن القاسم والإمام المؤيد محمد بن القاسم وبرع في كثير من العلوم. اشتهر بالفهم والذكاء والصبر. كان ثقة وقد قلده المتوكل إسماعيل منصب خطيب جامع صنعاء طوال فترة حكمه. واشتهر باهتمامه بكتابة التاريخ منه كتابه الشهير مطلع البدور ومجمع البحور أربع مجلدات تحتوي على أكثر من ١٣٠٠ ترجمة مرتبة على حروف المعجم، وغيرها من الكتب والتصانيف والأبحاث المفيدة. رحل إلى الروضة وأقام بها حتى وفاته سنة ١٠٩٢هـ/ ١٦٨١م. (عامر بن محمد: بغية المريد، ق٦٥؛ إبراهيم بن القاسم، الطبقات، ج١، ق١٣٧؛ الشوكاني: البدر الطالع، ج١، ص٥٩؛ الوجيه: أعلام المؤلفين، ص١١٨).

(٣) علماء: زيادة في (أ).

(٤) الشيخ علي بن محمد بن أبي بكر بن مطير الحكمي اليمني: ولد سنة ٩٥٠هـ/ ١٥٤٣م تلقى علومه عن الشيخ الأمير بن إبراهيم مطير وعبد السلام النزيلي وغيرهم. كان عالماً متفنناً وله مؤلفات مفيدة منها (الإتحاف) مختصر التحفة لابن حجر وكتاب (الديباج على المنهاج) و(كشف النقاب) وغيره. توفي في عبس سنة ١٠٤١هـ/ ١٦٣١م. (الشوكاني: البدر الطالع، ج٢، ص١٧٦).

(٥) نظم الأزهار: المقصود به كتاب (الأزهار في فقه الأئمة الأطهار)، كتاب مختصر محكم في الفقه الزيدي للإمام المجتهد أحمد بن يحيى المرتضى صنفه في السجن ما بين عامي ٧٩٤-٨٠١هـ/ ١٣٩٢-١٣٩٨م اختصر فيه سفراً واسعاً في الفقه هو كتاب الانتصار ليحيى بن حمزة، وكتاب (التذكرة الفاخرة) للحسن النحوي. حظي كتاب الأزهار بعدد كبير من الشروح والحواشي كان أولها شرح المؤلف نفسه بكتابيه الكبيرين (الغيث المدرار) ٤ مجلدات و(البحر الزخار) ٢ مجلدين. واكتسب (متن الأزهار) بعد ذلك شهرة ومكانة خاصة حتى بات عمدة المذهب الزيدي في اليمن ومرجع طلابه وفقهائه.
(د/ حسين العمري: الموسوعة اليمنية، ج١، ص٩٦).

ومنهم القاضي الأفضل الأعلم الأكمل بدر الدين محمد بن علي الصعفاني الحرازي، سمعت القاضي العلامة أحمد بن محمد السلفي يذكر علمه الغزير وتحصيله الكثير سيما في الحديث والتفسير.

ومنهم القاضي العلامة الأعلم وجيه الدين عبد الباقي بن عبد السلام بن عبد الملك بن حسين النزيلي.

ومنهم الفقيه النبيه العلامة عفيف الدين عبد المنعم النزيلي وصنوه الفقيه الأفضل العلامة عبد الواحد بن عبد المنعم النزيلي، وهؤلاء بنو نزيل فقهاء علماء قدماء لا يزال منهم المحقق والعالم المدقق والتدريس الإفادة كما في بني مطير وبني الحبيشي وبني التباعي وغيرهم.

ومنهم الفقيه الأفضل العلامة الأكمل بدر الدين محمد بن عبد العزيز الحبيشي الوصابي[(١)] الساكن في مدينة تعز[(٢)]، وكان هذا الفقيه محمد بن عبد العزيز وحي صنوه علي بن عبد العزيز ووالدهم محلهم في العلم شهير وتحصيلهم فيه كثير لا سيما محمد هذا، ولما كان مولانا أمير المؤمنين وسيد المسلمين المتوكل على الله رب العالمين في محروسة تعز[(٣)] لازم مجلسه، وأخذ عنه كثيراً من علوم العامة واستجاز منه عمومها، توفي في عام ثلاث أو أربع وخمسين وألف[(٤)].

ومنهم الفقيه العلامة صفي الدين أحمد بن أحمد بن فيروز، من فقهاء مدينة إب فقيهاً

---

(١) الوصابي: نسبة إلى وصاب وهما وصاب العالي ووصاب السافل، تابعتان لمحافظة ذمار.
(المقحفي: معجم البلدان، ج٢، ص١٨٧٣).

(٢) في (ب): وصاب.

(٣) تعز: مدينة في مرتفعات اليمن الجنوبية تقع في سفح جبل صَبِر الذي يبلغ ارتفاعه حوالي ٣٠٠٠متر أول من مصَّرها ومدَّنها الملك المظفر الرسولي وأصبحت عاصمة الدولة الرسولية، وقد زارها كثير من الرحالة ووصفوا بناءها وقصورها ومساجدها وأبوابها وقلعتها المشهورة بقلعة القاهرة. وترجع أهمية مدينة تعز كونها تقع على الطريق التجاري الذي يربطها بالمخاء وعدن جنوباً.

(٤) ١٠٥٤هـ = ١٦٤٤م.

عارفاً ولاه الإمام -عليه السلام- الخطبة الصلاة في مدينة إب.

ومنهم الفقيه الأفضل العلامة جمال الدين علي بن مرجان، من فقهاء تعز فقيهاً عارفاً، عين تلامذة الفقيه الإمام المحدث محمد بن عبد العزيز الحبيشي المقدم الذكر وبقية الفقهاء في محروسة تعز.

ومنهم الفقيه العالم العلامة تاج الدين عبد الوهاب بن علي السمحي ثم العتمي، وكان هذا الفقيه الفاضل عبد الوهاب، والده أصلاً في المغارب في الفقه النافع والورع والإحتياط، ونفع الله بعلومهم بلادهم العُتمية(١) والوصَابِية(٢) والريْمية(٣)، ولهم خلف فضلاء علماء أشهرهم الفقيه **[٤٩/أ]** العلامة الفهيم اللوذعي محمد بن عبد الوهاب، أطال الله بقاه.

ومنهم الفقيه العلامة وجيه الدين عبد الرحمن بن أحمد العثماني الريمي.

ومنهم الفقيه العلامة الأفضل نجم الدين إسحاق بن(٤) جغمان الزبيدي.

وأما أمراؤه في الجهاد أهل الملاحم الكبار الشداد، فكما تراه في ذكر سيرته وعدد الملاحم الكثيرة، وأما عماله -عليه السلام- فهم طبقتان:

الأولى: الذين استعملهم قبل الفتوح للبلاد الكثيرة وظهور الدولة النبوية المنيرة، فكان على صعدة(٥) ومخاليفها ونجران(٦) وغيره مولانا صفي الدين وبركة المسلمين أحمد بن أمير

---

(١) العُتمية: نسبة إلى عُتُمَة: مدينة جنوب غرب مدينة ذمار. وهي عبارة عن جبال شاهقة تغطيها المدرجات الزراعية والمراعي والغابات. وتتخللها الكثير من الوديان والهضاب الزراعية ومسيلات المياه التي تصب في وادي رماع ووادي زبيد. وتمتاز عتمة بتنوع مناخي وبيئي أدى إلى تنوع المحاصيل الزراعية والخيرات وبها الكثير من القلاع والحصون الأثرية. (المقحفي: معجم البلدان، ج٢، ص١٠١٤؛ الحجري: المجموع، مج٢، ص٥٧٦).

(٢) الوصابية: نسبة إلى وصاب وقد سبق ترجمتها.

(٣) الريمية: نسبة إلى إقليم ريمة وقد سبق ترجمتها.

(٤) في (ب): محمد.

(٥) صعدة: مدينة تاريخية عُرفت منذ ألف سنة بهذا الاسم وكانت صعدة القديمة جنوب غرب في أحضان جبل (ثُلُمُّص) وهي مدينة حميرية قديمة يرجع تاريخ خرابها إلى القرن الثالث الهجري. أما المدينة الحديثة وموقعها بالجنوب الشرقي من قاع الصحن والصعيد الممتد من جُماعة. ويحيط بمدينة صعدة سور منيع قديم رائع في تصميمه وتعرجاته وأبراجه. وللسور أربعة أبواب باب السلام، باب اليمن، وباب نجران، وباب المنصورة. وفي صعدة مساجد أثرية قديمة أكبرها مسجد الهادي نسبة إلى الإمام الهادي يحيى بن الحسين الرسي. وتتكون محافظة صعدة من: همدان صعدة - سحار - خولان عامر - جُماعه - رازح. (المقحفي: المعجم، ج١، ص٩٠٧؛ الويسي: اليمن الكبرى، ص١٢٧).

(٦) نجران: تبعد عن صعدة بحوالي مائة كيلو متر ويحدها جنوباً رملة همدان بن زيد، وشمالاً قحطان وشرقاً الربع الخالي وغرباً لواء صعدة =

المؤمنين المنصور بالله -سلام الله عليه- ثم كان كما سيأتي اضطرابات أحوجت الإمام -عليه السلام- إلى بعث صنوه مولانا العلامة الأكرم، الملك العادل الأعظم، سيف الإسلام وشرفه الهمام الحسن[1] بن أمير المؤمنين -رضوان الله عليه- وبلاد الشرفين صنوه أيضاً مولانا العلامة الجليل ذا العلم الجزيل والجهاد العريض الطويل شرف الإسلام الحسين[2] بن أمير المؤمنين أيده الله، وأما بلاد صعدة ولاية مولانا أحمد بن أمير المؤمنين أولاً ثم مولانا الحسن آخراً فلهما عمال علماء كرماء عظماء منهم السيد الرئيس الكبير العالم الشهير شمس الدين أحمد بن المهدي المؤيدي، وقد تقدم ذكره في طبقات العلماء.

كان بنظر من ولي صعدة من صنويه -سلام الله عليه- وإليه من البلاد رازح[3] العر وصور وبنو جماعة[4] وما والاها، وله من السياسة والرياسة والكرم ما يطول به الشرح، توفي آخر عام أربع وأربعين كما تقدم.

ومنهم السيد العلامة الحبر صارم الدين نبراس علم آل طه وياسين دواد بن الهادي بن المهدي بن يحيى بن الحسين بن أمير المؤمنين المؤيدي إليه بعض بلاد بني جماعة، وبنو حذيفة[5]، وبنو سويد[6]، والعشة[7]، وما والاها.

وعسير، ومن أهم قراها الحصن والجربة وصنعاء والأخدود وابن التامر وهي قرى أثرية. ومن محاصيل نجران التمر والحبوب على اختلاف أنواعها. وكانت نجران وعسير وجيزان ضمن مناطق اليمن الكبرى ولكنها في العصر الحديث وبموجب اتفاقية الطائف ١٩٣٤م ضم آل سعود هذا الإقليم ضمن حدود المملكة على أن يتم ترسيم الحدود لاحقاً. (الويسي: اليمن الكبرى، ص١٣٣).

(١) سبق ترجمته.

(٢) سبق ترجمته.

(٣) رازح: جبل مشهور قرب مدينة صعدة وتشمل مديرية رازح عدد من القرى والعزل مثل غمار بني ربيعة، بكيل العلا، شعبان، آلت علي، الأزهور، آل عطيف، جبل الأزد، الغور، الحجيلة، بني النضير، بركان، الشوارق، بني القحم بن صباح. وجميعها مساكن خولان بن عامر وفيها الكثير من المعالم السياحية والأثرية.

(الحجري: المجموع، المجلد الأول، ص٣٥٥؛ المقحفي: المعجم، ج١، ص٦٦٢).

(٤) صور والعر وتتبع بنو جماعة وهي المراكز الإدارية التي تتبع محافظة صعدة. وبنو جماعة تقع مساكنهم شمال غرب مدينة صعدة وتتألف من سلاسل جبلية وسهول ومركزها الرئيسي مجز. (الويسي: اليمن الكبرى، ص١٢٨).

(٥) بنو حذيفة: قبيلة من بني جماعة، وفرع من قبائل خولان بن عمرو. ومركزهم مدينة مجز ومن ديارهم: النقع، الزور، طِخية، يهبر، الرقة، القَدْرين، الحاربة، هجرة ضحيان. (المقحفي: المعجم، ج١، ص٤٣٩).

(٦) بنو سُويد: من قبائل جُماعة في صعدة وأهم قراهم، ضعان، ميفعان، أشمس، الشويف، الجو. (المقحفي: المعجم، ج١، ص٨٢٩).

(٧) العَشَّة: قرية في جبل سحار جنوب غرب صعدة. وهناك مناطق أخرى في محافظة صعدة تحمل نفس الاسم وهي العشة في مديرية باقم =

ومنهم السيد العلامة الحبر شمس الدين أحمد بن محمد بن صلاح اليحيوي القطابري[1]، وإليه بلاد يسنم[2] وقطابر[3] وما إليها، وأما العمال من تحت أيديهم في غيرها فلا يستقرون وإن كان فيهم كلمة وأهل نهضة ورئاسة.

وعمال **[٤٩/ب]** مولانا الحسين رحمة الله عليه السيد العلامة الفاضل شرف الدين الحسن بن صلاح الشرفي على بلاد الشرف الأسفل، وله أخبار حسنة وسياسة صالحة، وفي سائر البلاد عمال بنظر الإمام -عليه السلام- في وادعة وما إليها من، والظاهر [السيد العلامة فخر الدين عبد الله بن عامر بن علي[4] عم الإمام -عليه السلام- وصنوه الرئيس المجاهد محمد بن عامر[5] في بعضها -يعني أيامها-][6]، وفي بلاد مرهبة[7] وخارف[8] وبني

في الطرف الشمالي من صعدة، والعشة قرية في أعلى وادي أملح مديرية كتاف محافظة صعدة. وتبلغ عدد القرى والعزل التي تحمل اسم العشة حوالي ١٥ قرية وعزلة متفرقة في مناطق اليمن.

(المقحفي: المعجم، ج٢، ص١٠٧٣).

(١) أحمد بن محمد بن صلاح اليحيوي القطابري: سبق ترجمته.

(٢) بلاد يَسْنَم: واد من مديرية باقم شمال صعدة تسكنه قبائل خولان ومن قراها قيوان، الهيجة، الشغبة، المجُمعّة.

(المقحفي: المعجم، ج٢، ص١٩١١؛ الحجري: المجموع، مج٢، ص٧٨٣).

(٣) قُطَابر: مديرية في محافظة صعدة. ومركزها بلدة الهِجْرَة التي تعتبر من مراكز العلم القديم. وتشمل مديرية قطابر القرى التالية: قطابر - خاشر - حنبه - آل ثابت - آل عَبْدل.

(المقحفي: المعجم، ج٢، ص١٢٨١).

(٤) عامر بن علي: سبق ترجمته.

(٥) محمد بن عامر بن علي بن محمد بن علي بن الرشيد: كان من العلماء المبرزين في علوم الطلب في عصره حارب مع الإمام القاسم وابنه الإمام المؤيد محمد ضد العثمانيين. كان بالنسبة للإمام القاسم بمحل الولد. وشارك في معركة غارب أثلة المشهورة التي انتصر فيها القاسم وأولاده. وجعل له الإمام القاسم بلاد وادعة والعصيبات واستمرت بنظره حتى عهد المؤيد محمد. كان ممن بايع الإمام المتوكل إسماعيل وصاحبه في رحلاته وكان من المقربين إليه توفي في عمران سنة ١٠٥٦هـ/ ١٦٤٦م.

(ابن عامر: البغية، ق٧٣-٩٣).

(٦) ما بين المعكوفين: متقدم في (ب).

(٧) بلاد مَرْهِبة: قبيلة من بكيل منازلها غرب مدينة ذي بين، أشهر فروعها قبائل عيال سريح وعيال يزيد المشهورتان. والجميع يتبع محافظة عمران.

(المقحفي: المعجم، ج٢، ص١٤٩٥؛ الحجري: المجموع، ج٢، ص٧٠٦).

(٨) خارف: فرع من قبيلة حاشد وهي ثلاثة أقسام، الصيد، الكلبيين، وبنو جبر.

(الحجري: المجموع، مجلد ١، ص٢١٧، ٣٠٣؛ المقحفي: المعجم، ج١، ص٥٥٥).

زهير[1]، وما والاها السيد العلامة المجاهد جمال الدين علي بن إبراهيم الحيداني[2] المتقدم ذكره أطال الله بقاه، وفي غير هذه من البلاد الأولى عمال لا يقرون وفيهم أهل كمال كما تقدم.

وفي جانب الحيمة على نصفها السيد العلامة العلم المجاهد الأفخم شمس الدين أحمد بن علي بن الحسن اليحيوي الشامي أطال الله تعميره، وقد مر ذكره في الجزء الأول من سيرة الإمام المنصور بالله وما له من الجهاد والملاحم الكبار.

وفي النصف الآخر القاضي المجاهد الرئيس الماجد عماد الدين يحيى بن أحمد المخلافي، وسيأتي في السيرة ذكره إن شاء الله تعالى.

وفي بلاد حراز وجهات مسار[3] القاضي العلامة المجاهد شمس الدين أحمد بن محمد السلفي رحمة الله عليه، ثم توفي كما تقدم في طبقته، وأقام الإمام -عليه السلام- مقامه ولده القاضي العلامة عز الدين محمد بن أحمد بن محمد السلفي، وقد تقدم كذلك.

والطبقة الثانية: أمراؤه بعد الفتوح لليمن من مكة إلى عدن فأعظمهم قدراً وأعلاهم فخراً وأجلهم في الدين خطراً سيوف الله على أعدائه مولانا الحسن ابن أمير المؤمنين، وفي السيرة الشريفة ذكره الفخيم ومحله العظيم، ومولانا الحسين ابن أمير المؤمنين كذلك، ومولانا صفي الدين أحمد ابن أمير المؤمنين كذلك، ولهم عمال نذكر من مشاهيرهم إن شاء الله ما أمكن. والبلاد التي كانت بنظر مولانا الحسن رحمة الله عليه من بلاد صنعاء ومشارقها بعد أن استخلف على صعدة وبلادها ولده مولانا عز الإسلام محمد بن الحسن

---

(١) بني زهير: قبيلة حميرية من الكلاع وهي إحدى قرى العدين محافظة إب.
وبني زهير في بلاد أرحب بالقرب من صنعاء وهي المقصودة.
(المقحفي: المعجم، ج١، ص٧٤٨؛ الحجري: المجموع، ج١، ص٣٩٧).

(٢) علي بن إبراهيم الحيداني: نسبة إلى حيدان في محافظة صعدة. تلقى علومه على يد علماء وفقهاء عصره. كان عالماً مجاهداً سيداً هماماً ومُعمراً. ذا عزيمة خارقة ونية صادقة شارك في الحروب ضد العثمانيين. كان يُعد من المقربين في زمن الإمام القاسم. ملازماً لوظائف الطاعة وكانت إليه ولاية ذيبين نحو ثلاثين سنة. توفي سنة ١٠١٩هـ/ ١٦١٠م.
(الجرموزي: النبذة المشيرة، ق٤٦؛ ابن أبي الرجال: مطلع البدور، ج٣، ق٩؛ عامر بن محمد: بغية المريد، ق١١٧).

(٣) مسار: جبل عال شامخ من مديرية مناخة في حراز ويعد من أعلى جبال حراز ومن معاقلها الحصينة.
(المقحفي: المعجم، ج٢، ص١٥٠٨).

أيده الله كما سيجي إن شاء الله. وما بين صنعاء وذمار وبلادها وبلاد الهان ثم مقرأ وبلاد عتمة ووصاب إلى تهامة ثم زبيد وتهامة[١] جميعها وبنادرها من اللحية[٢] إلى عدن[٣]، ثم اليمن جميعه ومشارقه إلى حضرموت[٤] ومدائن اليمن[٥]، وكان عماله عليها [٥٠/أ] كثيرين من مشاهيرهم السيد الجليل العلامة المجاهد محمد بن أحمد بن أمير المؤمنين الناصر لدين الله على مخلاف جعفر[٦] وما إليه، ثم بلاد حيس من بلاد تهامة أخرى مضمومة إلى تلك. وعلى

---

(١) تهامة: جمعها التهائم وهي الغور الضيق الذي يساير البحر فيمتد من شبه جزيرة سيناء بمحاذاة الجانب الغربي والجانب الجنوبي من جزيرة العرب. (د/ العمري: تاريخ مدينة صنعاء، ص٦٦٣).

(٢) اللحية: فرضة ومدينة صغيرة على البحر الأحمر شمال الحديدة وهي عبارة عن جزيرة متصلة باليابسة ومرفؤها غير صالح للملاحة وغربها تشمل عدة جزر متصلة منها جزيرة المودك، الكدس، جزية أنتوفش، جزيرة حُمر. واللحية مدينة غير مسورة تحيط بها الآكام المرتفعة. وفي شرق اللحية سلسلة من الجبال الملحية ممتدة من ممالح الصليف.

(الحجري: المجموع، ج٢، ص٦٧٩؛ المقحفي: المعجم، ج٢، ص١٣٧٠)

(٣) عدن: شبه جزيرة بركانية، تقع على خليج عدن على الساحل الجنوبي للجمهورية اليمنية وهي العاصمة الاقتصادية لليمن. وتهيمن على الطرق التجارية البحرية المارة من المحيط الهندي إلى أوربا والعكس وتعتبر عدن من أعرق وأقدم ميناء بحري وتجاري. وتحيط بالمدينة الجبال من ثلاث جهات جبل شمسان من الغرب والشمال، وجبل صيرة من الجنوب الغربي. والمنفذ البري الوحيد هو باب عدن أو باب العقبة، تتكون مدينة عدن من كريتر المعلا، الرصيف للميناء) والتواهي (مراسي للبواخر) ومدينة الشعب، الشيخ عثمان شمال التواهي. وأحد المراكز الرئيسية للسكان. ثم خور مكسر وفيه المطار. والبريقة وفيها مصافي البترول. للمزيد يمكن الرجوع إلى (د/ حسين العمري: الموسوعة اليمنية، ج٢، ص٦٤١؛ المقحفي: معجم البلدان، ج٢، ص١٠٢٥).

(٤) حضرموت إقليم مترامي الأطراف في شرق اليمن وهي من محافظات الجمهورية اليمنية الكبيرة. قيل أن اسمها القديم كان الأحقاف. وتنقسم حضرموت اليمن إلى قبائل: الصيعر والكرب، وسيبان ونوَّح، الخنايشة والمناهيل والحالكة والعواتبة وآل كثير والشنافر وآل جابر والعوامر والجعدة ويافع بني أرض وغيرهم.

وتنقسم حضرموت جغرافياً إلى شطرين شطر ساحلي ويشمل مدينة المكلا وهي عاصمة المحافظة، ووادي حجر، غيل باوزير الشحر، الريان، بروم، وادي المسيلة وغيرها. أما الشطر الداخلي فيمتد من ريدة الصعر وشبوة غرباً إلى بلاد المهرة شرقاً ويضم عدة وديان اشتهرت بزراعة النخيل والخضار والفواكه وهي وادي دوعن وادي عمد وادي العين وادي جعيمة، وادي بن علي، وادي سر.

أما أشهر مدنها فهي شبام، وتريم، سيئون، الغرفة، حورة، قيدون، الخريبة، المشهد، حريضة، الهجري، القطن، تاربه، وساه، وعينات، وقسم السوم، وشعب هود. (للمزيد من المعلومات يمكن الرجوع للكتب التاريخية التالية: (محمد عبد القادر بافقيه: الموسوعة اليمنية، ج١، ص٤٠٥؛ المقحفي: المعجم، ج١، ص٤٧٦؛ د/ يوسف محمد عبد الله ود/ العمري: في صفة بلاد اليمن، ص١٥٩).

(٥) مدائن اليمن: المقصود به الأقاليم والمدن اليمانية الجنوبية.

ومدائن الشام هي كل المدن والأقاليم الشمالية وهذا اصطلاح متعارف عليه في اليمن.

(٦) مخلاف جعفر: هو ما يسمى اليوم العدين وإب والمذيخرة والسحول، وقيل: إنه عرف بذلك نسبة إلى الجعافرة ملوك الكلاع في الإسلام. ومنهم الأمير جعفر بن إبراهيم المناخي الحميري الذي حكم المنطقة لأكثر من خمسين عاماً إلى أن قتله في مدينة المذيخرة علي بن الفضل أثناء حرب قامت بينهما. (المقحفي: المعجم، ج١، ص٣٣٦).

تعز وبلادها عامل كما سيأتي إن شاء الله بنظر الأمير الكبير الشهير الناصر بن عبد الرب بن علي بن شمس الدين بن أمير المؤمنين[1].

ومنهم السيد الجليل العالم المهدي بن الهادي اليوسفي الهادوي على البلاد التي ما بين تعز العدينة[2] وذي جبلة، وفي غيرها من البلاد عمال فيهم كمال ورئاسه قد ينتقلون في السنتين وأقل وأكثر تركناهم.

وعلى زبيد وأكثر تهامة ومدائنها السيد العلامة المجاهد كمال الدين هاشم بن حازم بن راجح بن أبي نمي الحسني وهو معدود من عمال مولانا الحسن كما سيأتي إن شاء الله تعالى.

وفي ذمار ووصابين الأمير الكبير حسام الدين سنبل بن عبد الله المشهور[3] وسيأتي بعض صفاته.

وفي عتمة أولاً وفي وصاب بعد وفاة الأمير وفي آنس أيضاً وما إلى هذه جامع هذا التوقيع[4] وسيأتي شيء من ذلك إن شاء الله.

وفي بلاد آنس ولاة تناوبوا أعمالها[5] من أعيانهم السيد العلامة أحمد بن محمد القطابري، والقاضي المجاهد المكين الحسن بن علي بن صالح الأكوع[6].

---

(١) الناصر بن عبد الرب بن علي بن شمس الدين بن أمير المؤمنين شرف الدين: سيورد له المؤرخ سيرة وأعمال ومشاركات عسكرية وإدارية في سياق متن المخطوطة.

(٢) تعز العُدّينة: سبق وترجمنا لمدينة تعز أما سبب تسميتها بالعدينة فقد كان يطلق على المدينة التي تضم القلعة التي تسمى القاهرة وهي ما يسمى تعز. أما المدينة التي يضمها السور وفيها جامع المظفر فكانت تسمة عدينة وتقع في لحف جبل صبر. ويبدو أنه مع التوسع العمراني وازدهار المدينة على مراحل تاريخية مختلفة أطلق عليها تعز العُدينَة. (د/ يوسف محمد عبد الله: الموسوعة اليمنية، ج١، ص٢٤٠).

(٣) سنبل بن عبد الله: أحد القادة الأتراك الذين انظموا إلى معسكر الإمام محمد بن القاسم. وكان له دور عسكري بارز في حروبه ضد العثمانيين في أثناء حصارهم في تهامة. وبعد الاستقلال أسند إليه الإمام إدارة شئون وصاب حتى وفاته وقد تم شرح أدواره العسكرية والإدارية وسيرته الشخصية في فصول الدراسة التي سبقت النص.

(٤) جامع هذا التوقيع: المقصود به المؤرخ الجرموزي والمناصب التي أسندت إليه في عتمة ووصاب وآنس.

(٥) في (ب) زيادة: لمقتضيات.

(٦) الحسن بن علي الأكوع: العلامة العارف اشتهر بمكارمه العديدة وجوده وتكراره لقراءة ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ﴾[الإخلاص:١] عيّنه الإمام المؤيد في الحيمة لإصلاح المشاكل التي تفاقمت بين أهالي البلاد والحسين بن القاسم. توفي صاحب الترجمة سنة ١٠٢٤هـ/ ١٦١٥م.
(ابن أبي الرجال: مطلع البدور، ج٢، ق٤٠؛ زبارة: ملحق البدر الطالع، ج١، ص٧٤).

وأما البلاد التي كانت بنظر مولانا الحسين -رضوان الله عليه- فبلاد الشرفين كما تقدم، وجهات الحيمة، وحضور[1] وحراز، وبعض بلاد همدان[2] ووادي ضهر، ثم بلاد ريمة جميعها وله عمال قد تقدم ذكر عامل الشرف وحراز. وفي ريمة السيد الكامل المجاهد جمال الدين علي بن إبراهيم بن المهدي بن إبراهيم الجحافي[3] وهو عليها إلى الآن أطال الله تعميره ولبعض ريمة في بعضها غيره ولا يستقرون، وكذلك سائر البلاد، وكالأمير الكبير حسام الدين الناصربن عبد الرب، وسيأتي رجوع بلاده إليه إن شاء الله وكالأمراء السليمانيين[4] من بلاد صبيا[5] وجهاتها وسيأتي ذكرهم إن شاء الله.

ومنهم الأمير الكبير عبد القادر بن محمد[6] صاحب خنفر[7] وسيأتي فتحه لعدن

---

(١) حضور: جبل شامخ في بني مطر غرب صنعاء ويُعرف بجبل النبي شعيب لأن في أعلاه قبر النبي شعيب. من بلدانه الموقر، القَصْد، بيت سَنَمة، القُلَيس.

(المقحفي: المعجم، ج١، ص٤٧٥؛ الحجري: المجموع، مجلد١، ص٢٧٦).

(٢) همدان: من أشهر قبائل اليمن وهم ولد همدان بن مالك بن زيد. وتنحصر قبائل همدان في البطنين حاشد وبكيل.

والمقصود هنا بهمدان هي همدان صنعاء وهم قبائل جشم ووادعة وبنو مكرم. وتشمل همدان صنعاء مخلاف ماذن وهو وادي ضهر، وضلع، وريعان. ومن قراه حاز والحقة وهي من المناطق الأثرية ثم خلقة وطوحنان وجربان والجايف والعرة وبيت نعم ومدام والحطاب وضروان. ومن حصونها حصن حاز وطيبة وقلعة وادي ضهر، وحصن فِدَة وقصر ذو سيدان وهو المعروف اليوم بدار الحجر وهو من القصور الأثرية والسياحية في نواحي صنعاء. (الحجري: مجموع بلدان اليمن وقبائلها، ج٢، ص٧٥٢-٧٦٠).

(٣) علي بن إبراهيم بن علي بن إبراهيم بن المهدي بن جحاف: ولد سنة ٩٩١هـ/ ١٥٨٣م. كان سيداً عارفاً عادلاً ورعاً يتميز بالأخلاق والشمائل العالية. تولى إمارة الجعفرية وما إليها من بلاد ريمة مدة ثلاث وثلاثين سنة وهو على حالة واحدة من الاستقامة والعدل والإحسان وأثنى عليه جميع أهالي ريمة، توفي بكسمة في رجب ١٠٧١هـ/ ١٦٦١م وقبره بمسجده الذي عمَّره هنالك.

(الشوكاني: البدر الطالع، المجلد الثاني، ص١٥٤).

(٤) الأمراء السليمانيين: أي أمراء المخلاف السليماني أي منطقة عسير.

(٥) صبيا: مدينة من مدن منطقة جيزان.

(أحمد الجاسر: المعجم الجغرافي، ج١، ص٦٨١)

(٦) الأمير عبد القادر بن محمد: كانت له مواقف مشرفة مع الإمام المؤيد محمد بن القاسم وإخوته الحسن والحسين أبناء الإمام القاسم. فقد عاضد الدولة الإمامية وساهم في الحروب التي خاضوها ضد العثمانيين. وقدم الأموال والأسلحة لجيش الحسن بن القاسم عند حصار تعز وفي قفار تهامة أثناء حروبهم ضد الجيش العثماني. وقد تم شرح دور الأمير عبد القادر السياسي والعسكري وعلاقاته بالإمامة في الدراسة التي سبقت تحقيق متن النص.

(٧) خَنْفَر: مدينة خاربة كانت قائمة في سفح جبل خنفر في وسط سهل أبين. وقد تعرضت في مراحل تاريخية للخراب والتدمير. أما اليوم فقد قامت مدينة جُعار في نفس المكان القديم لخنفر. واسم خنفر يطلق على مديرية من مديريات محافظة أبين.

(المقحفي: المعجم، ج١، ص٥٨٣؛ د/ يوسف محمد عبد الله، د/ العمري والإرياني: في صفة بلاد اليمن عبر العصور، ص٥١).

ولحج[1] وجهاتهما، وهو معدود من عمال مولانا الحسن رحمه الله وتركنا ذكر من لا تستقر ولايته **[٥٠/ب]** إلى عشر سنين ودونها والله الموفق والهادي.

وأما قضاته -عليه السلام- فقد ذكرناهم في طبقاتهم وتراجمهم رحمة الله عليهم، هذا ما سنح من ذكر مشاهير أصحابه -عليه السلام- ممن تقدم الشرط فيهم والمتروك ربما مثلهم وفيهم كمن ذكرناه، وإنما العذر لعدم الإستقصاء السهو عن كثير وعدم الإطلاع على تحقيق أحوالهم مع بُعد الفهم ولسعة الأقطار، وإلا فإمامته -عليه السلام- مجمع عليها، وأسأل الله أن يعيد -عليه السلام- عائده ذكر مناقبه ومناقبهم، ويجعل ذلك مقرباً إليه آمين.

فصل

في سيرته والحوادث في بقية عام تسع وعشرين[2]

قد تقدم في سيرة مولانا الإمام المنصور بالله -سلام الله عليه- دعوة السيد العلامة ناصر بن محمد صبح الغرباني[3] عافاه الله تعالى وما تصوره في نفسه أنه المهدي وتمسك بقول من قال من أئمتنا -عليهم السلام- أنه يصح إمامان في عصر واحد وقطر، واستظهر على ذلك بما اتفق من الترك أخذهم الله مع بني أسعد[4] من بلاد آنس وبني البدي[5] من بلاد الشاحذية[6]، فكانت دعوته سبباً لعدم إجابته لمخالفته لإمامة المجمع عليه -عليه السلام-، فلم يلتفت إليه من يعول عليه. وكان ذلك مما جمع الله به الكلمة لمولانا أمير المؤمنين

---

(١) لحج: شمال مدينة عدن عاصمتها الحوطة، وفيها وادي لحج المعروف بوادي تُبن بخصوبة تربته وتنتشر فيه المزارع والبساتين.
(المقحفي: المعجم، ج٢، ص١٣٦٦؛ الحجري: مجموع بلدان اليمن، مج٢، ص٦٧٧؛ ياسين التميمي: الموسوعة اليمنية، ج٢، ص٧٩٧).

(٢) ١٠٢٩هـ = الموافق ١٦١٩م.

(٣) سبق ترجمته.

(٤) بني أسعد: مركز إداري واسع من مديرية جبل الشرق في آنس محافظة ذمار.
(المقحفي: المعجم، ج١، ص٦٢؛ الحجري: المجموع، مجلد١، ص٧٧).

(٥) بني البدي: في الطويلة شمال غرب صنعاء، غرب كوكبان.
(الحجري: مجموع بلدان اليمن، مجلد٢، ص٥٥٩).

(٦) الشاحذية: جبل شمال شرق مدينة المحويت. (المقحفي: المعجم، ج١، ص٨٣٧).

المؤيد بالله -سلام الله عليه- فإنه لو عارضه بعد وفاة أبيه المنصور بالله، لشاع الخلاف عند كثير من الزيدية، ولكن أبى الله سبحانه إلاخيرته وظهور حجته. وقد تقدم[1] أنه هرب من الحبس من حصن يناع[2] إلى بني السياغ، فلما بلغه وفاة الإمام -عليه السلام- بكاه ورثاه بمراث فيما بلغنا عنه وطمع فيما ادعاه ووصله كثيرون من جهات الحيمة وحضور وغيرها وكثر ذكره ووصلت كتب ولامه الإمام -عليه السلام- في الحيمة بمثل ذلك وشق بالإمام فأمرهم بمنعه وحربه، وكان حي سيدنا العالم الزاهد القدوة عز الدين محمد بن عبد الله الغشم رحمه الله تعالى لا يعرف السيد ناصر حقيقة، فلم تطب نفسه بالحرب وكثر الشورى من العلماء في ذلك فرأى الإمام -عليه السلام- تأخير الحرب، وكانوا على ذلك نحو أربعة أشهر. **[٥١/أ]** وكاد السيد المذكور أن يظهر في جهات الحيمة وحضور، فاتفق أن بني مطر جميعاً والوه وولي عليهم ولاة، وبلادهم إذ ذاك في صلح العجم، وكذلك حضور، وكان الترك أخذهم الله يظنون الظنون أن السيد المذكور وما هو فيه من مواطأة الإمام -عليه السلام- ورأيه، فكان ينتظرون ما يصل من الإمام -عليه السلام-، [فلما عرفوا أنه مخالف للإمام][3] -عليه السلام- وكان قد دخل بعض أصحابه أطرف قرية من بني مطر[4] تسمى حافد بالقرب من صنعاء وسنحان غزاها الأمير محمد بن سنان لا رحمه الله فقتل من أهلها كثيراً وانتهبها وعاد صنعاء. وبعدها خرج من صنعاء عدة أمراء من العجم لغزو أصحاب السيد المذكور إلى وادي قبا من بني مطر، فقاتلوهم وقتل من الفريقين جماعة وحاصر الترك أقماهم الله كثيراً من أصحابه في حصن قبا، فعالج السيد الناصر التفريج عليهم، فعجز وقد ألب وأرسل العقائر إلى بلاد الإمام للنصرة والغوث، فلم يفعلوا رعاية للصلح، فاستولى عليهم العجم وقتلوا منهم نحو الثمانين وسلخوا جلود جماعة من الأسرى، فعندها ضعف شأنه وتفرق أعوانه ثم ولى العجم على بلاد حضور وبني مطر وحفظوها. وكذا الإمام -عليه

---

(١) تقدم: زيادة في (أ).

(٢) حصن يناع: حصن في منطقة الجدعان في الحيمة الداخلية. (المقحفي: المعجم، ج٢، ص١٩٤٦).

(٣) ما بين المعكوفين: زيادة في (أ).

(٤) بني مَطَر: قبيلة مشهورة غرب صنعاء، وتعرف بمديرية بني مطر وهي إحدى مديريات محافظة صنعاء. (المقحفي: المعجم، ج٢، ص١٥٥٦).

السلام- بث الرسائل في بلاده بمنعه منها، وأرسل في تلك الأيام لخراب حصنه في غربان[1] المسمى الصانة فأحوج إلى الإنفراد في مواضع في الحيمة، ثم في عانز[2]، وحصبان[3] ووصل بُرع[4].

ذكر خروج مولانا الحسين رحمه الله إلى بلاد الظاهر

ثم استدعاه إلى بلاد حاشد وبكيل من يريد الغيار[5] على الإمام -عليه السلام- فوصل إلى بلاد عيال أسد ونواحيها، فأرسل مولانا -عليه السلام- صنوه الحسين ابن أمير المؤمنين -رضوان الله عليه- بعسكر كثيف ففر منه وتخفى في بلاد سفيان[6] والعصيمات[7]، ثم إن مولانا الحسين رحمه الله تقدم إلى ظفار[8] وذيبين وزار الأئمة -عليهم السلام- وشدد على حاشد وبكيل في شأنه. والترك أخذهم الله لم يظهر منهم إلى جهات الظاهر أحد بل اكتفوا بمن فيها من ولاتهم مع علمهم أن الإمام -عليه السلام- حافظ للعقد الذي بينه وبينهم وأنه لا يخالف باطنه ظاهره. **[٥١/ب]** وللسيد ناصر في تلك المدة أشعار وأخبار في مثل ذلك

---

(١) غربان: مركز إداري من مديرية خمر محافظة عمران، وغربان قرية في ضوران محافظة ذمار.
(المقحفي: المعجم، ج٢، ص١١٧٠؛ الحجري: المجموع، مج٢، ص٦٢٢).

(٢) عانز: جبل واسع ومركز إداري يشمل عدة قرى وحصون في الحيمة الخارجية، ويشتهر بمزارع البن الجيد. (المقحفي: المعجم، ج٢، ص٩٩٤).

(٣) حَصُبان: هجرة ومركز إداري في جبل مناخة في محافظة صنعاء.
(الحجري: المجموع، مج١، ص٢٦٢).

(٤) بُرَع: جبل عظيم يقع شرق مدينة الحديدة ويشمل العديد من القرى والعزل.
(الحجري: مجموع البلدان، مجلد١، ص١١٥).

(٥) الغيار: عامية وهي يغير أي يساعد الغيار المساعدة والمعاونة.

(٦) سفيان: اسم قبيلة من ولد سفيان بن أرحب، ديارهم تقع شمال حوث، ومن بلادهم الحرب، خيوان الحمراء وادي جوفان وعيان والعمشية وزقاع السحاري وصبارة والعنمي.
(المقحفي: المعجم، ج١، ص٧٩٤).

(٧) العصيمات: بطن من قبيلة حاشد ويتفرعون إلى أربعة: ذو جبر، ذو فضل، الغنايا، ذو قيصة. ومركز العصيمات مدينة حوث.
(المقحفي: المعجم، ج٢، ص١٠٧٨)

(٨) ظفار: هي ظفار الظاهر شمال شرق ذي بين.
(المقحفي: المعجم، ج٢، ص٥٦٤).

تركناها للإختصار كما تركنا غيرها ولا حاجة إليها. ثم عاد مولانا الحسين رحمه الله وقد خفيت عليه أخبار السيد ناصر بن محمد إلى جهات وادعة، فلما كان في النجيد من وادعة بعد صلاة الظهر وصله كتاب من بعض السادة أهل حوث أن السيد المذكور في بيت السيد العلامة الحسن بن محمد الحوثي ضيفاً منفرداً فتناول من وقته سلاحه وتقلده وأغار من النجيد راجلاً مريداً لهجرة حوث وكان أول عسكره وكانوا فوق الألف[1] وخمسمائة من غير وادعة وسائر القبائل. وكان من أول من دخل البلد وأحاط ببيت السيد الحسن وقد رآه مقبلاً من رآه وأخرجوا السيد ناصر إلى بعض البيوت التي لا نظر إليها، وحوث مدينة وبيوتها كثيرة، ففتشوا البيت، وقد ارتاع من فيه من الشرائف[2] مع الصيانة، فإنه لم يدخل مع مولانا الحسين رحمه الله البيت إلا من لا يستغني عنه، فلما لم يجده استحيى من السيد الحسن بن محمد وقد ظهر من السيد الحسن مع الغضب الكلام الجافي، فلم يجبه مولانا الحسين رحمه الله تعالى بغير الواجب علينا (يا والد بجمع كلمة المسلمين هذا). ثم أرسل مولانا الحسين رحمه الله السيد الحسن بن محمد إلى الإمام -عليه السلام-، فتكلم بقريب من ذلك مع الإمام -عليه السلام-، فما زاده إلا اعتذاراً واصطباراً وإحساناً،، وقد أخرجوا السيد ناصر في الليل ولحق بالعصيمات وهجرة حوث في جانب العصيمات، يود العصيمات حفظ حرمتها ورعاية أهلها بما يذهب به نفوسهم وأموالهم، ولولا أن السادة أهل حوث خافوا العواقب مع رعاية حق الإمام -عليه السلام- لكانت قضية عظمى، وكان قد حصل عجلة بمشورة بعضهم في هذه الغزاة.

فإن السادة كانوا قد أصلحوا السيد ناصر، وضمنوا له وعليه في المناظرة والتسليم لمن وجب[3] له الحجة، وقد أراد بذلك فيما بلغ عنه قطع الفتنة، فحصل ذلك.

ولما تكامل[4] لمولانا الحسين رحمه الله العسكر ،وصله من العصيمات من يخالط الإمام -

---

(١) في (ب): ألف.

(٢) الشرائف: جمع شريفة للأنثى، وسيّد وسادة للرجال. وهو ما يطلق على السيدات من الهاشميين.

(٣) في (ب): وجبت، مع حرص الناسخ على كتابة: أي ظنه.

(٤) في (ب): تكاملت.

عليه السلام- كبراؤهم وبقي قوم يسمون ذو الفضل[1] المذكورون في قتل القاضي الشهيد **[٥٢/أ]** الهادي بن عبد الله بن أبي الرجال رحمه الله لم يصل منهم أحد مع قربهم من حوث فراسلهم مولانا الحسين رحمه الله يصلون إليه، فتشوشوا وتوهموا أن ذلك مما سبق من قتل القاضي هادي رحمه الله. وقد رجع مولانا الحسين إلى وادعة، فخرج عليهم أخرى، فتحصنوا في حصن لهم يسمى غُفْر فأمر رحمه الله بقطع أعناقهم فرموا أربعة أنفار من العسكر المنصور بالله فقتلوهم، فأحط عليهم وحاصرهم. وكان الحرب عليهم ليلاً ونهاراً نحو أربعة أيام، فخاف الإمام عليلم[2] إن طال حصارهم أو قتلوا تنتقض عليه طاعة العصيمات وأحوجوه إلى ما لا يحتمله الحال مع شرة أهل المشرق من العصيمات وغيرهم.

وقرب الترك أخذهم لله تعالى، فبادر برفع مولانا الحسين رحمه الله وإن يترك لهم حالهم وأظهر أنه الذي قصدهم.

ووصل مولانا الحسين -رضوان الله عليه- إلى شهارة المحروسة بالله وعرف السيد ناصر بن محمد[3] أن السيد العلامة زيد بن علي بن عشيش وولد أخيه الذين كتبوا إلى مولانا الحسين رحمه الله يغزوه، فأرسل إليهم هذا الشعر:

دع ذكر زينب واتخذ لك منسكا

ودع الهجاء ووحد المعبودا

واذكر مآثر من مضى من هاشم

تلك المكارم واذكر المفقودا

---

(١) ملحوظة: في حاشية الكتاب كتبت بخط مغاير (وقد تقدم تفسير المنصورية سيرة الإمام المنصور بالله القاسم بن محمد للمؤلف رحمه الله أن الذين قتلو الهادي بن عبدالله بن أبي الرجال هم ذو غريس، قتلوه رضوان الله عليه وثمانين من أصحابه من الإخوان العلماء الساكنين بحوث في تاريخ رقم هذه الحاشية شهر جماد الآخر ١٣٧٨ هـ).

(٢) هكذا وردت.

(٣) محمد ليست في (ب).

مـــا إن أتـــى بـــما أتيـــت بـــه بـــلا

ذكـــر المكـــارم والتقـــى الموجـــودا

مـــا لي أراك تـــسب ســـباً فاحـــشاً

نـــسل الرســـول وتفـــتري المـــردودا

إن الإمامـــة شـــأنها يـــا مترفـــاً

شـــمس النهـــار لمـــن بغـــى المقـــصودا

مـــا في التعـــامي مـــن طريـــق واضـــح

خـــل الجفـــاء تكـــن إذاً محمـــودا

هـــلا اقتـــديت بمـــن مـــضى أف لمـــن

ألـــف الـــسباب تكمهـــاً وجحـــودا

هـــاجرت في أرض العـــدو وتبتغـــي

نيـــل الـــسيادة والتحفـــت بـــرودا

عنـــد القواعـــد يـــا خليـــل أوانـــس

يبغـــي العنـــاد تكـــبراً وســـمودا

ويقـــول[1] قـــولاً لا يليـــق بمـــن غـــدا

يـــدعو إلى خـــير المقـــام رقـــودا

لـــو كنـــت آثـــرت الـــوداد لكنـــت مـــن

أهـــل الرجاحـــة ســـيداً مـــصمودا

---

(١) في (ب): تقول.

لـــيس الـــسبابة طـــرق مـــن يبغـــي الهـــدى

انظـــــر لنفـــــسك مـــــسلكاً معمـــــودا

هـــــذا الكتـــــاب كتـــــاب ربي بيننـــــا

وأئمـــــــة الكـــــائنون شـــــــهودا[٥٢/ب]

هـــــلا اقتـــديت بـــسمت جـــدي أحمـــد

ووصـــــــــيه القـــــــاتلين يهـــــــودا

فـــــرض الزمـــــان عـــــلى طريقـــــة أحمـــــد

تـــــــرك الـــــــديار وزينبـــــــاً وبـــــــرودا

لم يـــــــسكنوا دار العـــــــدو ولا غـــــــدوا

للظـــــــــالمين إعانـــــــــة وعمـــــــــودا

وتجهـــــزوا لجهـــــاد مـــــن عـــــاداهم

وتـــــراهم قـــــد يجمعـــــون نقـــــودا

أمـــــا النجيـــــب الفـــــاطمي فقـــــد أتـــــى

بالمكرمـــــات وقـــــد أتـــــى المـــــودودا

ســـــل الحـــــسام عـــــلى عـــــدو محمـــــد[1]

ودعـــــا الأنـــــام وأنـــــت كنـــــت شرودا

وقـــــرا العلـــــوم عـــــلى الثقـــــات محققـــــاً

صـــــــار الأنـــــــام إلى النجيـــــــب ورودا

---

(١) آل محمد: زائدة في (ب).

يفتـــي بخـــير مقالـــة يـــا جـــاهلاً

يهـــدي إلى ســـبل النجـــاة همـــودا

ولها جوابات من السيد الأعلم زيد بن علي بن عشيش فيها بعض قذاعة تركناها لذلك، وهذا في عام اثنين وثلاثين وألف[1]. ثم إن السيد ناصر أرسل إلى بلاد صعدة دعاة منهم ناصر أبو خيرة الأسدي المذكور في أخبار الإمام المنصور بالله -عليه السلام-، وقد تقدم أنه -عليه السلام- أقسم أن لا يخرج من حبس الجَمِيْمةُ هو والشيخ محمد بن صلاح بن الأعور الحكمي، وكان خروجهما من حبس الجميمة أنهما إحتالا في خروج الشيخ محمد بن صلاح المذكور من الحبس، فلما فتح باب الحصن خرج من جملة أهله وقد احتالا بفك القيد من إحدى رجليه، وسار إلى الشيخ الهادي بن ذياب الزغافي الجبري الشرفي، وكان معظماً في الدولة الإمامية، وله رئاسة حسنة، فلما وصل إليه استجار به فطلع إلى عند مولانا الإمام -عليه السلام- فوهب له ذنبه فقط، فقال: لا أقبل العفو عني إلا بخروج رفيقي ناصر أبي خيرة، فعفى مولانا -عليه السلام- عليهما، ووهبهما للشيخ الهادي، وأرسلهما في جملة من جعله مع مولانا الحسن بن أمير المؤمنين -رضوان الله عليه- مع دخوله بلاد صعدة كما سيأتي إن شاء الله تعالى في صفة خروجه من حبس الظلمة[2] بصنعاء ثم دخوله بلاده صعدة، فكانا كثيراً ما يغيران عليه العسكر ويتربصان الدائرة، فخاف أبو خيرة، فهرب إلى الترك أخذهم الله تعالى، فلم يقبلوه **[٥٣/أ]** لأجل الصلح فصار إلى السيد ناصر محمد إلى بلاد الحيمة وأخرجه إلى شاطب مع غيره ممن سار في عمله. ولما دخل أبو خيرة بلاد الشام وكان في جهة ساقين شريف هندي له اسم في البلاد الخولانية، فسار داعية إلى السيد الناصر فكادت تختل سببهما مغارب صعدة، ثم استدعوا السيد ناصر فوصل إلى جانب بني ذويب فغزاهم الحسن رحمه الله تعالى. وكاد يظفر به عسكره فهرب بلاد العصيمات وسفيان. ثم إن مولانا الحسن شدد عليهم وعلى من دخل في أمرهم فظفر بالشريف الهندي فضرب عنقه وسكن الشام. وكان قد قرب عيد النحر في سنة اثنين وثلاثين، فأرسل مولانا الحسن ما

---

(١) ١٠٣٢هـ = ١٦٢٢م.

(٢) حبس الظلمة: المقصود بها سجن الأتراك.

يحتاجه العيد إلى الإمام -عليه السلام- من البقر والغنم والسمن والبر مع قافلة عظيمة. وكان السيد ناصر قد عاد بلاد العصيمات وتزوج في قوم منهم يسمون ذو سلاب من شيخ منهم يسمى الحاج عبد الله بن أحمد السلابي، وسمعت أنه الذي يضرب به المثل في زماننا حاج العصيمات، وذلك أنهم من شرارهم وقطاع السبيل، فتاب وحج، فلما حضر مثلما يعهده من طمع أبناء السبيل قال أصحابه: أما الحاج فلا يحتاج حصة فقد تاب ففتح طرفه وقال: هاتوا ما هو لي إلى المحفظة بمعنى أنه لم يقبض بيده، فأُرسلت مثلاً.

نعم ولما مضت القافلة وما فيها أرسل السيد ناصر جماعة من العصيمات لنهبها، وكان فيها قاسم بن عرجاش المهتار المتكلم في بلاد حاشد وبكيل بالمدح والذم، فاستجار بهم وطلب سلامتها له فوهبوها إياه، وأخذوا قدر خمسة أو ستة رؤوس غنم. فلما بلغ مولانا -عليه السلام- ذلك خرج ثالث العيد منفرداً ولا يظن أحد أنه يريد إلا الناصرة[1] لزيارة من فيها من أرحامه، ثم مال المدرج، والتفت إلى من عنده وقد أخذ سلاحه وقال: نادوا في عسكر الأهنوم إلى جميع الجبال والمشايخ يلحقون بالإمام -عليه السلام- فنادى المنادي من مواضع سماها، ثم أرسل لمركوبه ومن في شهارة باللحوق به، فوصل إلى درب الأمير، وكان فيه بعض[2] خيل فأركبها ثم أخذ ما يحتاج إليه والعسكر [٥٣/ ب] تترى إليه من كل جهة. وقد أرسل لعسكر غربان وظليمة وشظب[3]، ثم أرسل إلى الظفير وبلاد الشرف وكذا إلى المهاجرين في بلاد الظلمة[4] ممن إفتسح منه مع الصلح إلى بلادهم، فأمسى تلك الليلة في حزيز وادعة في نحو ستمائة نفر.

قال السيد الفاضل: القاسم بن حمزة الغرباني أنه مع الإمام -عليه السلام-، وأنه وصل

---

(١) أي حصن الناصرة وهو مقر الإمام.

(٢) بعض: ليست في (ب).

(٣) شظب: جبل فوق مدينة السودة غرب مدينة خمر فيقال سودة شظب وهو جبل واسع فيه قرى ومزارع. وكانت هجرة شظب من مدارس العلم في اليمن.

(المقحفي: المعجم، ج١، ص٨٦٦؛ الحجري: المجموع، مجلد٢، ص٤٥٢).

(٤) بلاد الظلمة: أي المناطق والمدن التي تقع تحت حكم ونفوذ العثمانيين.

بطن المجمع من أعمال طريق[1] الحزيز، ورأى أنه أخطأ في رأيه لعدم انتظار العسكر ولم يكن معه إلا أنفار، فدخل في موضع بين شجر وماء فتضرع، ودعا فما كان أسرع من تعشيرة[2] مع نحو خمسمائة نفر أكثرها بنادق وإذا هم غربان وغشم قد تواعدو لشجارات بينهم وحقوق لهم بالوصول إلى الإمام -عليه السلام- إلى شهارة، فأخبرهم بعض الزراع أن الإمام مر عليه في أنفار، فلحقوه وكانت هذه كرامة مما ففرج الله عنه همه. ثم طلع إلى الغول من أعمال المقابلة والعسكر تتلاحق، ثم خرج إلى حوث وهو يتلطف بسياسة العصيمات، حتى واجهه أكثرهم وبقي بنو معمر والحاج عبد الله وأصحابه، فأرسل جماعة في الليل ملكوا حصناً لهم يسمى محضة من أعلى بني معمر مع الشيخ المجاهد محمد بن صلاح البحش الأسدي رحمه الله. فلما ملك الحصن المذكور أرسل الشيخ واصل بن علي السيراني عافاه الله في نحو ثمانمائة من العسكر وقبائل ممن لا تغضب منهم العصيمات، فأخربوا وادي بني معمر وأحرقوه وهو ينظر في حوث، ثم إنه أمَّن الحاج عبد الله، فوصل هو وقبائله فأعطاهم وأمنهم، ثم طلب العصيمات ومن عنده من بني صريم[3] وغيرهم من بلاد حاشد وقال لهم: لا بد من خراب الحصن الذي قتل منه العسكر من أصحاب الصنو الحسين، فضمنوا له ذلك، فأرسل لخرابه حي[4] السيد المجاهد المطهر بن ناصر الدين الحمزي رحمه الله تعالى مع قبائل خيار من حاشد فأخربوه جميعاً. وكان قد استدعى من صعدة المحروسة بالله عسكراً إلى بلاد خيوان[5]، وكذلك أرسل السيد المجاهد أحمد بن محمد الحيداني، والسيد الشهيد الهادي بن عبد الله الشظبي رحمهما الله من الهجر وقرن الوعر إلى جانب بلاد العصميات في أهل الطاعة

---

(١) ليست في (ب).

(٢) تعشيرة: وعشَّروا أي أطلقوا الرصاص والذخيرة.

(٣) بني صريم: قبيلة من حاشد وأهم مدنهم خمر وهي المركز ثم يشيع، دلوان، غيل، مغدف، الفصيرة، أثافت، وقيهمة، والعقيرة، بيت كُلاب، العقيلي، العذرات.

(المقحفي: المعجم، ج١، ص٩٠٦).

(٤) حي: ليست في (ب).

(٥) خَيُوَان: مدينة شرق شمال حوث. وهي بلاد خصبة ومن معالمها قصر نوفان.

(المقحفي: المعجم، ج١، ص٥٩٣).

[٥٤/أ] من بلاد عذر ومن معهما من العسكر المنصور بالله، وقبض الرهائن ممن عرف فساده، ثم عاد إلى جهات خيار. فلما استقر في قبة خيار وصله مع قدومه شاوش من صنعاء من عند فضلي باشا[(١)] لا رحمه الله بكتاب بسيط مستطلعاً أخبار حركته الميمونة ومعلماً له أنه على الوفاء، وأنه إذا شيء يشق عليكم وتحتاجون إعانة لحربه أعناكم كما سمعته في تلك الأيام وكنت حاضراً ولم أقف على لفظ الكتاب وأصحبه شيئاً من الهدية ومعه كتاب الأمير محمد بن سنان وزيره بمثل ذلك، فعظمهم الإمام -عليه السلام- وأكرمهم وأجابهم فيما بلغ أن لا حاجة له إلى ذلك، إنما حركتنا هذه لطيافة البلاد، وكذا وقد صلح أمر المذكور.

وأما السيد ناصر بن محمد فإنه خرج من العصيمات لمَّا والوا الحق وتبرؤا منه، فعاد إلى مواضع في غربان ودخل بيته عند صنوه السيد عبد الله بن محمد. وكان هذا السيد عبد الله من أهل الشجاعة والثبات ولكنه أُمي لا يقرأ وله جهاد سابق، فكان يغطي خبر أخيه عن مولانا الإمام ويتظهر بالبراءة منه وصح لمولانا -عليه السلام- أنه لقيه وحرضه على عدم الوفاق. وقال فيما قال يُسمى باسم الخلافة وتُلِقب بالمهدي، ثم يعود بالإسم الأول أو كما قال فقبض عليه الإمام -عليه السلام- لأجل ذلك وعلى الشيخ فارع من عزان وآخرين معهما. وأرسل معهم نحواً من أربعين رجلاً ليلاً إلى شهارة المحروسة بالله، فأما السيد عبد الله فلم يخرج من الحبس حتى وصل أخوه كما سيأتي إن شاء الله إلى شهارة والذين معه أُخرجوا بضمانات في أوقات مختلفة. وبقي الإمام -عليه السلام- في وادعة بقية الحجة ومحرم وصفر وزار فيه الإمامين الطاهرين الفاضلين المنصور بالله والمهدي -صلوات الله عليهما- إلى ظفار وذيبين ووصله غالب قبائل المشرق بالنذور والضيافات وسد أموراً في ذات[(٢)] بينهم ثم إنه بلغه اختلاف فيما بين عذر الشرفي، فخاف أن تسري الفتنة بينهم، فعاد مغذاً حتى

---

(١) فضلي باشا: تولى ولاية اليمن بعد الوالي محمد باشا وقد اهتم بالأعمال الإنشائية وأكمل تجديد سور صنعاء وقد اشتهر فضلي باشا بالتقوى والصلاح رغم مدة ولايته القصيرة في اليمن. وحاول التقرب من الإمام وخطب وده لكي لا تقوم الحرب ويستمر الصلح المبرم بين الطرفين.

(د/ سيد مصطفى سالم: الفتح العثماني، ص٣٨٨-٣٩٢).

(٢) في (ب): كان للناسخ ظن، وهي: أخطار. (هكذا وردت).

استقر في محروس درب الأمير، وأصلح ما شجر بينهم وحبس أهل الفساد وأعطى العسكر أرزاقهم وفسح لهم **[٥٤/ب]** وأخذ -عليه السلام- يتفقد الموضع الذي هو فيه حتى عرض ما سيأتي من أخبار السيد ناصر وقد جمعنا هذه النكت من أخباره لتداعيه.

فصل

ولنرجع إلى السنة الأولى من قيامه -عليه السلام- وهي سنة تسع وعشرين وألف[(١)]، فإنه لما كاد الطعام في شهارة المحروسة بالله يكمل، وقد مات عالم من الناس وفضلاء، وكان زمن شدة شديدة رجح -عليه السلام- استقراره في الهجر[(٢)] ليصل إليه من بلاد صعدة ما يصل، والعسكر لإصلاح الطريق على العادة المتقدمة تدخل مع القوافل إلى نصف الطريق، وتلقاها من صعدة مثلها ويستدعى من المغارب ما يقوم بمن التاث إليه من طبقات المسلمين. وهو على العادة الأولى[(٣)] يؤثرهم وينوع النظر في قوامهم، ولقد كان ينفق الموجود من الطعام المصنوع وهو كثير جداً ثم يوفي بالدقيق ثم الطعام والزبيب ثم يقترض الدراهم ويفرقها في القوت.

ووصله في هذه الأيام إلى الهجر جماعة من ألفاف العرب الذين سجنهم سنان لا رحمه الله في البحر فمنهم من له في السجن عشرون عاماً، ومنهم أكثر وكانوا يسمرونهم إلى الخشب في المراكب، ويسخرونهم في المهن الدنيَّة في السواحل، وعليهم أمير في البحر يسمونه القبطان، فلما طال عليهم تمالوا عليه وقتلوه، وأصحابه بسلاحهم على حين غفلة، وكان أول من قتلوا أميرهم، ثم أخرجوا المركب إلى بعض السواحل غير المعتادة في تهامة. ولما صاروا في البر تفرقوا ووصلوا إلى الإمام -عليه السلام- وأكثرهم ممن في صلح الإمام -عليه السلام- من الزيدية، فأحسن إليهم وأقرهم وقال لمن لم يكن في صلحه احفظ نفسك وكذا مما تَحَرَجَ به من

---

(١) ١٠٢٩هـ = الموافق ١٦١٩م.

(٢) الهجر: تعددت القرى والمناطق التي تحمل اسم الهجر. لكن أشهرها هي الموجودة في وديان محافظة شبوة.
والمقصودة هنا هي قرية وسوق خارج شهارة الأهنوم.
(الحجري: المجموع، مج٢، ص٧٥٠؛ المقحفي: المعجم، ج٢، ص١٧٩٩).

(٣) زيادة في (أ).

عهدة الصلح مع أنه قال -عليه السلام- إن المحابيس من أهل بلاده مشروط إخراجهم من الحبس.

وكابد الإمام في ذلك العام مشقة من قل الطعام وكثرة أهل النفقات. فلما صلحت طريق صعدة واكتفى بالعسكر على العادة عاد إلى معمور درب الأمير[1] وعمر فيه **[٥٥/أ]** سمسرة[2] ومرافق قليلة، وشهارة خالية عن العيون من العلماء والطعام اليسير. ولقد استدعى الطعام من الحيمة، فوصل القليل على مشقة، ووصل إليه مشايخ وادعة، وشكوا الفاقة فعين لهم إلى الحيمة فلم يحصل لهم كل المعُيَّن لكثرة أهل الحقوق فيها، ولما دخلت سنة ثلاثين وألف[3] حصل في آخرها ابتداء الخيرات والثمار في المغارب، وأما المشارق فعلى حالها.

ذكر ولاية السيد عبد الله بن عامر بلاد الحيمة

وكان بعض قبائل الحيمة كره ولاية السيد العلامة أحمد بن علي الشامي عافاه الله، والقاضي عماد الدين يحيى بن أحمد المخلافي عافاه الله وادَّعوا عليهما إهمال سوائقهم وحقوقهم وعدم نفع الإمام -عليه السلام- بمحصول بلادهم. وليس كذلك وإنما هو من بعض مشايخهم حسداً ومشاحة[4]، فوصلوا إلى الإمام -عليه السلام- إلى شهارة المحروسة بالله ولم يقبلوا منه ما دافعهم به من المعاذير، فولَّى على الحيمة ونواحيها السيد العلامة فخر الدين عبد الله بن عامر بن علي بن عمه رحمه الله، وأرسل معه عيوناً منهم السيد العلامة المهدي بن إبراهيم بن جحاف على القضاء والمعاونة، وكذا القاضي العلامة

---

(١) درب الأمير: قرية في السفح الجنوبي لجبل شهارة. وتنسب إلى الأمير ذي الشرفين.
(المقحفي: المعجم، ج١، ص٦٠٧).

(٢) سمسرة: هي حرفة السمسار وهو المتوسط بين البائع والمشتري: إلا أن المعنى قد تطور في اليمن وأطلق على المكان الذي كانت تجري فيه عمليات السمسرة والتجارة وتبادل البيع والشراء كسمسرة محمد بن الحسن بن القاسم. وقد فرغ من بنائها في سوق صنعاء عام ١٠٦٩هـ/ ١٦٥٩م، وأوقفها لهذا الغرض، وانتشرت السماسر في طرق السفر ومحطاته بين المدن يلجأ إليه المسافرون للراحة وطلب القهوة. وكانت بمثابة النزل التي تديرها بعض الأسر القروية.
(د/ حسين العمري: الموسوعة اليمنية، ج١، ص٥٢٨).

(٣) ١٠٣٠هـ = ١٦٢٠م.

(٤) مشاحة: عامية وهي مرادفة لكلمة حسد أو قليل الحياء.

الأديب مجد الدين سعد الدين بن الحسين المسوري[1] خطيباً ومعاوناً أيضاً، ولم يُعين عليه البقاء مستمراً بل يستقر حتى ينتظم الحال وغيرهم، والقاضي العلامة ضياء الدين عبد الهادي بن أحمد الثلائي[2] المعروف بالحسوسة رحمة الله عليه. وكان المشايخ والأعيان من الحيمة الذي وصلوا لطلب الوالي نحواً من أربعمائة نفر فكره من لم يحضر ذلك ولا شاورهم من الرعية وبعض المشايخ، فلم يتلقوا السيد عبد الله بما ينبغي، فأما السيد أحمد أطال الله بقاه فتلقاه بما يحق له ودعى الناس إليه وله موقف حضَرْته في العر[3] تكلم فيه. وقد حصل منهم تصعب عليه وما لا ينبغي بسعاية من القاضي يحيى بن أحمد المخلافي، فإنه كاد يتميز من الغيظ حيث يسمع عليه فلاناً وفلاناً فلم يكد يصل إلى السيد عبد الله إلى العر إلا بخطاب وإسهاب، ثم نزل من يناع[4] إلى العر يوم الجمعة بكثرة جموع، فَتوَّهْمْ أهل البلد وزرعهم إذ ذاك ضعيف حاصل أنه ربما يعرهم في بلدهم بكثرة الجيش وتُهلك ثمرتهم، وكنت حاضراً، فَكلَّفوا السيد عبد الله على أن يكتب إلى القاضي أن الجموع التي معك لا تصل، وأن من اعتدى على ثمرة الناس فكذا، فازداد القاضي نفوراً وكان يوم الجمعة، فأمر السيد بالخروج للجمعة، فوصل القاضي بعد الصلاة وأكثر من الملامة بأن مثلي ومثل هؤلاء

---

(١) سعد الدين بن الحسين المسوري: علامة بديع الزمان لسان المتكلمين له في العلوم حظ وافر وواسع وله مشايخ أجلاء رحل إلى صنعاء للقراءة سكن ثلا، وله أشعار ومفاكهات. كان من المقربين من الإمام القاسم وكاتبه الخاص. اشتهر بوجاهته وأخلاقه الواسعة. كان حافظاً يملي الغرائب والنوادر العلمية والأدبيات. توفي بهجرة المكردم في بلاد الأهنوم سنة ١٠٣١هـ/ ١٦٢١م وقبره في حبور في جامع المنصور.

(الجرموزي: النبذة المشيرة، ق٦٢، إبراهيم بن القاسم، الطبقات، ج١، ص٤٦٤).

(٢) عبد الهادي بن أحمد الثلائي: المعروف بالحسوسة، قرأ جميع كتب الأصولين المعروفة، وسماعه في علم الكلام حوالي مائة مجلد. من تلامذته المؤيد محمد بن القاسم وعلماء آخرين. اشتهر بأنه كان يملي على طلابه من صدره ما لا تسعه الأوراق. وكان يحفظ أحوال الناس. ولي القضاء بصنعاء في عهد المؤيد، ثم انتقل منها إلى ثلا بداية مرضه وتوفي بها سنة ١٠٤٨هـ/ ١٦٣٨م.

(ابن أبي الرجال: مطلع البدور، ج٣، ق٢١؛ الجرموزي: النبذة المشيرة، ق٦٣؛ إبراهيم بن القاسم، الطبقات، المجلد الأول، ٥٧٥؛ يحيى بن الحسين: بهجة الزمن، ج١، ص١٤٨).

(٣) العِرْ: هناك الكثير من المناطق والقرى التي تحمل نفس الاسم. والمقصود به هنا هو جبل في الحيمة الداخلية الداخلية غرب صنعاء. الحجري: المجموع، ج٢، ص٥٩٨؛ المقحفي: المعجم، ج٢، ١٠٣٤).

(٤) يَنَاع: حصن في منطقة الجدعان في الحيمة الداخلية بمغارب صنعاء وهو حصن منيع بالقرب من جبل حراز. وفي الحصن عدد من الكهوف الواسعة المنحوتة ويحتوي على آثار وخرائب قديمة وهو اليوم قريتان يناع الأسفل ويناع الأعلى. (المقحفي: المعجم، ج٢، ص١٩٢٦).

القوم، وكانوا نحو ألف وخمسمائة نفر من لا ينتظر للصلاة ولا يقال له مرحباً وكذا، ودخل بعض بيوت العر وقال دونكم أمركم، فاجتمع أولئك الذين معه إلى قريب من باب السيد يحيى بحيث يسمع كلامهم ثم تحالفوا وتعاقدوا على أن القاضي صاحب أمرهم رضي أم كره، وأن لا طاعة عليهم للسيد عبد الله لأجل بني فلان وفلان، وأخذوا من بعضهم بعضاً ثياباً، وأن من دخل بلدة رسول السيد عبد الله فهو هدر لهم معيب فيهم، فلما بلغ السيد أحمد دخل فيهم وتقدم إلى وسطهم، فتكلم بكلام ما والله ما سمعت من يتكلم بمثله بديهة في زمننا. ذكَّرهم بالله سبحانه وحقوقه ثم رسول الله ﷺ وحق عترته ثم الإمام القاسم سلام الله عليه- وولده والسيد عامر الشهيد وحقه ومحله منهم وإحسانه إليهم وصهارته لبعضهم، وأن هذا ولد الإمام وابن عمه وكذا. ثم ذكَّرهم بما كانوا فيه من الهوان والذل من الظلمة، فكاد أكثر الناس في تلك الحال ينقض ذلك العقد، وعرفوا خطأهم، وتفرقوا وقد وقع معهم كلامه، ثم افتسحوا بعد الصلاة من القاضي، ثم صلح حال القاضي وبسط نفسه ونفعه للسيد عبد الله. وحصلت الثمرة وجمعها السُعاة فأخذتها الأقلام حتى ما يخرج الوالي من القبيلة إلا ويبقى لهم شيءٌ مما عينوه لهم. وفي السيد عبد الله رحمة الله عليه ضيق صدر لا يحتمل كلما رأى، فخرج من العر طائفاً في البلاد حتى انتهى إلى بني النمري أعلا الحيمة، ثم مضى ليلاً مجداً في السير إلى أن انتهى إلى الصيد[1] من أعمال الظواهر وهي من البلاد الإمامية، ثم كذلك حتى وصل إلى الإمام -عليه السلام- إلى درب الأمير، وتبرأ من أعمال الحيمة وشكى أمورهم. ووافى وصوله عزم محمد باشا لا رحمه الله ووصول فضلي باشا من الروم والياً على اليمن، فأمر الإمام -عليه السلام- **[٥٦/أ]** بتجديد الولاية للسيد أحمد والقاضي يحيى على العادة ثم إن الإمام -عليه السلام- خرج إلى المسارحة من ظليمة ثم إلى صومل من قحطان وهي أموالهم المعروفة، ثم طلع هنوم وانحدر منه إلى الهجر واستقر أياماً.

ذكر ما تفضل الله به من خروج مولانا الحسن رحمه الله

وجاءت البشرى العظيمة والمسرة الكبرى العميمة، [والوعد الصادق الذي بشر به حي

---

(١) الصَيَد: قرية في بني عمرو من الحيمة الداخلية غرب صنعاء. (المقحفي: المعجم، ج١، ص٩٢٨).

مولانا الإمام المنصور بالله -عليه السلام-][1] بخروج مولانا الحسن بن أمير المؤمنين رحمه الله.

قال رحمه الله: أول ما طمعت بالنظر في وجه الحيلة بالخروج من ذلك المكان، وقد ذكر[2] نحو مما تقدم من مشقة الموضع والخوف الشديد من جعفر باشا[3] أنه كان بعض عيون الترك أصحاب الباشا المذكور في الحبس قريباً مني، فكان يجلس عندي في أوقات، فجرى ذكر الحبس وصنعته فقلت له: العرب أحسن تدبيراً في الحبس، فإنهم يجعلونه طابقاً في عرض جبل أو بناء ثم يغلقون في الليل ويأمنون وأنتم يعني الترك تفعلون الحبس في القصور الظاهرة ثم تحتاجون كثرة الحرس وكذا من حديث المجالس. فقال لي: بل صنعة العجم أكد[4]؛ لأن المحبوس لا يزال الإختلاف إلى مكانه من الحرس فلا يمكنه أن يحدث في محبسه شيئاً إلا عرفوه قبل أن يستحكم، وهذا الذي في حكم باطن الأرض لو يعمل المحابيس فيه نفقاً[5] تحت الأرض ما عرفه أحد[6] لعدم الإختلاف إليهم، وأما هذه الدار فكما ترى محيط بها الحي من جميع جوانبها وقد كان بعض الترك شرع في نقب هذا الجانب من الدار وأراه الموضع، فانتهى إلى صخرة فعجز عنها، وقد فتح القضاض[7] والمكان معروف قضاضه جديد مخالف للأغلب في الدار.

---

(١) ما بين المعكوفين ليست في (ب).

(٢) في (ب): حصل.

(٣) جعفر باشا هو الوالي العثماني الذي تم تعيينه في اليمن خلفاً للوالي إبراهيم باشا وأبرم الصلح مع الإمام القاسم سنة ١٠٢٥هـ/ ١٦١٦م قبل عزله لأنه كما قيل (خاف أن يسير والفتنة في إثره) في نهاية المرحلة الثالثة من ثورة الإمام القاسم.
(د/ سيد مصطفى سالم: الفتح العثماني، ص٣٨٣).

(٤) أكد: من التأكيد أي أمنع وهي عامية.

(٥) في (ب): نقباً.

(٦) في (ب): ما عُرف دون كلمة أحد.

(٧) القَضَاض: عملية معروفة في أعمال البناء، وهي عملية فنية متقنة أجادها اليمنيون منذ آلاف السنين وخاصة في مرافق الري والسدود والمآجل والبرك والقنوات والسواني وفي المعابد والمساجد وفي بعض المنازل من الدور والقصور. والقضاض من خلطة تتكون من النُّورَة والهشاش الحصى مع الماء ولكن خلطه والعناية به تجعل هذه الخلطة في غاية القوة والمتانة، فعملية القضاض طويلة ومتينة حتى يصبح سطح القضاض أملس لامعاً مصمتاً يقاوم الزمن والأجواء المناخية.
للمزيد من المعلومات يمكن الرجوع إلى (مطهر علي الإرياني: الموسوعة اليمنية، ج٢، ص٧٧٠).

قال فلما سمعت ذلك ارتكز[1] في نفسي، فلا زلت أطمع فيه منذ ابتداء دخولي حبسهم لستة أشهر، فلما انعقد الصلح حسبما تقدم وعرف محمد باشا حقه، رحمه الله أعني سيدي[2] الحسن وأخلى[3] له أعلى الدار والأمداد تأتيه، فكلما وصله فرقَّة في أصحابه، وفي آغا القصر المسمى إبراهيم آغا وكاتبه **[٥٦/ب]** وأعوانه ثم الرسم فأحبوه جميعاً وعرفوا حقه، ثم اشترى أم ولده مولانا[4] أحمد بن الحسن أطال الله عمره، وكانت من ذوي العقل والكمال، ولما ولد لها مولانا أحمد وسمي قالت لامرأة الباشا هذا أحمد سمي أحمد ولدها فحصل الأنس والمواصلة والهدايا ثم إن الباشا أجرى لمولانا أحمد جامكية[5] ثم إن مولانا الحسن -عليه السلام- اشترى بيتاً في صنعاء في السائلة[6] تسمى بيت الكراز[7] وجعل أم ولده فيه وشرى أمها وإخوتها، وكانوا مماليك ثم جعل لها اختلافاً إليه ثم جعل له بيتاً في بير العزب[8] للخريف من جملة أهل صنعاء، فكانت تخرج هي وولدها إليه وتترد إلى عنده.

قال: وعرف الجانب الشرقي الذي خرج منه أنه خال، وقد جعل بعضاً من المنازل ينتفع بها ثم احتال بأن جعل في جانب من المقصور للحريم[9] ومكاناً علف فيه كبشين عظيمين كما يفعله أهل صنعاء وبلادها، وكان إلى جانب مصلاه، فإذا قال وقت القيلولة دخل ذلك المكان ففتح من السقف الأول إلى الذي تحته ونجر الخشب حمالة قد اتخذها حتى نقبها إلى منزل جهل من فيه ولم يكن مفتاحه معه، وكان عنده الجص وما يحتاج إليه من رد كل شيء على حاله حتى يفرغ وبقي على ذلك أشهراً على ذهني أنها ستة[10] أو ثمانية أشهر يستغل

---

(١) زيادة في (ب): ذلك.

(٢) في (ب): مولانا.

(٣) ليست في (ب).

(٤) ليست في (ب).

(٥) جاميكة: أي مرتب.

(٦) السائلة: هو الوادي الذي يمر عبر صنعاء وتسري فيه مياه الأمطار الموسمية التي تهطل على صنعاء ونواحيها. وتخرج مياه السائلة شمالاً إلى الروضة والرحبة.

(٧) بيت الكراز: إحدى حواري صنعاء القديمة.

(٨) بير العزب: الجانب الغربي من صنعاء كانت إحدى ضواحي صنعاء القريبة وفيها منازل وبساتين الموسرين من أهاليها.

(٩) زيادة في (ب): المكالف.

(١٠) ستة هكذا وردت.

ذلك. فلما عرف أن ذلك المكان لا يعرف من فيه فعل دعوة، وحضرها الآغا، والأمير علي الشرجبي المذكور في أخبار الإمام القاسم -عليه السلام- وغيرهم. فلما فرغوا من الطعام قال قلت: يا أصحاب قد سرنا محابيس، كما تروا والآغا في حكمنا محبوس معنا هلموا ننظر في هذه المواضع أيها نفعل فيه مكاناً صدقة جارية للمحابيس مصلى يصلون فيه ونجعل لهم ماء وكذا، فقالوا ننظر ففتح لهم الآغا ذلك الموضع فوجده خالياً وقد عرف عدم إلتفات الآغا إلى ذلك والشرجبي لا يحب أن يحمل أكثر من حصته، وإنما يحمل حصته حياً ثم لما يحصل منهم إسعاد أظهر أنهم إذا لم يفعلوا فلست بفاعل ولا غرض له إلا معرفة ذلك، فلما تم ذلك ووصل المكان خفي عليه ما ذكر له التركي من النقب الذي شرعه بعض العجم وعليه القضاض الجديد.

قال رحمه الله: وكان لا يطَّلع على ما فعله إلا أم ولده فقط.

قال: فطلبت العبد المسمى سعيد بن ريحان، **[٥٧/أ]** وكان إلى الصغر أقرب وفيه دعابة ومخالطة لخدم الترك، فكان يدخل بستاناً قريباً من ذلك فقلت له: أعرفت طاقة بيضاء في الدار؟ قال: نعم، فقلت: عرفت أهي منقوبة أم مسدودة من داخل؟ فقال: لا أعرف، فقلت: اذهب إلى البستان وكأنك ترجم جهات كثيرة من طيور البستان، ثم إرم ذلك القضاض بحجر فإن تجده صلباً عرفت وإن تجده يخفق[1] عرفت أن تحته هواء، وأظهرت له عذراً لمعرفة ذلك لا يفهمه، فلما خرج البستان قمت وركبت الحبل، ونزلت إلى ذلك الموضع وبقيت حتى سمعت الحجر فرقَّمت على ذلك المحل بفحمة وطلعت فوراً، فما عاد إلا وأنا في مكاني فسألته فقال: ما هو إلا صحيح.

قال: وأخذ الباشا محمد بالمسير إلى الروم، فأمرت بشراء حصان عظيم وقلت ربما ونحتاجه للباشا فضلي تقدمة وجعلته في بيتي ومعي أصحاب يدخلون ويخرجون مع ولدي وإلى عندي. قال: ثم إني أمرت من طلب الباشا محمد يذكره إنما المحبوس إلا أنا دون ولدي،

---

(١) يخفق: الخفق اضطراب الشيء العريض يقال راياتهم تخفق، يخفق يضطرب.

(ابن منظور: لسان العرب، ج٤، ص١٥٧).

وأن ولدي يخرج ويدخل حيث أحب، قال: ففعل فأكثر أصحابي بالدخول والخروج مع الولد مع صغره وقد يجعلونه على الحصان. فلما أمكن[1]، وقد سار الباشا محمد وبقي القصر ومواضعه خالية انفردت عن أصحابي بأسباب صرفتهم لها وقد أحتلتُ بحيلة في نقب ذلك حتى وجدت الصخرة، فلما عظم علاجها ولم يقدر لها المبرد قال وكانوا يفلقون[2] الحطب في صرح أعلا الدار فأمرتهم يفلقون في أسفلها ثم أخذت فأس الحجارة فإذا ضربوا الحطب ضربت معهم الحجر، فلا يعرف أحد بذلك لاختلاط الضربات مع صدى الدار حتى كمل ذلك، فعالجت في إخراج الحجر فعجزت وحدي وكانت هذه الحجر وتعرضها على مثل ما كان رآه -عليه السلام-.

وقد ذكر رؤيا عجيبة وهي أنه رأى أنه في بئر فعالج الطلوع منها فإذا هو مقيد الرجلين مشدود اليدين وقد توسط في جدارها فأراد أن يرجع إليها فإذا أسد عظيم فاتح فاه قال فإن أعد أخذني، وإن أمضي فأنا مشدود قال فلجأت إلى الله ودعوت وصرخت فانفتح لي بعض رجلي وبعض يدي، **[٥٧/ب]** فلما قربت من أعلى البئر وإذا صخرة لا تطاق بيني وبين نظر الهواء والضياء فكدت أيأس من السلامة بعد الطمع فيها. واشتد الأمر وأنا أصيح فإذا أعلى البئر أغصان شجرة كأنها البلس[3] فقبضت بعض أغصانها بفمي وقلت إما أعلو هذه الصخرة أو أهلك دونها، وترامیت بنفسي حتى طلعت أعلى البئر وسرت إلى الضياء وقال مقسماً لي في ضمن الحديث أنه بقي عند ذلك أليماً من شدة ما كابده في المنام.

نعم ولما طلع أتم ما دبره بإخراج أهله وعلى أنهم يعزمون إلى بيته إلى حبور يبقون هنالك حتى يصل الباشا فضلي، فإن يحصل لهم منه أمان مدة ويستمر الصلح بينه وبين الإمام رجعوا وإلا بقوا في بيته ولا مع أصحابه إلا ذلك. وأخبرني حي الشيخ جمال الدين علي بن شمسان رحمه الله أنه توسم أن مولانا في عمل قال: فقلت له يوماً إن من أعلى القصر إلى ما يقرب من

---

(١) في (ب): ظن كلمة التدبير.

(٢) يفلقون الحطب: فلق شق والفلق مصدر فلقه يفلقه أي شقه والفلوق الشقوق.
(ابن منظور: لسان العرب، ج١٠، ص٣٢).

(٣) البلس: وهو التين.

فروة مسافة بعيدة ليست كما تراها من هذا الموضع قال: ففطن وبعد مني كثيراً وكنت قد خُضْتُ[1] مع أحد الرَسَمْ[2] ومن عليه العهدة في الحبس وهو طامش المخلافي من مخلاف ذنح في أنه يحتال بإخراج مولانا فبعد عني كثيراً وخفته. وأمر مولانا بذبح الكبشين وفعل دعوة عظيمة ودعا ذلك الآغا وأصحابه أكلوا منها. وكان -عليه السلام- يقرأ على حي الفقيه الفاضل مقرئ القرآن العظيم المهدي المشهور في قرى صنعاء قال: فكسوته وقد شَرَّعنا[3] في سورة الفتح عند قوله تعالى: ﴿**فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا**﴾**[الفـتح: ٢٧]** وقلت له: يا سيدنا لا تطلع إلينا غداً فإنه ربما معنا عمل مخافة عليه لا يتهمونه، ولما عزم أصحابي من عندي وبقي سعيد بن ريحان العبد وهادي بن مخارش من أهل حبور وثالث سماه وقد طلب الشيخ أحمد بن مطهر المرهبي من الرهائن في القصر وكان خادماً له فقلت له على جهة التجربة: يا أحمد يجب أن نطرحك من هذا العالي لحاجة لنا أترضى؟ فقال: نعم، فلما فهمت رغبته في إعانتي أوقفته على أمري بعد أن حلَّفته، ثم نزل معي أعانني على إخراج الحجر في النهار، لم يبق إلا القضاض فقط ينفتح سهلاً **[٥٨/أ]** متى أردنا. فلما كان الليل توسمنا وقتاً فيه من الحرس الذين نطمع في تسهيلهم لمعرفتنا لهم ولمواضعهم وأحسن ما نطمع في نوبة الترك. وأما همدان من العرب فهم أهل حزم فلم يحصل نوبة العجم في الموضع إلا من الربع الأخير.

هذا ما سمعت منه -رضوان الله عليه- من إجمال خبره وتفصيله، وأخبرني كثير من الأصحاب أنه فصل بأكثر وقال: لما انفصلوا من الدار لم يتمكنوا من صعود الدائر[4] من الحرس، فتبلدوا وكادوا يعودون وهمَّوا يصعدون وإذا هر أسود يمضي على السور فزجره أحد الحرس فكان لطفاً عرفوا به يقظة الحرس، وانتظروا وقتاً وتقدم الهر فمر عليهم فلم يعرفوه، فعلموا أنهم نائمون فصعدوا فسمع بعض الحرس في مواضع أخر يقول على عادتهم

---

(١) خُضْتُ: خاض في الكلام أي جرى بينهم حديث طويل. (عامية).

(٢) الرَسَمْ: الحارس والعسكري.

(٣) شرَّعنا: أي بدأنا (عامية).

(٤) الدائر: السور، سور البيت أو المدينة.

في الأصوات مخاطباً لِليَّل دندل حبالك بمعنى أرسل، فكان فالاً وأرسلوا حبالهم.

قال رحمه الله: وقد أمرنا من يطلع بالحصان إلى أحوال القبب المقابلة للقصر في المقابر، وكان في هذا الحصان كما سمعت منه رحمه الله كثرة صهيل وحركة. وفي تلك الليلة سكن لم يُسمع له شيء مما يُعرف به وأنا أعرفه كان كذلك حتى عُقر في وقعة نجد قسيم كما سيأتي إن شاء الله تعالى ثم خرجنا على مشقة وتدلينا بالحبال كذلك وكنت آخرهم نزولاً ثم ركبت الحصان وقلت الحمد الله الذي نجانا من القوم الظالمين.

وأخبرني أصحابه الذين معه وغيرهم أنه خرج أعلى فروة[1] والمسني[2] في كل بئر ثم أعلا الروضة، وقد طلع أول الفجر، ثم تدارك صلاة الفجر تيمماً في قريب من بلد بني عاصم أطرف بلاد الحدود المتصلة ببني جرموز[3]. وكان قد أرسل أول الليل أم ولده وجميع من في بيته من طرق شتى لم يبق لهم شيء حتى الهرة، وقال: خشيت أن يقول الترك هذه هرة ابن الإمام. ومصلاه الآن معروف مشهور يتبرك به من مضى تلك الطريق ممن حوله من تلك القبائل. ثم خرج إلى بني جرموز ولا يلقى في تلك من الطريق أهل الدواب أحداً إلا أعطاه ثمن ما **[٥٨/ب]** على دابته من علف وحطب وأركب أصحابه. وقد أظهر أنه من أشراف الجوف، فلما صار إلى بلد زندان[4] من أعمال بني زهير[5] صرخت القبائل وضربت طبولها بالإجتماع إليه حتى اجتمع إليه غالب بلاد حاشد وبكيل في ليلة ويوم، ووصلت كتبه فكاد الناس يخرجون من عقولهم فرحاً، ولقيه من الأصحاب ممن كان في شهارة جماعة، ثم وصل إلى الهجر إلى مولانا الإمام -عليه السلام- فأمسى فيها، ثم صعد الإمام -عليه السلام- إلى شهارة وقد أعد الضيافة السنية وكان الإمام -عليه السلام- المتقدم وعليه السكينة والخشوع والتواضع لله سبحانه. ووصل أعيان البلاد الإمامية بعد أن أظهروا البشارات وأُوقدت

---

(١) فروة: من ضواحي صنعاء الشمالية خارج باب شعوب.

(٢) المَسْنَى: هو مُجمع من المباني والتركيبات والأدوات التي تستخدم في مجملها لنزع المياه من الآبار.
(أحمد قائد بركات: الموسوعة اليمنية، ج٢، ص٨٥٩).

(٣) بني جرموز: بلدة في بني الحارث قرب صنعاء. (الحجري: المجموع، مج١، ص١٨٤)

(٤) زِنْدَان: مركز إداري في مديرية أرحب شمال صنعاء. (المقحفي: المعجم، ج١، ص٧٤٦).

(٥) بنو زهير: أحد فروع قبيلة أرحب. (المقحفي: المعجم، ج١، ص٧٤٨).

النيران وضربت المدافع في شهارة وبعد الضيافة العامة أعطي مولانا الإمام -عليه السلام- كبراء حاشد وبكيل الواصلين مع مولانا الحسن -رضوان الله عليه- كسا، ومن معهم، وعادوا بلادهم، ووصلت الضيف والهدايا من كل جهة. وكان وصل من الآغا والي القصر وهو محبوس كتاب، إلى مولانا الحسن رحمه الله إلى جانب الطريق يسأله بالله أن يخبره من أي موضع خرج، فأخبره ثم كتب أن يأتوه بما بقي في مكانه من الأمتعة والبقر والحمام، فأرسلوا ذلك إليه إلى محروس شهارة.

وفيما بلغ[1] عن الأمير علي بن شمس الدين صاحب كوكبان أنه قال الحسن غاب فالواجب على الإمام رده أو كما قال.

وقال بعض أمراء العجم في صنعاء لما أخبروه: لله أبوه رحم الله والداً ولده، وكما قال فانظر كم بين القولين الله المستعان. وأقام بعد ذلك موازراً الإمام معيناً له كافياً وسلامه عليهما.

ومما قيل فيه من التهنية بوصوله، من الشعر قول السيد العالم الأديب صلاح الدين صلاح بن عبد الخالق بن يحيى بن جحاف[2] وهو:

عناية من كريم ما يشا يكن

لا حيلة البشر الموصوف بالوهن[٥٩/أ]

وللإرادة وقت فيه ينفذ في

معلوم من نسق الأشيا على سنن

فلا يقدمه تدبير محتنك

ولا يؤخره تفريط ذي إفن

---

(١) الغافل الجاهل، زائدة في (ب).

(٢) سبق ترجمته.

الله عـــــن كـــــل تـــــدبير يـــــدبره

عبـــد لإيجـــاد شيء قـــد قـــضاه غنـــي

محـــض التوكـــل تفـــويض الأمـــور إلى

عنايـــــة الله ذي الإحـــــسان والمـــــنن

وهـــل أتـــاك مـــن الأنبـــاء مـــا ضـــحكت

لـــه ثغـــور المنـــى في الـــشام والـــيمن[1]

ومـــا اســـتهل لـــه وجـــه الزمـــان ومـــا

أزال مـــا بحـــسين الـــدين مـــن غـــصن

بـــشرى أشـــاد بـــذكراها الملائـــك في

بـــرازخ القـــدس والأطيـــار في الـــوكن[2]

والإنـــس أجمـــع مـــن بـــدو ومـــن حـــضر

والجـــن مـــن ســـاكني الأوهـــاد والقـــنن

واستبـــشرت ملـــة الإســـلام وانكـــشفت

عـــن البرايـــا جلابيـــب مـــن الحـــزن

ورد في عـــــود ديـــــن الله نـــــضرته

وقـــد ذوى منـــه قـــدماً نـــاظر الفطـــن

إحـــسان ربـــك في استخلاصـــه حـــسناً

مـــن بعـــد أن أيـــس الراجـــون مـــن حـــسن

---

(١) ناقص في (أ)، وتم نقله من (ب).

(٢) الوَكْنُ، بالفتح: عش الطائر. (ابن منظور: لسان العرب، ج١٥، ص٣٨٩).

إذ بـــات يعمـــل فكـــراً في الخـــلاص ومـــن

يســـــترفد الله عونـــــاً منقـــــذاً يعـــــن

واســـــتعمل الحـــــزم في تـــــدبير مخرجـــــه

فلـــــم يقـــــصر ولم يعجـــــز ولم يهـــــن[1]

حتـــى تخلـــص مـــن نقـــب عـــلى وجـــل

مـــن حيـــث لا بـــشر يقـــوى عـــلى طعـــن

وبـــــات يـــــسري وعـــــين الله تكلـــــؤه

بالـــــصحب والمـــــال والأولاد والـــــسكن

كـــــأن مـــــا كـــــان في قـــــصر يـــــدبره

عـــــن أمـــــر راض عليـــــه الـــــدهر مـــــرتكن

فجـــــاء في مثـــــل حـــــال كـــــان فارقنـــــا

فيهـــــا كـــــأن لم يـــــذق أسراً ولم يـــــبن

مـــــسلماً لم تناولـــــه الخطـــــوب بـــــما

ينـــــال مـــــشبهه في المـــــال والبـــــدن

كـــــأنما كـــــان جفـــــن الخطـــــب منطبقـــــاً

عليـــــه وهـــــو بـــــه في أطيـــــب الوســـــن

---

(١) ليست في (ب).

يقيـــه جنـــة حفـــظ مـــن مُـــدبره

أوفىَ لمهجتـــه مـــن هـــذه الجـــنن[1]

عـــلى حَـــسِيكَةِ[2] وَغْـــمٍ كـــان يـــسترها الـــ

ـــــعدو فهـــو يداجيـــه عـــلى دخـــن

فانتاشـــه منـــه ملـــك لـــيس متتـــه

ممـــا يقاومهـــا شيء مـــن المـــنن

بغـــير حيلـــة محتـــال ولا ادعيـــت

شـــفاعة تمـــزج الإحـــسان بـــالمنن

تقفـــو العـــدى ركبـــه صـــبحاً وقـــد نفـــدوا

لـــيلاً وأنجـــد مـــن يـــدنو إلى حـــصن

أبـــا محمـــد أعلـــم إن فكـــك عـــن

أســـار أعـــداك فـــك الـــدين عـــن قـــرن[٥٩/ب]

فهنيـــت ملـــة الإســـلام فرحتهـــا

بفـــك عـــانٍ بـــأسرِ الـــروم مـــرتهن

وأنـــت هنيـــت مـــا أوليـــت مـــن شرف

بـــه اســـتنارت سروراً غـــرة الـــزمن

---

(١)جنن : جَن الشيء يَجُنه جنا أي ستره وفي الحديث: «جن عليه الليل» أي ستره، وحكي عن ثعلب: الجَنانُ الليل. (ابن منظور: لسان العرب، ج٢، ص٣٨٥).

(٢) الحَسِيكة: الحقد. (ابن منظور: لسان العرب، ج٣، ص١٧٥).

وهنـــــأ الله مولانـــــا المؤيـــــد مـــــا

أولاه مـــن جمـــع شـــمل الأهـــل في الـــوطن

يمُـــــن دعوتـــــه بالغيـــــب إن لـــــه

جـــــؤار مجتهـــــد في الـــــسر والعلـــــن

وهـــل يخيـــب الـــذي يـــدعو الإمـــام لـــه

مـــن بعـــد أن خـــر في الأســـحار للـــذقن

وقبلـــــه قاســـــم أكـــــرم بمـــــسألة

مـــن قانـــت نـــضو أشـــجان أينجـــزنِي

وكـــان فكـــك [.....][1] مـــا يلـــوح بـــه

مـــن حكمـــة [.....][2] للمـــتقن الفطـــن

لـــو كـــان حيـــاً لغطـــى مجـــده شـــيماً

لاحـــــــت لأولاده للعـــــــين والأذن

قـــرى وجـــوداً وإجـــراه الأمـــور عـــلى

مـــا ســـار في النـــاس مـــن مـــصر إلى عـــدن

مـــن قفـــوهم في النـــدى آثـــار ســـيرته

ومـــا تعـــود بـــين النـــاس مـــن ســـنن

مـــولاي أوجـــب أهـــل الأرض قاطبـــة

عـــلي حقـــاً ولـــو عرضـــت للـــثمن

---

(١) بياض في (أ)، (ب).

(٢) بياض في (أ)، (ب).

إني خـــــدمتك إذ لا حـــــال يـــــسعدني

ببعـــــث منتجبـــــات الخيـــــل والبـــــدن

بـــروض شـــعر بـــه الأزهـــار باســـمة

مـــن نـــرجس بـــين ورد في الكـــمام جنـــي

يـــسير مثـــل مـــسير البـــدر في فلـــك

عنـــي ويعرفـــه مـــن لـــيس يعرفنـــي

ولم أعـــد نظـــراً فيـــه فـــأعرف مـــا

حـــواه مـــن ركـــة المعنـــى ومـــن لحـــن

لمـــا أحـــاول في أمـــري ويـــشغلني

ممـــا يهـــم مـــن الأعـــمال والمهـــن

فاعـــذر فـــدا لـــك الـــدنيا بأجمعهـــا

وكلـــما اســـتفهموا عنـــه بـــما ومـــن

ودم تـــساعدك الأقـــدار مـــا طلعـــت

شـــمس ومـــا ســـجعت ورقـــاء في فـــنن

وقال القاضي العلامة صفي الدين أحمد بن سعد الدين أطال الله بقاه في الليلة التي وافى فيها أول بشير بما تفضل الله به من هذه المسرة العظمى فكانت هذه مقدمة ما قيل في ذلك:

يـــسر مـــن الله مَـــاحِي العـــسر باليـــسر

ومنـــــة منـــــه أســـــداها إلى البـــــشر

ونعمـــــة شـــــمل الله العبـــــاد بهـــــا

فـــما اســـتبد بهـــا بـــاد ولا حـــضر [٦٠/أ]

وآيـــــــة شـــــــهدت لله خالقنـــــــا

بأنـــــه خـــــارق العـــــادات والقـــــدر

ورحمـــــــة أنـــــــشقتنا روح رأفتـــــــه

بنـــا وألطافـــه الحـــسنى لـــدى الـــضرر

فليـــــشكر الله مـــــن سرتـــــه نعمتـــــه

وكلنـــــا نـــــال منهـــــا غايـــــة الـــــوطر

وليحمـــدوه عـــلى الفـــضل العظـــيم ومـــا

نـــــالوه مـــــن شرف ســـــام ومفتخـــــر

حمـــداً وشـــكراً لمـــن جلـــت مواهبـــه

مـــــن شـــــاكر ولـــــروح الله منتظـــــر

حمـــداً وشـــكراً لمـــن عمـــت فواضـــله

فالحمـــد والـــشكر جلابـــان للـــدرر

حمـــداً عـــلى نعـــم مـــا زال ينـــشئها

عـــلى البريـــة في الآصـــال والبُكـــر

حمـــداً عـــلى مـــنن غـــرٍ محجلـــةٍ

تـــروق الانظـــار بالتحجيـــل والغـــرر

حمـــداً عـــلى نظـــراتٍ منـــه بـــاهرةٍ

آياتهـــا لـــذوي الألبـــاب والفطـــر

كـــم للمهـــيمن مـــن فـــضل ومـــن مـــنٍ

لـــو رمـــت تعـــدادها لم آت بالعُـــشر

كـــم للمهـــيمن مـــن حكـــم ومـــن حكـــم

تجـــري عـــلى ســـنن التـــدبير والقـــدر

كـــم أعجـــز الخلـــق أمـــر فـــادح عنيـــت

فيـــه النفـــوس فـــأعيى غايـــة النظـــر

وعـــز واستـــصعبت منـــه مـــسالكه

وقيـــل مـــا لـــك دون الله مـــن وزر

جـــاءت بـــه رحمـــة الله العظـــيم عـــلى

حـــين الإيـــاس بـــلا زيـــد ولا عمـــر

ولا صـــــنيعة مخلـــــوق يجرعنـــــا

ســـموم مـــن قـــد يـــشوب الـــصفو بالكـــدر

أعظـــم بهـــا منَّـــة لا نـــستطيع لهـــا

شُـــكراً بـــذات ولا لـــسن ولا فكـــر

أعظـــم بهـــا نعمـــة زادت مآثرهـــا

ديـــن الهـــدى رفعـــة في الخُـــبر والخَـــبرِ

أعظـــم بهـــا نعمـــة ســـارت جلالتهـــا

في الخـــافقين مـــسير الـــشمس والقمـــر

أعظـــم لوجـــه إمـــام الحـــق إذ طلعـــت

أنـــوار غرتـــه في الـــسادة الغـــرر

أعظـــم ببـــشر أمـــير المـــؤمنين وقـــد

أتـــــى ببـــــشراه ســـــعياً أول البـــــشر

أعظـــم ببـــشر بنـــي المنـــصور قادتنـــا

الـــشم الحـــماة ذوي التفـــريج للعكـــر

بـــصنوهم شرف الإســـلام شـــمس بنـــي

الزهـــراء مـــن نـــال أقـــصى الفخـــر في الـــصغر

أخـــي المحامـــد خـــدن المجـــد مقتعـــدُ الـــ

ـــــعلياء رب الكـــمال الـــصارم الـــذكر

الـــــسيد الأعظـــــم الراقـــــي بهمتـــــه

أعـــلى الـــسنام بـــلا عجـــز ولا خـــور[٦٠/ب]

ســـبط الإمـــام الـــذي أحيـــا بدعوتـــه الـــ

ـــــهدى وقـــوَّم ديـــن الله مـــن صـــغر

إمامنـــا القاســـم المنـــصور أكـــرم مـــن

مـــشى وأشرف مـــن يعلـــو عـــلى الـــسرر

الحجـــة الواضـــح البرهـــان مـــن شـــهدت

لـــــــه صرائـــــــح آي الله والـــــــسور

هـــذا لعمـــرك فـــيض مـــن كرامتـــه

وكـــم لـــه مـــن كرامـــات ومـــن ظفـــر

ومـــــن كرامـــــات مولانـــــا وقائمنـــــا

أبي عـــــــلي نقـــــــي الجيـــــــب والأزر

مؤيـــد العـــزم مـــرضيّ الفعـــال سديـــ

ـــــد القـــول والـــرأي في ورد وفي صـــدر

خـــضمّ علـــم إذا أمواجـــه زخـــرت

عـــلى المـــساي أهـــدت خـــالص الـــدرر

وغيـــث جـــود لـــه كـــف إذا وكفـــت

عـــلى أخـــي العـــدم أغنتـــه عـــن المطـــر

ورب خلـــــق إذا أنـــــواره ائتلقـــــت

رأيـــت روضـــاً أريـــضاً طيـــب الثمـــر

وطـــود حلـــم إذا زعزعتـــه ثبتـــت

أصـــوله كثبـــات الـــرقم في الحجـــر

وليـــث بطـــش إذا صـــالت عزيمتـــه

ســـقى المعـــادين مـــن مـــر ومـــن صـــبر

وزعـــزع الأرض مـــن شـــام إلى يمـــن

إلى العـــــراق إلى مـــــصر إلى التـــــتر

صـــفات فخـــر تلاهـــا عـــن أب فـــأب

مسلـــسلاً عـــن أبيـــه خـــاتم النـــذر

عليـــه أفـــضل مـــا صّـــلاه بارئـــه

وعـــترة فـــضلها ســـام عـــلى العـــتر

فقِـــرَّ عينـــاً أمـــير المـــؤمنين بـــما

حبيـــت مـــا غنـــت الورقـــاء في الـــشجر

اشـــكر يـــداً شرف الإســـلام خـــصكها

باريـــك في خفـــض عـــيش أرغـــد خـــضر

فقـــد أعـــدتَّ قلـــوب المـــؤمنين إلى

سرورهـــا إذ رأينـــا وجهـــك القمـــري

كيوســـف إذ رأى يعقـــوب غرتـــه

أهـــدت إليـــه قـــرار القلـــب والبـــصر

ودمـــتم يـــا بنـــي المنـــصور كلكـــم

في نعمـــة لا تولاهـــا يـــد الغـــير

يعـــوذكم ربكـــم مـــن كـــل نائبـــة

وعـــين كـــل حـــسود خـــائن غـــدر

يحـــوطكم بمثـــاني الـــسبع والـــسور الـــ

ـــعظام والـــصحف والتـــوراة والزبـــر

والحمـــد لله في صـــدر المقـــال وفي الـــ

ـــختام فالحمـــد أســـنى الكنـــز والـــذخر

ثـــم الـــصلاة عـــلى خـــير الأنـــام معـــاً

مـــا أنعـــم الله بعـــد العـــسر باليـــسر

وآلـــــه حجـــــة الله التـــــي بهـــــرت

وروح أجـــساد هـــذا العـــالم البـــشر

وقال القاضي الأعلم رضي الدين زيد بن علي بن الحسين المسوري رحمه الله:

إيـــه بحمـــد عظـــيم المـــن موليـــه

فـــذاك أفـــضل مـــا يتلـــوه تاليـــه

وهـــات عـــما تـــراه الآن مـــن عجـــب

لكـــي تـــصدق فـــيما أنـــت حاكيـــه

لقـــد أتيـــت بـــما إن صـــح نلـــت بـــه

محكـــــماً كلـــــما يختـــــار يعطيـــــه

لكـــن حالـــك عنـــد النـــاس ملتـــبس

فكلهـــم ســـائل مـــن غـــير تمويـــه

أ أنـــت صـــاح فـــما أجـــراك مـــدعياً

أم أنـــــت ممـــــن بـــــلاه الله بالتيـــــه

قـــد ادعيـــت عظـــيماً لـــو علمـــت بـــه

وأنـــت خـــدن لهـــا مـــا قمـــت ترويـــه

زعمـــت أن ســـليل المـــصطفى حـــسناً

في صـــحبة قـــد أتـــى طـــراً وأهليـــه

ألـــيس مـــن دونـــه الأبـــواب موصـــدة

والـــسور مـــن دونـــه شـــيدت مبانيـــه

وإن دنـــا ليلـــة منـــه أحـــاط بـــه

حرصـــاً عليـــه أســـود مـــن أعاديـــه

وقـــد أعـــدَّوه ترســـاً يتقـــون بـــه

بـــزعمهم كـــل ســـوء مـــن مواليـــه

لـــو ادعيـــت طلـــوع الـــشمس في غـــسق

لكـــان أهـــون ممـــا أنـــت آتيـــه

بـــلى بـــذلك مـــن الله مبتـــدياً

فالحمـــد لله هـــذا مـــا نرجيـــه

والحمـــد لله قـــد نلنـــا بـــه أربـــاً

مـــا كـــان يخطـــر في بـــال تمنيـــه

الحمـــد لله مـــا حـــج الحجـــيج ومـــا

دعـــــا إلى الله داع في مـــــساعيه

فإنهـــا نعمـــة مـــا إن يقـــوم لـــه

بـــشكرها وهـــي جـــزء مـــن أياديـــه

مـــا العيـــد أن تنحـــر المستـــسمنات ضـــحى

وإنـــما العيـــد يـــوم جاءنـــا فيـــه

ضـــيقي آزال بمـــن تحوينـــه كمـــداً

ويـــا شـــهار عليهـــا رفعـــة تيهـــي

يـــارب يـــارب يـــا مـــن لا شريـــك لـــه

يـــا عالمـــاً مـــا صـــدور الخلـــق تخفيـــه

بنـــور وجهـــك بـــالروح الأمـــين وبالـــ

ـــــمختار مـــن مـــضر الحمـــرا وأهليـــه

أيـــد بحولـــك مـــن أوجبـــت طاعتـــه

عـــلى عبـــادك مـــن يرضـــيك مرضـــيه

أبـــا عـــلي أجـــل الخلـــق مرتبـــة

محمـــد خـــير أهـــل العـــصر داعيـــه

مـــن ضـــمنت مدحـــه آي الكتـــاب فـــما

أقـــول إن رمـــت مـــدحاً فيـــه أنـــشيه

ومـــا أقـــول إذا بالغـــت مجتهـــداً

فـــيمن تجـــل عـــن الإحـــصا معاليـــه[٦١/ب]

فحـــسبه أنـــه هـــو حـــسبه شرفـــاً

يكفيـــه مـــن وصـــفه يكفيـــه يكفيـــه

فـــدع مقالـــك إن الـــشمس ذات ســـنا

وعـــد إلى ذكـــر مـــا قـــد كنـــت تمليـــه

وقـــل كـــسعي أخيـــه المتقـــى حـــسن

فليـــسع أو فليقهقـــر مـــن يـــساميه

هيهـــات هيهـــات مـــا للبـــدر مـــن شرف

وفي علـــو مكـــان مـــن يـــساريه

أو في التـــواريخ إن قـــد كـــان مـــن بـــشر

مـــا كـــان منـــه لقـــد أودت أعاديـــه

كـــادوه ظلـــماً وعـــدواناً فكـــادهم

وأظلـــم المحـــدثين الـــشر باديـــه

كـــالوه بخـــساً وتطفيفـــاً وكـــالهم

كـــيلا وفيـــاً وخـــير الكيـــل وافيـــه

لمـــا أنـــاب إلى مـــولاه معتـــصماً

بحيلـــة جـــاءه مـــا كـــان يبغيـــه

فبـــات مخترقـــاً للـــسقف معترجـــاً

للـــسور لم يثنـــه عـــن ذاك ثانيـــه

يرقـــى ويهـــبط لا وان ولا وجـــل

حتـــى نجـــا مـــنهم والله منجيـــه

وقـــد أعـــد ولم يـــدروا لـــه فرســـاً

عبـــل الـــشوى يعـــتلي الجـــوزا أعاليـــه

وكـــل أهليـــه قـــد أمـــست قلائـــصهم

في الركـــب يحـــدو بهـــا في الركـــب حاديـــه

وبـــات يقفـــوهم حتـــى أضـــاء لهـــم

وجـــه الـــصباح وقـــد تمـــت أمانيـــه

وجاءنـــا في خمـــيس لـــو يـــروم بـــه

بغـــــداد لَبَّتْـــــهُ إن نـــــادى مناديـــــه

لـــــولا مواثيـــق عهـــد كـــان أســـسها

أبـــــوه ثـــــم اقتفـــــاه بعـــــد قافيـــــه

إمامنـــــا خـــــير أهـــــل الأرض قاطبـــــة

مـــن لـــيس يـــنقض عهـــداً وهـــو معطيـــه

لكـــان في معقـــل الأعـــداء مـــن حـــسن

مـــا أنـــت منـــه بطـــول العهـــد ناســـيه

أبـــا محمـــد افخـــر إنَّ فخـــرك مـــا

لـــــشأوه مفخـــــراً يومـــــاً يـــــضاهيه

واهنـــوا جميعـــاً بنـــي المنـــصور وصـــلكم

مـــا آن حتـــى أيـــسنا مـــن تدانيـــه

كـــذا شريعـــة خـــير العـــالمين ومـــن

حـــل الـــسموات والأرضـــين هنيـــه

واهنـــأ بهـــا يـــا أمـــير المـــؤمنين ودم

في نعمـــة مـــا شـــدا في الأيـــك شـــاديه

والحمـــــد لله والتـــــسليم والـــــصلوا

ت الطيبـــــات عـــــلى الهـــــادي وتاليـــــه

وآلـــــه كلـــــما هبـــــت صـــــباً[1] وقـــــرا[2]

مـــــــديحهم في كتـــــــاب الله قاريـــــــه

وقال السيد العلامة وجيه الدين المهدي بن إبراهيم بن جحاف رضي الله عنه[3]:

تهنّـــــا أمـــــير المـــــؤمنين بنعمـــــة

أتـــاك بهـــا الـــرحمن معطـــي المواهـــبِ

تهنّـــــا أمـــــير المـــــؤمنين بفرحـــــة

أنـــارت بهـــا الآفـــاق مـــن كـــل جانـــبِ

تهنّـــــا أمـــــير المـــــؤمنين بمنـــــة

أقـــرت عيونـــاً مـــن لـــؤي بـــن غالـــبِ

وذاك بتفـــــــريج مـــــــن الله ربنـــــــا

لـــصنوك نـــسل الأكـــرمين الأطايـــبِ

نجـا مـن سـجون الـترك وانحلـت العـرى

ولانـــت لـــه صـــلب الحجـــار الرواســـب

نجـــا فـــوق طـــرف أكمـــهٍ لـــون مـــذهب

تـــسير بـــه ســـيراً كـــسير الـــسحائب

---

(١) الصّبا: ريح معروفة تقابل الدَّبُور. (ابن منظور: لسان العرب، ج٧، ص٢٨٤).

(٢) القرا: القَرَا: مجرى الماء إلى الرياض وجمعه قُرْبان وأَقْراء.

(ابن منظور: لسان العرب، ج١١، ص١٤٦).

(٣) في (ب): رحمه الله.

وأقبلـــت البـــشرى إلـــيكم بـــسرعة

تهنـــــيكم بالمفرحـــــات العجائـــــب

ألا حبـــذا قـــول البـــشير وقـــد أتـــى

بعلـــم كمثـــل الـــشمس لـــيس بغائـــب

فقـــرت عيـــون المـــؤمنين فـــصدقوا

كرامـــــة مولانـــــا زكـــــي المناســـــب

إمـــام لـــه فـــوق الـــسماكين مظهـــر

وبحـــر خـــضم زاخـــر بالرغائـــب

لـــه الفخـــر إرثـــاً عـــن أبيـــه وجـــده

أولئـــك هـــم أهـــل النهـــى والتجـــارب

فهنيـــت هـــذا الفـــتح والنـــصر والثنـــا

بـــرغم حـــسود مـــضمر الحقـــد ناصـــب

ورغـــم ذوي الطغيـــان والفحـــش والخنـــا

ذوي الفـــسق أربـــاب الـــضلال المـــصائب

فعـــــما قريـــــب شـــــملهم متبـــــدد

وعرشـــهم قـــد ثـــل مـــن كـــل جانـــب

وعـــاد إلى ملاكـــه الأمـــر وانقـــضت

أباطيـــل هاتيـــك الخطـــوب الـــشوائب

فيـــا حبـــذا مـــا خـــصك الله ربنـــا

بـــه مـــن سرور صـــادق غـــير كـــاذب

فـــصنوك يكفيـــك الأمـــور ويقتفـــي

طريقـــك في تلـــك الأمـــور الثواقـــب

فيكفيـــك مـــا يعنيـــك أو مـــا تهمـــه

وتبقـــى قريـــر العـــين في آل طالـــب

حمـــاكم بنـــي المنـــصور مـــولاكم فقـــد

علـــوتم عـــلى بـــرج الـــسها والكواكـــب

وملككـــم شـــام الـــبلاد وشرقهـــا

وملككـــم أقـــصى بـــلاد المغـــارب

فـــأنتم ذو الإحـــسان والفـــضل والحجـــا

ومـــن ســـادة غـــر كـــرام أطايـــب

وفي شرف عـــال بعيـــد مرامـــه

وفي الفخـــر قـــد حـــزتم أجـــل المراتـــب

حملـــت إلـــيكم مـــن لـــساني حديقـــة

سـقاها الحيـا سـقي الريـاض الـسحائب[1] [٦٢/ب]

لأنكـــم أهـــل المـــروءة والنـــدى

وأهـــل الجـــدا في الممحـــلات الجـــدائب

---

(١) سَحائب: جمع سحابة.(ابن منظور: لسان العرب ج٦، ص١٨٥)

وفـــــيكم أمـــــير المـــــؤمنين محمـــــد

إمـــام الـــورى جـــم العطـــا والمواهـــب[1]

إمـــام بنـــي الزهـــرا وابـــن إمـــامهم

وأفـــضل مـــن في عجمهـــا والأعـــارب

هـــو ابـــن رســـول الله وابـــن وصـــيه

ومـــــشبهه في شـــــيمة وضرائـــــب

وحـــق لـــه أن يـــسبق النـــاس جالـــساً

ويـــدرك مـــا لم يـــدركوا غـــير طالـــب

وقال الفقيه الأوحد بدر الدين محمد بن عبد الوهاب الهديساني الشرفي رحمه الله:

حـــدثونا عـــن مـــصابيح الظلـــم

ودعـــــوا أخبـــــار عـــــاد وإرم

وأثـــــيلات النقـــــا والمنحنـــــا

وغريـــب الحـــي مـــن وادي ســـلم

وأعيـــــدوا ذكـــــر آل المـــــصطفى

عـــترة المبعـــوث نـــوراً للأمـــم

ســـفن الفـــوز نجـــوم الإهتـــدا

أبحـــر العلـــم ينـــابيع الحكـــم

---

(١) هذا البيت ليست في (ب).

يـــــا خلـــــيليَّ إذا مـــــا جزتمـــــا

ســـــاحة الحـــــي إلى تلـــــك الخـــــيم

فـــــالثما قـــــبراً بـــــه البحـــــر ثـــــوى

قاطنـــــاً والبـــــدر والطـــــود الأشـــــم

عفِّـــــــرا خَـــــــدَّيْكُمَا في تربـــــــة

عُرفهـــا يحكـــي شـــذى المـــسك الأحـــم

مـــن ضريـــح القاســـم المنـــصور خيـــ

ـــــر بنـــــي الزهـــــراء كـــــشاف الغمـــــم

ذي البراهـــــين التـــــي قـــــد بهـــــرت

واستفاضـــــت بـــــين عـــــرب وعجـــــم

جـــــذب الأرواح مـــــنهم حبـــــه

فتراهـــــا بثـــــرى الفـــــضل تـــــرم

كـــــل عـــــين نظـــــرت صـــــورته

حقهـــــا أن تمـــــزج الـــــدمع بـــــدم

حـــــرق الحجـــــب دعـــــاه واستقـــــ

ـــــام لأمـــــر قـــــد قـــــضاه الله تـــــم

بـــــشر العـــــالم أن الـــــصدق في

مـــــا حكـــــاه أو رواه أو رســـــم

أودع الله وآلى مُقـــــــــــــــــــسماً

صـــــادقاً فـــــالآن قـــــد بَـــــرَّ القـــــسم

مـــــن ترجـــــى عطفـــــة الله فقـــــد

طلـــب المنحـــة مـــن مـــولي الكـــرم

قـــد يـــوافي الخـــير في النفـــي بـــلا

ويمـــــر الـــــشر في إثـــــر نعـــــم

ليتـــــه شـــــاهد مـــــا نحـــــن بـــــه

مـــــن سرور وابتهـــــاج ونعـــــم

واجـــــتماع بعـــــد يـــــأس قـــــاطع

كوجـــود قـــد أتـــى بعـــد عـــدم

بمقـــــام دونـــــه الثاقـــــب في

ظـــل مـــن فـــضله بـــاري النـــسم

صـــفوة الـــصفوة مولانـــا المؤيـــ

ـــد بـــالله العـــلي وافي الـــذمم

الإمـــام المنتقـــى غـــوث الـــورى

حـــسن الأخـــلاق محمـــود الـــشيم

قـــائم الحـــق عـــلى القـــول الـــذي

صـــح للنـــاس كنـــار في علـــم[٦٣/أ]

حجـــة البـــاري عـــلى كـــل الـــورى

أوجـــــب الله رضـــــاه وخـــــتم

الـــــذي شـــــيد أركـــــان العـــــلى

وحمـــــى الملـــــة مـــــن أن تهتـــــضم

خـــــيم الـــــدين عـــــلى أطنابـــــه

وغـــــدى الإســـــلام منـــــه في حـــــرم

فـــــارس الهيجـــــاء يجـــــلي كربهـــــا

ثابـــــت الجـــــأش إذا الجـــــيش ازدحـــــم

حُـــــف بالنـــــصر فـــــما قابلـــــه

جحفـــــل إلا تـــــولى وانهـــــزم

مـــــن ســـــطاه يفـــــرس الأُســـــد ومـــــن

جـــــوده يخجـــــل هطـــــال الـــــديم

لم يكـــــن لـــــولاه شـــــمل جـــــامع

لم يقـــــف لـــــولا معاليـــــه قـــــدم

هـــــو غـــــوث جمـــــع الأبـــــدال والأ

قطـــــاب والأوتـــــاد في نـــــاد وضـــــم

أنجـــــم مـــــن حولـــــه مـــــشرقة

وهـــــو كالـــــشمس أضـــــاءت في العلـــــم

صـــــاحب التمكـــــين والبرهـــــان قـــــد

نـــــشر الفخـــــر لعليـــــاه علـــــم

يقـــــظ القلـــــب لـــــه عـــــزم يهـــــد

قـــــوى الـــــصخر وحـــــزم لم يـــــنم

لـــــيس بـــــالإلف إذا الأمـــــر عنـــــا

بـــــل هـــــو العـــــالم إن أمـــــر دهـــــم

فـــــالوغى عـــــن بأســـــه يحكـــــي وعـــــن

كفـــــه يـــــوم النـــــدى يـــــروي الخطـــــم

حاطـــــــــه الله بطـــــــــه والـــــــــضحى

والطواســـــــــين وياســـــــــين وعـــــــــم

أيهـــــــا الـــــــسائل عـــــــن طاعتـــــــه

بعـــــت أخـــــراك بـــــبخس في القـــــيم

إن تقـــــل كـــــان ففعـــــل قـــــد مـــــضى

أو تقـــــل ســـــوف فحـــــرف لم يـــــرم

فـــــــــدعن زور مقـــــــــال قلتـــــــــه

فبـــــسمعي عـــــن أماليـــــك صـــــمم

مـــــــن تمـــــــادى غيـــــــه في قلبـــــــه

أحـــــــرز الأيـــــــام في طـــــــي النـــــــدم

رب بـــــــــاغ ملئـــــــــت مهجتـــــــــه

مـــــن نفـــــاق ثـــــار فيهـــــا فـــــنجم

ومعـــــــــاد مظهـــــــــر صـــــــــولته

كلـــــــما حكـــــــم مبنـــــــاه انهـــــــدم

ومـــــــداج قـــــــد تلاشـــــــى كونـــــــه

ألم الحقـــــــــــــد بأحـــــــــــــشاه ألم

يـــؤثر الـــدنيا عـــلى الـــدين هـــوى

وهـــــي ترميـــــه بأنـــــصال الحـــــوم

أورثتـــــه ســـــقماً أجفـــــان مقـــــ

ـــــلتها والجفـــــن يهـــــوى للـــــسقم

لا عبـــــتهم بالفنـــــا ســـــمر القنـــــا

ولـــــسان الـــــسيف للخـــــصم حطـــــم

فعفـــــــت آثـــــــارهم وانطمـــــــست

أنفـــــدت أعمارهـــــم ليـــــت وكـــــم

كـــــم كرامـــــات لـــــه قـــــد ظهـــــرت

خارقـــــات لـــــيس تحـــــصى بقلـــــم

حـــــسبنا في الـــــبعض منهـــــا أن في

ســـــلكها واســـــطة العقـــــد انـــــتظم

جـــــاءت الأقـــــدار تـــــسعى عجـــــلاً

وصـــــلت حبـــــل رجـــــاء مـــــا انـــــصرم

أســـــــعدتنا بهـــــــام ماجـــــــد

بخـــــصال المجـــــد والجـــــود ابتـــــسم

وقـــــف الأقيـــــال في حـــــضرته

وأقـــــام الـــــسعد مـــــن بعـــــض الخـــــدم

كـــــان في الليـــــث مقـــــيماً خـــــادراً

مـــــا لـــــه غـــــير قنـــــا الحـــــط إجـــــم

فـــــسرى يرتكـــــــب الأخطـــــــار في

مَهْمَـــــه العـــــزم عـــــلى أعـــــلا الهمـــــم

حيـــــــنما أورى زنـــــــاداً لم يكـــــــن

يـــــــــشغل الفكـــــــــرة إلا في ضرم

فحـــــــماه الله ممـــــــا يختـــــــشى

وكفـــــــاه مـــــــا عنـــــــاه وأهـــــــم

مـــــــا لمخلـــــــوق بهـــــــذا منـــــــة

إنـــــما المنـــــة للعـــــدل الحكـــــم

أشرق الربـــــــع وللوصـــــــل بـــــــه

مغطـــــس عـــــاد لـــــه طيـــــب المـــــشم

فالهنـــــا للخلـــــق طـــــراً لا اختـــــصا

ص لـــــبعض إنَّ هـــــذا الـــــشأن عَـــــم

ليَ بـــــشرى ســـــبقت فـــــيما مـــــضى

لحـــــج[1] قـــــولي في معانيهـــــا ابتـــــسم

---

(١) أظنها لحج لأني لم اجد بحج ولا نحج في القاموس وكلمة لحج تعني الكلام الغامض او المختلط وكأنه يقول ان غامض قولـه ومختلطـه ابتسم في هذه المعاني.

أبـــــــرزت مكنـــــــون شر مـــــــضمر

نطقـــــت مفـــصحة مـــــن غـــــير فـــــم

حـــــــررت في رق قلبـــــــي زمنـــــــاً

أصـــــــدفت قايلهـــــــا فـــــــيما زعـــــــم

إن لي وداً أكيـــــــــــــداً فـــــــــــيكم

لمعـــــــادي هـــــــو أقـــــــوى ملتـــــــزم

فـــــــــإليكم وعلـــــــــيكم وبكـــــــــم

بغيتـــــي معتمـــــدي عـــــزي الأشـــــم

وصـــــــــلاة الله مـــــــع تـــــــسليمه

مبلـــــغ الطهـــــر المـــــسمى في القِـــــدم

أولاً والـــــــــروح منـــــــه أنـــــــشئت

وبـــــــه الـــــــرحمن للرســـــــل خـــــــتم

وعـــــــلى أهـــــــل الكـــــــسا والآل مـــــــا

لاح ضـــــوء الـــــبرق والمـــــزن انـــــسجم

وقال الفقيه الفاضل أحمد بن أبي القاسم الضمدي[1] قبل خروج مولانا الحسن رحمه الله من السجن على سبيل التفاؤل واستعجال الفرج والقطع به:

الحمـــــد لله حمـــــداً غـــــير محـــــسوب

عـــــلى عطـــــاءٍ مـــــن الـــــرحمن موهـــــوب

---

(١) أحمد بن أبي القاسم الضمدي: الفقيه البليغ العارف، كان من أعيان زمنه وفضلاء الشيعة. صحب الإمام القاسم بن محمد، وله أشعار حسنة بليغة فيها الحماسة والمدح، كان من عباد الله الصالحين.
(ابن أبي الرجال: مطلع البدور، ج١، ق١٦٦).

لطـــف خفـــي مـــن الـــرحمن يـــسّره

ولطفـــــه وعطـــــاه خـــــير مطلـــــوب

الحمـــــد لله هـــــذا مـــــا نؤملـــــه

فـــــنحن في نعـــــمٍ غـــــر وفي طيـــــب

يـــاابن الإمـــام الـــذي فـــاق الأنـــام معـــاً

حلـــف التقـــى والنقـــى والمجـــد والطيـــب

فـــالورق ســـاجعة والـــسحب هامعـــة

والنـــاس آمنـــة مـــن كـــل مرهـــوب

بفـــضل قاســـمنا المنـــصور حـــين دعـــا

إلى الإلـــــه دعـــــاءً غـــــير محجـــــوب

بـــأن يـــرد بألطـــاف لـــه حـــسناً

كـــرد يوســـف فـــضلاً نحـــو يعقـــوب

فقـــد أجـــاب إلـــه العـــرش دعوتـــه

وقـــد أعـــاد إليـــه خـــير محبـــوب[٦٤/أ]

وكـــم لـــه مـــن كرامـــات قـــد اتـــسعت

لم يحوهـــا أحـــد حـــصراً بمكتـــوب

تقـــاصر الخلـــق عـــن إدراك غايتهـــا

كأنهـــا مـــد بحـــرٍ غـــير منـــصوب

وهـــو الـــذي نـــصر الـــرحمن دعوتـــه

لمـــا دعـــاه حبـــاه غـــير مرغـــوب

فجاهـــد العجـــم والأعـــراب منـــذ دعـــا

فكـــم قتيـــل عـــلى الخـــدين مكبـــوب

وكـــم أبـــادت وكـــم أفنـــت صـــوارمه

مـــن ضـــيغم بـــدم الأوداج مخـــضوب

كـــم قـــد تولـــوا وكـــم أُفنـــوا وكـــم غُـــصبوا

حتـــى اســـتعاد علـــيهم كـــل مغـــصوب

وكـــم وكـــم جلبـــوا بالخيـــل راكـــضة

حتـــى تقـــسم نهبـــاً كـــل مجلـــوب

بكـــــل متـــــدب لله محتـــــسب

مـــن أحمـــد وعـــليّ الطهـــر منـــسوب

ومـــن مقـــاول قحطـــان غطارفـــة

مـــن كـــل ليـــث شـــديد الـــبطش مكتـــوب

ثـــاروا بجـــد لـــدين الله واجتهـــدوا

وفـــارقوا كـــل محبـــوب ومـــصحوب

لله در حمـــــاة الـــــدين كلهـــــم

فكـــم دم مـــنهم في الأرض مـــصبوب

نعم ونقصر العنان على هذه من التهاني وإلا فهي كثيرة، وكـان رحمـة الله عليـه كثـيراً مـا

يعظم نعمة الله عليه بهذا الخلاص حيث جعله من ابتداء فضله الغامر وإحسانه الهامر، وقد أعيت حيل المخلوقين، وضعف جهد المربوبين، وقد تقدم في سيرة أبيه رحمة الله عليه ما خاف عليه من خترهم وغدرهم وأنهم لا يبقونه في محبسهم في اليمن.

قال القاضي العلامة شمس الدين أحمد بن سعد الدين أطال الله بقاه: أن الإمام -عليه السلام- لما كتب إليه محمد باشا مخبراً له بمسيره إلى الروم وقال ما معناه أن قد جرت عادة ملوكنا أن يرقوا عبيدهم من خدمة إلى أشرف منها، وقد بعثوا إلى الديار اليمينة أخانا الوزير فضل الله باشا فيكون خاطركم الدعاء ونحو ذلك، ثم إنه يحسن منكم كتاب إليه ترسلوه إلينا لتقرير الصلح على قاعدته.

قال: ففعل الإمام -عليه السلام- كتاباً كذلك، ثم ألحق في ذلك الكتاب ما معناه، وثم محابيس قد أمضهم الغم، وأحاط بهم الهم فصاروا من ذلك كالملقى في اليم، وما أحقكم بالرفق بهم والعطف عليهم والإفراج عنهم وتجعلوا في ذلك صحائف أجوركم، وسبباً لإصلاح أموركم **[٦٤/ب]** الصنو الحسن منهم ونحو ذلك من القول.

قال القاضي أيده الله: وطلب جماعة من الفضلاء وذكر لهم شيئاً من ذلك وقال: كل واحد منكم يتقرب إلى الله سبحانه وتعالى لتسهيل هذا المطلب بما لا يعلمه منه إلا الله.

قال: ثم فعلنا فكنت ممن نذر [بصيام وقراءة قرآن ذكرهما بالكثرة، وكان ما تفضل الله][(١)] به كما تقدم من غير منة مخلوق، فله الحمد كثيراً بكرة وأصيلاً، وقد ذكرنا ما قال بعض الغافلين من أمراء العرب لما خرج على هذه الحالة.

قال القاضي أطال الله بقاه: إن الإمام -عليه السلام- لما صح له ذلك بقي ليلة منطوٍ ينظر من بعد صلاة العشاء إلى طلوع الفجر يقدم ويؤخر من الرأي حتى صح له من الصواب ابتداء هذا الباشا بكتاب معناه أنه قد تقدم إليكم تذكيركم بأنفار من المسلمين وضعفاء المؤمنين قد أمضهم التعب والغم والنصب فما أحقكم بالإفراج عنهم وما أحقنا بمذاكرتنا

---

(١) ما بين المعكوفين ليست في (ب).

فيهم، فأما الصنو الحسن حفظه الله فقد أفرج الله عنه بما بلغكم وبقي من بقي تشملوهم بإحسانكم، وتجعلوا ذلكم قربة إلى ربكم أو ما هذا معناه.

قال القاضي أيده الله: وهذا منه -عليه السلام- تدبير نافع لئلا يكتبوا إليه في شأن الحسن بما يتعسر الجواب منا عليهم فيه، فقال نطالبهم نحن ولا يطالبونا أو نحو ذاك. وبقي رحمه الله بعد ذلك وزيراً للإمام كافياً وعضداً واقياً بقية شهر جمادى الآخرة ورجب وشعبان ورمضان حتى تقدم إلى صعدة وبلادها كما سيأتي إن شاء الله في شهر ربيع الأول من عام اثنين وثلاثين وألف[1] وعمر في شهارة المحروسة بالله بيته المعروف، وكان تمامه وهو في صعدة رحمة الله عليه.

نعم وقد تقدم ذكر ولاية مولانا أحمد بن أمير المؤمنين أيده الله وقوة سلطانه في صعدة وبلادها، وحصل الإنتفاع العام بها وشُحنت المدارس بأهل العلم، والإمام -عليه السلام- يحضه على ذلك، وبعث إلى أهل البيوت المعتادة للعلم برسائل منها هذه، وتناقلها الفضلاء وكثر ذكرها وهي:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وسلام على محمد وآله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ [الأنفال: ٢٤].

كتابنا [٦٥/أ] هذا إلى من وقف عليه وانتهى بتوفيق الله إليه من خلف[2] السلف الصالح من أبناء السادة الأخيار والشيعة الأبرار من أهل جهاتنا المحروسة وبلادنا المأنوسة منحهم الله ألطافه وجنبهم كل محذور ومخافة، وأتحفهم بشرائف التحيات ونوامي البركات، وبعد:

فإن أهم الواجبات على المكلف بعد معرفة الله سبحانه وما يحق له معرفته ما أمر به من

---

(١) ١٠٣٢هـ = ١٦٢٢م.

(٢) ليست في (ب).

الفرائض والأحكام وما يتميز به الحلال والحرام ولم[1] يتم ذلك إلا بوسيلة من طلب العلم وما لا يتم إلا به يجب كوجوبه قال الله تعالى: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[النحل:٤٣].

وعنه ﷺ: «اطلبوا العلم ولو بالصين فإن طلب العلم فريضة على كل مسلم»[2].

وعنه ﷺ: «طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة»[3].

وعنه ﷺ «خذوا العلم عن كل صغير وكبير وغني وفقير فمن ترك العلم من أجل أن صاحبه فقير أو أصغر سناً منه فليتبوأ مقعده من النار»[4].

وعنه ﷺ أنه قال: «أُغد عالماً أو متعلماً ولا تكن الثالث فتهلك»[5].

فبين صلوات الله عليه أنه من فرائض الأعيان الواجبة على كل إنسان وأن البعد والمشقة في قوله ولو بالصين لا يسقطان ذلك، وأن تاركه هالك متهدد بقوله: «فليتبوأ مقعده من النار»، ولا نزال نسأل عنكم وعما تأتون من ذلك، فلا يجاب إلا بأنكم أضربتم عنه صفحاً، وطويتم عن سمته وهديه كشحاً، ولما خوفنا الله سبحانه أليم عقابه وحذرنا من ذلك في محكم كتابه بما أنزل بسالف الأمم حيث قال: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ﴾[المائدة: ٧٨-٧٩].

فإذا ظهرت هذه المناكر وغيرت وظهر الحق على أهل المعاصي لم يضر الفاعل إلا نفسه

---

(١) ظن في (ب) أنها: لن.

(٢) رواه البيهقي وابن الخطيب عن أنس، ويقال حديث ضعيف.

(إسماعيل بن محمد العجلوني: كشف الخفاء، ج١، ص١٣٨).

(٣) روي في كتاب تيسير المطالب في أمالي أبي طالب: ليحيى بن حسين بن هاراون، ص٢٠٢.

(٤) روي الحديث في كتاب تيسير المطالب في أمالي أبي طالب: يحيى بن حسين بن هارون، ص٢١٧.

(٥) روي الحديث باختلاف «أغد عالماً أو متعلماً أو مستمعاً أو محباً ولا تكن الخامسة فتهلك» رواه البيهقي وابن عبد البر من حديث ابن عطاء.

(إسماعيل بن محمد العجلوني: كشف الخفاء ومزيل الالتباس، ج١، ص١٤٨).

عنه ﷺ أنه قال: «إذا فعل المنكر سراً لم يضر إلا صاحبه، وإذا فعل جهراً ولم يغير ضر الجميع»[1].

وعنه ﷺ أنه قال: «لن يهلك الرعية وإن كانت ظالمة مسيئة إذا كانت الولاة هادية مهدية وإذا أراد الله بأهل بلد سوءاً ولى عليهم أشرارهم ومترفيهم فساموهم العذاب فلا يكرم كبيرهم ولا يرحم صغيرهم»[2] **[٦٥/ب]**.

اتبع الهوى واشتغل باللذات والملاهي وشرب الخمور واتخذ القينات والمعازف، وأضاع الصلوات، واتبع الشهوات وقيظ الله وزير السوء فزين عمله وإن ارتكب الفواحش كبراءهم وأشرافهم، واتبعتهم على ذلك عامتهم، ولم يقدر على ذلك خاصتهم وخيارهم ولم يتحول أهل الطاعة منهم من ديارهم فالبلاء والعذاب يطلبهم جميعاً قال الله تعالى: ﴿**وَٱتَّقُواْ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً**﴾ **[الأنفال: ٢٥]** ، والفتنة العذاب.

وقال تعالى: ﴿**إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُواْ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُواْ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ**﴾ **[البروج: ١٠]**، أي: عذبوا أهل الأخدود بالقتل وقذفوهم بالنار، وأصحاب العذاب الذي لم يعن ولم يحط بجنب الخاطئ، ولَّما نزلت على رسول الله ﷺ هذه الآية قالوا: نهلك يا رسول الله وفينا الصالحون؟ قال: «نعم إذا كثر الخبث»[3].

وقال الله سبحانه في قصة ناقة صالح: ﴿**فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمْ فَسَوَّىٰهَا**﴾ **[الشمس: ١٤]** ، أي: فسوى الديار والأرض فوقه ﴿**وَلَا يَخَافُ عُقْبَٰهَا**﴾ **[الشمس:١٥]**[4]، وإنما عقرها رجلان مصبع بن دهر رماها بسهم في رجلها، والقدار بن سالف عقرها وولدها فرضوا بفعلهما وأكلوا لحمها.

روي أنه أكل من لحمها ألف بيت فنسب الفعل إليهم، فأصابهم جميعاً صيحة العذاب إلا

---

(١) لم أجد الحديث في المصادر التي بين يدي.

(٢) لم أجد الحديث في المصادر التي بين يدي.

(٣) روي في كتاب الأمالي الخميسية للمرشد بالله يحيى بن الحسين الشجري، ج٢، ص٢٦٩.

(٤) الشمس:١٥.

من آمن مع صالح وقال سبحانه وتعالى: ﴿كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾[المائدة: ٧٩].

قال ابن عباس: فعله بعضهم، وقال ﷺ: «ما من رجل يعمل بين ظهراني قوم بالمعاصي هم أعز منه وأمنع لا يغيرون عليه إلا عم الله بعقابه»(١).

قيل: أوحى الله إلى يوشع بن نون -عليه السلام- وهو النبي بعد موسى وهو صاحبه وفتاه الذي ذكر الله عز وجل وابن أخته، إني مهلك من قومك أربعين ألفاً من خيارهم وسبعين ألفاً من شرارهم قال: يا رب هؤلاء الأشرار فما بال الأخيار؟ قال: إنهم لا يغضبون لغضبي وواكلوهم وشاربوهم.

نعم والإنكار على مراتب كما قال ﷺ: «من رأى منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان»(٢).

فمن السلطان بالسوط [٦٦/أ] والسيف والقطع والحبس، ومن العلماء بالقول، وعلى قدر ما يطيقون، ومن العامة بالقلوب وعلى قدر ما يطيقون، فإذا لم فعلوا(٣) ذلك عمهم الله بعقابه.

واعلموا أنه لا أشد بلاء ولا أعظم حسرة من الإغترار بالأمل، ونسيان ما يجب وبحق الله سبحانه من العمل قال سبحانه: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا بِمَآ أُوتُوٓا أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾ فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا ۚ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[الأنعام: ٤٤-٤٥].

قال ابن عباس: لما نسوا ما ذكروا به، وعُظوا به من هلاك الأمم الماضية والقرون الخالية، وتركوا ما وعُظوا به من فعلهم وهلاكهم، فلم يتعظوا حتى إذا فتحت عليهم الدنيا، وأقبلت بزينتها وزخرفها وركنوا إليها، فأخذهم الله فجأة واحدة فإذا هم مبلسون: متحيرون آيسون

---

(١) لم أجد الحديث بلفظه في المصادر التي بين يدي.

(٢) رواه أحمد ومسلم والأربعة عن أبي سعيد. (إسماعيل العجلوني: كشف الخفاء، ج٢، ص٢٥٠).

(٣) يفعلوا: ظن في (ب).

من كل خير.

وروي عنه ﷺ أنه قال: «إن رجلاً من بني إسرائيل كان يرى الرجل على المعصية فينهاه ثم لا يمنعه ذلك أن يكون أكيله وخليطه فلما رأى الله ذلك ضرب بقلوب بعضهم على بعض فلعنهم على لسان نبيهم داود وعيسى بن مريم، قال رسول الله ﷺ وكان متكئاً فجلس: والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهن عن المنكر ولتأخذن على يد السفيه أو يلعنكم كما لعنهم »[١].

وما روي عنه ﷺ: «لتأمرن بالمعروف وتنهون عن المنكر أو ليسلطن الله عليكم شراركم فيدعو خياركم فلا يستجاب له»[٢].

في أخرى: «أو لتدعن فلا يستجاب لكم أو لتسألن فلا أعطيكم أو لتستنصرن فلا أنصركم »[٣].

وعنه ﷺ أنه قال: «تعلموا العلم قبل أن يرفع الخير»[٤].

وقال ﷺ : «تعلموا الفرائض والقرآن وعلموا الناس فإني امرء مقبوض»[٥].

وعنه ﷺ: «أيما رجل بين ظهراني قوم يقدرون أن ينهوه فلم ينهوه إلا عمهم الله بعقابه»[٦].

وعنه ﷺ أنه قال: «مروا بالمعروف وانهوا عن المنكر ولا تكونوا مثل قوم ركبوا السفينة فأعطي كل واحد مجلسه وكان مع رجل منهم قدَّوم فأخذ ينقب به السفينة فقالوا ما نصنع فقال مجلسي وحقي الذي لي فإن نهوه نجوا **[٦٦/ب]** جميعاً وإن تركوه غرق وغرقوا»[٧].

---

(١) روي في كتاب الأمالي الخميسية للمرشد بالله يحيى بن الحسين الشجري، الجزء الثاني، ص٢٣١.

(٢) سبق تخريج الحديث.

(٣) سبق تخريج الحديث برواية أخرى.

(٤) ورد في كتاب الأمالي الخميسية: يحيى بن الحسين الشجري، ج١، ص٥٩.

(٥) ورد في موسوعة أطراف الحديث النبوي، ج٤، ص٣٩١.

(٦) لم أجد الحديث في المصادر التي بين يدي.

(٧) أحمد بن يوسف زبارة: أنوار التمام، ج٥، ص٤٢٢، ملحق كتاب الاعتصام للإمام القاسم بن محمد.

وعنه ﷺ أنه قال: «لا يمنعن أحدكم مهابة الناس أن يتكلم بالحق»[1].

أصدرنا هذا الكتاب عظة لكم وتذكيراً وإرشاداً وتحذيراً، قال تعالى: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[الذاريات:٥٥].

وقال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾[آل عمران: ١٨٧] ، فليكن منكم التناهي من ذلك والتآمر بالمواظبة عليه والتظافر، آتيا من ذلك في كل فن بما تعلمون به ذلك الفرض في الفقه معرفة الأركان الخمسة، وفي المعاملات علم ما لا يحل من الشروط أو يحرم إلا به. ومن علم العربية ما يتمكن معه المعرب من معرفة كتاب الله وسنة رسول ﷺ وما يتميز له به ومعرفة صواب الكلام من خطئه، وفي أصول الفقه معرفة شروط الأوامر والنواهي، وحقائق ألفاظ العموم والخصوص، والمجمل والمبين، والفرق بين الحقيقة والمجاز، والظاهر والمأول، والناسخ المنسوخ، والإجماع بمعرفة ثمراته، والأخبار ولوازمها من الأفعال والتقريرات، وفي القياس أركانه وما يصح أن يُستدل به وما لا، من جميع ذلك معرفة ثمرة القياس، ولتعتمدوا إذا قرأتم في مُختصر بما كان رقمه الوالد رحمه الله تعالى حيث قال: المتعلم إذا قرأ في المختصرات أن يستعين بالله ولا يجعل همه إلا في تفكيك ما تَعقَّد من العبارات وتفسير ما أغرب من الكلمات، وطلب ما تسقط من زلة صاحب الكتاب ولا يطالب فيه دليل ولا مانع لمسألة ولا معارض، فإن ذلك أقرب لفهمها وحصول الفائدة ومعرفة مقاصد صاحبها، ومتى فتح الله على المتعلم بعلم كان له النظر والبحث والسؤال والمانع والمعارض والله ولي التوفيق إلى سواء الطريق.

ولنتبرك في ختم كتابنا هذا إليكم بذكر حديث في فضل أهل العلم وأهله يسنده أهل البيت ـ عليهم السلام ـ إلى أبيهم أمير المؤمنين علي ـ عليه السلام ـ أنه قال لأصحابه وهم بحضرته :« تعلموا العلم فإن تعلمهُ حسنة، ومدارسته تسبيح، والحث عليه جهاد، وإفادته [ق٦٧أ] صدقة وبذله لأهله قُربة، وهو معالم الحلال والحرام، ومسالكه سبيل الجنة، مؤنس في

---

(١) يحيى بن الحسين الهاروني: تيسير المطالب في أمالي أبي طالب، ص٤٠٣.

الوحدة، وصاحب في الغربة، وعون[1] في السراء والضراء، ويد على الأعداء وزين عند الإخلاء، يرفع الله به قوماً فيجعلهم في خير أمة تقتدي بهم ترمق أعمالهم وبعض آثارهم، يَرغب الملوك في خلتهم والسادة في عشرتهم، والملائكة في صفوفهم، لأن العلم حياة القلوب من الخطايا، ونور الأبصار من العمى، وقوة الأبدان على كد اللسان، ينزل الله حامله الجنان ويحله محل الأبرار، بالعلم يُطاع الله، وبالعلم يُعرف الله ويوحد، وبالعلم تُفهم الأحكام ويفصَّل به بين الحلال والحرام، يمنحه الله السعداء ويحرمه الأشقياء».

وفي آدابه بحديث ابن عباس عنه ﷺ أنه قال: «تعلموا العلم وتعلموا للعلم السكينة والوقار، وتواضعوا لمن تعَلّمون، وتواضعوا لمن تتعلمون منه، ولا تكونوا جبابرة العلماء فلا يقوم علمكم بجهلكم، وأنا أرجوا أن يصدق الله فيكم الرجاء وأن يجعلكم من الذين يسمعون القول فتتبعون أحسنه»[2].

﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [الزمر: ١٨].

والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد الأمين وسلم تسليماً وبعد السلام ورحمة الله.

حرر يوم السبت ثالث جمادى الأولى سنة ثلاثين وألف[3].

---

(١) في (ب): عوض.

(٢) روي في كتاب الأمالي الخميسية: يحيى بن حسين الشجري، ج١، ص٤٦.

(٣) ١٠٣٠هـ = ١٦٢٠م.

فهرس المحتويات

الإهداء ---------- ٥

تقديم ---------- ٧

المقدمة ---------- ٩

التمهيد ---------- ١٦

حدود نفوذ الدولة القاسمية في أواخر الحكم العثماني الأول في اليمن ---------- ١٦

الفصل الأول محمد بن القاسم قبل توليه الإمامة وبعدها ---------- ٢٣

شخصية محمد بن القاسم قبل توليه الإمامة ---------- ٢٣

نقض الصلح أسبابه ودواعيه ---------- ٤٢

الفصل الثاني توسع نفوذ الإمام المؤيد محمد بن القاسم حتى الإستقلال عن الحكم العثماني ---------- ٤٧

تعيينات وإجراءات الإمام المؤيد قبل الاستقلال ---------- ٤٨

الفصل الثالث الإمام المؤيد محمد بن القاسم وقيام الدولة المستقلة في اليمن ---------- ٨٣

آل القاسم وبناء الدولة المستقلة ---------- ٨٤

الإمام المؤيد ---------- ٨٤

الحسن بن القاسم ---------- ٨٥

الحسين بن القاسم ---------- ٨٧

أولاد الحسن بن القاسم ---------- ٩٢

أحمد بن الحسن----------٩٦
إسماعيل بن القاسم----------٩٩
وفاة الإمام ---------- ١٠٠
أحمد بن القاسم ---------- ١٠١
دور الشخصيات الاجتماعية المختلفة في بناء الدولة بعد الاستقلال---------- ١٠٣
الشيخ علي بن شمسان ---------- ١٠٣
الأمير عبد القادر بن محمد ---------- ١٠٥
الأمراء آل شرف الدين---------- ١٠٦
الأمير سنبل ---------- ١٠٨
الأمراء الأتراك ---------- ١١٠
الأمير حسين الجوفي ---------- ١١٢
القبائل ورؤسائها ---------- ١١٢
الفصل الرابع سياسة الإمام المؤيد محمد بن القاسم الإدارية والمالية وعلاقاته الخارجية ---------- ١١٥
الوضع في اليمن إبان خروج العثمانيين منها---------- ١١٦
سياسة الإمام المؤيد محمد بن القاسم الإدارية ---------- ١١٨
المآثر العمرانية ---------- ١٣٨
سياسة الإمام المؤيد محمد بن القاسم المالية---------- ١٤٢
العلاقات الخارجية لدولة الإمام المؤيد محمد بن القاسم ---------- ١٤٧
الفصل الخامس دراسة تمهيدية عن المؤرخ الجرموزي ومخطوطته ---------- ١٥٩
ترجمة حياة المؤرخ الجرموزي---------- ١٦٠
كيف تم اختيار الموضوع---------- ١٦٦
كيف تم اختيار النسخة الأم---------- ١٦٧
وصف المخطوطة (أ) ---------- ١٦٩

وصف المخطوطة (ب) ----------١٧٢
وصف المخطوطة الثالثة (ج)----------١٧٤
منهج المؤرخ الجرموزي----------١٧٥
أهمية المخطوطة وأبرز مواضيعها ----------١٨١
منهج التحقيق----------١٨٣
نص المخطوط المحقق----------١٨٧
فصل----------١٩١
نسبه----------١٩٢
حليته----------١٩٢
مولده----------١٩٢
نشأته ----------١٩٣
علمه ----------١٩٣
مصنفاته----------١٩٦
خصائصه ----------١٩٨
كراماته----------١٩٨
زهده ----------٢٠٩
ورعه ----------٢٠٩
كـرم أخلاقه ----------٢٠٩
سخاؤه ----------٢١٠
شجاعته----------٢١١
صبره ومروءته ----------٢١١
حسن تأليفه----------٢١٢
فصل----------٢١٣
فصـــل ----------٢٦٥

فصـــل ---------- ٣٠٥
الطبقة الأولى: ---------- ٣٠٥
الطبقة الثانية: ---------- ٣٠٥
الأولى: ---------- ٣٢٨
الطبقة الثانية: ---------- ٣٤٢
فصل في سيرته والحوادث في بقية عام تسع وعشرين ---------- ٣٦٣
ذكر خروج مولانا الحسين رحمه الله إلى بلاد الظاهر ---------- ٣٦٥
فصل ---------- ٣٧٤
ذكر ولاية السيد عبد الله بن عامر بلاد الحيمة ---------- ٣٧٥
ذكر ما تفضل الله به من خروج مولانا الحسن رحمه الله ---------- ٣٧٧
فهرس المحتويات ---------- ٤٢١